إضاءات

في السيرة المحمدية الشريفة

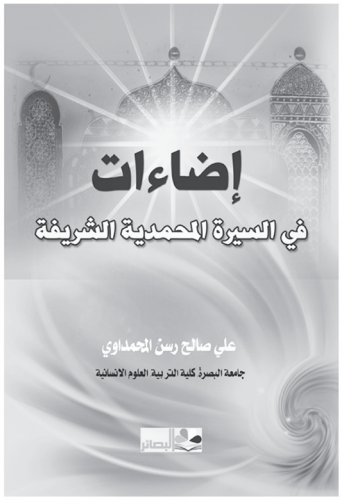

2019 م - 1440 هـ

جميع حقوق النشر محفوظة ومسجلة

دار ومكتبة البصائر
للطباعة والنشر والتوزيع
لبنان 0096170051087
العراق 009647813111272
البحرين 0097333676703
Email:. iraqsms@gmail.com
nwf.com
نيلا وفرات.كوم

إضاءات
في السيرة المحمدية الشريفة

علي صالح رسن المحمداوي

جامعة البصرة. كلية التربية. العلوم الانسانية

البصائر

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

مهما كتبت وفعلت لم أوفِ تلك النفوس العلمية التربوية الذين اعدوني هذا الأعداد، في طليعتهم فيصل كيطان حمد، مدير متوسطة يافا المختلطة الكائنة في ناحية الرافعي، قضاء الكحلاء، محافظة ميسان، اقف اجلالاً لهيبته وتعظيما لشرفه وكرمه وفضله عليَّ، ولا سيما في ذلك اليوم الذي تشاكست به مع احد رجالات الاستخبارات المدعو جواد، كان يضربني بسوطه وكدت الطم وجهه في نعالي النايلون، قرب منزلي، على أثرها اعتقل أبي فركبت دراجتي الهوائية وتوجهت للسيد المدير، اخبرته الخبر، فـــ اصطحبني إلى مدير الناحية وكتب كتاب مفاده إطلاق سراح أبي فوراً، اعطانياه سلمته لـــ المدعو جواد بعد ان اعترضت سيارته وجلاوزته بدراجتي وسط الشارع قبل ان يصلوا مركز الشرطة، فـــ أنزلت ابي وقفلنا ضاحكين راجعين بسلام، اللهم من عمري أضف إلى عمر أستاذ فيصل .

إلى من لم تفارق شفتاه الابتسامة، المرحوم عبد القادر جبر حسان، مدرس اللغة العربية، اللهم ربي اسكنه فسيح جناتك، وإلى صاحبة الشعر الذهبي، والطول البائن، سعاد مدرسة اللغة الانكليزية، ومعاون المدير، لا زلت اتذكر موقفها معي عندما دخلت المتوسطة حافي القدمين حدثتني بمعروف، وربتت على كتفي وأنا حافي القدمين قالت " مرت اللوخ جيب حذاء برجلك " .

إلى من حجابها عباءتها وقد ستر جسمها كاملاً، مميزة بـــ لباس الحشمة، البيضاء شديدة البياض، فاطمة مدرسة الرياضيات والفيزياء، وإلى من شعرها حالك السواد قصير حد أذنيها، سمراء اللون، سليمة مدرسة العلوم، إلى من حلق شاربه صاحب الصمت لم يفتح فمه إلا بمفتاح مقل الكلام خلف، والى من صبغ البناء ظاهر على ملابسه مصري الجنسية مدرس الرياضيات في الصف الثاني، لم اعرف اسمه، وأعتذر لكل من نسيت أسمه، هؤلاء درسوني في الصف الأول والثاني .

وبعدها سنة ١٩٨٥ تم ترحيل القرية التي اسكنها بسبب ظروف الحرب فـــ أكملت دراسة الصف الثالث في متوسطة الشباب للبنين في البصرة ناحية كرمة علي، دخلتها فوجدت رجلاً ارتدى زي عسكري بزة رومانية الصنع، يحمل مطرقة ومسامير، يصلح المكسور من رحلات المدرسة سألت عنه قالوا هذا عبد الرضا حواس فالح مدير

المتوسطة، أيام وتفرغ لعمله الحزبي، وحل محله رجلاً حمل عمامة بيضاء على رأسه كساه الشيب صاحب طلعة بهية ووجه ابيض جميل، المرحوم حسن شندي برع، اللهم بدل سيئاته حسنات وتلطف عليه وارحمه، مدرس الاجتماعيات، ولا أنسى طويل القامة، لقيته في العشار وقبلت يده، عامل مدرس اللغة الانجليزية، والى من كلامه يوزن بـــ المثاقيل مقل الكلام احمد مدرس اللغة العربية، على ما اعتقد يلقب أبو اكثم – هو غير احمد مريض الصدفية رحمه الله – .

والى صديقي مصاب اليد، غليظ الشوارب، دمث الأخلاق، أحب الأساتذة إلى قلبي، كان يحدثني ويقول "أريدك تعبر" ويشير بيده إلى إعدادية الهارثة، يعني ما اقبل إلا أن تكمل دراستك لا زراعة ولا صناعة، أشاهده يُدرس الكيمياء، وارجوا أكون مثله حسين اسم على مسمى ما كان يتركنى حتى وإنا طالب ماجستير اعمل في بسطة كان يتفقد أحوالي ويسلم عليَّ .

والى متوسطة الطول مربوعة، شعرها إلى شحمة إذنها صاحبة الوزن الثقيل، وعلمها غزير، تتحدث بهز رأسها، سوسن مدرسة الرياضيات، والى فارعة الطول محجبة مؤدبة جريئة مدرسة البايولوجي لم يحضرني اسمها لعلها هي سوسن أو كذا لا أتذكر، هؤلاء شيوخي انحي إجلالاً لهم اقبل أرجلهم قبل أياديهم داعيا مبتهلاً ربي ان يأتيهم من كل خير ويبعد شر الأشرار طوارق الليل والنهار إلا طارق يطرق بخير .

تلميذكم خادمكم علي

المقدمة Introduction

بسم الله الرحمن الرحيم، In the name of Allah the most Beneficent the most merciful

قال تعالى {وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّـهِ وَيُـؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [1] **اللهم لا تجعل الباحث من الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ (ص) في أعماله عامة وفي كتابه هذا، أنت الشاهد ما تعمد الإساءة لنبيك وآل بيته وكل الذي كتبه وعلمه الآخرين ما قصد به الا رضاك، والذب عن أوليائك، اللهم نجه من عذابك الأليم، لأنه عبيدك الضعيف، لا يقوى على حر نارك، لا تحرقه بها، وصل اللهم على الحبيب المصطفى وعلى خلفائه الراشدين الهادين المهدين، الذين طهروا أنفسهم من الخنى والريب، وعصموها من فعل الموبقات .**

وبعد ...

دخل الباحث قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة البصرة، سنة ١٩٨٩م، ودَرَسَ مادة السيرة المحمدية على يد الأستاذ المساعد الدكتور تحسين حميد مجيد، من رجالات العامة، والمنهج المقرر حينها من تأليف ا. د . فاروق عمر وفوزي، والدكتور لبيد إبراهيم احمد، كان يشرح الدكتور المشار إليه، المادة العلمية، والباحث تلميذ صغير ينظر إليه بـ غرابة فـ يقول بـ ماذا يتحدث هذا الرجل ؟ من أين أتي بـ هذه الترهات ؟ هل فعلاً كان هكذا النبي (ص) ؟ كان كلام خارج المقاييس العلمية والشرعية .

وكان المنهج المقرر معدد على أفكار حزب البعث Ideas Baath Party وفي سنة ١٩٩١م على وجه التحديد، تم تكليف الدكتور هاشم يحيى الملاح من جامعة الموصل بوضع كتاب منهجي مقرر يُدرس في العراق من أقصاه إلى أقصاه، وهذه جريمة كبرى، أفكار تلك المحافظة وتوجهها العقدي، يفرضان على أهل البصرة على الرغم من الاختلاف كلياً بين المحافظتين على جميع الأصعدة .

سبحان الله مرت الأيام والسنين وإذا هذا التلميذ المتواضع الحقير الفقير الضعيف احد المهتمين بـ تدريس هذه المادة على ما يصح اعتقاده سنة ٢٠١٢م، ولعله بعدها الباحث غير متأكد، بتكليف من رئاسة قسم التاريخ كلية التربية الإنسانية، جامعة البصرة، فما عساه ان يفعل؟

---

١ التوبة/٦١ .

وقد وعى وسمع ورأى ما كان شائعاً ومتداولاً في الأوساط الأكاديمية والعلمية، كانت مهمة صعبة لأن عقول بعض البشر مبرمجة وأفكار تلك الحقبة لا يمايزون بين الشريعة والدين، ولا يعرفون الدين اذ جعلوا لله ديانات شتى، منها المسيحية واليهودية، وساعة ولادة النبي (ص) تهدم إيوان كسرى وغاضت بحيرة ساوة وفاض وادي السماوة، وأرضعته حليمة بل له مرضعات شتى، وشق صدره وحشوة علماً وعلماً، وانه يرعى غنم، هذه الترهات عملوا منها حقائق، أنى يتمكن هذا المخلوق البائس تغيير عقول الأطراف المحيطة به، ولا سيما القامات العاليات ممن تتلمذ على أيديهم، كانت مهمته صعبة جداً .

المهم درس المادة من ذاك التاريخ بعد أن تيقن عدم صلاحية المنهج وتوافقه ومتطلبات المرحلة الفكرية المعاصرة، بعدها عقد العزم وتوكل على الله ودعاه التوفيق والنجاح في عمله هذا، وهو كتابة محاضرات علمية بحثنية قائمة على النقد والتحليل بما يتناسب مع السيرة المحمدية العطرة ودفع الشبهات عنها، ولم يأت بشيء من عنده وإنما اعتمد مصادر رئيسة معتبرة وقف على رواياتها وحللها، وعرض بعض أسانيدها على علم الرجال .

شيء قليل من هذه المحاضرات، بـ كل تواضع صِيْغَ هذا العنوان " اضاءات في السيرة المحمدية الشريفة " وهو في فصول أربعة كانت بـ الأصل بحوث منشورة، ليس من شأن الباحث ان يكرر ما مسطور في كتب غيره، تناول الفصل الأول كذا والآخر كذا هذه طريقة عقيمة في التوليف، ولم يكتب قائمة مصادر، لأنها مذكورة في تواليفه المنشورة، ولا خاتمة موقفه سلبياً منها، ولم يشرح المنهج المتبع في التعامل مع المصادر وغيرها هناك أمور يجب على القارئ معرفتها .

علي

مدخل

الهدف منه معرفة البيئة التي ولد فيها وعاش النبي محمد (ص) وهي بكة هكذا سماها الحق جلة قدرته قال {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ }[1] لأنها تبك أعناق الباغين إذا بغوا فيها وسميت بساسة، كانوا إذا ظلموا فيها بستهم وأهلكتهم وتسمى أم رحم، كانوا إذا لزموها رحموا [2] وهي حرم الله وأمنه وأول بقعة خلقها من الأرض[3] وهذا القول بحاجة الى تحقيق Investingation وتقديم أدلى على صحة ذلك، لأن المصدر الذي ذكر الخبر لم يكن بـ ذاك، أي لم يكن مختصاً بـ الموضوع .

وقداستها متأتية من وجود البيت الحرام فيها، ذكره الله سبحانه وتعالى على انه أو بيت وضع للناس[4] حجته الملائكة والنبي آدم عليه السلام [5] ومن ذلك اتضح قداسة المكان، وأي قدسية لأرض حجت لها الملائكة ومن اصطفاه الرحمن نبياً ؟ .

وحجه النبي نوح (ع) وهو في السفينة إذ وقفت به موقف عرفة ثم دفعت به كما يدفع الحاج ثم باتت بالمزدلفة ثم دفعت ثم جعلت تقف به على الجمار ثم أفاضت به إلى البيت فطافت به سبعاً وطافت بين الصفا والمروة سبعاً وعلا الماء فوق أطول جبل في الأرض مسيرة خمسة أشهر صعدا[6] يظهر من الرواية إن شعائر الحج المعروفة الآن وجدت إذ وجد البيت العتيق، قبل أن يرفعه إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) ولا جديد فيها، وقد فصلنا القول في الموضوع وأطلنا فيه الكلام، من شاء يراجع ذلك في مظانه [7] .

وفي الطوفان أيام النبي نوح (ع) غرقت الدنيا إلا البقعة التي نزل عليها آدم (ع) رفعها الله وهي موضع البيت فسميت البيت العتيق لأنه اعتق من الغرق [8] كان مرتفعا كـ الرابية Mounded تأتيه السيول عن يمينه وشماله [9] .

---

١ آل عمران/٩٦ .
٢ الكليني : الكافي ٢١١/٤ .
٣ القمي : تفسير ٦٠/١
٤ ينظر آل عمران/٩٦ .
٥ ابن إسحاق : السير والمغازي /٩٤ ، الكليني : الكافي ١٩٤/٤ .
٦ ابن حنبل : العلل ٢٧٣/١ .
٧ المحمداوي وآخر : لامية الشاعر أبي طالب بن عبد المطلب (البحث الثاني) دراسة في مضامينها أولا (مناسك الحج) مجلة ابحاث البصرة ، مج ٢٦ ، ع ١، س٢٠١١ ، ص ٢٩٧ – ٣٣٣ .
٨ القمي : تفسير ٦٠/١ .
٩ ابن حنبل : فضائل الصحابة /٨٣ ، البخاري : صحيح ١١٤/٤ .

كان ربوة حمراء مدرة، حين سكنه إسماعيل وأمه وهو أول بيت وضع في الأرض، وأن إبراهيم وإسماعيل يرفعانه، هذا ما قاله لهم الملك الذي أتى بهما إليه [١] وفي هذا دلالة على وجود موضع البيت، وان هاجر وابنها وضعا في جواره بإرادة ربانية لغرض بنيانه، وليس لكراهية سارة .

ولم يزل كذلك حتى بناه النبي إبراهيم عليه السلام بعد ان أوحى الله إليه بذلك، وهو يومئذ عمره ١٠٠ سنة وإسماعيل ٣٠ سنة [٢] هنا إشكالية قد تثار هل بـ أمكان شيخ بهذا العمر فعل ذلك ؟ وكم سنة عاش ؟ إن صحت الرواية نستطيع على ضوءها تحديد عمره حين ولد له إسماعيل يكون ٧٠ سنة، الرواية لا يمكن قبولها بـ هذا الشكل وإنما تحتاج دراسة .

وقبال ذلك هناك رواية لم تحدد عمريهما مكتفية بـ القول لما بلغ النبي إسماعيل (ع) مبلغ الرجال، أمر الله، النبي إبراهيم عليه السلام أن يبني البيت، فـ كأنه لا يعرف مكانه، فقال يا رب في إي بقعه ؟ قال في المكان الذي أنزل عليه النبي آدم (ع) كان على شكل قبة فأضاء لها الحرم، فـ بعث جبريل (ع) فخط له موضع البيت فانزل الله عليه القواعد من الجنة [٣] وهذا أمر صحيح يعني كان عمره ١٤ سنة فـ أكثر، وقد أظهرت الرواية السبب الحقيقي الذي لأجله خرج إبراهيم وإسماعيل وهاجر، ألا وهو بناء بيت الله الحرام .

وكانت وفاة النبي إسماعيل بعد أبيه ودفن داخل الحجر مما يلي الكعبة مع أمه هاجر، وخلف ثلاث أولاد، قيذر، ونابت، ومدين، وهو الذي صار إلى أرض مدين فنزلها، ومن ولده شعيب النبي(ع) وقومه الذين أرسل إليهم [٤] كانت الولاية على الكعبة لإسماعيل ثم لولده من بعده[٥] منهم نابت الذي تولاها مع أخواله جرهم [٦] ولما توفي نابت غلبت جرهم على البيت والحرم، فخرج قيذر بن إسماعيل بأهله وماله يتبع مواقع القطر بين كاظمة، وغمر ذي كندة[٧] والشعثمين – لم اعرفه – حتى كثر ولده، وانتشروا في جميع أرض تهامة، والحجاز، ونجد [٨] وزادت

---

١ الطبري : جامع البيان ١ / ٠٧٦٢

٢ الدينوري : الاخبار الطوال /٩ .

٣ القمي : تفسير ٦٠/١

٤ الدينوري : الأخبار الطوال/٩

٥ الريشهري : ميزان الحكمة ٢٤٩٠/٣ .

٦ الدينوري : الاخبار الطوال /٩ .

٧ بستان الغمير : بالتصغير ، كان يقال له الجاهلية غمر ذي كندة ، فاتخذ فيه ناس من بني مخزوم أرضا . ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤١٤/١ .

٨ الدينوري : الأخبار الطوال/٩ .

جرهم في البناء ورفعته على ما كان عليه [١] .

وقيل تغلبت عليهم جرهم فقبضوا بولايتها، ثم ملكتها العماليق، بعد حروب وقعت بينهم، ثم كانت الدائرة لجرهم على العماليق فعادت الولاية إليهم فتولوها نحوا من ٣٠٠ سنة [٢] وعندما غلبت جرهم على ولاية البيت كان يلي منهم كابر عن كابر حتى بغوا بمكة واستحلوا حرمتها وأكلوا مال الكعبة وظلموا من دخل مكة وعتوا وبغوا وكانت مكة لا يظلم ولا يبغي فيها ولا يستحل حرمتها ملك إلا هلك مكانه، فـ بعث الله عز وجل عليهم الرعاف والنمل، وأفناهم [٣] .

إذ تنازعت جرهم وخزاعة، واجتمعت الأخيرة ليجلوا من بقي من جرهم عن الحرم ورئيس خزاعة، عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو، ورئيس جرهم، عمرو بن الحارث بن مصاص، الذي هزمته خزاعة، وخرج من بقي من جرهم إلى أرض جهينة فجاءهم سيل أتي فذهب بهم ووليت خزاعة البيت فلم يزل في أيديهم حتى جاء قصي بن كلاب وأخرجهم من الحرم وولى البيت وغلب عليه(٤) .

سكانها

أول من سكنها آدم وحواء (عليهما السلام) [٥] لما عصى ربه تعالى ناداه مناد من لدن العرش اخرج من جواري فانه لا يجاروني أحد عصاني، فبكى وبكت الملائكة فبعث إليه جبريل عليه السلام واهبطه الأرض مسوداً فلما رأته الملائكة ضجت وبكت وانتحبت وقالت: يا رب خلقاً خلقته ونفخت فيه من روحك واسجدت له ملائكتك بذنب واحد حولت بياضه سواداً هذه الرواية من غرائب ما رواه عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش[٦] عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله[٧].

الغريب في الموضوع إن كثير من أهل العلم يذهبون إلى خطيئة النبي آدم ويزعمون انه ارتكب ذنباً عاقبه الله عليه، وهذا بحد ذاته ذنباً لأن النبي لا يجوز عليه فعل المعاصي معصوم من الخطأ، وان أساء بعضهم تفسير بعض الآيات الدالة على ذلك ظاهراً، لسنا في معرض الرد عن هذه الشبهة .

---

١ الريشهري : ميزان الحكمة ٣/٢٤٩٠ .
٢ الريشهري : ميزان الحكمة ٣/٢٤٩٠ .
٣ الكليني : الكافي ٤/٢١١ .
٤ الكليني : الكافي ٤/٢١١ .
٥ الكليني : الكافي ٤/١٩١ ، للتفصيلات ينظر المحمداوي وآخر : مناسك الحج /٢٩٩ .
٦ عن هذين الشخصين ينظر كتابنا الاسراء والمعراج ، فصل ٣ ، مبحث فرض الصلاة .
٧ الصدوق : علل الشرائع ٢/٣٨٠ .

وبما أنهما عاشا هناك فقد تكاثرت ذريتهما، إذ وقع آدم على حواء، فحملت، وولدت غلاماً وجارية، فسمى الغلام قابيل، والجارية لوبذا، ثم حملت فولدت غلاماً وجارية، فسمى الغلام هابيل والجارية إقليما، فلما كبر ولده وبلغوا النكاح، قال آدم لحواء: مري قابيل، فليتزوج إقليما التي ولدت مع هابيل، ومري هابيل فليتزوج لوبذا التي ولدت مع قابيل، فحسده قابيل أن يتزوج أخته التي ولدت معه، وقد روى بعضهم أن الله عز وجل أنزل لهابيل حوراء من الجنة، فزوجه بها، وأخرج لقابيل جنية، فزوجه بها، فحسد قابيل أخاه على الحوراء، فقال لهما آدم: قربا قربانا ! فقرب هابيل من تين زرعه، وقرب قابيل أفضل كبش في غنمه لله، فقبل الله قربان هابيل، ولم يقبل قربان قابيل، فازداد نفاسة وحسداً، وزين له الشيطان قتل أخيه، فشدخه بالحجارة، حتى قتله، فسخط الله على قابيل ولعنه، وأنزله من الجبل المقدس إلى أرض يقال لها نود، ومكث آدم وحواء ينوحان على هابيل دهراً طويلاً، حتى يقال إنه خرج من دموعهما كالنهر، ووقع آدم على حواء، فحملت، فولدت غلاماً، بعد أن أتى له مائة وثلاثون سنة، فسماه شيثاً، فكان أشبه ولد آدم بآدم، ثم زوج آدم شيثاً، فولد له غلام بعد أن أتت عليه مائة وخمس وستون سنة، فسماه انوش، ثم ولد لانوش غلام، فسماه قينان، ثم ولد لقينان غلام، فسماه مهلائيل، فهؤلاء ولدوا في حياة آدم وعلى عهده [1] .

لا يهما التحقيق كثيراً من صحة الرواية، بـ قدر ما يهمنا سكان مكة الأوائل، وما نجم عنه قداستها، إذ ورد فيها ما يتنافى والعقل البشري ولا سيما الزواج من الأخت، فنقول الله قادر أن يخلق لهما زوجات مثلما خلقهما، الرواية ارض خصبة للتحقيق فيما ورد فيها، أخذنا موضع الشاهد منها وهو تكاثر ذرية آدم عليها .

ثم داستها أقدام نبيا الله إبراهيم وإسماعيل وأمه هاجر على اثر هجرتهم (عليهم السلام) وفي أسباب الهجرة رأيين: الأول، حدثت بسبب غيرة سارة من هاجر لأنها ولدت النبي إسماعيل (ع) وهي لم تلد، فـ طلبت من النبي إبراهيم(ع): أخراجهما ! فـ فعل [2] وقيل أمره الله أن يطيعها[3] ولكن السؤال هنا على ماذا يطيعها؟ على المعصية حاشا رب العزة ان يأمر بطاعة الحساد، وحاشا نبيه أن يفعل ذلك .

---

١ اليعقوبي : تاريخ ٦/١ .
٢اليعقوبي : تاريخ ٢٤/١ .
٣ البرقي : المحاسن ٣٣٨/٢ .

الباحث لا يميل إلى قبول هذا الرأي ويعده خرافة، حتى لو طلبت سارة إبعاد هاجر، المفروض أن يفرق بينهما في المبيت لكل منهن بيتها، ويهتم بصاحبة الوليد على الأقل إكراماً لولدها، ولا ينفيها من بلد إلى بلد وكأنها ارتكبت معصية حاشاها، هذا أمر يأباه العقل .

وقبال ذلك لا ننفي تأثير الزوجة على الزوج، سواء أكان نبي أو غيره، بـ دلالة تأثير بعض زوجات النبي محمد (ص) عليه وقد نزل به قوله تعالى {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [1] .

فـ الغيرة واردة عند النساء الواحدة من الأخرى حتى في ابسط الأشياء مهما علت منزلتهن، ولا سيما إذا كانت احدهما ضرة الأخرى، واحدهن أنجبت ولداً والأخرى لا، حتما ستكون الغيرة على أشدها، هذا أمر لا جدال فيها، لكن الإشكال حول أمر الله سبحانه للنبي إبراهيم عليه السلام أن يطيع زوجته، يا ترى هل الله حمل إبراهيم بذلك أراد منه أن يجمالها، ويمتص غيضها ؟ أم حفاظاً على إسماعيل من خطر سارة ؟ للرد على ذلك نقول أن صح نزول الأمر، لا لأجل سارة، وإنما هو أمر رباني أريد به تشريف البقعة المباركة، مكة في أن تطأها قدما إبراهيم وإسماعيل، وهاجر معا، وإضافة صفة القدسية عليه ليكون قبلة للمسلمين، ومهبط الوحي الأمين على رسوله محمد (ص) وبالمعنى الأعم أن نزولهم هناك كان بمثابة تمهيد لمبعث النبي محمد (ص) من ذلك المكان، ولهذا لا دخل لسارة في الأمر، ولم يكن لها سلطان على النبي إبراهيم عليه السلام بل بناء بيت لهاجر ووليدها أسس على تقوى الله .

الثاني: أن الهجرة من الله سبحانه وتعالى، وهذا ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: إن النبي إبراهيم (ع) كان نازلا في بادية الشام، فـ أمره الله أن يخرج إسماعيل وأمه، فقال إلى إي مكان؟ قال إلى مكة فانزل الله عليه جبريل بالبراق فحمل هاجر وإسماعيل وكان إبراهيم لا يمر بموضع حسن فيه شجر ونخل وزرع إلا قال يا جبريل إلى ههنا إلى ههنا قال: لا امض، امض حتى أتى مكة فوضعه في موضع البيت [2] .

ننتفع من الرواية جملة أمور منها تحديد المكان الذي هاجر منه الخليل (ع) وهو بلاد الشام وهذا الأمر ربما دل على شأم المكان فارقه نبي وابن نبي (عليهما السلام) ولا يقول قائل النبي محمد(ص) هاجر من مكة هل يجوز إطلاق مثل هذا القول عليها، نقول هذا قياس مع وجود الفارق لأن مكة مقدسة بنفسها وهذا هو احد أهداف البحث .

---

١ التحريم/١ .

٢ القمي : تفسير ٦٠/١

على كلٌ أنزلهما عند البيت الحرام، وفارقهما، وقال: اللهم إني أسكنت ابني بواد غير ذي زرع، عند بيتك المحرم [1] وقد نزل بذلك، على لسانه قوله تعالى {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ } [2] .

وعلى رواية قال قائل لـ هاجر وهي في أحلك الأوقات: إن أبا هذا الغلام سـ يجئ، فـ يبنيان لله بيتاً هذا موضعه، واستمرت بالعيش هناك حتى وفاتها [3] إذا هدف الهجرة إقامة الصلاة، وتوجه الحجاج إليهم لحج البيت، وعليه وجودهم هنا مثل وظيفة السدنة لخدمة البيت الحرام، ونحن في هذا المقام ننفي قضية غيرة سارة، ولا نعتبر بما قيل .

وعلى رواية ان الله سبحانه وتعالى حدد مواصفات المكان، لا ماء ولا كلأ، وهذا ما رويَّ عن ابن أبي عمير عن بعض أصحابه عن الإمام الصادق عليه السلام قال: أمره الله إن احمل هاجر حتى تضعها ببلاد ليس فيها زرع، ولا ضرع، فأتى بها البيت [4] ما يهمنا من الموضوع مواصفات المكان وتفصيلاته مختارة من الله سبحانه وتعالى، أما تحديده وتنفيذ المطلوب جاء من قبل النبي إبراهيم (ع) .

الملاحظ على الرواية وجود إبهام في السند أبي عمير عن بعض أصحابه، وهذا عامل ضعف سجل عليها، فمن هم أصحابه؟ لماذا لم يذكر واحد منهم على سبيل الفرض، حتى لا يكون هناك تساؤل في السند، والظاهر ان الإمامية مجتمعة على العمل بمرسلات الرجل وصحة رواياته، ولكن مَنْ القائل ان الرواية صدرت منه، ربما مفتراة عليه .

ونحن نتساءل ونقول: أمره تعالى ان صح، القاضي بحمل هاجر ووليدها وتوضع في ارض ما فيها زرع ولا ضرع، هل أراد الله الانتقام منهما ؟ هل هي بمثابة عقوبة لهاجر لأنها أنجبت ولداً؟ حاشاه سبحانه من كل ذلك، وإنما أراد بهم الرحمة، والرأفة والمنزلة العالية، لأن المسلمين إلى اليوم يقتدون بفعل هاجر، وهي تسعى بين الصفا والمروة بحثا عن الماء، وما تطرقت له الروايات إن النبي إبراهيم عليه السلام تركها وابنها عند البيت، فربما سأل سائل، هل هناك بيت لله قبل نزولهما، وما الذي بناه النبي إبراهيم عليه السلام وهل كانت هناك صفا ومروة حينها ؟ فإذا كان هناك بيت وصفا ومروة أصبحت المنطقة مأهولة بالسكان؟! وإذا كانت كذلك، فمن أين يحصلوا على

١اليعقوبي : تاريخ ٢٤/١ .
٢ إبراهيم /٣٧ .
٣ الطبري : تاريخ ١٣ /٣٠٠ .
٤ البرقي : المحاسن ٣٣٨/٢ .

الماء، أو على ما تكون هاجر في حيرة، بعد ان عطشت فالأجدر أن تستعين بمن حواليها وتأخذ منهم الماء، هذه تساؤلات طرحها الباحث ولم يجيب عليها، ما يخص البيت كان ربوة حمراء [١] والصفا والمروة كانتا موجودتين وجدت حيث هبط النبي آدم الأرض فصلنا القول فيه بمناسبة سابقة .

قيل اقبل معه جبريل (ع) ومعه شيء من زاد وسقاء فيه شيء من ماء والبيت يومئذ ربوة، حمراء من مدر، فقال إبراهيم لجبريل(عليهما السلام) ههنا أمرت قال: نعم، قال: ومكة يومئذ سلم وسمر[٢] هذه الرواية لم تشر إلى سوء علاقة هاجر وسارة، يظهر انه هناك إرادة ربانية وحكمة ألاهية في الأمر، لم تكن فيها قسوة مثل سابقتها هو إن يوضعا في ارض ليس فيها زرع ولا مدر ولا ماء، بل على العكس هذه الرواية إشارة إلى حمل الماء والغذاء معهم، وهم يسيرون وجبريل عليه السلام دليلهم، وهل يخاف من كان جبريل عليه السلام معه، حتى وضعه في موضع الحجر .

وقد ناقضت ذلك رواية ابن أبي الحديد عن الزبير بن بكار عن سعيد بن المسيب قوله: إن إبراهيم قال لهما: كلا من الشجر، واشربا من الشعاب، وفارقهما، فلما ضاقت الأرض تقطعت المياه، عطشا، فقالت له أمه: اصعد وانصب في هذا الوادي، فلا أرى موتك، ولا ترى موتي ففعل[٣] يطعن في صحة الرواية ان الحادثة وقعت والنبي إسماعيل طفلاً، وما تحدثت عنه الرواية غير ذلك بدلالة هول أمه له اصعد الوادي – ربما ارادت اهبط الوادي ــ والطفل ليس بـــ استطاعته عمل ذلك، وإن راويها الزبير بن بكار وهو مطعون فيه [٤] وعلى رواية كان فيما بين الصفا والمروة، شجر [٥] وهذه لا قيمة لها لأنها متعارضة والنص القرآني .

وهناك روايات اكتفت بـــ ذكر مكة فقط من دون تحديد قالت: وضعهما إبراهيم بمكة[٦] وأخرى حددته وهذا ما روي عن ابن عباس قال: في موضع زمزم [٧] وقيل في موضع الحجر[٨] وقيل انتهى إلى موضع البيت، فوضعهما ثم رجع [٩] وعليه كان اختيار موطن عائلته .

---

١ الكليني : الكافي ٢٠١/٤ .
٢ الكافي ٢٠١/٤ .
٣ شرح النهج ٢١٧/١٥ .
٤ ينظر كتابنا عقيل بن أبي طالب بين الحقيقة والشبهة
٥ الكليني : الكافي ٢٠٢/٤ .
٦ ابن إسحاق : السير /٢٦ .
٧ الطبري : تاريخ ٣٠١/١٣
٨ الكليني : الكافي ٢٠١/٤ .
٩ الطبري : تاريخ ١٣ /٣٠٠ .

وبعد ان وضعهما سألته عن ذلك قال: ربي أمرني [١] أن أضعكم في هـذا المكـان حاضـر عليكم[٢] وعلى رواية فقالت: آلله أمرك بـ هذا ؟ قال نعم، قالـت: إذاً لا يضـيعنا [٣] إن عمليـة الهجرة كانت بتوجيه من الله سبحانه وتعالى، وموقف هاجر سليم جداً دل على عمق إيمانهـا ان الله لا يضيعهما، وهذا ما حدث فعلاً إذ خلدا، وموقفها هذا لا يتوافر عند كثير مـن النسـاء، ولا سيما بعض نساء اليوم هي في قمة الخير وتشتكي الجوع والعطش والعراء، واغلـب المجتمـع يشتكي الفاقة والفقر، خلا طبقة الساسة تشكو التخمة وانتفاخ الجيوب، وهـم فـي حيـرة أيـن يكسدون الأموال وكيف يحفظونها على كثرتها .

الشخص الذي دلهم المكان، نقل الطبري عن ابن إسحاق قوله: يزعمون – والله أعلـم – إن ملكاً من الملائكة أتى بهما [٤] وقيل جبريل (ع)[٥] وهذا هو الصـحيح لأن رب العـالمين جعلـه الوسيله بينه وبين الأنبياء (عليهم السلام) .

الوسيلة التي هاجروا عليها، المعروف ان الله سبحانه وتعالى سهل أمر تنقل الأنبياء (علـيهم السلام) فـ هيئ لهم السبيل، على سبيل المثال ما جاء بـ قوله تعالى {وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِـفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ ... } [٦] وقال {وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْـرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ ... } [٧] .

وعليه لا بد من وسيلة لـ النبي إبراهيم وزوجه وابنه (عليهم السلام) تقلهم، أثناء هجـرتهم بسبب بعد المسافة من الشام إلى مكة وهو الطريق الذي هاجر به، يقال قيض الله لهـم البـراق [٨]ولكن السؤال هنا إن كان البراق حيواناً حقيقياً هل بـ استطاعته حمل ثلاثة أنفس ؟ .

وقبال ذلك ورد حملهم على حمار، وهذا ما أشار إليه الكليني عن الإمام الصادق عليه السلام قـال " لما ولد إسماعيل حمله إبراهيم، وأمه على حمار [٩] .

الرواية فيها غرابة قالت حملهم على حمار، وهو ليس من ركوبة الأنبياء، بـل مـن ركوبـة الأذلاء، وربما يعترض معترض ويقول إن المسيح (ع) له حمار، الباحث لم يدرس تاريخـه ولـم

---

١ الطبري : تاريخ ٣٠١/١٣
٢ القمي : تفسير ٦٠/١
٣ الطبري : تاريخ ١٣ /٣٠٠ .
٤ جامع البيان ١ / ٠٧٦٢
٥ القمي : تفسير ٦٠/١
٦ الأنبياء/٨١ .
٧ سبأ/١٢ .
٨ القمي : تفسير ٦٠/١
٩ القندوزي : ينابيع المودة لذوي القربى ٢٩/٣ .

يعرف ركوبته الحمار، ولا يصدق ذلك، وإنما ورد في قضية مفتعلة في مأساة كربلاء، حافر حمار عيسى (ع) [١] .

حقيبة السفر: جرت العادة مع كل مسافر أن يحمل حقيبة سفر يضع فيها مستلزماته الضرورية بما فيها قنينة الماء، إلا ثلاثة أشخاص سافروا من دونها، وكأنهم حاجزين في الدرجات الخاصة كل شيء معد لهم مسبقاً، وبالتالي وقعت الصدمة ولم يحصل ما كان معد لهم بحيث لم يتوافر لهم كأس ماء، وفي الموضوع حرج شديد عندما قالت زوجة المسافر لزوجها: نحن لا طعام ولا شراب فجعل لا يرد عليها شيئاً، وقيل معها شنة فيها ماء، فـ نفذ [٢] السؤال هنا مَنْ قال لهم لم يحضروا طعام وشراب ؟ هم في سفر وليس منفى، والاستعداد للسفر واجب، هل يصدق ذي لب مثل هذه الرواية ؟ هل صدر هذا من عائلة نبي (ع) هذه الأمور ابسط الناس يتجنبها في السفر، إذاً الرواية ليست صحيحة، ربما يقول قائل جلبوا معهم ما يلزم ونفذ في الطريق الجواب توجد محطات تجارية وبلدان يجب التزود منها بـ المؤن، ويحق للباحث أن يعلق ساخراً فـ يقول هل البراق خلت من عربة معدة للحقائب ؟ !!!.

سؤال هاجر لـ زوجها، عندما ذهب تريد الاطمئنان كيف سيكون عيشهم في هذا الوحل قالت: إلى من تدعنا ؟ [٣] إلى أي شيء تكلنا ؟ [٤] لَمَ تدعنا في موضع ليس فيه أنيس ولا ماء ولا زرع [٥] إلى من تخلفني ههنا ؟ [٦]أسألك ثلاث مرات: من أمرك أن تضعني بأرض ليس فيها ضرع ولا زرع ولا أنيس ولا زاد ولا ماء ؟ [٧] .

من حقها ان تسأل مثل هذه الأسئلة ولكن جاءت متأخرة المفروض ان تسأل قبل الهجرة إلى أين ؟ وما طول السفر ؟ وكيف ولماذا ؟ وان تضع مائة علامة استفهام حتى تكون الأمور بينة أمامها، أما سؤالها في هذا الوقت لا يجدي نفعاً وهذا ما حصل فعلاً .

جواب النبي إبراهيم (ع) قال: على رب هذه البنية ! [٨] إذا كان وكلهم إلى رب البيت ماذا نسمي فعل هاجر؟ إلا يكن ذلك توبيخاً لها وفي هذا دلالة على إن البيت الحرام كان موجوداً، وهل يكون خائفاً وجلاً من كان في جوار بيت الله، وهل كان البيت مبني في ارض قاحلة من دون أن

---

١ القندوزي : ينابيع المودة لذوي القربى ٢٩/٣ .
٢ الطبري : تاريخ ١٣ /٣٠٠ .
٣ الكافي ٢٠١/٤ .
٤ الطبري : تاريخ ١٣ /٣٠٠ .
٥ القمي : تفسير ٦٠/١
٦ البرقي : المحاسن ٣٣٨/٢ .
٧ الطبري : تاريخ ٣٠١/١٣
٨اليعقوبي : تاريخ ٢٤/١ ، الكليني : الكافي ٢٠١/٤ .

يسكنها أنيس، والخليل أودعهم الله سبحانه، فلماذا أم إسماعيل تستجير بالصفا والمروة ؟ وتترك البيت الحرام .

خلفها عند البيت، وانصرف عنها فبكى [1] وهذا الأمر فيه دلالة على مشروعية البكاء وحليته، وهو حجة على القائلين بحرمته .

وكان إبراهيم عليه السلام عاهد سارة أن لا ينزل حتى يرجع إليها، وعندما انصرف عن زوجته وابنها لما بلغ كداء وهو جبل بذى طوى التفت إليهم إبراهيم فقال {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ} ثم مضى [2] وقال على رواية: ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن يعني من الحزن وما يخفى على الله من شي في الأرض ولا في السماء [3]

موقف هاجر

أصبحت في محنة بعد ان فارقها زوجها، وليس معها أدنى مقومات البقاء، فلما نزلوا في ذلك المكان كان فيه شجرة فألقت هاجر على ذلك الشجر كساءً وكان معها فاستظلوا تحته [4] ثم عطشت وانقطع لبنها، فنظرت أي الجبال أدنى من الأرض، فصعدت الصفا، فتسمعت هل تسمع صوتاً أو ترى أنيساً فلم تسمع، فانحدرت، فلما أتت على الوادي سعت وما تريد السعي، كالإنسان المجهود الذي يسعى وما يريد السعي، فنظرت أي الجبال أدنى من الأرض، فصعدت المروة فتسمعت هل تسمع صوتاً، أو ترى أنيساً فسمعت صوتاً، فقالت كالإنسان الذي يكذب سمعه، صه حتى استيقنت، فقالت: قد أسمعتني صوتك فأغثني، فقد هلكت وهلك من معي فقال لها قائل: لا تخافي الظمأ على أهل هذا البلد، [5] .

موقف طلب الاستغاثة هذا يتعارض وقولها إن الله لا يضيعنا، وفي واقع الحال لم تهلك وانما خلدت ومن معها واصبحا قبلة يحج الناس إليهما، وما ورد في الرواية معناه إن الأرض غير مسكونة بمعنى صحراء جرداء قاحلة، ولكن السؤال هنا، إلا يمثل وجودهما هنا مثل شكل من إشكال الانتحار، هل من عاقل يترك فلذة كبده وزوجته في هذا المكان الموحش ؟ ألم يكن ذلك ابتلاءً لهم جميعاً؟ وما ذنب الطفل الرضيع تحمل هكذا ابتلاء، ألم يكن ذلك إحراجاً لأبيه، نجد

---

١ البرقي : المحاسن ٣٣٨/٢ .
٢ القمي : تفسير ٦٠/١
٣ الطبري : تاريخ ٣٠١/١٣
٤ القمي : تفسير ٦٠/١
٥ الطبري : تاريخ ١٣ /٣٠٠ .

تفسير الحال مع طفل الإمام الحسين (ع) ولا تجوز المقارنة هنا ولكن لمجرد نظرة سريعة للحالتين أيهما أصعب ترك الطفل حياً تحت رعاية خالقه، وحضن أمه أم الذي قطعته السيوف انه لموقف والله صعب ذكره، صبراً جميلاً يا رب .

وما يخص القائل التي أتاها لم تحدد الرواية هويته، فـ قد ذكرته رواية ابن إسحاق، قال: نزل عليها جبريل، فقال لها: مَنْ أنتِ ؟ قالت: هذا ولد إبراهيم، فقال: اعطشانه ؟ قالت: نعم [١] واضح ان الرواية منحولة بـ دليل استخدم جبريل أسلوب الاستفهام الإنكاري، عندما سألها مَنْ هي ؟ إلا يتناقض ذلك والرواية القائله انه اصطحبهم إلى مكة وحدد لهم مكان الإقامة ؟ ثم هو سألها عن حالها لماذا أجابته بـ أسم ابن الخليل ؟ الجواب معروف لأن زوجها نبي (ع) تعرفه الخلائق ؟ ولكن بـ أمكانها القول هي زوجة فلان وكفى، وهذا ما ورد على رواية قالت: انا هاجر أم ولد إبراهيم[٢] وعلى رواية كانت تسعى بين الصفا والمرة فلما كانت المرة السابعة قال لها جبريل(ع): والى من خلفك ؟ قالت: إما إذا قلت ذلك لقد قلت له: يا إبراهيم فقال: إلى الله عز وجل أخلفك، فقال لها جبريل عليه السلام: نعم ما خلفك إليه، ولقد وكلك إلى كاف فارجعي إلى ولدك، فرجعت إلى البيت [٣] .

وبالتالي بين هذا وذاك لم تثبت صحة السؤال وهو منحول، والغريب إنها لم تسأله الماء، بل هو عرف حالها إنها عطشى، في حين بالغت الروايات في موضوع العطش، وإنما جاء التركيز عليه ؟ ما هو السبب؟ هل اختلق الموضوع للمبالغة والتهويل ؟ كما هو الحال في واقعة كربلاء، ولماذا لم تشتكي الجوع؟.

وعلى رواية إنها التمست له أمه الماء فلم تجده، فقامت على الصفا تدعوا الله وتستغيثه، ثم أتت المروة، ففعلت مثل ذلك[٤] فنادت هل بالوادي من أنيس ثم انحدرت حتى أتت المروة، فنادت مثل ذلك [٥] .

وعندما عطش الصبي فخرجت أمه حتى قامت على الصفا فقالت: هل بالوادي من أنيس؟ فلم يجبها احد فمضت حتى انتهت إلى المروة فقالت: هل بالوادي من أنيس؟ فلم يجبها احد ثم رجعت إلى الصفا، فقالت كذلك حتى صنعت ذلك سبعاً فأجرى الله ذلك سنة فاتاها جبريل عليه السلام فقال لها من أنت ؟ فقالت انا أم ولد إبراهيم فقال إلى من وكلكم ؟ فقالت إما إذا قلت ذلك، فقد قلت له إذ أراد

---

١ السير /٢٦ .
٢ البرقي : المحاسن ٣٣٨/٢ .
٣ البرقي : المحاسن ٣٣٨/٢ .
٤ ابن هشام : السيرة ٧٣/١ .
٥ الكليني : الكافي ٢٠١/٤ ، القمي : تفسير ٦٠/١.

الذهاب يا إبراهيم إلى من تكلنا ؟ فقال إلى الله تعالى فقال جبريل لقد وكلكم إلى كاف، قال وكان الناس يتجنبون الممر بمكة لمكان الماء [١] وسؤالها هل في الوادي من أنيس فيه شيء من الغرابة، طبعا ما فيه أنيس، الغريب الرواية سمته صبي ولم تسميه بالطفولة .

العماليق

وهم من سكنة مكة، ينتسبون إلى عملاق بن لاود بن ارم بن سام بن نوح، تزوج لاوذ بن سام بن نوح شبكة ابنة يافث بن نوح فولدت له فارس وجرجان واجناس فارس وولد للاوذ مع الفرس طسم وعمليق ولا أدرى أهو لام الفرس أم لا فـ عمليق أبو العماليق كلهم أمم تفرقت في البلاد وكان أهل المشرق وأهل عمان وأهل الحجاز وأهل الشام وأهل مصر منهم، ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون ومنهم الفراعنة بمصر، وان إسماعيل بن إبراهيم إنما تكلم بالعربية حين نشأ في العماليق[٢] .

هم سكنة مكة أقدم من النبي إسماعيل وأمه، عندما جاء بهم النبي إبراهيم، كانوا حول مكة[٣] وقيل نزلوا أسفلها [٤] وهم أقدم من جرهم التي نازعتهم وحلت محلهم[٥] ملك الحجاز رجلاً منهم يقال له الأرقم، وكان الضحاك المعروف عند العجم ببيوراسف منهم غلب على ملك العجم بـ العراق وهو فيما بين نبيا الله موسى وداود (عليهما السلام) وكان منزله بـ قرية يقال لها ترس، ويقال إنه من الازد، ويقال إن طسماً وجديساً هما من ولد الازد بن إرم بن لاوذ بن سام بن نوح(ع) أقاموا بـ اليمامة كانت تسمى جوا والقرية وكثروا بها وربلوا حتى ملك عليهم ملك من طسم يقال له عمليق بن هباش بن هيلس بن ملادس بن هركوس بن طسم، كان جباراً ظلوماً غشوماً، وكانت اليمامة أحسن بلاد الله أرضاً وأكثرها خيراً وشجراً ونخلاً [٦] .

---

١ الكليني : الكافي ٢٠٢/٤ ، البرقي : المحاسن ٣٣٨/٢ ، ينظر الطبري : تاريخ ٣٠١/١٣.
٢ ينظر الطبري : تاريخ ١ /١٤٠ ، المسعودي : التنبيه والإشراف/ ٧٠ .
٣ الكافي ٢٠١/٤ .
٤ الريشهري : ميزان الحكمة ٢٤٩٠/٣ .
٥ الدينوري : الأخبار الطوال /٨ .
٦ ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤٤٢/٥

جرهم بن قحطان

ما زالت الذاكرة تسعفنا بـ شيء تعلمناه في المرحلة الأولى قسم التاريخ، مفاده إن كل القبائل العربية أصولها من اليمن ثم هاجرت إلى شبه الجزيرة العربية لأسباب منها القتال الدائر بينها، فـ كانت جرهم أحداهن بوصفها احد أبناء قحطان الذي كثر ولده في اليمن، فوقع بينهم التباغي والتحاسد، إذ اجتمع ولد يعرب على جرهم وولد المعتمر، فنفوهم، فسارت جرهم نحو الحرم، ورئيسهم مضاض بن عمر بن عبد الله بن جرهم بن قحطان، وأرادوا النزول هناك، فمنعهم العماليق من ذلك، فاقتتلوا، فغلبتهم جرهم على الحرم، ونفوهم منه، ونزلت محلهم، وسار بنو المعتمر نحو الحجاز، ورئيسهم السميدع بن عمرو بن قنطور بن المعتمر بن قحطان، فـ بلغهم ما حصلت عليه جرهم، فأقبلوا يريدون الحرم، وسألوا جرهم السكن معهم، فأبت عليهم، فتداعى الفريقان للحرب، وحربهم هذه سميت قعيقعان والمطابخ وأجياد وفاضح، لأن به فضحت بنو المعتمر، وقتل السميدع، وكان الظفر لجرهم [1] التي أصبحت سيدة الموقف بلا منازع .

ولم يصل تاريخ جرهم بـ اليمن، ما يصح الاعتماد عليه، وتاريخهم بعد نزولهم مكة وأطرافها، لا نعلم الزمن الذي حلت فيه، وقدومهم إليها عزيَّ إلى سببين: الأول أن يعرب بن قحطان حينما فاز وقومه على عاد وثمود، واستولى على بلادهما، وعلى بلاد العمالقة، أرسل إخوته جرهما إلى الحجاز لانتزاع السلطة لأنفسهم من أيدي العماليق، والثاني انه حصل تنافس شديد بين القحطانيين من حمير وسبأ وجرهم، كما يقع دائما بين المقيمين في مكان واحد من التنافس في حب الظهور والزعامة وطلب الرزق والسيطرة على الآخرين، أدى إلى تكانف قحطان على ابناء عمومتهم من جرهم ونفيهم ونفي أحلافهم بني قيطون من البلاد اليمانية، فرحلوا إلى الحجاز، وحلوا به، وانتزعوا حكمه من أيدي العماليق [2] .

وهناك رأي مغاير لما سبق، مفاده ارتباط قضية سكنهم مكة بـ قضية حفر بئر زمزم على عهد النبي إبراهيم (ع) يبدو ان المنطقة موحلة، ولما مر الركب من اليمن، ولم يكونوا يدخلون مكة، ولما نظر الى الطير عاكفة تيقنوا انه الماء، فمالوا إليها، حتى اتو موضع البيت، وجدوا إسماعيل وأمه، فـ نزلوا واستقوا من الماء وتزودوا منه، ما يكفيهم، وخلفوا عندهما من الزاد ما يكفيهما، فأجرى الله لهم بذلك رزقاً فكان الناس يمرون بمكة فيطعمونهم من الطعام ويسقونهم

---

١ الدينوري : الأخبار الطوال /٨ .

٢ كحالة : : معجم قبائل العرب ١٨٣/١ .

من الماء [1] وهذا لا يعني إن القوم هم جرهم، يفيدنا ذلك كونهم من اليمن، سكنوا المنطقة، علماً إن هذه الرواية لم تشر إلى استيطانهم هناك، وهذا معناه إنهم لم يستقروا وإنما تركوا المكان .

وإذا كانت هذه الرواية لم تذكرهم بالاسم، ذكرتهم أخرى على إنهم قوم من جرهم قاصدين الشام، وعندما شاهدوا الطير ذهبوا للكشف عن سر ذلك فوجدوا الماء وقربه أم إسماعيل(عليهما السلام) فطلبوا منها أن يسكنوا إلى جوارها فأذنت لهم بذلك، فاستقروا هناك[2].

فإذا كانت الروايتان السابقتان أشارتا إلى مرور جرهم، خالفتها رواية القمي، وأشارت إلى نزولهم في ذي المجاز وعرفات، وهذا يعني أنهم ليسوا من اليمن، فلما ظهر الماء عكف الطير والوحوش عليه، تعقبوا ذلك، حتى وجدوا إسماعيل وأمه (عليهما السلام) استظلا بـــ شجرة فطلبوا منها أن يسكنوا معهما، فرفضت قالت لهم حتى مجيء النبي إبراهيم عليه السلام وبعد مجيئه أخبرته بالأمر، فإذن لهم، فنزلوا بالقرب منهم وضربوا خيامهم، فكانوا إنساً لهما، وقد سر النبي إبراهيم (ع) لكثرة الناس، عندما زارهم مرة أخرى، فنشأ النبي إسماعيل عليه السلام بين هؤلاء، الذين وهبوا له كل واحد منهم شاة وشاتين [3] .

وعلى رواية في مرورهم نزلوا أسفل مكة فرأوا إسماعيل وأمه، أذنت لهم بـــ السكن، ولم تأذن لهم بـــ الماء قالت: لا حق لكم في فيه قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الإنس فنزلوا وأرسلوا إلى أهاليهم فنزلوا معهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه امرأة منهم وماتت أمه [4] .

وبهذا نكون بين ثلاث احتمالات، الأول إنهم قوم من اليمن مارين على وجوهم من دون المسير على جهة محددة، والثاني إن القوم من جرهم قاصدين الشام، والثالث: إنهم من سكنة المنطقة، في ذي المجاز وعرفات تحديداً، وربما يكون الرأي الثالث هو اقرب للصحة، وهم في منازلهم رأوا ازدحام الطير، على الماء، فعرفوة، حتى وجدوا ضالتهم .

المهم سكنت جرهم في جوار البيت [5] وهم بقية قوم عاد [6] كانت ديانتهم الإسلام، وهم أول من لبى نداء النبي إبراهيم إلى الحج، وهذا ما رواه ابن سعد عن هشام بن محمد عن أبيه قوله " خرج إبراهيم عليه السلام إلى مكة ثلاث مرات دعا الناس إلى الحج في آخرهن أجابه كل شيء سمعه

---

١ الكليني : الكافي ٢٠٢/٤ ، البرقي : المحاسن ٣٣٨/٢ .
٢ الطبري : تاريخ ٣٠٠/١٣ .
٣ القمي : تفسير ٦٠/١ .
٤ ابن حنبل : فضائل الصحابة /٨٣ ، البخاري : صحيح ١١٤/٤ .
٥ المفيد : الاختصاص /٢٦٥ .
٦ السمعاني : الانساب ٢٩/١ .

فأول من أجابه جرهم قبل العماليق ثم أسلموا ورجع إبراهيم إلى بلاد الشام فمات به وهو ابن مائتي سنة "[1] .

استمرت جرهم في سكنها الحرم، وحين أحسوا الخروج من مكة دفنوا غزالين وسبعة أسياف قلعية وخمسة أدراع سوابغ لغرض ردم البئر وعدم الانتفاع منه [2] وهذه الرواية مطعون فيها من جهة الواقدي، فقد جمعنا مواقف بعض علماء علم الرجال، فانهالوا عليه بشتى أنواع التهم [3] وقيل ألقوا فيها الحجارة وطموها وعموا أثرها [4] وهو دفن بين أساف ونائلة عند منحر قريش [5] .

---

١ ابن سعد : الطبقات ٨٥/١ .
٢ ابن سعد : الطبقات ٤٨/١ .
٣ ينظر المحمداوي : ابو طالب /١٧٠ .
٤ الكليني : الكافي ٢٠٥/٤ ، ينظر الصدوق : علل ٥٨٨/٢ .
٥ ابن حنبل : العلل ٤١٥/٣ ، ينظر ابن اسحاق : السير /٢٦ .

الفصل الأول

الافتراءات في ولادة سيد الكائنات دراسة في روايات العامة

المقدمة

كثيرة هي الروايات التي تحدثت عن ولادته وقد اتسم معظمها بالغيبيات وشيء من الخرافات، وهذه روايات موضوعة، أراد واضعوها تشويه السيرة المحمدية العطرة، وهي أول المحاولات التي نالت منه، ثم تبعتها محاولات أكثر قسوة، وصف من خلالها بـ الضلالة، وهذا الأمر ناتج عن سوء تفسير قوله تعالى {وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى }[1]

لذلك استغل الباحث الفرصة التي أتاحتها كلية الآداب، جامعة الكوفة، عندما أقامت مؤتمراً في عدة محاور عن سيرة النبي المصطفى، وهو مؤتمر عام، جزى الله القائمين عليه ألف خير، بتاريخ ١٧-٢٠١١/٢/٢٢ م، مع إن الباحث له وجهة نظر حول ذلك، فكان يرجو أن يكون المؤتمر دوري لأكثر من سنة، يتناول كل حياة الرسول ﷺ وكل ما افتري عليه، حتى نرد الشبهات عنه ﷺ سيما الذي كان مصدرها ما ورد في كتب بعض طوائف المسلمين، وما نسب له ﷺ من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ، وهو براء منه، وقد استغل ذلك كثير من المنافقين فأساءوا له، وليت الإساءة تقف عند حد معين، بل شملت أم النبي وأبيه (عليهما السلام) .

وانطلاقا من مفهوم رد الشبهات حاول الباحث قدر استطاعته، أن يرد الروايات الغيبية والخرافية التي لا يصدقها عقل عاقل، التي جعلت من ولادته وبالاً على كوكب الأرض، منها إخماد نار كسرى، وتحرك النجوم حتى كادت أن تقع على الأرض، وفاض وادي السماوة، ... الخ هذه الأمور شكلت محور البحث، بـ عنوان " الافتراءات في ولادة سيد الكائنات، دراسة في روايات العامة " مقتصرة على الروايات الواردة في كتب فريق واحد من المسلمين، وقد تكون رواية المنامات دارجة في كتبهم يوثقونها ويعدونها دليلاً على حدث ما، وهذا ما وجدناه عند الذهبي في ترجمة ابن حيان الأنصاري، ت ٣٦٩ هـ، فقال " ... انه سمع يوسف بن خليل الحافظ يقول رأيت في النوم كأني دخلت مسجد الكوفة فرأيت شيخاً طوالاً لم أر شيخاً أحسن منه فقيل لي: هذا أبو محمد بن حيان، فتبعته وقلت: أنت أبو محمد ابن حيان ؟ قال: نعم، قلت أليس قدمت ؟ قال: بلى، قلت: فبالله ما فعل الله بك ؟ قال: الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض[2] فقلت: أنا يوسف بن خليل جئت لأسمع حديثك وأحصل كتبك، فقال: سلمك الله وفقك الله، ثم صافحته فلم أر شيئا قط ألين من كفه فقبلتها ووضعتها على عيني[3] .

---

١ الضحى/٧

٢ في أشارة إلى قوله تعالى {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ } ٠ الزمر/٧٤ ٠

٣ تذكرة الحفاظ ٩٤٦/٣ .

إما سبيلنا لنقد الروايات، فقد درسنا متونها، وعرضنا أسانيدها على علم الرجال (الجرح والتعديل) لمعرفة الصالح من الطالح، لا سيما بعض الرجال الذين درسهم الباحث في بحوث سابقة، فقد أشار إليهم من دون العودة إلى مصادر دراستهم مكتفياً بالإشارة إلى البحث الذي نقل عنه تفادياً لتكرار المصادر في البحث وكثرتها، وقد انسحب هذا الأمر على شخصية سطيح الكاهن الوهمية، علماً أن هذا الشيء يثير غيرة كثير من المقومين الذي يطلعون على كثرة بحوث الباحث، فيثير في نفوسهم حزن وألم شديدين، حتى عدوا الغرض من ذلك إعلامي، أي الأخبار عن نتاجات الباحث العلمية، مع ذلك ننقل ما يقوله الخبراء بسعة صدر ولله الحمد، ومما تجدر الإشارة إليه إن هذا البحث، هو الذي قدمناه للمؤتمر لم ينشر من ذلك التاريخ إلى اليوم، ولهذا حاولنا نشرة من جديد .

البشارة بـ مولده

وردت بعض الروايات، دلت على البشارة بمولده ﷺ قبل ولادته، ولكن غلب عليها النبوءة بالغيب والطابع القصصي، حاول مختلقيها الانتفاع من بعض نصوص القرآن، لا سيما بشارة النبي إبراهيم عليه السلام بولديه إسماعيل وإسحاق، وهذا ما جاء في قوله تعالى {وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ}[1] وقوله {فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ}[2] وهذان النصان أصبحا بمثابة سند شرعي لوضع روايات غيبية يمكن حصرها بما يأتي:

الرواية الأولى:

رواها ابن حبيب، ت ٢٤٥ هـ، عن أبي سعيد السكري عن أبي بكر محمد بن المغيرة بن بسام عن علي بن زريق عن عبد الله بن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال: ذهب عبد المطلب إلى سيف بن ذي يزن، للتهنئة بـ انتصاره على النجاشي، حتى إذا دخل عليه أخلى له مجلسه وقربه إلى نفسه، وقال أيها الشيخ إني مفوض إليك من سر علمي ما لو لغيرك يكون لم أبح له به ولكني وجدتك معدنه فليكن عندك مطوياً حتى يأذن الله فيه فاني أجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون الذي اخترناه لأنفسنا واحتجبناه دون غيرنا خبراً عظيماً وخطراً جسيماً فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس كافة ولقومك عامة، قال عبد المطلب: مثلك أيها الملك سر وبر فما هو فداك جميع أهل الوبر زمراً بعد زمر فـ بشره بولادة النبي محمد ﷺ فـ قال عبد المطلب أبيت اللعن ! لقد أتيت بخبر لم يأت به احد قبلك ولولا هيبة الملك وجلاله وإعظامه

---

١ الصافات/١١٢

٢ الذاريات /٢٨

وإكرامه لسألت الملك من بشارته إياي ما ازداد به سروراً قال له الملك هذا حينه الذي يولد فيه أو قد ولد قد ولدناه مراراً، قال له عبد المطلب عز جدك وعلا كعبك ودام ملكك وطال عمرك فهل الملك ساري باوضاح فقد أوضح بعض الإيضاح فقال له الملك ورب البيت ذي الحجب والعلامات والنصب انك لجده غير الكذب، فخر بين يدي الملك ساجداً، الذي قال له: ارفع راسك فقد فعل فقال له الملك شرح صدرك وعلا ذكرك ! هل أحسست بشيء مما أنا قلته لك ؟ قال نعم: فقال له الملك: الأمر على ما وصفت لك أيها الشيخ احتفظ بابنك ولولا إني اعلم إن الموت مجتاحي قبل مبعثه لتحولت بخيلي ورجالي إلى يثرب حتى اتخذها داراً وأجدني قد دخلت له في قلبي محبة ومقه ولولا إني أقيه الآفات واحذر عليه العاهات لأوطأت عقبه على حداثة سنة العرب ولكني صارف ذلك إليك عن غير تقصير بمن معك "[1] .

الرواية لا تخلو من صواب، وما نطق به الرجل ليس من فراغ وإنما عنده علم سابق، وقد قبلها القوم قبول المسلمات ولم يعترضوا عليها، لكن عندما نروي رواية من نظائر هذه عن المعصوم، يكفرونا ويشككون في عقائدنا، ويقولون لا يعلم الغيب إلا الله ويضعون تصورات وتشكيكات كثيرة، حبذا لو إنهم يطبقونها على رواياتهم كان أفضل ؟ .

وظهر منها إن عبد المطلب غير عارفاً بنبوة النبي ﷺ وكأنه اندهش عندما علم الأمر، وهذا غير ممكن لان هناك كثيراً من الأمور أوحت له بذلك نفت كون سيف اخبر عبد المطلب إن محمداً ﷺ هو رسول، هذه وأمثالها، نأسف لها كثيراً وقد وردت في كتب المسلمين، على الرغم من إنها إسرائيليات ارادت إظهار فضل غير المسلمين عليهم وأنهم عرفوهم نبيهم الذين هم لا يعرفونه، فوضعوا كثيراً من الروايات، نفت بعضها بعضاً .

أما سند الرواية فهي منقولة عن ابن حبيب، وهو من الموالي، وهم حملة العلم في العصر العباسي كما كانوا في العصر الأموي، أمه حُبيب مولاة بني العباس، من أسرة عباس بن محمد أخو، السفاح والمنصور العباسي [2] علماً إن الرواية منقولة عن ابن عباس .

وقد أشار المحقق إلى نهاية كتاب المنمق، فقال " هذا آخر كتاب المنمق عن ابن حبيب قال أبو سعيد السكري وليس هذا عن ابن حبيب " ثم ذكر الرواية التي نحن بصددها [3] وهذا الأمر يجعلنا

---

١ ابن حبيب : المنمق/ ٤٢٧

٢ ابن حبيب : المنمق/ ٥ ، مقدمة المحقق .

٣ ابن حبيب : المنمق /٤٢٧ .

نستبعد أن تكون الرواية لابن حبيب، ولاسيما انه في كتابه المحبر تعرض إلى مولد النبي ﷺ ولم يشر اليها [1] .

وهي مطعون فيها من جهة أبي سعيد السكري، وهو شخصية غير معروفة وليس لها اثر، فقد عدنا إلى مقدمة محقق كتاب المنمق، علنا نجد ما يدلنا عليه، فقال " فلم تزل كتبه – أي ابن حبيب – مغمورة لا يعرفها إلا قليلون ولا يرويها إلا بعض تلامذته من بينهم تلميذه الأكبر أبو سعيد السكري، ومنها أنه أحياناً لا يستوفي الإسناد ولا يبين أسماء رواته كأنه حاول التلبيس، ومنها أنه اتهم بإدخال كتب المؤلفين المستورين في كتبه فأعرض عنه المحتاط واتقاه الوقور " هذا ولم نعرف اسمه ونسبه حتى نبحث عنه، علماً انه ورد خمس مرات في كتاب المنمق مرة بـ أسم السكري[2] وأخرى أبو سعيد السكري، وعلق المحقق وليس هذا عن ابن حبيب مشيراً إلى الرواية التي نحن بصددها[3] .

ودرسنا الشخص الثاني في سلسلة السند، لعلنا نجد ما يدلنا على السكري هذا فلم نجد أي قاسم مشترك بينهما، وهو محمد بن المغيرة بن بسام الشهرزوري، قال ابن عدي: كان يسرق الحديث، وهو عندي ممن يضعه، روي حديث النبي ﷺ " ثلاثة ما كفروا بالله عز وجل قط مؤمن آل ياسين وعلي بن أبي طالب وآسية امرأة فرعون، وهذا باطل ولا أدري البلاء من محمد بن المغيرة أو من يحيى بن الحسن فان يحيى بن الحسن غير معروف وقد رأيت لمحمد بن المغيرة ما يتهم فيه غير ما ذكرت [4] وهذا الحديث نقله ابن عساكر، ولم يضعفه، ولم يذكر تضعيف ابن عدي له [5] ولا ندري أين المشكلة ؟ أهي في أمير المؤمنين (ع) ؟ لأن ما طابت نفس ابن عدي أن يكون أمير المؤمنين لم يكفر بـ الله، الخطاب له ولغيره معتقدنا عقيدتنا أهل الإسلام فيه هكذا شأتم أم أبيتم ثابت لا يتزحزح مهما قلتم أو فعلتم ثابت ثبوت الجبال في الأرض، هو لم يفعل الموبقات لا كبيرها ولا صغيرهم وانتم عاجزون إن يكون احد رجالاتكم مثله .

وقال الذهبي: إن البخاري روى له حديث " في الجنة نهر يقال له رجب " وهذا باطل [6] وقد راجع الباحث صحيح البخاري لعله يجد الحديث فلم يوفق، ولم يوضح الذهبي الأسباب التي من اجلها جعل الحديث باطلاً، وهو مروي عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً، الذي أضاف عليه انه أشد

---

١ ابن حبيب : المحبر /٨ .
٢ ابن حبيب : المنمق /١٦ .
٣ ابن حبيب : المنمق /٤٢٦ .
٤ ابن عدي : الكامل ٢٨٤/٦ .
٥ تاريخ مدينة دمشق ٣١٣/٤٢ .
٦ ميزان الاعتدال ٤٦/٤ .

بياضاً من الثلج، وأحلى من العسل ، فمن صام يوماً من رجب سقاه الله من ذلك النهر"[1]. روى عن إسحاق الأزرق ويزيد بن هارون، ربما أخطأ يعد حديثه إذا روى عن الثقاة[2] ضعفه الهيثمي[3].

إما الشخصيتان الأخيرتان في السند، فهما علي بن زريق وعبد الله بن ميمون فهما مجهولان ولم يرد لهما ذكر إلا في هذه الرواية، وهذا ما يدفعنا إلى القول إنها رواية موضوعة .

ومن المؤسف انسلالها إلى الفكر الشيعي، فـ نقل القمي على شاكلتها رواية مفادها إن سيفاً قال لـ عبد المطلب: إن من آرائي إن أفوض إليك علماً كنت كتمته عن غيرك وأريد إن أضعه عندك فانك موضع ذلك وأريد أن تطويه وتكتمه إلى أن يظهره الله تعالى فقال عبد المطلب السمع والطاعة للملك وكذا الظن بك فقال: إن بأرضكم غلاماً ثم أعطى أوصافه ... فقال: عبد المطلب إنا جده أيها الملك فقال الملك مرحباً بك وسهلاً، ثم قال: إني اشهد على نفسي إني مؤمن به وبما يأتي به من عند ربه ثم تأوه ثلاث مرات أن يراه فكان ينصره وينظره فيتعجب منه الطير في الهواء ثم قال: عليك بكتمان ما ألقيت عليك ولا تظهره إلى أن يظهره الله تعالى فقال: عبد المطلب السمع والطاعة للملك [4] ظهر من كلامه كأنه يعلم الغيب، ولا سيما عندما اخبر عبد المطلب عن دلائل نبوة النبي ﷺ كما ورد ما يفيد إيمان الرجل، وانه مات على بيعة، وهذا يدحض القول بتسمية قبل الإسلام، لأن سيف كان مسلماً مؤمناً بناءً على كلامه .

الرواية الثانية:

رواها شاذان بن جبريل القمي عن الواقدي قال " فلما أتى على رسول الله ﷺ في بطن أمه سبعة أشهر جاء سواد بن قارب إلى عبد المطلب فقال: له اعلم: إني كنت البارحة بين النوم واليقظة فرأيت أبواب السماء مفتحة ورأيت الملائكة ينزلون إلى الأرض معهم ألوان الثياب يقولون زينوا الأرض، فقد قرب خروج من اسمه محمد، وهو نافلة عبد المطلب رسول الله إلى الأرض والى الأسود والأحمر والأصفر والى الصغير والكبير والذكر والأنثى صاحب السيف القاطع والسهم النافذ، فقلت لبعض الملائكة مَنْ هذا الذي تزعمون ؟ فقال: ويحك هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ... فهذا ما رأيت فقال له عبد المطلب اكتم الرؤيا ولا تخبر بها احد لننظر ما يكون[5] .

---

١ المفيد : المقنعة /٣٧٢ .
٢ ابن حبان : الثقاة ١٠٧/٩
٣ مجمع الزوائد ٩١/٨
٤ القمي : الفضائل /٤٢
٥ الفضائل /١٦ .

ولا يصح ما قيل انه صاحب سيف قاطع، لأنه يتعارض وقوله تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [1] وكذلك يتعارض ورواية ابن حبيب، وما أشارت إلية بالبشارة .

وفي رواية أخرى عن الواقدي إن عبد المطلب وسواد بن قارب أتوا إلى محمد ﷺ في اليوم الرابع من ولادته ﷺ فدنا سواد من عبد المطلب، فقال له " اعلم إني قد سمعت انه ولد لعبد الله ذكر وإنهم يقولون فيه عجائب فأريد أن انظر إلى وجهه هنيئة " وكان سواد رجلاً صدوقاً إذا تكلم سُمع، فـ دخل وعبد المطلب، دار آمنة عليها السلام والنبي ﷺ نائماً فقال عبد المطلب: اسكت يا سواد حتى ينتبه من نومه، فسكت فدخلا قليلاً قليلاً ...الخ الرواية [2] .

وعليه نقول مَنْ هو سواد حتى يرى الملائكة ويكلمهم ؟ والغريب جعله الواقدي وكأنه ملك مقرب لله رب العالمين، فالرواية في طولها وعرضها هي رؤيا نائم وليس حقيقة، وفي التاريخ لا نقبل ذلك، لان النائم فاقد وعيه، بدليل إن النوم يبطل وضوء الصلاة ،فالعجب هل إن تاريخ نبينا يكتب بالأحلام وليس في اليقظة ؟ والله هذه من المآخذ التي تسجل علينا، نحن نبحث عن حقيقة مفقودة، نحاول الوصول إليها، فهل هذه الحقيقة نرويها عن الكذابين عن أناس في نومهم، ومن متى يضبط ويؤرخ كلام النائم ؟!!!!!!.

هذه الروايات ممكن أن يقبلها غير أصحاب الاختصاص لأستمالة عواطف السذج البسطاء، إما المختصين فيحرصون دائماً أن يكتبوا تاريخاً حقيقياً أو اقرب ما يمكن إلى الحقيقة، وهذه الرواية وأمثالها كتبها وروج لها أناس بعيدين عن الحقل المعرفي ــ التاريخ ــ الذي له آلياته وأدواته من النقد والتحليل وأمور أخر، فكل ما ذكر رؤيا نائم، وبعد أن استيقظ صاحبها ذهب إلى الكاهنة، وأعلمته سيخرج من صلبه ولد يملك المشرق والمغرب، وطبقاً لهذه الرواية إن عبد المطلب غير عارف أنه سوف يخرج من صلبه نبي .

المتمعن في سند الرواية يجد إن سندها مطعون فيه من جهة محمد بن عمر الواقدي، اتفق علماء الجرح والتعديل على تجريحه [3] وعلى ذلك يمكن القول إن العيب ليس في سواد وإنما في الواقدي هو الذي اخترع هذه الأكاذيب ونسبها لغيره، ولم يكن لنا عتب على إنسان كذوب، وإنما على الذين نقلوا هكذا أكاذيب وروجوا لها .

---

١ الأنبياء/١٠٧

٢ القمي : الفضائل ٢٢– ٢٤

٣ المحمداوي : ابو طالب /٩٨

روايات الولادة

من المعروف إن السيرة المحمدية مليئة بالمتناقضات ولم يحصل اتفاق على اغلب تفصيلاتها، منها قضية حمل آمنة عليها السلام يقال كان في أيام التشريق عند الجمرة الوسطى[١] وهذا يلزم منه تاريخ مولده ١٢ ربيع، أن يكون مدة حمله سنة وثلاثة أشهر وهو مخالف لما اتفق الأصحاب عليه من أن مدة الحمل لا تزيد على سنة ولم ينقل أحد أن ذلك من خصائصه، والجواب أن المراد بأيام التشريق الأيام المعلومة من شهر جمادى الأول الذي وقع فيه حج المشركين عام الفيل باعتبار النسيء حيث كانوا يؤخرون الحج عن ذي الحجة فيحجون سنتين في محرم وسنتين في صفر وهكذا إلى أن يتم الدور ثم يستأنفونه وعلى هذا كانت مدة حمله عشر أشهر بلا زيادة ولا نقصان[٢] وبالتالي لم افهم ماذا أراد صاحب الرواية ؟ وهل أن الحمل سنة أو أقل، ونحن مع الأقل.

وإذا حصل اتفاق على سنة ولادته والشهر، لم يحصل ذلك على يوم الولادة، هناك آراء: الأول: ولدته ١٢ ربيع الأول عام الفيل يوم الجمعة، قبل أن يبعث بـ أربعين سنة، في شعب أبي طالب في دار محمد بن يوسف[٣] في الزاوية القصوى عن يسار الداخل الى الدار، وقد أخرجت الخيزران[٤] ذلك البيت فصيرته مسجداً، يصلي الناس فيه[٥] .

الثاني: يوم الجمعة عند طلوع الفجر في اليوم السابع عشر [٦] الثالث: يوم الاثنين لليلتين خلتا خلتا من الشهر[٧] .

أما تحديد وقت الولادة قيل مع الزوال وقيل عند طلوع الفجر [٨] يقال حصلت ليلاً [٩] نحن نميل لـ الرأي الأول لوثاقته، والثاني واهي السند مروي عن أم عثمان سنقف عندها .

وهناك روايات عدة حول ولادته صلى الله عليه وآله منها، الأولى: رواها احمد بن عبد الجبار العطاردي عن

---

١ الكليني : الكافي ٤٣٩/١

٢ المازندراني : شرح أصول الكافي ١٤٠/٧

٣ محمد بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي ، أخو الحجاج بن يوسف كان أميرا على اليمن ووفد على عبد الملك بن مروان . ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ٣٠٨/٥٦ .

٤ أم ولد ، ابنة عطاء ، اعتقها المهدى العباسي وتزوجها . المسعودي : التنبيه والاشراف/٢٩٧ .

٥ الكليني : الكافي ٤٣٩/١

٦ الكراجكي : كنز /٧١ .

٧ ابن سعد : الطبقات الكبرى ١٠١/١

٨ الكليني : الكافي ٤٣٩/١

٩ تاريخ ٥٧٢/١ .

يونس بن بكير، عن ابن إسحاق قال: كانت آمنة تحدث إنها أتيت حين حملت به فقيل لها: انك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع إلى الأرض فقولي:

أعيذه بالواحد من شر كل حاسد

في كل بر عابد وكل عبد رائد

نزول غير زائد فانه عبد المجيد الماجد

حتى أراه قد أتى المشاهد [١]

يظهر من الرواية إن آمنة (عليها السلام) كلمها السماء، وألا ما معنى الآت الـذي كلمهـا، وان صح هي من المقربين لله، مسلمة مؤمنة، وهذا الأمر يتناقض مع ما قيل إنها كافرة، والعياذ بالله، وان النبي ﷺ أراد أن يستغفر لها فمنعه الله سبحانه وتعالى[٢] **.**

وقول آلات الذي كلمها لا يختلف عن قوله تعالى {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَـقَ * مَن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ } [٣] **.**

الملاحظ على سند الرواية مطعون فيه من جهة احمد بن عبد الجبار العطاردي، ت ٢٧٢هـ، ويونس بن بكير الرجل الذي شكل حلقة الوصل بين العطاردي وابن إسحاق هو الآخر لم يسلم من التجريح[٤] **وانقطع سند الرواية عند محمد بن إسحاق بن سيار ت ١٥١هـ وهو مطعون به وانه لم يدرك عصر النبي محمد ﷺ بل أرسل عنه، فيا ترى مَنْ الذي اخبره بالأمر؟** [٥] **إذاً هذه رواية مرفوضة لضعفها سنداً .**

وربما سائل يسأل فـ يقول: هل حضرت نساء قوابل ولادة النبي محمد ﷺ؟ نقول لم نجد ذلك سوى رواية الطبري عن محمد بن سنان القزاز عن يعقوب بن محمد الزهري عن عبد العزيز بن عمران عن عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم عن أبيه عن أبي سويد الثقفي عن عثمان بن أبي العاص قال "حدثتني أمي أنها شهدت ولادة آمنة بنت وهب، أم رسول الله ﷺ حين ولدته[٦] **أخرجها أبو عمر**[٧] **.**

---

١ السير /٤٥ ، ينظر الطبري : تاريخ ٥٧٢/١

٢ للتفصيلات ينظر المحمداوي : أبو طالب /٨٤

٣ الفلق /١ ـ ٥

٤ المحمداوي : أبو طالب /٥٥

٥ للتفصيلات ينظر المحمداوي : عقيل /٣٣٢

٦ تاريخ ٥٧٢/١ .

٧ ابن الأثير : أسد الغابة ٥٢٦/٥ .

الملاحظ على سند الرواية فيه طعون كثيرة من جهة يعقوب بن محمد الزهري، ت ٢١٣هـ[١] وكذلك شيخه عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز الزهري المدني مطعون فيه [٢] وأصلها فاطمة بنت عبد الله بن زمعة، تزوجت أبو العاص بن بشر بن عبد بن دهمان فـ أنجبت عثمان والحكم[٣] .

فضائله عند الولادة

كثرت الأقاويل الباطلة في فضائله، ومن ذلك ما روي عن أمه آمنه عليها السلام، قالت: حملت به، فما حملت حملاً قط اخف منه [٤] وهذا عليه مشكل لأنها لم تحمل بغيره قط .

وكذلك قالت: لما أخذني الطلق واشتد بي الأمر سمعت جلبه وكلاماً لا يشبه كلام الآدميين، فرأيت علماً من سندس على قضيب من ياقوت قد ضرب بين السماء والأرض، ورأيت حولي من القطاه أمراً عظيماً قد نشرت من أجنحتها حولي ورأيت تابع شعيرة الأسدية قد مرت وهي تقول: آمنة ما لقيت الكهان والأصنام من ولدك[٥] وهذه الرواية مرفوضة لأسباب منها، إننا بحثنا عن شعيرة الاسدية ولم نجد لها ذكراً، ولم تذكر الروايات اسم الكاهنة مرة كاهنة قريش، وأخرى مخزوم .

وقالت أم عثمان بن أبي العاص: وقد حضرت الولادة، فما شيء انظر إليه من البيت إلا نور واني لأنظر إلى النجوم تتحرك حتى إني لأقول لتقعن عليَّ " [٦] وهذه رواية ليست صحيحة، لماذا تحركت النجوم؟ أهي ولادة نبي الرحمة أم النقمة ؟ تصوير غير صحيح وباطل، دس مشبوه وذلق لسان اصاب السيرة العطرة .

ثم وقع حين ولدته وقوعاً ما يقعه المولود، معتمداً على يديه، رافعاً رأسه إلى السماء[٧] وهذه الرواية انسلت إلى الفكر الشيعي، نقلها الصدوق وعمل بصحتها [٨] .

وروى ابن عساكر، بسنده قال " كان المولود إذا ولد في قريش دفعوه إلى نسوة من قريش إلى الصبح يكفان عليه برمه، فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دفعه عبد المطلب إلى نسوة فيكفنان عليه برمه، فلما أصبحن أتين فوجدن البرمة قد انفلقت عنه باثنين ووجدنه مفتوح العينين شاخصاً

---

١ للتفصيلات ينظر المحمداوي : فاطمة بنت عتبة ، مجلة آداب البصرة ، ع ٥٢ ، السنة ٢٠١٠ ، ص١٩ .
٢ المحمداوي : عبد المطلب (البحث الأول) مجلة الدراسات التاريخية ، ع ١٣ ، ك ١ ، لسنة ٢٠١٢ ، ص ٧٦ .
٣ ابن خياط : طبقات /٣٣٨ ، ابن حجر : الإصابة ٢٥٧/٨ .
٤ ابن إسحاق : السير /٤٨ .
٥ الصدوق : كمال الدين /١٧٥ ، الامالي /٣٣٥ .
٦ الطبري : تاريخ ٥٧٢/١ .
٧ ابن إسحاق : السير /٤٨ .
٨ الامالي /٣٦٠

بصره إلى السماء، فقال: أحفظنه فاني أرجو إن يكون له شأن، أو إن يصيب خيراً [1] علماً إن صاحبها متأخر الوفاة، ونفت البشارة بمولده وما أخبر به سيف بن ذي يزن .

ونحن لم نعرف عادة قريش هذه، أي يكفأون برمة على الطفل حديث الولادة، فالمعروف ان الصناعة حينها بدائية تعتمد على الفخار، أي برمة من طين مفخورة بالنار وتكفأ على طفل، وهذا يمثل شكل من إشكال القتل وألا ما معنى ذلك لأنها حتماً تمنع الأوكسجين مما يسبب وفاته، والأكثر من ذلك إن الباحث درس شخصيات هاشمية مثل عبد المطلب وأبو طالب وعقيل، واشرف على رسائل علمية مثل هاشم بن عبد مناف، وقصي بن كلاب، ولا سيما حمزة بن عبد المطلب، انه قريب من الرسول في الولادة، فلم يجد لهذه الظاهرة ذكراً، أليس هؤلاء من رجالات قريش، لماذا لا تطبق عليهم هذه العادة؟.

وقد أشار إليه شاذان بن جبريل القمي عن الواقدي إن آمنة بنت وهب عليها السلام بعد ولادتها دعت أمها بره وأبيها وأخبرتهما أمر الولادة فقام وهب وأرسل غلامه ليبشر عبد المطلب، وأهل مكة، صعدوا الصروح ينظرون إلى عجائب تلك الليلة، ولا يعرفون الخبر، حتى قرع الغلام باب عبد المطلب وقال " يا سيدنا ابشر فان آمنة وضعت ذكراً فاستبشر بذلك وقال: قد علمت إن هذه براهين ودلائل ذلك [2] .

والصحيح ما قالته آمنة عند الولادة: لم أر شيئاً مما تراه النساء [3] وكانت خالية من النفاس، والسلى والدم الذي يرافق المولود، فقد ولدت جوهرة ثمينة، رسول الله وخاتم انبيائة والخيرة من خلقه، وهذا ما روي عن عبد المطلب قوله: فإذا هناك ليس اثر النفاس والولادة، ومن أين وضعتيه، وليس بك اثر النفاس ؟ قالت بلى والله وضعته أتم الوضع وأهونه [4] وهذه رواية صحيحة مقبولة جداً خالية من كل الترهات .

دور عبد المطلب

مما تجدر الإشارة إليه، إلى وفاة عبد الله بن عبد المطلب عليهما السلام قبل ولادة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بدليل إن آمنه حملت به في منزل عبد المطلب [5] وهذا القى عليه تبعة الأمور، وهي كرامة من كراماته، فلما وضعت آمنة حملها، بعثت إليه جاريتها فقالت: قد ولد لك الليلة غلام فانظر إليه،

---

١ تاريخ دمشق ٨٠/٣ ، ينظر ابن كثير : البداية ٣٢٥/٢ .
٢ الفضائل /٤٠
٣ اليعقوبي : تاريخ ٩/٢
٤ الفضائل /٢٢ــ ٢٤ .
٥ الكليني : الكافي ٤٣٩/١

فلما جاءها أخبرته خبره، فـ أخذه وادخله على هبل في جوف الكعبة، وقام يدعوا الله ويشكره على ذلك فقال:

السعد لله الذي إعطاني هذا الغلام الطيب الاردان
قد ساد في المهد على الغلمان أعيذه بالله ذي الأركان
حتى يكون بلغة الفتيان حتى أراه بالغ البنيان
اعيذه من كل ذي شنئان من حاسد مظطرب العنان
ذي همة ليس له عينان حتى أراه رافع اللسان [1]

الملاحظ على سند الرواية كله مطعون فيه [2] وهي مرفوضة لضعف سندها .

وهل هناك فرقاً بين قوله وقول الله سبحانه على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ}[3] وكذلك تكرر في قول عبد المطلب كلمة أعيذه مرتان إشارة إلى المعوذتين الواردتين في القرآن .

ملخص القول: إن كلام عبد المطلب هذا لا ينسجم مع دخوله على هبل وإنما يفيد دخوله الكعبة الشريفة وتعويذته بها من أنجاس الناس آنذاك، وان واضع الرواية أراد تثبيت مناقب النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإساءة إلى عبد المطلب وجعله وثنياً، لكن سبحان الله، ثبت بالدليل في هذه الرواية مناقبه وصحت إسلامه، لان الإسلام دين الله في أرضه من عصر النبي آدم إلى اليوم [4] كما إننا لم نعرف اسم الجارية، وسبق أن اشرنا إلى إرسال وهب غلامه [5] .

المتمعن في الرواية يلحظ التناقض والصنعة فيها واضحان، فالدخول على هبل وهو صنم، والشكر والثناء لله رب العزة، أليس من الأجدر أن كان عبد المطلب وثنياً – على سبيل الفرض – أن يشكر هبل ويمدحه ويقدم له القرابين لأنه أعطاه غلام طيب الاردان، فلماذا الشكر لله ؟ ثم إن كلماته قرآنية خالصة، وليس من ألفاظ العرب قبل البعثة ، مؤمن إن الله هو الذي أعطاه وليس هبل، فلذلك قدم الشكر لمن أعطاه، غلام ساد في الولادة على غيره، لان الله كرمه وزوده بكثير من القرائن الدالة على نبوته، ولاحظ تعويذته ماذا قال؟: أعيذه بالبيت ذي الأركان، من كل شنآن، من كل الموبقات، من كل حاسد، واللفظة الأخيرة وردت في سورة الفلق ولم يعيذه بهبل، خلاصة كل ذلك إن كلماته إسلامية خالصة، لا تنسجم مع دخوله هبل، وإنما تتناغم مع دخوله الكعبة

---

١ ابن إسحاق : السير /٤٥ ، ينظر الطبري : تاريخ ٥٧٢/١
٢ ينظر المبحث الثاني ، روايات الولادة .
٣ إبراهيم/٣٩
٤ للتفصيلات ينظر المحمداوي : رؤية قرآنية
٥ القمي : الفضائل /٤٠

المشرفة، لأنها مكان طاهر، ودعا لنبيه فيما دعا، هذه الحقيقة ظاهره، فعلى ما الحشرجة وضيق الأفق يا مسلمين؟ تستكثرون على نبيكم أشياء في غاية البساطة، ممن أعطاه الله سبحانه أن رفعه وكرمه وزكاه وطهره، وجعله من أنبيائه المرسلين بل خاتمهم، فلماذا تريدون صبغه بصبغة الوثنية هو وجده؟.

وعلى رواية تقدم عبد المطلب إلى اللات والعزى وأراد أن يمسح بدن النبي ﷺ بهما فُجذب من وراءه فالتفت فلم ير أحداً ففعل ذلك ثلاث مرات، فـ فقيل له أتمسح بدناً طاهراً ببدن نجس، قال الواقدي فعند ذلك وقف على باب بيت الله الحرام والنبي ﷺ على ساعده وانشأ يقول الحمد لله الذي إعطاني هذا الغلام... الخ الأبيات، وخرج مفتكراً مما سمع، ورد محمد إلى أمه وقد وقعت الدمدمة بين قريش وبني هاشم بسببه[1] .

ويبطل ذلك روايات منها:

الأولى: أوردها ابن هشام عن ابن إسحاق قال: فيزعمون إن عبد المطلب أخذه فدخل به الكعبة فقام يدعو الله، ويشكر له ما أعطاه، ثم خرج به إلى أمه، فدفعه إليها[2] .

أشارت الرواية إلى كلمة يزعمون فيا ترى مَنْ هم الذين يزعمون؟ كأن صاحب الرواية منزعج من ذلك، فما الضير في الأمر حتى يصبح زعماً ! هل الأمر كبيراً على محمد ﷺ أن يدخل بيت الله الحرام ساعة مولده؟ أم إن الأمر يتعلق بالجد ــ عبد المطلب ــ يريدونه أن يكون وثنياً؟ ودخوله البيت والدعاء علامة توحي بإسلامه، وعدم عبادة الأوثان، من المعتقد إن الاحتمال الأخير أصح، فإذا كان الأمر يتعلق بالمولود، كان استغرابهم اكبر، عندما علموا إن النبيﷺ ولد مختوناً مسروراً[3] فلماذا لم يكن الأمر فيه زعم؟.

الثانية: ذكرها ابن سعد عن الواقدي عن علي بن يزيد بن عبد الله بن وهب بن زمعة عن أبيه عن عمته قالت: جاء البشير إلى عبد المطلب وهو جالس في الحجر ومعه ولده ورجال من قومه فاخبره ان آمنه ولدت غلاماً فسره ذلك وقام هو ومن كان معه، فدخل عليها فأخبرته بكل ما رأت وما قيل لها وما أمرت به فأخذه وادخله الكعبة وقام عندها يدعوا الله ويشكر ما أعطاه"[4].

---

١ القمي : الفضائل /٢٢ــ ٢٤ .
٢ السيرة ١٠٤/١ .
٣ ابن سعد " طبقات ١٠٣/١ .
٤ الطبقات ١٠٣/١ .

الذي يتدبر الرواية يجدها مقبولة من الناحية العملية، لكنها مطعون في سندها من جهة ابن سعد تلميذ الواقدي، الذي نقل جل أكاذيبه، والواقدي نفسه مطعون فيه كما أسلفنا، أما علي بن يزيد، بحثنا عنه ولم نعرفه، فـ وجدنا يزيد بن عبد الله بن وهب بن زمعة القرشي، روى عنه ابن أخيه موسى بن يعقوب الزمعي [١] روى عن أبيه عن أم سلمة [٢] عن عبد الله بن الوليد بن عثمان وأبى بكر بن سليمان بن أبى حثمة [٣] وعبد الله بن وهب القرشي، مطعون فيه [٤] أما عن عمته الواردة في السند فهي مبهمة لا نعرف شيئاً عنها .

الثالثة: عندما علم عبد المطلب بولادة النبي ﷺ خرج لرؤيته فـ منعته آمنه هو يحدث قال: فسللت سيفي وقلت لتخرجينه أو لأقتلك وإلا بدأت بنفسي فقتلتها، فـ قالت: شانك وإياه هو في ذلك البيت مدرج في ثوب صوف ابيض تحته حريره خضراء فلما هممت إن ادلج البيت بدر إليّ من داخله رجل فقال لي إلى أين ؟ قلت انظر ابني محمد ﷺ قال: ارجع وراءك فلا سبيل لأحد من بني آدم إلى رؤيته أو تنقضي زيارة الملائكة، فـ ارتعدت وألقيت السيف من يدي وخرجت مبادراً اخبر قريشاً بذلك، فاخذ الله عز وجل على لساني فلم انطق بهذه الكلمة سبعة أيام ولياليها[٥] وهذا معناه لم يعرف أحداً بـ الولادة إلا بعد اليوم السابع، وان عبد المطلب اظهر رجولته على زوجة ابنه، وجبن عندما قابله رجل .

وعلى رواية قال لها: أريني المولود، فقالت لا سبيل لأحد رؤيته حتى تمضي ثلاثة أيام، فعند ذلك جرد سيفه ليقتل نفسه [٦] .

وفي أخرى قال: هاتيه انظر إليه فالت حيل بينك وبينه ان تراه من يومك هذا، قال ولم ذاك ؟ قالت لأنه أتاني آت ساعة ولدته الباسقة فقال لي: انظري يا آمنه لا تخرجي هذا الغلام إلى خلق الله من ولد آدم حتى يأتي عليه منذ يوم ولدتيه ثلاثة أيام[٧].

قال الواقدي: فلما كان اليوم الثالث اشترى عبد المطلب مهداً من خيزران اسود مشبكات من عاج مرصع بالذهب الأحمر، وله بكرتان من فضة بيضاء لونه من جزع أصفر وغشاه بجلال

---

١ البخاري : التاريخ الكبير ٣٤٦/٨ .
٢ ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٢٧٦/٩ .
٣ ابن حبان : الثقاة ٦٢٥/٧ .
٤ المحمداوي : أبو طالب /١٠٠ .
٥ شاذان بن جبريل : الفضائل /٢٢ــ ٢٤ ، ينظر ابن شهراشوب : المناقب ٢٨/١ .
٦ الكراجكي : كنز /٧١ .
٧ القمي : الفضائل /٢٢ــ ٢٤ .

ديباج ابيض مكوكب بالذهب وبعث إليها من الدر واللؤلؤ الكبار الذي تلعب به الصبيان في المهد وبعث بألوان الفرش، وكان النبي ﷺ إذا انتبه من نومه يسبح الله تعالى بتلك الخرز [1] .

فلما كان اليوم السابع ذبح عنه ودعا له قريشاً، فلما أكلوا قالوا: يا عبد المطلب، ارايت ابنك هذا الذي أكرمتنا على وجهه، ما سميته ؟ قال سميته محمداً، قالوا فما رغبت به عن أسماء أهل بيته ؟ قال أردت إن يحمده الله تعالى في السماء، وخلقه في الأرض " [2] .

وهذه الرواية تتعارض مع الروايات السابقة التي أفادت إن السماء هي التي سمته وان اسمه مذكور في الكتب السماوية السابقة .

الحوادث عند مولده

ما يحزن له الباحث، ويدمي قلبه وجود كثير من القصص الخرافية، في ولادة النبي محمد ﷺ منشأها الكهان وأصحاب البدع، والأمر الآخر الذي يود التنوية عليه، هو غياب الروايات المنقولة عن أهل بيت النبي ﷺ مثلاً بضعته الزهراء فاطمة عليها السلام وزوجها أمير المؤمنين عليه السلام وابنيه الحسن والحسين عليهما السلام وهذا ما جبل عليه الباحثين في التاريخ المعاصر يذهبون إلى أهل الشخص المراد دراسته وكذلك أصدقاءه ومن له قرابة يسألونهم عنه، ولا ضير أن يسأل الآخرون، محل الشاهد أهل مكة أدرى بشعابها، لكن هذا لم يحصل مع دراسة شخصية الرسول ﷺ وإذا تتبع القارئ معنا يجد الروايات منقولة ابن عباس، وفاطمة بنت عبد الله، أم عثمان بن أبي العاص، وأسماء بنت أبي بكر، ومخزوم بن هانيء، ورواية واحدة مفتراة عن الإمام الصادق عليه السلام أما المصادر التي أوردت الأخبار هم ابن إسحاق، والواقدي، والطبري وابن كثير، والمشكل اعتماد بعض المصنفين الشيعة ممن يميلون إلى الغيبيات على روايات هؤلاء، وكل المذكورين نواصب لا يعول على مروياتهم، وشهاداتهم مجروحة، إلا ما وافق رواياتنا الصحيحة .

ولنضرب أمثلة عن هذه الروايات:

أولاً: قال اليعقوبي، ولما وقع إلى الأرض قبض قبضة من تراب ثم رفع رأسه إلى السماء [3] لعله أراد أن يشكر الله سبحانه وتعالى، لأنه خرج من الأفق الضيق رحم إلام إلى هذا الفناء الواسع عالم الدنيا، والمعروف إن الطفل حال ولادته يصرخ بصوت عال، لعل النبي محمد ﷺ أمره مختلف .

---

١ القمي : الفضائل /٢٢ــ ٢٤ .

٢ تاريخ دمشق ٨٠/٣ ، ينظر ابن كثير : البداية ٣٢٥/٢ .

٣ تاريخ ٩/٢ .

أما عن قبضه التراب فلا ندري كيف حصل ذلك ؟ هل إن أمه ولدته على التراب ؟ من دون فراش، في المعروف عند العرب، وضع فراش للمرأة عندما تريد أن تضع حملها، أو انه زحف للتراب وهذا مستحيل، لم يعرف عنه ذلك، هذه رواية مفتراة على آمنه، ولا ندري هل العلم الحديث يؤيد ذلك أم إنها معجزة من معجزات النبي محمد ﷺ وماذا يعني بأخذه التراب هل أراد القول كلنا منه، ومعادنا إليه أم ماذا ؟ لم نجد تعليلاً له، وبالتالي الرواية غير مقبولة وهي خرافة واضحة .

ثانياً: روى الفتال عن الواقدي الذي افترى على عبد المطلب قوله: كنت تلك الليلة في الكعبة أقم البيت شيئاً فلما انتصف الليل فإذا إنا ببيت الله قد أشتمل بجوانبه الأربعة، وخر ساجداً في مقام إبراهيم عليه السلام ثم استوى قائماً اسمع منه تكبيراً عجيباً ينادي الله اكبر رب محمد المصطفى الآن قد طهرني ربي من أنجاس المشركين، وارجاسهم [1] للرد على ذلك نقول: مسألة سجود البيت أمر خرافي لا يقبله كثير من البشر، ومحل شبهة، وبما انه كذلك في الاحوط تركه، وقد صوره الواقدي الكذاب كأنه في وضع تعظيم لله سبحانه وتعالى رافقه تكبير فما بقيَّ إلا أن يقول صلى ركعتين .

ثالثاً: نسب إلى عبد المطلب قوله: وإذا إنا بطير الأرض حاشرة تريد حمله إلى أعشاشها، فإذا جبال مكة مشرفة عليها، وسحابة بيضاء بإزاء حجرة آمنة عليها السلام فأتيتها وهذه الطير، وهذه السحاب تسألني كذلك [2] .

ومن باب التعليق على الرواية نقول: ماذا تفعل الطيور بمولود ولد للتو هل تعمل منه وليمة مثلاً ؟ وإذا أرادت ذلك فما تفعل به السحاب ؟ وهل هي كائنات حية ؟ في المعروف إنها جمادات تحركها الرياح بأمر ربها، فما تنتفع به ؟ .

ثالثاً: رواية الفضل بن شاذان القمي عن الواقدي قال " روي عن عبد المطلب انه قال: ثم انتفضت الأصنام كما ينتفض الثوب، فكأني انظر إلى الصنم الأعظم يميل وقد انكشف، فلما رأيت الأصنام وفعلها لم ادر ثم انطلقت إلى بطحاء مكة، وخرجت من باب بني شيبة فإذا إنا بالصفا وأنادي من كل جانب: يا سيد قريش مالك كـ الخائف الوجل أمطلوب أنت ؟ فما أحير جواباً، إنما همتي آمنة حتى أنظر إلى ابنها محمد ﷺ وإذا جبال مكة مشرفة على، حجرتها، فلما رأيت ذلك دنوت من الباب على نفسها، قد دققت الباب فأجابتني بخفي صوتها فقلت: عجلي افتحي الباب ففتحت الباب مبادرة، قالت مالك كالخائف أمطلوب أنت ؟ قلت: لا ولكنني منذ ليلتي في كل ذعر

---

١ روضة الواعظين /٦٩ ، الكراجكي : كنز /٧١ ، ابن شهراشوب : مناقب ٢٨/١

٢ ابن شهراشوب : المناقب ٢٨/١ .

وخوف قال الواقدي " وأصبح عبد المطلب في اليوم الثاني من الولادة ودعا آمنة وقال هاتي ولدي وقرة عيني وثمرة فؤادي فجاءت به آمنه على ساعدها فقال عبد المطلب: اكتميه يا آمنه ولا تبديه لأحد فان قريشاً وبني أميه يرصدون في أمره، قالت آمنة: السمع والطاعة لتسكن دمدمة قريش وبني هاشم، ودخل عبد المطلب بيت الله الحرام فلما وضع رجله في البيت، سمع النبي ﷺ وهو يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، وإذا البيت يقول السلام عليك يا محمد ورحمة الله وبركاته، وإذا بهاتف يهتف ويقول {وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً}[1] فتعجب عبد المطلب من صغر سنه وكلامه، ومما قال له البيت، فتقدم لخزنة البيت وأمرهم ان يكتموا ما سمعوا (قال الواقدي) جاء سواد بن قارب إلى عبد المطلب وكان عبد المطلب قاعداً على باب بيت الله الحرام وقد حف به قريش وبني هاشم فعندها انكب سواد على النبي ﷺ وقال لعبد المطلب اشهد على نفسي إني آمنت بهذا الغلام بما يأتي به من عند ربه ثم قبل وجنات النبيﷺ وخرجا جميعاً ورجع سواد إلى وضعه، وبقى عبد المطلب فرحاً نشطاً[2] وهذا معناه إن سواداً عارفاً ان محمد هو نبي الأمة لذلك آمن به في حين ولادته.

رابعاً: رواية ابن كثير عن الخرائطي عن عبد الله بن محمد البلوي عن عمارة بن زيد عن عبد الله بن العلاء عن هشام بن عروة عن أبيه عن جدته أسماء بنت أبي بكر قالت: كان زيد بن عمرو بن نفيل، وورقه بن نوفل يذكران أنهما أتيا النجاشي بعد رجوع أبرهة من مكة، بعد كلام قال ورقة بن نوفل أخبرك أيها الملك إني البلة قد بت عند وثن لنا كنا نطوف به ونعبده إذ سمعت من جوفه هاتفاً يقول: ولد النبي فدلت الأملاك ونأى الضلال وأدبر الإشراك ثم انتكس الصنم على وجهه، فقال زيد بن عمرو بن نفيل عندي كخبره أيها الملك، قال: هات قال اتا في مثل هذه الليلة التي ذكر فيها حديثه خرجت من عند أهلي وهم يذكرون حمل آمنة حتى أتيت جبل أبي قبيس أريد الخلو فيه لأمر رابني إذ رأيت رجلاً نزل من السماء له جناحان أخضران، فوقفت على أبي قبيس ثم اشرف على مكة فقال: ذل الشيطان وبطلت الأوثان ولد الأمين، ثم نشر ثوباً معه وأهوى به نحو المشرق والمغرب فرأيته قد جلل ما تحت السماء وخفق الهاتف بجناحيه حتى سقط على الكعبة وقال: دكت الأرض وأدت ربيعها وأومأ إلى الأصنام التي كانت على الكعبة فسقطت كلها، قال النجاشي ويحكما اخبر كما عما أصابني، إني لنائم في الليلة التي ذكرتما في قبة وقت خلوتي إذ خرج من على الأرض عنق ورأس، وهو يقول حل الويل بأصحاب الفيل، رمتهم طير أبابيل بحجارة من سجيل هلك الأشرم المعتدي المجرم، وولد النبي الأمي المكي الحرمي، من أجابه

---

١ الإسراء /٨١ .

٢ الفضائل /٢٢ــ ٢٤ .

سعد، ومن أباه عتد ثم دخل الأرض فغاب فذهبت أصيح فلم أطق الكلام، ورمت القيام فلم أطق القيام، فصرعت القبة بيدي؟ فسمع بذلك أهلي فجاءوني فقلت احجبوا عني الحبشة فحجبوهم عني ثم أطلق عن لساني ورجلي"[١] الرواية فيها هشام بن عروة بن الزبير بن العوام وثقوه [٢].

بناء على ما ورد في الرواية إن الأوثان كانت ناطقة، ولا نعلم متى أصابها الخرس، والأفدح في الأمر إن ورقة كان نائم بالقرب من صنم يعبده، وسمع الهاتف ينادي بولادة النبي ﷺ فيا ترى هل انه من الأولياء والصالحين حتى يرى هكذا علامات، أم أن مفتري الرواية أراد أن يرفع من شأنه وصاحبه أنهما يعرفان دلائل النبوة؟ وهذا الأمر إن صح يتعارض مع نومه قرب الوثن، مما دل على وثنية الرجل، والغريب إن النجاشي نائم ورأى علامات كذا وكذا، هل نكتب تاريخ نبينا بناءً على المنامات .

ما قاله زيد بن عمرو انه رأى رجل نزل من السماء، كأنه أراد القول انه رآه بشر بولادة الأمين ﷺ وهذا مستحيل، وعن قول النجاشي، فقد تلا سورة الفيل، فكأن الله سبحانه انزل الآية على لسانه، وهذا الأمر إن دل على شيء إنما يدل على وضع الرواية بعد البعثة، وبعد نزول آية الفيل تحديداً، ومهما يكن فهي ضرب من الخرافة .

خلاصة ذلك: إن الباحث لا يميل إلى وجود نفيل، لكثرة البغاء في تلك الفترة، إذ لم تستطيع المرأة تحديد صاحب النطفة التي علقت في رحمها، مما تضطر نسبته إلى زيد أو عمر، ومن ثم يخلق نسباً له، والمتصفح في تاريخ تلك الحقبة، يجد ما شاء الله من ذلك، ولاسيما ما كتبه ابن الكلبي في مثالب العرب، ودلالة ذلك ما أشار إليه ابن كثير إن الخطاب والد عمر عم زيد بن عمرو بن نفيل، وأخاه لامه وذلك لان عمرو بن نفيل كان قد خلف على امرأة أبيه بعد أبيه، وكان لها من نفيل أخوه الخطاب [٣] وما قاله اليوسفي "ولا يعرف نفيل بن عبد العزى العدوي إلا أنه جد عمر بن الخطاب"[٤].

خامساً: الطبري عن على بن حرب الموصلي عن أبي أيوب يعلى بن عمران البجلى عن مخزوم بن هانئ المخزومى عن أبيه قال " لما كانت ليلة ولد فيها رسول الله ﷺارتجس إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ورأى الموبذان[٥] إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها فلما أصبح كسرى

---

١ البداية ٤٢٣/٢ ، ينظر الصالحي الشامي : سبل ٣٥٢/١ .
٢ المحمداوي : الراشدون في روايات العامة ، مبحث غسل الجنابة /١١١
٣ البداية والنهاية ٢/ ٢٩٦
٤ موسوعة التاريخ الإسلامي ٢/ ٢٤٧ هامش
٥ الموبذان للمجوس: كقاضي القضاة للمسلمين، والموبذ : القاضي . ابن منظور : لسان العرب (مادة موبذ)

أفزعه ما رأى فصبر تشجعاً ثم رأى أن لا يكتم ذلك عن وزرائة ومرازبته فلبس تاجه وقعد على سريره وجمعهم إليه فـ أخبرهم بالذي بعث إليهم ودعاهم فبيناهم كذلك إذ ورد عليه كتاب بخمود النار فازداد غماً إلى غمه فقال الموبذان وأنا أصلح الله الملك قد رأيت في هذه الليلة وقص عليه الرؤيا في الإبل فقال أي شيء يكون هذا يا موبذان وكان أعلمهم عند نفسه بذلك فقال حادث يكون من عند العرب فكتب عند ذلك من كسرى ملك الملوك إلى النعمان بن المنذر أما بعد فوجه إليَّ رجلاً عالماً بما أريد أن أسأله عنه فوجه إليه عبد المسيح بن عمرو بن حيان بن بقيلة الغساني فلما قدم عليه قال له أعندك علم بما أريد أن أسألك عنه قال ليخبرني الملك فإن كان عندي منه علم وألا أخبرته بمن يعلمه له فأخبره بما رأى فقال علم ذلك عند خال لي يسكن مشارف الشام يقال له سطيح قال فأته فاسأله عما سألتك وأتني بجوابه فركب عبد المسيح راحلته حتى قدم على سطيح وقد أشفى على الموت فسلم عليه وحياه فلم يحر سطيح جواباً ثم رفع رأسه وقال عبد المسيح على جمل يسيح إلى سطيح وقد أوفى على الضريح بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الإيوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجله وانتشرت في بلادها يا عبد المسيح وخمدت نار فارس فليست الشام لسطيح شاماً يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات وكل ما هو آت آت ثم قضى سطيح مكانه فقام عبد المسيح إلى رحله فلما وصل إلى كسرى أخبره بقول سطيح فقال إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكاً قد كانت أمور فملك منهم عشرة أربع سنين وملك الباقون إلى ملك عثمان بن عفان "[1] .

الملاحظ على متن الرواية إن آخر ملوك فارس الذي سلب منه الملك يزدجرد بن شهريار بن أبرويز بن هرمز بن أنو شروان وهو الذي انشق الإيوان في زمانه، وكان لأسلافه في الملك ٣١٦٤ سنة، وأول ملوكهم خيومرت بن أميم بن لاوذ بن سام بن نوح [2] وسطيح الكاهن، فهو شخصية وهمية، افتعلت لذكر معجزات النبي ﷺ [3] .

والسند فيه علي بن حرب الطائي الموصلي بحثنا عنه ولم نجده في كتب الرجال، وقد نقلت عنه روايات، لكن لم نجد ما يفيدنا عن مدحه أو قدحه، سوى ما ذكره الذهبي بقوله: حدث عنه النسائي: فقال صالحاً ، وقال أبو حاتم: صدوقاً، وثقه الدارقطني [4] .

---

١ تاريخ ٥٧٩/١ ، ينظر الزمخشري : الفائق ١٨/٢ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ٣٦١/٣٧

٢ ابن كثير : البداية والنهاية ٣٢٧/٢ .

٣ المحمداوي : عبد المطلب بن هاشم ، دراسة في رئاسته على قريش ، والمنافرة وعقيدته ، مجلة دراسات تاريخية، ع ٩، ايلول ، السنة ٢٠١٠ ، ص /١٦ .

٤ سير إعلام ٢٥٢/١٢ .

ويعلى بن عمران البجلي لم يرد له ذكر إلا في هذه الرواية، والحال نفسه مع هانئ بن مخزوم المخزومي فهو غير معروف، إلا في هذه الرواية، وقد ذكرها ابن الأثير في معرض ترجمته إلى راويها هانئ المخزومي، فقال: وليس فيه ما يدل على صحبته والله أعلم "[1] وأضاف على ذلك ابن حجر فقال " إذا كان مخزومياً لم يبق من قريش بعد الفتح من عاش بعد النبي ﷺ إلا شهد حجة البلاغ [2] فإذا كان كذلك فمن أين نعرف له أباً حتى يروي عنه، بعد هذه السلسة الواهية، هل تصدق الرواية ؟ وهل يعمل بها احد ؟.

ومما يؤسف له إن الرواية منقولة في بعض مؤلفات اتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) منها ما رواه الصدوق عن ابن بابوية القمي بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ارتجس في تلك الليلة إيوان كسرى، وسقطت منه أربعة عشر شرفة وخمدت نيران فارس ولم تخمد قبل إلف ذلك بألف عام ورأى الموبذان في تلك الليلة في المنام إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً، وقد قطعت دجلة، وانسربت في بلادهم، وانقصم طاق الملك كسرى من وسطه [3] وهذه تصلح للمجالس تُلقى على البسطاء وترتفع أصواتهم بالصلوات، ولكنها لا تنفع أهل التحقيق .

وقد انتفع الشاعر ابن الحاج النميري من ذلك فقال:

لمولده نيران فارس أخمدت فعطل منها كل افيح مسود [4]

وبالسند المتقدم قال " كان إبليس (لعنه الله) يخترق السموات السبع، فلما ولد عيسى عليه السلام حجب عن ثلاث سموات، وكان يخترق أربع سموات، فلما ولد رسول الله ﷺ حجب عن السبع كلها، ورميت الشياطين بالنجوم، وقالت قريش هذا قيام الساعة الذي كنا نسمع أهل الكتب يذكرونه، وقال عمرو بن أمية [5] وكان من ازجر أهل الجاهلية: انظر هذه النجوم التي يهتدى بها ويعرف بها أزمان الشتاء والصيف، فان كان رمي بها فهو هلاك كل شيء، وان كانت ثبتت ورمي بغيرها فهو أمر حدث، وأصبحت الأصنام كلها صبيحة مولد النبي ﷺ ليس منها صنم إلا

---

١ أسد الغابة ٥/٥٢ .

٢ الإصابة ٦/٤١١ .

٣ الأمالي /٣٦٠ .

٤ نفح الطيب ٧/١١٩ ، لم نعثر على ديوانه .

٥ عمرو بن أمية بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي وأمه عاتكة بنت خالد بن عبد مناف بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة كان قديم الإسلام بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة في المرة الثانية فمات هناك في روايتهم جميعا وليس له عقب . ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤/١٢٠ ، وللعلم إن الباحث لا يميل إلى وجوده ويعده شخصية وهمية .

وهو منكب على وجهه وانخرقت عليه دجلة العوراء[١] ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوساً، والملك مخرساً لا يتكلم يومه ذلك، وانتزع علم الكهنة وبطل سحر السحرة، ولم تبق كاهنة في العرب إلا حجبت عن صاحبها، وعظمت قريش في العرب وسموا آل الله عز وجل، قال الإمام الصادق إنما سموا آل الله عز وجل لأنهم في بيت الله الحرام واتى به عبد المطلب لينظر إليه، وقد بلغه ما قالت أمه، وصاح إبليس (لعنه الله) في أبالسته، فاجتمعوا إليه، فقالوا: ما الذي أفزعك يا سيدنا ؟ فقال لهم: ويلكم، لقد أنكرت السماء والأرض منذ الليلة، لقد حدث في الأرض حدث عظيم ما حدث مثله منذ رفع عيسى بن مريم، فاخرجوا وانظروا ما هذا الحدث الذي قد حدث، فافترقوا ثم اجتمعوا إليه، فقالوا ما وجدنا شيئاً، فقال إبليس: إنا لهذا الأمر، ثم انغمس في الدنيا، فجالها حتى انتهى إلى الحرم وجده محفوفاً بالملائكة، ذهب ليدخل، صاحوا به فرجع، ثم صار مثل الصر ــ وهو العصفور ــ فدخل من قبل حراء فقال له جبريل: وراءك لعنك الله، فقال له: هل لي فيه نصيب؟ قال: لا، قال: ففي أمته؟ قال: نعم، قال: رضيت"[٢] .

وهذه الرواية مطعون في سندها من جهة أبان بن عثمان الأحمر البجلي مولاهم، فيه طعون، دافع عنه الخوئي (قده) بقوة وربما هذا الدفاع ناشئ كونه من رجال كامل الزيارات الذي ذهب إلى توثيقه[٣] ونقل لي بعض طلبة البحث الخارج إنه تراجع عن توثيقه فيما بعد .

وفي واقع الحال إن هذا التصور الخاطئ عن ميلاده ﷺ من بُنَاتْ أفكار اليهود، وقد تسللت بطريقة وأخرى إلى موروث المسلمين الفكري، فاستحسنوها ظناً منهم إنها كراماته وفي حقيقة الحال لم تكن كذلك وإنما الغرض منها تصويره الصورة السلبية، وان ولادته وبالاً على كوكب الأرض إذ جفت البحيرات وتحركت النجوم وراحت الأرض تقذف بأهلها، وكل ذلك سخطا من ولادة نبي السيف حسب زعمهم، لذلك أطلق عليه هذا اللقب في طفولته ولهذا قال بحيرى لأبي طالب "رد هذا الغلام إلى بلاده فإنه إن علمت به اليهود ما أعلم منه قتلوه، فإن لهذا شأنا من الشأن، هذا نبي هذه الأمة، هذا نبي السيف"[٤] .

سابعاً: على هذا المنوال ما رواه الصدوق قال " وكان بمكة يهودي يقال له: يوسف فلما رأى النجوم يقذف بها وتتحرك قال: هذا نبي قد ولد في هذه الليلة وهو الذي نجده في كتبنا أنه إذا ولد – وهو آخر الأنبياء – رجمت الشياطين وحجبوا عن السماء، فلما أصبح جاء إلى نادي قريش فقال:

---

١ ذكر جماعة من أهل العلم أن دجلة العوراء وهي دجلة البصرة كانت خورا ، والخور : طريق للماء لم يحفره أحد تجري إليه الأمطار ويتراجع ماؤها فيه عند المد وينضب في الجزر ٠ ياقوت الحموي : معجم البلدان ٣١٦/٥

٢ الأمالي /٣٦٠ ، ينظر الفتال : روضة /٦٦

٣ المحمداوي : رؤية قرآنية /٦٩

٤ كمال الدين /١٨٨

يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود؟ قالوا: لا، قال: أخطأتم والتوراة ولد إذاً بفلسطين وهو آخر الأنبياء وأفضلهم، فتفرق القوم فلما رجعوا إلى منازلهم أخبر كل رجل منهم أهله بما قال اليهودي فقالوا: لقد ولد لعبد الله بن عبد المطلب ابن في هذه الليلة، فأخبروا بذلك يوسف اليهودي فقال لهم: قبل أن أسألكم أو بعده؟ قالوا: قبل ذلك، قال: فاعرضوه عليَّ، فمشوا إلى باب آمنة فقالوا: اخرجي ابنك ينظر إليه هذا اليهودي، فأخرجته في قماطه فنظر في عينيه، وكشف عن كتفيه فرأى شامة سوداء بين كتفيه وعليها شعرات، فلما نظر إليه وقع على الأرض مغشياً عليه، فتعجبت منه قريش وضحكوا، فقال: أتضحكون يا معشر قريش، هذا نبي السيف ليبيرنكم"[١].

السؤال هنا هل حجبت الشياطين فعلاً ؟ أم هي في تزايد مطرد ؟ كل منا فيه ملايين الشياطين، من بركة الهواتف النقالة الشياطين محدقة بنا من كل مكان في الحمام والمطبخ وفي المدرسة والجامع وفي كل مكان فما عسانا ان نكون عباد زهاد مثلاً، وتهمة نبي السيف ما زالت قائمة، في حين هو نبي الرحمة، هكذا عبر عنه الحق .

ثامناً : عدت قضية النور من آيات ولادته [٢] وهذه الرواية منقولة عن ابن إسحاق، وهو أساس تشويه السيرة المحمدية العطرة، منها ما رويَّ عن آمنة كانت تحدث قالت: رأيت في النوم حين حملت به كأنه خرج مني نور أضاءت له قصور الشام[٣] الغريب إن تاريخ نبينا كتب من خلال المنامات، علماً إن النائم فاقد لوعيه لا يعي ما يقول ولا يضبط حديثه، والله من العيب أن نتحدث بهذا المنطق بل من الأمور المخزية، كيف يقنع المشرك أو المخالف لنا بـ هكذا ترهات .

فـ قيل رأت آمنة قصور الشامات كلها شعلة نور[٤] وكذلك قالت: سطع مني النور حتى رأيت قصور الشام [٥] ونسب إلى النبي ﷺ قوله: ورأت أمي حين حملت بي انه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من ارض الشام [٦] وهذا عليه مشكل كيف رأت الشام على الرغم من بعد المسافة من مكة .

وانتشر في تلك الليلة نور من قبل الحجاز، ثم استطار حتى بلغ المشرق [٧] قالت آمنة: لما وضعته رأيت نوراً بدا مني ساطعاً حتى أفزعني [٨] .

---

١ كمال الدين / ١٩٧ ، ينظر ابن شهراشوب : المناقب ٣٠/١
٢ ابن اسحاق : السير /٤٥ ، الطبري : تاريخ ٥٧٢/١
٣ السير /٤٨ .
٤ الصدوق : كمال الدين /١٧٥ ، الامالي /٣٣٥ .
٥ اليعقوبي : تاريخ ٩/٢ .
٦ ابن إسحاق : السير /٥١ .
٧ الأمالي /٣٦٠ ، ينظر الفتال : روضة /٦٦ .
٨ اليعقوبي : تاريخ ٩/٢ .

وبعد كل ما قدمته الروايات من أكاذيب، إن آمنة عليها السلام فقدت ذلك النور، بعد الولادة سألها عبد المطالب قال: أين نور وجهك ؟ قالت: قد وضعته [١] وهذا تعريض في شخصية آمنة، على اعتبار أنها مجرد وعاء لحمل هذا النور، وبعد أن ولدته فقدت كل شيء، أتقبلون هذا لوالدة نبيكم يا مدعون الإسلام، والمشكلة صاحب هذا الكتاب الذي روى الخبر عنده كثير من الروايات غير المقبولة، ويجب إن يأخذ عنه الباحثين بحذر، لأنه جل همه إن يوجد فضائل .

تاسعاً: من دلائل ولادته إن غاضت بحيرة ساوه[٢] وكثرت التلاوه وبعث صاحب الهراوه وفاض وادي السماوه [٣] المقصود بـ الهراوة، العصا الضخمة [٤] ويراد به النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعصاه هي المكني عنها بالهراوة في وصفه صلى الله عليه وآله وسلم في كتب الأوائل بصاحب الهراوة، ولم يأت لمعناها في صفته تفسير إلا ما ظهر في هذا الحديث، وتفسير الهراوة بهذه العصا بعيد أو باطل لأن المراد بوصفه بالهراوة تعريفه بصفة يراها الناس معه يستدلون بها على صدقه وأنه المبشر به المذكور في الكتب السالفة فلا يصح تفسيره بعصا تكون في الآخرة والصواب في تفسير صاحب الهراوة ما قاله الأئمة المحققون أنه كان يمسك القضيب بيده كثيرا وقيل لأنه كان يمشي والعصا بين يديه وتغرز له فيصلي إليها وهذا مشهور في الصحيح [٥] .

وقد انتفع الشاعر ابن الحاج النميري من ذلك فقال

وغاضت مياه النهر حتى لقد شكا بحر كما تشكو المواقد من برد [٦] .

وقد حمل ابن طاووس هذه الأكاذيب محمل الجد بـ قوله " وقد وجدنا في التواريخ كثيراً من المسلمين والمعتبرين ذكروا في معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبار سطيح وغيره من الكهنة والمنجمين بغائبات اخبروا بها ووقعت، ولم يكن ذلك قادحاً في معجزات الأنبياء فيما اخبروا به من الغائبات لأجل اختلاف الأنبياء والكهنة في صفات تعريفهم بالغائبات والحادثات لان الأنبياء يخبرون بالغيب

---

١ ابن شهراشوب : المناقب ٢٨/١ .

٢ مدينة حسنة بين الرى وهمذان في وسط ، بينها وبين كل واحد من همذان والرى ثلاثون فرسخا ، وبقربها مدينة يقال لها آوه ، فساوه عامية شافعية ، وآوه أهلها شيعة إمامية ، وبينهما نحو فرسخين ، ولا يزال يقع بينهما عصبية ، وما زالتا معمورتين إلى سنة ٦١٧ فجاءها التتر الكفار الترك فخبرت أنهم خربوها وقتلوا كل من فيها ولم يتركوا أحدا البتة ، وكان بها دار كتب لم يكن في الدنيا أعظم منها بلغني أنهم أحرقوها ، وأما طول ساوه فسبع وسبعون درجة ونصف وثلث وعرضها خمس وثلاثون درجة . ياقوت الحموي : معجم البلدان ١٧٩/٣ .

٣ الطبري : تاريخ ٥٧٩/١ ، ينظر الزمخشري : الفائق ١٨/٢ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ٣٦١/٣٧

٤ الجوهري : الصحاح ٢٥٣٥/٦ .

٥ النووي : شرح مسلم ٦٢/١٥

٦ نفح الطيب ١١٩/٧ ، لم نعثر على ديوانه

من غير سبب من البشر، وغيرهم يخبر بأسباب من توصله بالبشر[١] إذاً شهرته وظهوره اقترنت بدلائل النبوة، إلى الحد الذي وصف انه من العارفين بنبوة النبي ﷺ .

وقال جعفر كاشف الغطاء " وأخبار الإخبار عنه عليه السلام قبل ولادته بسنين وأعوام صح، ومن ذلك ما ظهر له من الكرامات عند ميلاده كارتجاج إيوان كسرى حتى سقط منه أربع عشرة شرفة وغوص بحيرة ساوه وخمود نار فارس ولم تخمد قبل بإلف سنة واضطراب الأحبار والرهبان عند ولادته [٢] .

الملاحظ على وضاع الروايات إنهم نسبوا إعمال عبد المطلب إلى النوم من دون اليقظة، فمعظم دلائل النبوة التي عرفها شاهدها في المنام، فـ على سبيل ذلك ما نسب له قوله: جعلت احسر عن عيني فـ أقول إني لنائم وأقول: كلا إنني ليقظان[٣] وانسحب هذا الأمر إلى إعادة حفر بئر زمزم، إذ كان نائماً فأتاه آت فأمره بإعادة الحفر ودله على المكان الذي يجب أن يحفر فيه[٤].

خلاصة القول: إن ما جاء في الروايات المفترايات، ينقضها قوله تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } [٥] فإذا كانت رسالة رحمه، هل تكون ولادته نقمة، وهل تقبل الأمة ولادة طفل على هذه الدرجة العالية من البلاء، إذ فعل ما فعل، وهذا هو التصور السلبي عن السيرة المحمدية العطرة، بدلاً من إن يقدمونها للناس بشكل مقبول، صوروها شخصية عدوانية جلبت البلاء على كوكب الأرض وهو مبرر كاف لرفض دعوته .

اسمه

لا يخفى على أي احد إن اسم نبينا المعروف هو محمد ﷺ على الرغم من وجود مسميات أخر، وخير دليل على ذلك، ما رواه معمر عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال: لي أسماء أنا أحمد، وأنا محمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب، قال معمر: قلت للزهري: وما العاقب ؟ قال: الذي ليس بعده نبي [٦] وما ذُكر ربما هي صفات ولم تكن أسماء .

---

١ فرج الهموم /٥٠

٢ كشف الغطاء ٤/١

٣ شاذان بن جبريل : الفضائل /٢٢ــ ٢٤ ، ابن شهراشوب : المناقب ٢٨/١ .

٤ للتفصيلات ينظر المحمداوي : زمزم دراسة في أسمائها وعملية حفرها /٨٧

٥ الأنبياء/١٠٧

٦ عبد الرزاق : المصنف ٤٤٦/١٠

وروي عنه ﷺ قال "أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء، قال نصرت بالرعب وأعطيت مفاتيح الأرض وسميت أحمد وجعل التراب لي طهورا وجعلت أمتي خير الأمم " [١] الذي يهمنا من ذلك اسمه والبقية لنا عليا مشكل، ولا سيما نصره بالرعب، بل العكس نصره الله بـــ الملائكة جاء ذلك بـــ قوله تعالى {...أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ } [٢] وقال { ... يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ } [٣] وربما من قال ذلك فقد أول قوله تعالى {سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ بِاللّهِ ...} [٤] وقوله {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ } [٥] وقوله {وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً } [٦] وغيرها المسألة بحاجة إلى دراسة معمقة بعيدة عن موضوع دراستنا هذه .

والمشهور له اسمين الأول: احمد ورد ذكره في القرآن الكريم، على لسان النبي عيسىعليه السلام قال {... وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ... } [٧] وهو من باب التفضيل سميَّ به لأنه علم منقول من صفة وهي أفعل التفضيل ومعناه أحمد الحامدين وسبب ذلك ما يثبت في الصحيح أنه يفتح عليه في المقام المحمود بمحامد لم يفتح بها على أحد قبله وقيل الأنبياء حمادون وهو أحمدهم أي أكثرهم حمداً أو أعظمهم في صفة الحمد، كان رسول الله ﷺأحمد قبل أن يكون محمداً كما وقع في الوجود لان تسميته أحمد وقعت في الكتب السالفة وتسميته محمداً وقعت في القرآن العظيم وذلك أنه حمد ربه قبل أن يحمده الناس وكذلك في الآخرة حمد ربه فشفعه فحمده الناس، وقد خص بسورة الحمد وبلواء الحمد وبالمقام المحمود وشرع له الحمد بعد الأكل وبعد الشرب وبعد الدعاء وبعد القدوم من السفر وسميت أمته الحمادين فجمعت له معاني الحمد وأنواعه [٨] .

والثاني: محمد من باب التفعيل للمبالغة، منقول من صفة الحمد أيضاً وهو بمعنى محمود، وفيه معنى المبالغة، والمحمد الذي حمد مرة بعد مرة كالممدح أو الذي تكاملت فيه الخصال

---

١ ابن حنبل : المسند ٩٨/١
٢ الأنفال/٩ .
٣ آل عمران/١٢٥ .
٤ آل عمران/١٥١.
٥ الأنفال/١٢.
٦ الأحزاب/٢٦ .
٧ الصف/٦
٨ ابن حجر : فتح الباري ٤٠٣/٦

المحمودة [١] وقد تكرر في القرآن الكريم، وهناك سورة حملت اسمه [٢] وأشتهر بـــ اسم محمد أكثر من غيره، وقد جاء الاسم، مطابق المسمى، لأن كل شخص جامع لصفات الخير يسمى محمداً، وإن الله عز وجل ألهمهم أن سموه محمد لما فيه من الصفات الحميدة ليلتقي الاسم والفعل ويتطابق الاسم والمسمى في الصورة والمعنى [٣] .

إذاً إن الله سبحانه وتعالى، هو الذي سماه، وبشر به المسيح عيسى بن مريم (ع) وهذا الرأي قرآني خالص لا يجوز مخالفته إطلاقاً فـــ أي نص يخالفه يرمى به عرض الجدار بل لا قيمة له، واستندت روايات الغيب على ذلك وتكهن كثير من الناس وكل ادعى انه يعرف النبي الخاتم، ومنهم سيف بن ذي يزن حتى اخبر عبد المطلب بذلك [٤] وكذلك سواد بن قارب الذي قال: إن النبي اسمه محمد وهو في بطن أمه [٥] لقد ناقشنا الرواية وعلقنا عليها سابقاً، ولا نميل إلى صحتها .

وهذا الاسم جاء التأكيد عليه من السماء، إذ نقل ابن شهراشوب عن ابن إسحاق قوله " قالت آمنة، وسمعت نداء يقول: انك ولدت سيد الناس فسميه محمد [٦] فـــ ان اسمه في التوراة احمد، يحمده أهل السماء وأهل الأرض، وفي الفرقان محمد، لذلك يؤثر عن عبد المطلب قوله:

أنت الذي سميت في الفرقان في كتـــب ثابتة المثـــان

احمد مكتوب على اللسان [٧] .

كما ورد في كلام عبد المطلب كلمات قرآنية مثل الفرقان جاءت في قوله تعالى {وَلَقَـــدْ آتَيْنَـــا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاء وَذِكْراً لِّلْمُتَّقِينَ } [٨] وذلـــك لأنـــه نـــزل علـــى النبـــي موســـى وهارون عليهما السلام وفيه اسم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكلمة المثان أيضاً قرآنية، جاءت بـــ قوله تعالى {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ } [٩]

---

١ ابن حجر : فتح الباري ٤٠٣/٦

٢ سورة محمد

٣ابن كثير : البداية ٣٢٥/٢ .

٤ ابن حبيب : المنمق/ ٤٢٧

٥ القمي : الفضائل /١٦ .

٦ المناقب ٢٨/١ ، ينظر الصدوق : الأمالي /٣٦٠ ، الفتال : روضة /٦٦

٧ السير /٤٥ ، ينظر الطبري : تاريخ ٥٧٢/١

٨ الأنبياء/٤٨

٩ الحجر/٨٧

وهذا الغلام، سماه الله احمد في القران، وهذا ما ذهب إليه عبد المطلب بـــ قوله: أنت الـــذي سميته محمداً [١] وما قاله أبي طالب :

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد[٢]

وقد راجع الباحث ديوان أبي طالب ولم يجد البيت فيه، بل نسب إلى بحير بن زهير[٣] وقيل إلى حسان بن ثابت [٤] وقيل إن حسان ضمن شعره هذا البيت أي أخذه من أبي طالب [٥] .

ورويَّ عن الرسول ﷺ قوله: إن الله شق له اسماً من أسمائه، فقال: فذو العـــرش محمـــود وإنا محمد[٦] خلاصة كل ما عرضناه إن الله هو الذي سماه، ولم يكن لجده يد في ذلك .

الرأي الثاني: وهو رأي المخالفين، أرادوا إبعاد صفة القداسة والتقديس عن النبي محمد ﷺ فجرجروا النصوص لما يشتهون، فـــ قالوا إن جده أو عمه سماه، فـــ قيل " لما ولد النبي ﷺ عق عنه عبد المطلب بكبش، وسماه محمد، فقيل له: ما حملك على إن سميته محمداً، ولم تسمه بـــ اسم آبائه ؟ قال أردت أن يحمده الله في السماء ويحمده الناس في الأرض"[٧] وهذه منقبة من مناقب عبد المطلب، بوصفه صاحب سنة، قبل البعثة المحمدية، وأقرت بعض سننه بعد البعثة ونزل بها قرآن، لا مجال لذكرها .

وفي رواية أخرى إن عبد المطلب سماه محمد لرؤيا رآها في منامه كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الأرض وطرف في المشرق وطرف في المغرب، ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور، وإذا أهل المشرق والمغرب يتعلقون بها وقد فسرت بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والأرض[٨].

وهناك رواية اضعف منها، منسوبة لـــ الإمام الصادق عليه السلام قال: أن أبا طالب هو الذي عق عنه في اليوم السابع من ولادته، ودعا الناس إلى وليمة ميلاده الميمون، فقالوا "ما هذه ؟ قال هذه عقيقة أحمد قالوا: لأي شيء سميته احمد؟ :قال سميته ... لحمده أهل السماء والأرض [٩] كل ما قيل لا نقيم له وزناً قبال النص القرآني القائل بتسميته إنها من الله سبحانه وتعالى .

---

١ ابن سعد : الطبقات ١١٢/١
٢ ابن عدي : الكامل ١٩٧/٥
٣ ابن شهراشوب : مناقب ٦٢/١
٤ ابن شهراشوب : مناقب ١٤٢/١
٥ الاميني : الغدير ٣٣٦/٧
٦ الصدوق : علل الشرائع ١٣٤/١، معاني الإخبار /٥٦ .
٧ ابن عساكر : تاريخ ٣٢/٣ ، المتقي الهندي : كنز ٤٤٤/١٢ .
٨ ابن سيد الناس : عيون الأثر ٤٥/١ .
٩ الكليني:الكافي٢٧٦/٨، الصدوق :من لا يحضره الفقية٤٨٥/٣ ، الطبرسي :مكارم الأخلاق/٢٢٧

ختانه

الختان لغة يعني: ختن يختن ختناً فهو مختون، والختانة صنعته، وهو ذلك الأمر كله وعلاجه، وهو موضع القطع من الذكر [١] أي قص الزائدة اللحمية من العضو التناسلي .

والختان سُنّة للرجال، ومكرمة للنساء، وإن الأرض تضج إلى الله من بول الشخص غير المختون (الاغلف) [٢] ولا يتم الحج إلا به، ولا يجوز أن يطوف بالبيت إلا مختتناً، وهذا معنى الفرض على هذا التفصيل، وهو سُنة، واجب مثل الوتر، والأضحية وليس فريضة، يأثم تركها [٣] وهو من فطرة الله التي فطر الناس عليها، بـــ دلالة قول النبي ﷺ: الختان من الفطرة، وهي الإسلام [٤] وهو حلية الإنسان [٥] .

لقد ولد بعض الأنبياء مختونيين، واختلف في عددهم قيل أنهم ثلاثة عشر، وقيل أربعة عشر، منهم النبي آدم، وشيث، ونوح، لوط، ويوسف، وشعيب، وموسى، وسليمان، وعيسى، والنبي محمد ﷺ وقيل إدريس، وسام، ويحيى وهود، وصالح، وزكريا، وحنظلة بن صفوان، نبي أصحاب الرس (عليهم السلام) فاجتمع من كلامهم سبعة عشر نبياً أولهم آدم وآخرهم النبي محمد ﷺ حتى قيل فيهم شعراً:

وسبعة مع عشر قد روى خلقوا وهم ختان فخذ لا زلت مأنوسا
محمد آدم إدريس شيث ونـــوح سام هود شعيب يوسف موسى
لوط سليمان يحيى صالح زكـــر يا وحنظلة الرسي مـــع عيسى

وقال العلامة القاضي عبد الباسط البلقيني :

وفي الرسل مختوناً لعمرك خلقه ثمـــان وتسع طيبـــون أكارم
وهم زكريا شيث إدريس يوسف وحنظلة عيسى ومـــوسى وآدم
ونوح شعيب سام لوط وصالـــح سليمان يحيى هود ياسين خاتم .

ما يخص النبي محمد ﷺ فقد اختلفت الروايات حول مسألة ختانه، منها ذكرت انه ولد مختوناً مسروراً، ونشير في هذا المورد إلى ما قاله الحاكم: وقد تواترت الأخبار بذلك [٦] على سبيل المثال، مـــا ذكره يونس بـــن عطاء المكي عن الحكم بن أبان العدني عن عكرمة عن ابن

---

١ الفراهيدي : العين (مادة ختن)
٢ الصدوق : الهداية /٢٦٩
٣ الطوسي : الخلاف ٤٩٤/٥
٤ ابن حنبل : المسند ٢٢٩/٢
٥ المجلسي : بحار ٢٨٠/٣
٦ المستدرك ٦٠٢/٢ .

عباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب[١] .

وهذا ما يميل إليه الباحث ويقبله وهو جزء أساس من اعتقاده في النبي محمد ﷺ ثم اذا ختنه خاتن فما اسمه وكيف؟ ولماذا أهمل شأنه ؟ في حين إن السيرة المحمدية ملأها الوضاعون زيفاً ودساً وتزويراً، فـــ لماذا لا يسلط الضوء على هذه، ويقولوا فلان ختنه، ويختاروا احد أسماء البيت الأموي، جرياً على عادة وضاع السيرة، مثلاً حليمة أرضعته، وسيطح وسيف بن ذي يزن يعلمان ولادته ونبوته، وورقة بن نوفل، علمه الوحي، وآخر أشار عليه بتبديل موقع المعركة، ولا يقول قائل هذا فيه نص قرآني جاء في قوله تعالى هذا في غياب النبي ﷺ وآل بيته، وفي حالة وجودهم هذا يبطل، لا يجوز النقاش مع النبي ﷺ ولا المعصوم، بدليل انه مسدد من الله، ثم نحن لا نستطيع مناقشة مراجع الدين في فتاواهم، فـــ لا يجوز الاعتراض على فعل النبي محمد ﷺ .

الملاحظ على سند الرواية فيه، يونس بن عطاء المكي، وقد بحثنا عنه ولم نجد له ذكراً، سوى ما أشارت له المصادر إلى يونس بن عطاء الصدائي فالتبس الأمر على الباحث، لولا ذكر ابن كثير له انه، يونس بن عطاء بن عثمان بن ربيعة بن زياد بن الحارث الصدائي، ثم ساق سلسلة السند نفسها الذي ذكرها ابن سعد، وكذلك الحديث نفسه[٢] وعندما تيقن الباحث منه، وجده روى عن حميد الطويل أحاديث موضوعة[٣] روى العجائب، لا يجوز الاحتجاج به[٤].

والحكم بن أبان العدني، نسبة إلى عدن وهم جماعة مشهورون[٥] قال عبد الله بن المبارك: الحكم وحسام وأيوب بن سويد أرم بهؤلاء، ومن أحاديثه عن النبي ﷺ قال "لولا ما طبع الله من الركن من أنجاس الجاهلية وأرجاسها وأيدي الظلمة والأئمة لاستشفى به من كل عاهة ولالفاه اليوم كـــ هيأة يوم خلقه الله عز وجل "لا يتابع عليه إلا بإسناد فيه لين[٦] وثقة أحمد ويحيى[٧] صاحب سُنة إذا هدأت العيون وقف في البحر إلى ركبتيه يذكر الله وكان سيد أهل اليمن عاش ثمانين سنة توفي سنة ١٥٤هـــ [٨] صدوق عابد وله أوهام [٩] وعلى ذلك اعتراض كيـــف يكون

---

١ ابن سعد : طبقات ١٠٣/١ .
٢ البداية ٣٢٤/٢ .
٣ أبو نعيم الأصفهاني : كتاب الضعفاء /١٦٦ .
٤ الذهبي : ميزان ٤٨٢/٤ ، ابن حجر : لسان الميزان ٣٣٣/٦ .
٥ ابن ماكولا : إكمال ٤٠٣/٦ .
٦ العقيلي : ضعفاء ٢٥٥/١ .
٧ ابن شاهين : تاريخ أسماء الثقاة /٦٢ .
٨ الذهبي : من له رواية ٣٤٣/١ .
٩ ابن حجر : تقريب التهذيب ٢٣٠/١ .

ثقة صدوق عابد، وقبال ذلك له أوهام، وهذا يمثل طعن فيه يفقده المميزات التي أطلقت عليه.

وأما عكرمة مولى ابن عباس ففيه طعون [١] .

الثانية: رواها الطبراني، ت ٣٦٠هـ عن محمد بن أحمد بن الفرج الابلي المؤدب عن سفيان بن محمد المصيصي عن هشيم عن يونس بن عبيد عن الحسن البصري عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: من كرامتي على ربي أني ولدت مختوناً ولم ير أحد سوأتي [٢] من دون أن يناقش في السند، ولكن انقلبت الأمور، عندما أورد الحديث نفسه والسند نفسه، في المعجم الصغير فـ قال: لم يرو هذا الحديث عن يونس إلا هشيم تفرد به سفيان بن محمد الفزارى [٣] وهو متهم به [٤]

وطعن به ابن حجر بـ الراوي المصيصي فـ قال: كان يسرق الحديث ويسوي الأسانيد، روى عن منصور بن سلمة ولا بأس بـ منصور، عن جابر حديث إذاً رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه [٥] وروى حديث يا فاطمة أني زوجتك سيداً في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين أني لما أردت أزوجك أمر الله جبريل أن يصف الملائكة وأمر شجر الجنان فحملت الحلي والحلل [٦] وهذا كذب، سمع منه أبو حاتم وأبو زرعة وتركا حديثه، وهو ضعيف الحديث، روى عن ابن وهب وابن عيينة أحاديث موضوعة، ليس بـ شيء، ضعيفاً سيء الحال في الحديث وقال مرة لا شيء، ليس من الثقاة له أحاديث لا يتابعه عليها الثقاة فيها موضوعات [٧] السؤال هنا هل ان الرجل مطعون به فعلاً ؟ أم انهم طعنوا به لأنه مدح أمير المؤمنين (ع) وقدح معاوية .

هو الذي روى حديث الرعدة التي أصابت الزهراء (عليها السلام) صبيحة العرس، قال ابن عدي: وهذا عن الثوري الثوري بهذا الإسناد باطل منكر رواه سفيان بن محمد هذا عن عبيد الله بن موسى عن سفيان وعبيد الله ثقة [٨] ونحن نتفق معه عن بطلان حديث الرعده .

---

١ للتفصيلات ينظر المحمداوي : عكرمة مولى ابن عباس /

٢ المعجم الأوسط ١٨٨/٦ ، ينظر : ابن عساكر : تاريخ ٤١٢/٣ ، ابن كثير : السيرة النبوية ٢٠٩/١ ، المتقي الهندي : كنز العمال ٤١١/١١ ، السيوطي : الجامع الصغير ٥٤٦/٢

٣ المعجم الصغير ٥٩/٢ ، ينظر الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٣٤٧/١

٤ الهيثمى : مجمع الزوائد ٢٢٤/٨

٥ رواه الطبري : تاريخ ١٨٦/٨

٦ رواه الخطيب البغدادي فـ قال " غريب جدا تفرد به أبو الأخيل بهذا الإسناد وقد تابعه بعض الناس فرواه عن عبيد الله كذلك " تاريخ بغداد ٣٥٢/٤ ونقله ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ١٢٩/٤٢ ، ولم يعلق عليه مكتفياً بما قاله الخطيب

٧ لسان ٥٤/٣ .

٨ ابن عدي : الكامل ٤١٩/٣

مما تقدم براءة الرجل وانه لم يكن كذاباً ولا ضعيفاً، وما قيل بحقه هو طعن مذهبي، لأنه روى فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وهذه طعون مذهبية لا نرتب عليها اثر .

وعلق عليه ابن عساكر بـــ قوله " وهذا إسناد فيه بعض من يجهل حاله وقد سرقه ابن الجارود وهو كذاب فرواه عن الحسن بن عرفة "[1] وعلق عليه ابن كثير بقوله " هذا الحديث في صحته نظر، وادعى بعضهم صحته لما ورد له من طرق حتى زعم بعضهم أنه متواتر، وفي هذا كله نظر "[2] وهذه شهادة مجروحة، ابن كثير في اعتقادنا من الناس الذين لا تقبل شهادتهم، اذا خالف ما نعتقده، وهو مصدر من مصادر الوضع والافتراء على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآل بيته، ونطالبه بدليل، عندما رفض الرواية، ما هو مسوغه للرفض ؟ وما حجته ؟ ما هي المآخذات التي سجلها؟ لم نجد شيء من ذلك، وكل الذي وجدناه القاء تهم، ورفض الروايات التي تنزه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما نطق به الرجل يمثل خط أتباعه موجودين إلى اليوم جل همه ثلب النبي بمثالب موجود في الطرف المخالف ويلقونها عليه لإضفاء طابعاً شرعياً على عملهم، بحجة إن نبي الله فعلها، ثم لماذا لا يعترض على عبد الله بن صياد الذي ولد مختوناً مسروراً [3] الباحث لم يتأكد من صحة المعلومة وإنما ذكرها شاهد لا غير، هذا ولم نعرف ما هو إشكال ابن كثير على صحة ذلك، فهل انه يستكثر على نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم إن يولد مختون، وهذا حدث ويحدث حتى مع عوام الناس .

وهناك من صحح السند فقال: سند الحديث جيد، صححه الحافظ ضياء الدين المقدسي، من حديث ابن عمر رواه ابن عساكر، وجزم بولادته مختوناً، جماعة من العلماء منهم هشام بن محمد بن السائب، في كتاب الجامع، وابن حبيب في المحبر، وابن دريد في الوشاح، وابن الجوزي في العلل والتلقيح، وقال الذهبي " ما أعلم صحة ذلك فكيف يكون متواتراً، وأجيب باحتمال أن يكون أراد بتواتر الأخبار اشتهارها وكثرتها في السيرة، لا من طريق السند المصطلح عليه عند أئمة الحديث" [4] .

الرأي الثاني: ختنه جبريل عليه السلام وهذا ما رواه محمد بن عبد الله الحضرمي عن عبد الرحمن بن عيينة البصري عن علي بن محمد السلمي أبو الحسن المدائني عن مسلمة بن محارب بن

---

١ تاريخ دمشق ٣/٤١٤ .
٢ البداية ٢/٣٢٤ .
٣ المزي : تهذيب الكمال ٢١/٢٥٠
٤ الصالحي الشامي : سبل الهدى ١/٣٤٧ .

مسلم بن زياد عن أبيه عن أبي بكرة، قيل لا يروى هذا الحديث عن أبى بكرة إلا بهذا الإسناد تفرد به [١] .

وعلق ابن كثير على هذا الحديث أنه غريب جداً[٢] وقال الهيثمي: فيه عبد الرحمن بن عيينة وسلمة بن محارب ولم أعرفهما، وبقية رجاله ثقاة[٣] ورواه الخطيب البغدادي عن أبي بكرة موقوفاً، ولا يصح سنده، وقال الذهبي: إنه خبر منكر[٤] .

وكأن السيوطي مال إلى قبوله مشيراً بقرينة إن جبريلعليه السلام ختن الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام وقد ثبت ذلك حسب قوله [٥] وهذه معلومة فيها شيء من الصحة، على الرغم من إننا نشكل عليها لقول الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لما ولد الرضا عليه السلام قال: إن ابني هذا ولد مختوناً طاهراً مطهراً، وليس من الأئمة أحد يولد إلا مختوناً طاهراً مطهراً، ولكن نمر الموس (أداة الختان) عليه لإصابة السنة وأتباع الحنيفية [٦] .

لكن الملازمة هذه، وهذا القياس غير صحيح، وليس كل ما جرى عليهم جرى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الرغم من المطابقة في بعض الأمور، وأصل الحديث، هو أبو بكرة الثقفي البصري، بحثناه بشكل مستقل، ولم ينشر البحث بعد، ومن ذلك ظهرت لمست أهل البصرة على الحديث .

الرأي الثالث: ختنه جده عبد المطلب، قاله ابن عباس: ختنه في اليوم السابع وجعل له مأدبة، قال يحيى بن أيوب ما وجدنا هذا الحديث عند أحد إلا عند ابن أبي السري العسقلاني [٧] أتضح من هذا القول، أن صاحبه رافض الرواية .

وهو قول يحيى بن أيوب بن بادي العلاف الإمام، المحدث، الحجة، الفقيه، أبو زكريا، المصري العلاف، كان شيخا آدم – شديد الادمة – أعور، ثقة، بصيراً بـــ الفقه، فقيه أهل مصر، مات في المحرم سنة ٢٨٩هـــ، وكان مسناً من أبناء التسعين [٨] صدوق [٩] صالح [١٠] .

---

١ الطبراني : المعجم الأوسط ٧٠/٦
٢ البداية ٣٢٤/٢ .
٣ الهيثمى : مجمع الزوائد ٢٢٤/٨
٤ الصالحي الشامي : سبل الهدى ٣٤٧/١
٥ تنوير الحوالك/١٧٠
٦ الصدوق : كمال الدين /٤٣٣
٧ ابن حبان : الثقاة ٤٢/١ ، ابن الأثير : أسد الغابة ١٤/١
٨ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٤٥٣/١٣
٩ الذهبي : الكاشف من له رواية في كتب الستة ٣٦١/٢
١٠ ابن حجر : تهذيب التهذيب ١٦٣/١١

ولا نعرف ابن أبي السري صاحب الحديث، لعله الحسين بن المتوكل بن عبد الرحمان بن حسان الهاشمي، مولاهم، وهو ابن أبي السري العسقلاني، كذاب، وضعيف، يخطئ ويغرب، مات سنة ٢٤٠هـ [١] .

وقال ابن كثير: ختنه جده وعمل له دعوه جمع قريش عليها [٢] ولم يعترض كـ اعتراضه على الروايات الصحيحة الدالة على ولادته مختوناً مسروراً، على القارئ المنصف إن ينظر إلى ما يرنو إليه الرجل، الأخيرة لم يعترض عليها، لأنها تخدم توجهه، وهو إن النبي محمد ﷺ شخص عادي مثله مثل غيره يصيب ويخطئ ويختن مثلما تختتن العوام .

وقبال ذلك رفض القرطبي رواية ختن عبد المطلب له فقال: هذا حديث مسند غريب [٣]

بعد عرض الآراء الثلاث نحن مطالبون بترجيح احدهم، ولو إننا رجحنا ما هو الأصح، انه ولد مختوناً مسروراً على اقل تقدير أسوة ببعض الأنبياء، الذين ولدوا كذلك، علما انه النبي الخاتم، والأفضل .

وقد حرم الشرع نظر الرجل إلى عورة الرجل إلا في بعض المواضع تبيحه الضرورات، منها قول النبي ﷺ " لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة"[٤] وقال الشافعي: عورة الرجل كعورة المرأة [٥] وهذا الأمر كرههُ النبي ﷺ فـ أوصى أمير المؤمنين عليه السلام أن يقوم بعملية غسله حتى لا يرى أحد عورته [٦] .

رضاعته

قلنا فيما سبق وما زلنا نقول إن كتّاب السيرة المحمدية أشبعوها قصصاً وخرافات ومنامات وغيبيات، حتى أصبحت كل صفحة سطروها شبهة تستوجب الرد، وحبذا ممن خانه التعبير أو ضاعت عليه المعلومة يعود إلى تصحيحها بعد أن يثق إنها خاطئة وهذا ليس عيباً، إنما العيب على من سار على الخطأ، وننوه في هذا الجانب إلى التعامل مع سير الأنبياء ليس بـ الأمر السهل، وليكن في حساب الجميع إن ما كتبته أقلامهم وتكتبه الآن ممكن أن تدخلهم جهنم من حيث لا يشعرون، على سبيل وضع تهم كثيرة وشبهات

---

١ ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ٣٣٠/١٤ ، المزي : تهذيب الكمال ٤٦٨/٦
٢ ابن كثير : البداية ٣٢٤/٢ .
٣ القرطبي : تفسير ١٠٠/٢
٤ المحقق الحلي : المعتبر ١٢١/١
٥ الطوسي : الخلاف ٣٩٣/١
٦ ابن سعد : الطبقات الكبرى٢٧٨/٢

أكثر، في سيرة الحبيب المصطفى ﷺ ومنها شبهة الرضاعة، إذ صيروه رضع أكثر من مرضعة، منها:

أولاً: انه رضع من صدر عمه أبي طالب، لأنه بقى أياماً من دون حليب، فضمه إلى صدره وانزل الله بها لبناً كرامة له، والمحزن في الأمر ورود الرواية عند الكليني وقد درسناها متناً وسنداً، فوجدنا ضعفها في احد الرواة، وإذا نظر إليها ناظر بتأمل ويرى معجزات النبي ﷺ لا يستغرب منها، لكن بما إنها محل شبهة فنحن من الرافضين لها [١].

ثانياً: أول لبن رضعه بعد لبن أمه هو لبن ثويبه مولاة أبي لهب، التي أرضعت حمزة بن عبد المطلب، وجعفر بن أبي طالب، وأبا سلمه بن عبد الأسد المخزومي [٢] ذهب إلى ذلك النووي فـ قال: ثبت انه رضع منها أياماً وأرضعت معه أبا سلمة بلبن ابنها مسروح وأرضعت معهما حمزة واختلف في إسلامهما [٣] .

ولم نعرف أوجه الثبات في رواية مكذوبة كهذه، وقد نفى صحتها عمر حمزة الذي يكبر النبيﷺ في سنتين أو أكثر، وجعفر اصغر منه بكثير، علماً إن حمزة عمهما، وكأن الرواية موجهة لرفع منزلة أبي لهب لأن خادمته أرضعت النبي ﷺ .

وروى أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أبى سلمة عن أم سلمة قالت للنبي ﷺ: بلغني انك تخطب درة ابنة أم سلمة بنت أبى سلمة فقال: لو كانت تحل لي تزوجتها قد أرضعتني وإياها ثويبة [٤] وكانت امرأة كافرة قبل قدوم حليمة [٥] يقال اعتقها أبي لهب لما بشرته بولادة النبي ﷺ [٦] وهذا جزء من تزيين سيرة الأخير .

كما ذكرت الرواية وجود ثلاثة إخوة له من الرضاعة، وهو رابعهم إذاً كم هي الكمية التي تحملها من الحليب ؟ إذا كان الذين يرضعون فيها أربعة، فـ هؤلاء بحاجة إلى خزان كامل سعة طن من الحليب لإشباعهم، وهذا الأمر معروف في عالم الحيوان وليس له وجود في تاريخ الإنسانية .

---

١ المحمداوي : ابو طالب /٥٣

٢ اليعقوبي : تاريخ ٩/٢ .

٣ المجموع ١٨/ ٢٢٨

٤ ابن حنبل : مسند ٢٩١/٦

٥ أحمد المرتضى : شرح الأزهار ٥٥٨/٢

٦ البكري الدمياطي : إعانة الطالبين ٣٦٨/٤

وروى عمارة بن ثوبان عن أبى الطفيل قال رأيت النبي (ص) يقسم لحماً بـــ الجعرانة [١] فجاءت امرأة فبسط لها رداءه فقلت من هذه قالوا أمه التي أرضعته [٢] السند فيه عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمير الكنانى الليثى، هو بكنيته أشهر ولد عام أحد وأدرك من حياة النبي (ص) ثمان سنين سكن الكوفة ثم انتقل إلى مكة، من أصحاب أمير المؤمنين (ع) المحبين له شهد معه مشاهده كلها، ثقة مأموناً يعترف بفضل أبى بكر وعمر وغيرهما إلا انه كان يقدمه عليهما توفى سنة ١٠٠هـــ وقيل ١١٠هـــ وهو آخر من مات ممن رأى النبي (ص) [٣] .

المعروف إن معركة أحد وقعت سنة ٣هـــ أي تاريخ ولادته، وشاهد النبي (ص) في فتح مكة سنة ٨هـــ، بناء على ما ورد في الرواية، وبهذا يكون عمره ٥ سنوات وهو صبي غير مميز، لا يصح النقل عنه في أعطاء تفصيلات دقيقة حول وصف الحبيب المصطفى، والغريب عرفوا جل صفاته إلا ملابسه ما عرفوها، وكيف عرفوا سواد شعره ورأسه مغطى، وهذا يتناقص وما قيل إدراكه إياه لثمان سنوات .

ثالثاً: أرضعته حليمة السعدية، وفيها روايات منها رواية ابن إسحاق إنه رضع منها مباشرة وهذا ما جاء بقوله: عندما ولد جاء جده عبد المطلب إلى أمه والتمس له الرضعاء واسترضع له حليمة أبنت أبي ذؤيب[٤] وإخوته من الرضاعة عبد الله، وأنيسة، وحذافة أبناء الحارث، والأخيرة هي الشيماء غلب عليها ذلك ولا تعرف في قومها إلا به، وهي لحليمة أم رسول الله، وذكروا إن الشيماء كانت تحتضه مع أمه إذا كان عندهم [٥] والغريب لم نعرف ابن حليمة التي أرضعت النبي محمد ﷺ من حليبه، وإذا كانت الشيماء رضيعة مثله، كيف كانت تحتضنه ؟ علماً إن حليمة أرضعت أربعة في آن واحد .

وعلى رواية أرضعته بعد ثويبة، بلبن ابنها عبد الله أخى أنيسة وجذامة، وهى الشيماء أولاد الحرث بن عبد العزى بن رفاعة السعدى [٦] ولم يثبت لدينا انه رضع منها بل هو وهماً، وعليه يثار تساؤل إذا صحت رضاعته هذه لماذا لا يستمر معها ؟ وما هو المبرر لتبديل المرضعة .

---

١ ماء بين الطائف ومكة ، وهي إلى مكة أقرب ، نزلها النبي (ص) لما قسم غنائم هوازن مرجعه من غزاة حنين وأحرم منها وله فيها مسجد ، وبها بئار متقاربة . ياقوت الحموي : معجم البلدان ١٤٢/٢ .

٢ ابن الأثير : أسد الغابة ٩٦/٣

٣ ابن الأثير : أسد الغابة ٩٦/٣ .

٤ ابو ذؤيب ، ابن الحارث بن شجنه بن جابر بن رزام بن ناصرة بن قيبصة بن نصر بن سعد بن بكر بـــن هـــوازن بـــن منصور بن عكرمة بن خفصة بن قيس عيلان بن مضر ٠ ابن اسحاق : السير /٤٨ .

٥ السير /٤٨ .

٦ النووي :المجموع ١٨/ ٢٢٨

وفي رواية ثانية نقلها احمد عن يونس عن ابن إسحاق قال " حدثني جهم بن أبي جهم ــ مولى لأمراة من بني تميم كانت عند الحارث بن حاطب، فكان يقال مولى الحارث قال حدثني من سمع عبد الله بن جعفر الطيار قال حدثت عن حليمة أم رسول الله ﷺالتي أرضعته قالت: قدمت مكة في نسوة من بني سعد بن بكر نلتمس بها الرضعاء وفي سنة شهباء [١] فقدمت على أتان [٢] لي قمراء – بيضاء– كانت أذمت بالركب – يعني تأخرت – ومعي صبي لنا، وشارف [٣] والله ما ننام ليلنا ذلك اجمع مع صبيانا ذاك، ما نجد في ثديي ما يغني، ولا في شارفنا ما يغذيه، فقدمنا مكة، فــ والله ما علمت منا امرأة إلا وقد عرض عليها ــ رسول الله ﷺــ فإذا قيل انه يتيم تركناه وقلنا، ماذا عسى ان تصنع إلينا أمه إنما نرجو المعروف من أبي الوليد، فــ والله ما بقي من صواحبي امرأة إلا أخذت رضيعاً غيري، فلما لم أجد غيره، قلت لزوجي: والله إني اكره ان ارجع من بين صواحبي ليس معي رضيع، لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلأخذنه قال :لا عليك، فأخذته وبعد كلام طويل رأت فيه دلائل النبوة، ثم أرجعته إلى أمه فلما رأته، قلنا لها: يا ظئر دعينا ببنينا هذه السنة، فانا نخشى عليه أوباء مكة، فو الله ما زلنا بها حتى قالت: فنعم فسرحته معنا [٤] .

ينقض هذه الرواية جملة أمور منها:

١– الملاحظ على السند كله مطعون فيه سيما احمد بن عبد الجبار العطاردي ويونس بن بكير، وابن إسحاق، فــ المعروف عن الأخير الإرسال عن النبي محمد ﷺ لكنه في هذه الرواية حاول أن يصنع سنداً مخلوقاً رفعه إلى عبد الله بن جعفر الطيار، لكنه عجز أن يوصله للنبي محمد ﷺ فعطفه على هذا الرجل جهم بن ابي جهم مولى لأمراة من تميم، فلا نعرف من هي المراة ؟ ويقال مولى الحارث حدثه من سمع عبد الله يا ترى منه الذي سمع عبد الله لا نعرفه ؟ .

٢–إذا كانت الرواية السابقة أشارت إلى التماس مرضعة لمحمد ﷺ فان هذه الرواية ذكرت ان حليمة هي التي خرجت تبحث عن طفل ترضعه لتحصل على اجر لأن سنة ولادته كانت سنة قحط حسب تعبير الرواية، التي صورته كأنه طفل غير مرغوب فيه، لأنه يتيم لأمه والمرضعة ترجو ان تنال عطاء أبيه، فلأجل يتمه تركنه المرضعات، وبعد أن يأست من حصولها على رضيع قبلت بالقليل فأخذته، وهذا أمر مردود لأن جده عبد المطلب تولى رعايته، وهو سيد قريش

---

١ ذات قحط وجدب . والشهباء : الأرض البيضاء التي لا خضرة فيها لقلة المطر ، من الشهبة ، وهي البياض ، فسميت سنة الجدب بها . ابن منظور : لسان العرب ٥٠٩/١

٢ الحمارة ، ولا تقل أتانة . الصحاح : الجوهري ٢٠٦٧/٥

٣ ناقة مسنة ٠ الجوهري : الصحاح ١٣٨٠/٤

٤ السير /٤٨ .

وزعيمها [١] أليس بإمكانه أن يعط المرضعة حتى ترضى ؟ ومن دواعي الفخر والسرور أن تربي المرضعة حفيد رئيس القوم وهذا شرف لا يضاهية شرف في الدنيا، والأكثر من ذلك قدرته على جمع كل نساء قريش وجواريها لرضاعة النبي محمد ﷺ فلم يقبل بهن [٢] مع علمنا بعدم صحة الرواية وإنها منحولة سنورد ضعفها تباعاً .

٣- أشارت الرواية إلى كراماته ﷺ لكنها محصورة ومقصورة على حليمة فقط، منها ان ثدييها درا بالحليب، وأغنامها شبعت وازداد حليبها، في حين ان سنة ولادته كانت سنة مجدبة، والخير عم حليمة فقط من دون باقي الأمة [٣]وهذا يتعارض مع قوله تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } [٤] فمولده رحمة ورسالته رحمة وهذه الرحمة للناس كافة، والغريب ما نصت عليه الرواية، ان حليمة ما وجدت في ثدييها ما يشبع الطفل كيف خرجت تبحث عن رضيع، ماذا تعطيه، .

٤-ينتفع من الرواية إن أمه ﷺ كانت على قيد الحياة وعمره الشريف سنتان بدليل قدومه وحليمة عليها وهو بهذا العمر، إذ خافت عليه من أوبئة مكة، وهذا عليه مشكل لاختلاف الروايات حول وفاتها، منها ما يفيد أنها توفيت وهو ابن أربع شهور، وربما هذا هو الراجح وإلا كيف يعطى لمرضعة على الرغم من وجود أمه، والمشكل الآخر ان مكة خالية من الأوبئة لأنها تقع في منطقة جافة مناخها قاري حار جداً في الصيف وهذا المناخ جعلها صحيحة خالية من الأوبئة ولا سيما الملاريا التي كان يعاني منها سكان المناطق ذات المياه الوفيرة كخيبر ويثرب[٥] إذاً رواية إرساله إلى البادية للخلاص من الأوبئة حجة ساقطة، لخلو مناخ مكة منها .

رواية اليعقوبي: أشارة إلى رضاعته ولم تشر إلى هذه التفصيلات فـ قالت: واسترضع في بني سعد بن بكر بن هوازن، وكان عبد المطلب دفعه إلى الحارث بن عبد العزى زوج حليمة بنت أبي ذؤيب السعدي، فلم يزل مقيماً عندهم يرون به البركة في أنفسهم وأموالهم حتى شق بطنه[٦] وهذه عليها مشكل، لأن الرضاعة سنة واحدة، فما الذي أبقاه هناك، على اعتبار حادثة شق صدره حصلت وهو في عمر خمس سنوات ؟ وهي مفتراة لا صحة لها وسنطرقها لاحقاً .

---

١ المحمداوي : عبد المطلب بن هاشم ، دراسة في رئاسته على قريش ، مجلة دراسات تاريخية ، ع ٩ ، السنة ٢٠١٠ ، ص ٣٩

٢ القمي : الفضائل /٢٤ – ٣١ .

٣ ابن إسحاق : السير /٤٨ .

٤ الأنبياء١٠٧ .

٥ العلي : محاضرات /

٦ تاريخ اليعقوبي ١٠/٢

رواية القمي عن القواقدي: الذي حاول أن يبرر رضاعة النبي من حليمة بسبب وفاة أمه (ع) فـ قال: لما أتى على رسول الله ﷺ أربعة أشهر ماتت أمه آمنة(ع) فبقي النبي ﷺ بلا أم ولا أب يتيماً في حجر جده عبد المطلب فاشتد عليه موت آمنة ليتم محمدﷺ فلم يأكل ولم يشرب ثلاثة أيام فبعث إلى بناته عاتكة وصفية وقال لهما خذاه وهو لا يزداد إلا بكاء ولا يسكن وكانت عاتكة تلعقه عسلاً صافياً ولا يزداد إلا تمادياً في البكاء، فضجر عبد المطلب فصار لا يتهنأ أن ينظر إليه وهو في تلك الحالة فقال لأبنته عاتكة احضري نساء قريش فلعله يقبل ثدي واحده منهن، فبعثت الجواري والعبيد نحو نساء بني هاشم وقريش ودعتهن إلى إرضاع النبي ﷺ فجئن إلى عاتكة واجتمعن عندها في ٤٦٠ جارية من بنات صناديد قريش واصل بني هاشم فتقدمت كل واحده ودفعن أراد إنهن عن رسول الله ﷺ ووضعوا ثديهن في فمه فما قبل واحدة وبقين متحيرات[١] .

وكان عبد المطلب جالساً فأمر بإخراجهن والنبي ﷺ لا يزداد إلا بكاءً وحزناً لغيبة اللبن عنه فخرج عبد المطلب من الدار مهموماً مغموماً إلى الكعبة وقعد عند أستارها ورأسه بين ركبتيه كأنه امرأة ثكلى، فـ قال له عقيل بن أبي وقاص اقبل وهو شيخ من قريش وأسنهم قال له: مالي أراك هكذا، فـ أخبره الخبر وقال: أنا لا أتهنأ بطعام ولا شراب محزون عليه، وذلك انه ما من امرأة إلا وبها عيب وان محمد لا يقبل ثدي من بها عيب فلهذا امتنع فتحيرت وانقطعت حيلتي فقال عقيل: إني لأعرف في ٤٤ صنديد من صناديد العرب امرأة عاقلة أفصح لساناً وأصبح وجهاً وارفع حسباً ونسباً وهي حليمة بنت أبي ذؤيب ... فقال عبد المطلب يا سيدي وسيد قريش لقد نبهتني بأمر عظيم وفرجت عني ثم دعا غلام اسمه شمردل وقال له قم يا غلام واركب ناقتك واخرج نحو حي بني سعد من مكة على ١٨ ميلاً في طريق جده فذهب الغلام ٠٠٠فلحق بهم وإذا خيمتهم من مسح [٢] وخوص وكذلك خيم الإعراب في البوادي، فدخل شمردل الحي وسأل عن خيمة عبد الله بن الحارث فأعطوه الأثر فذهب إليه وإذا بخيمة عظيمة رضية زاجة في الهواء من خوص على بابها غلام اسود فاستأذن في الدخول فدخل وقال انعم صباحاً يا أبا ذؤيب فحياه عبد الله وقال له: ما الخبر فقال: اعلم يا سيدي إن مولاي قد وجهني نحوك وهو يدعوك فان رأيت أن تجيبه فافعل، قال السمع والطاعة، فـ اخرج منها جوشنه فأفرغه على نفسه، فاخرج بعد ذلك درعاً فاصلاً فأفرغه على نفسه فوق جوشنه واستخرج بيضة عادية فقلبها على رأسه وتقلد بسيفين واعتل رمحاً ودعا بنجيب فركبه كالدكة وجاء نحو عبد المطلب فلما دخل تقدم شمردل

---

١ الفضائل /٢٤ – ٣١ .

٢ لم نعرف هذا بحثنا عنه ولم نجده .

واخبر عبد المطلب، فلما رآه استقبله وعانقه وصافحه وأقعده على جنبه والزق ركبتيه بركبتيه ولم يتكلم حتى استراح ثم قال له: أتدري بماذا دعوتك ؟ قال: يا سيدي وسيد قريش ورئيس بني هاشم حتى تقول فاسمع منك واعمل بأحسنه ثم قال: اعلم إن نافلتي محمد بن عبد الله مات أبوه ولم يبن عليه اثر ثم ماتت أمه وهو ابن أربعة أشهر وهو لا يسكن من البكاء إلى اللبن وقد عرضت عليه ٦٤ جارية من اشرف واجل بني هاشم فلم يقبل لواحدة منهن لبنا والآن سمعنا إن لك بنتاً ذات لبن فان رأيت أن تنقذها لترضع ولدي فان قبل لبنها فقد جاءتك بأسرها وعلى غناك وغنى اهلك وعشيرتك وان كان غير ذلك ترى مما رأيت من النساء غيرها فافعل ففرح عبد الله فرحاً شديداً ثم قال: إن لي بنتين فأيهما تريد قال: أريد أكملها عقلاً وأكثر لبناً وأصون عرضاً، فقال هاتيك حليمة لم تكن كأخواتها بل خلقها الله تعالى أكمل عقلاً وأتم وأفصح لساناً واثج لبناً واصدق لهجةً وارحم قلباً منهن جميعاً فقال عبد المطلب: إني ورب السماء ما رأيت إلا تلك فقال عبد الله السمع والطاعة فقام من ساعته واستوي على متن جواده واخذ نحو بني سعد بعد أن أضافه فلما وصل منزله دخل على حليمة وقال لها ابشري فقد جاءتك الدنيا بأسرها فقالت ما الخبر قال اعلمي إن عبد المطلب سألني إنفاذك إليه لترضعي ولده وتبشري بالعطاء الجزيل، ففرحت بذلك وقامت من وقتها وساعتها واغتسلت وتطيبت وتبخرت وفرغت من زينتها فلما ذهب من الليل نصفه قام عبد الله وزين ناقته وكانت مشرفه فركبت عليها حليمة وركب هو فرسه وكذلك زوجها بكر بن سعد السعدي وخرجوا من دارهم في داج من الليل فلما أصبحوا كانوا على باب مكة ودخلوها وذهبت حليمة إلى دار عاتكة وكانت تلاطف محمداً ﷺ وتلعقه العسل والزبد الطري فلما دخلت سمع عبد المطلب بمجيئها جاء من ساعته ووقف بين يديها ففتحت جيبها وأخرجت ثديها الأيسر، وأخذت رسول الله ﷺ فوضعته في حجرها ووضعت ثديها في فمه وهو يترك ثديها الأيسر ويضطرب إلى الأيمن فأخذته منه ووضعت الأيسر في فمه، وذلك كان جهاماً لم يكن فيه لبن، وخافت إذا مصه ولم يجد فيه شيئاً لا يأخذ بعده الأيسر فيأمر عبد المطلب بإخراجها، فلما ألحت عليه، صاحت عليه يا ولدي مص الأيمن حتى تعلم انه سيكون جهاماً يابساً لاشيء فيه، فضبط على ثديها واخرج خلف الأيمن حتى امتلأت فانفتح باللبن حتى ملأ شدقيه كفم رأس الزق بأمر الله تعالى وببركته ﷺ فضجت حليمة وقالت واعجباً منك يا ولدي وحق رب السماء ربيت بثدي الأيسر ١٢ ولداً، وما ذاقوا من ثدي الأيمن شيئاً والآن قد انفتح ببركته وأخبرت بذلك عبد الله فأمرها بكتمان ذلك، فلما شبع ترك الخلف من ساعته فقال عبد المطلب: تكونين عندي نأمر لك بإفراغ دار بجنب داري وأعطيك كل شهر إلف درهم بيض ودست ثياب رومية وكل يوم عشرة أمنان خبز حواري ولحماً مشوياً، فلما سمع أبوها عبد الله ذلك أوحى لها

أن لا تقيمي عنده قالت يا أبا الحارث لو جعلت لي مال الدنيا ما أقمت عندك وتركت الزوج والأولاد فــ قال: إن كان هكذا فادفع إليك محمداً على شرطين أن تحسني إليه وتنوميه إلى جنبك وتدثريه بيمينك وتوسديه بيسارك ولا تنبذيه وراء ظهرك قالت: وحق رب السماء إني منذ وقع نظري عليه قد ثبت حبه في فؤادي فلك السمع والطاعة، ثم قال وإما الشرط الثاني أن تحمليه إليَّ في كل جمعه حتى أتمتع برؤيته فاني لا اقدر على مفارقته قالت افعل ذلك إن شاء الله تعالى فأمر أن تغسل رأسه فغسلته وزرفت جبينه ولفته في خرق السندس ثم إنه دفعه إليها واخذ أربعة آلاف درهم وقال لها تعالي يا حليمة نمضي إلى بيت الله الحرام حتى أسلمه إليك فيه فحمله على ساعده وأربعون ثوباً من خواص كسوته ووهب لها أربع جوار رومية وحلل سندس ثم إن عبد الله بن الحارث أتى بالناقة فركبتها حليمة وأخذت رسول الله ﷺ في حجرها وشيعه عبد المطلب خارج مكة ثم أخذته حليمة إلى جنبها من داخل خمارها فلما بلغت حي بني سعد كشفت عن وجهه فابرق من وجناته نور فارتفع في الهواء طولاً وعرضاً حتى التزق إلى عنان السماء فلما رأى الخلق ذلك لم يبق في حي بني سعد صغير ولا كبير ولا شيخ ولا شاب إلا استقبلوها وهنئوها بما رزقها الله من الكرامة الكبرى فذهبت إلى باب خيمتها وبركت الناقة وهو في حجرها فما وضعته عند الصغير إلا وحمله الكبير وما وضعته عند الكبير إلا وأخذه الصغير وذلك كله لمحبته فبقى عندها ترضعه وكانت تقول يا ولدي ورب السماء انك عندي لأعز ولدي ضمرة، يا قرة عيني أترى أعيش حتى أراك كبيراً كما رايتك صغيراً، وكانت تؤثره على أولادها جداً ولا تفارقه عن عينيها[1].

يُسجل على الرواية من ملاحظات :

أ- الطعن في الواقدي المعروف بالكذب وذم علماء الرجال له، وقد ناقشنا ذلك مسبقاً، وإنها لم ترد في المصادر المتقدمة أي أنها أحادية الجانب، وطويلة للغاية ويغلب عليها طابع الغيبيات، سيما في قضية الذئب والشاتين، التي حذفناها ولم نذكرها المراد من ذلك إظهار كرامات محمد ﷺقبل البعثة، وهذا أمر لا يجهله احد، لكن ما الموجب للكتمان إذا كان الله تعالى أراد إظهار أمره ؟ .

٢- أشارت الرواية الى عقيل بن أبي وقاص هو الذي وصف حليمة السعدية لــ عبد المطلب، وهذا عليه مشكل لان عقيل شخصية وهمية بحثنا عنها ولم نجد لها أية اثر، فضلاً عن ذلك ذكر في رواية أوردناها سابقا إن محمداً ﷺ عرض على عدة مرضعات

---

١ الفضائل /٢٤ – ٣١ .

فلم يقبلن به ليتمه، وان حليمة لم تحصل على طفل للرضاعة فقبلته، أفضل من أن ترجع خالية الوفاض .

٣-كانت حليمة متزوجة ولها أطفال، وقد غيب دور زوجها، ولم يكن له ذكر في الرواية، وكان الدور الرئيس لأبيها، أرسل عبد المطلب في طلبه، وهو المفاوض إن جازة التسمية وهو الذي اصطحبها إلى مكة، إما زوجها فهو المغلوب على أمره، ورد ذكره انه جاء معها وأبيها فقط، وقد وضع عبد الله أبو حليمة، الطيب على نفسه وتقلد بسيفين واتشح برمح ، ولبس درعه وبيضته، وكأنه قد خرج إلى معركة .

٤-أشارت الرواية إن ثدي حليمة الأيمن ضامر وغير عامل أي ليس فيه لبن، وإنما اللبن في الأيسر، الذي ارضعت به ثلاثة أخوة، وهو الرابع فهل باستطاعة المرضعة أن ترضع أربعة أطفال من ثدي واحد ؟ وإذا كان الأيمن فيه لبن لأرضعت ثمانية، والأكثر من ذلك قولها: إنها ربة في الثدي الأيسر اثني عشر ولداً، وللتعقيب على ذلك نقول: هذا أمراً لا يصدق، ولم يكن ثدياً، وإنما محطة تحلية مياه، أو خزان سعة طن .

والرضاعة من ثدي واحد ناقصة، بـــ دلالة ما قالته أم إسحاق بنت سليمان: نظر إليَّ الإمام الصادق (ع) وأنا ارضع أحد بني محمداً أو إسحاق فقال: لا ترضعيه من ثدي واحد وارضعيه من كليهما يكون أحدهما طعاماً والآخر شراباً [١] .

٥- العرض الذي قدمه عبد المطلب مغرياً، إذا وافقت حليمة على البقاء بقربه، قد يفوق حد التصور، وهذا يتطلب منا معرفة مصادر رزق عبد المطلب ومقدار ثروته، كم هي ؟ وهل تؤهله أن يعطي منها في كل شهر إلف درهم ودست ثياب رومية وكل يوم عشرة أمنان خبز ولحماً مشوياً ؟ هذا عليه مشكل هل عندها مطعم، أم إنها تريد أن تطعم فرقة عسكرية كاملة، ام عندها موكب لخدمة زوار أربعينية الإمام الحسين (ع) في كربلاء، هذا إذا ما علمنا ما أعطاها من الدراهم والملابس والمؤن، إن صح يدل على ثراء عبد المطلب، لكن السؤال أين ذهبت هذه الأموال ؟ ألم تتقاسمها الورثة ؟ وإذا تقاسموها لماذا يقولون إن النبي محمد ﷺ قليل المال، وأبو طالب فقير معدم؟[٢] وبخصوص اللحم العلم الحديث ثبت مضاره ولا سيما على الكلية، وارتفاع نسبة الدهون الضارة، ثم هي إنسان ولم تكن لبوة، تعتاش على اللحوم .

---

١ الكليني : الكافي ٦/٤٠ .

٢ المحمداوي : ابو طالب /٧٣ ،

٦-ذكرت الرواية لحليمة اثنان وعشرين رأس من الغنم، عندما أخذت محمد ﷺ ترضعه، ولما خرج منها إلى جده أصبح عدد مواشيها ألف وثلاثون [١] وللرد على ذلك نقول أين ترعى هذه المواشي، ومكة واد غير ذي زرع ؟ .

٧-أما عن شمردل فقد بحثنا عنه، ولم نجد شيئاً عنه سوى ما ورد معناه في اللغة انه الفتى القوي الجلد [٢] وربما هذا الذي أراده الراوي فاختلف لديه المعنى فجعله اسم رجل، ولم يرد اسمه في سيرة عبد المطلب إلا في هذه الرواية .

٨-ربما أريد من وجود مرضعة للنبي ﷺ الإساءة إلى مقام النبوة، إذ كان المشركون يقولون له " يا ابن أبي كبشة " نسبة إلى عمرو بن سعد زوج حليمة وقيل كان عم ولدها [٣] وقد بحثت عن ترجمة حليمة فلم أجدها وإنما عرفت من خلال رضاعتها له .

٩ -رضاعته بعمر أربعة شهور ينفي كونه رضع من حليب ثويبة، وقضية شرط عبد المطلب على حليمة توسدها يدها كذا وتدثره بـــ الأخرى، وتنومه إلى جنبها ولا تبنذه وراء ظهرها معناه الغى وجود زوجها لأنه هذا مكانه، أما اختيارها كان من أفكار عقيل بن ابي العاص، وليس عبد المطلب .

١٠ - ما المبرر للبحث عن مرضعة مع وجود أمه، أليس من الأجدر أن تتكفل رضاعته وتربيته؟ يرضع منها الحب والحنان، والأم أكثر حناناً على ابنها من غيرها، فقضية اختلاق مرضعة، قد تكون من التهم الملصقة بمحمد ﷺ لأنه لم يرضع إلا من حليب أمه، وفي الأمر تعريض لها، هذا ولا ندري هل أن إرسال الأولاد للمرضعات حالة موروثة في تاريخ العرب قبل البعثة؟ أم أنها سُنةٌ مبتدعة، وهل إن الرضاعة مقصورة على الذكور فقط أم على كلا الجنسين؟ وما الغاية منها مع وجود أم المولود، ووجود الحليب فيها ؟ .

١١- ما ذكرناه يتناقض مع ما قاله سيف بن ذي يزن إلى عبد المطلب: احذر عليه من خطر اليهود فأنهم أعدى الناس له ولن يجعل الله لهم سبيلاً عليه فاطو ما ذكرت لك عن هؤلاء الرهط الذين معك من قومك لا يأخذهم النفاسة أن تكون لك الرئاسة فيبتغون لك الغوائل وينصبون لك الحبائل وهم فاعلون وأبناؤهم وان عزهم فيه لقاهر وهلكهم فيه لظاهر [٤] وفي رواية حذره من

---

١ القمي : الفضائل /٣٠

٢ الفراهيدي : العين ٣٠٣/٦ .

٣ ابن ماكولا : اكمال ١٥٦/٧ .

٤ ابن حبيب : المنمق/ ٤٢٧

خطر قومه فقال: واحذر عليه من اليهود وقومك اشد منهم [١] وهذا ما حدث فعلاً كانت قريش اشد خطراً من كل البشر، علماً إن عبد المطلب وأبا طالب من اعرف العلماء وأعلمهم بشان النبيﷺ وكانا يكتمان الإيمان به عن الجهال وأهل الكفر والضلال [٢] وهذا عليه مشكل ويتعارض مع ضياعه من حليمة ورعايته ابل عبد المطلب وغيرها من الأمور المفتراة، هذه الأمور بحاجة إلى معالجة حقيقية من قبل المؤرخين .

١٢ – قال أمير المؤمنين (ع): ما من لبن يرضع به الصبي أعظم بركة عليه من لبن أمه [٣] وهو أفضل الألبان التي يرضعها الطفل [٤] وهنا تثار مشكلة إن النبي محمد ﷺ ومن نسل أطهار وقد بينا طهارة نسبه، هل نضمن طهارة حليب المرضعات ؟ ولا سيما فترة قبل البعثة وما نجم عنها من كثرة الاختلاط .

١٣ – ما موقف النبي ﷺ من مرضعاته ولا سيما عند وفاتهن ؟ لم نجد ما يدل على ذلك، وقد صنع ما لم يصنعه مع مربيته فاطمة بنت أسد (عليها السلام) [٥] .

١٤ – لا تصح رضاعة أي مرضعة له، إلا إذا قلنا بـــ وفاة أمه(ع) وهو رضيع، وعليه لا بد ان نصدق ما نقله القمي عن الواقدي قوله: فلما أتى على رسول الله ﷺ أربعـــة أشـــهر ماتـــت أمه[٦] وان نصدق ما قاله سيف بن ذي يزن، لعمبد المطلب يولد لك مولود يموت عنه أبوه وأمه ويكفله جده وعمه[٧] والبحث عن هذا الموضوع يجرنا الى دراسة وفاة أمه وهو بعيدٌ علينا.

وعن تقدير عمره الشريف عند وفاة جده سنة ثمان من الفيل فيها أقوال منها كـــان عمـــره ثمان سنين [٨] وهناك من أضاف على ذلك شهرين وعشرة أيام [٩] وقيل ابن عشر ســـنوات [١٠] كفله أبو طالب أحسن كفاله [١١] وهذه نوهنا عنها سابقاً وقلنا كفالة جده كانت كفالة إشـــراف، ومربيه وحامليه وكافله أبو طالب عليه السلام[١٢] .

---

١ اليعقوبي : تاريخ ١٢/٢
٢ الصدوق : كمال الدين /١٧١
٣ الكليني : الكافي ٤٠/٦ .
٤ الطوسي : النهاية /٥٠٣ .
٥ للتفصيلات ينظر المحمداوي : ابو طالب /٣٠
٦ الفضائل /٢٤
٧ ابن حبيب : المنمق/ ٤٢٧
٨ ابن إسحاق : السير /٦٦، الكليني : الكافي ٤٤٠/١، المفيد : مسار الشيعة /٥٠ ، الطوسي : مصباح /٧٩١ .
٩ ابن حبيب : المحبر /١٠ .
١٠ الطبري : تاريخ ٥٨٠/١ .
١١ الكراجكي : كنز /٧٢ .
١٢ المحمداوي : ابو طالب /٥٣

١٥ – وحتى نختم هذا المبحث لا بد من الإشارة إلى مدة بقائه عند حليمه، ورد في بعض الروايات إن صحت ما يفيد البقاء عندها وعائلتها يرون فيه البركة، حتى أتاه آت في صورة رجل، فشق بطنه، وغسل جوفه، فخافوا عليه وردوه إلى جده عبد المطلب وله خمس سنين، وقيل أربع سنين وهو في خلق ابن عشر سنين وقوته [١] وهذا ينقضه مدة الرضعة ٢١ شهرا أو سنتان [٢] .

شق صدره ﷺ

وهكذا استمر مسلسل القصص والخرافات التي لازمت تاريخ النبوة، وفي هذه المرة موضوعاً جديداً، وهي عملية جراحية وتداخل جراحي، أجريت له من دون مخدر وباستخدام شرائط وسكاكين، ومن الغريب إن العملية تمت في الصحراء وعلى العراء من دون غرفة عمليات، ولم يتوافر أي شيء من لوازم الجراحة، سوى جراحين اُختلف في عددهم، ولم نعرف هل أنهم يحملون بورد جراحة أم لا ؟ فالذي يطلع على الروايات يجد العجب العجاب، سجلنا عليها بعض نقاط الضعف ومنها :الأولى: تاريخ العملية لم يكن لها وقت معين، وإنما وضعت تواريخ، كلٌ منها لا يمت بصلة لغيرة، على سبيل المثال، تمت في اليوم الأول من ولادته [٣] وهذا أمر لا يصدق، طفل بهذا العمر تُجرى له عملية فتح قلب، أمر مستحيل، علماً إننا درسنا ولادته ولم نجد شيئاً من ذلك، بل وجدنا ازدحام الملائكة لزيارته بحيث منعوا عبد المطلب من رؤيته .

وقيل كان عمره حينها أربع أو خمس سنوات، لكنه يضاهي عمراً من كان ابن عشر سنوات وقوته [٤] وهناك اعتراض، بل سؤال هل هذه الصفة خاصة بـــ النبي محمد ﷺ أم متوافرة مع غيره من الرجال ؟ وهل هذه من الله سبحانه وتعالى أم صنعها بنفسه لنفسه، فـــ اذا كانت من الله هو قادر على ذلك، وعلى أن يعطيه ما يرد من دون أهوال العملية .

وجزم الواقدي إن عمره كان أربع سنين [٥] وهذا إن صح ينفي الرواية السابقة، ولكن من قال بهذا مطالب بتقديم الدليل على صحة دعواه، وهو مفقود .

وهناك من تحفظ على التاريخ فـــ وضع عنواناً عاماً فـــ قال قبل أن يوحى إليه[٦] وهذا عليه

---

١ اليعقوبي : تاريخ ١٠/٢

٢ الكليني : الكافي ٤١/٦ .

٣ الصدوق : كمال الدين /١٧٥ ، الامالي /٣٣٥ .

٤ اليعقوبي : تاريخ ١٠/٢

٥ ابن سعد : الطبقات ١١٢/١ .

٦ مسلم : صحيح ١٠١/١

مشكل لأنه عاش كثيراً قبل الوحي، فمتى حصلت له الحادثة في أي سنة؟ هذا ما تركته الرواية سائباً.

وقال آخر ليلة اسري به [1] وقيل بعد انتهاء العملية عرج به إلى السماء[2] وهذا يتطلب فرز دقيق بين حادثة الإسراء عن المعراج، على الرغم من الخلط الحاصل بينهما، هما حادثتان منفصلتان، والطامة الكبرى لم يعرف تاريخ محدد لهما، اذ تضاربت الروايات بينهما، فـ درسنا الموضوع بشكل مفصل، ولم تطبع الدراسة بعد، وقد أراد صاحب الرواية القول إن النبي محمد ﷺ أصبح جاهزاً طاهراً للقاء ربه بعد أخراج العلقة منه.

ثم ألا يرى القارئ البون الشاسع بين أول تاريخ للعملية وهو اليوم الأول للولادة، وتاريخ قبل الوحي، وكذلك التواريخ الأخر مثل ليلة الإسراء، أو ليلة المعراج، وأخيراً نحن نطالب وضاع الروايات أن يحددوا تأريخ معين لفريتهم هذه، ولكن هم أقل وأذل أن يرجحوا تأريخاً معيناً وبهذا أصبحت حجتهم واهية، وكانت سُبة عليهم، وبعد أن عرضنا الروايات وبينا تواريخ الحادثة، وبينا تناقضها نقول: على ماذا يدل هذا الاختلاف ؟ ألم يكن دليلاً على وضعها؟ .

الثانية: ما هو أسم الجراح الذي أجرى العملية؟ لم يحصل أتفاق عليه وكـ العادة تخبطت الروايات في الموضوع، قيل هو واحد فقط، كان رجلاً شاباً من أتم الناس طولاً وأشدهم بياضاً وأحسنهم ثياباً ما ظننته إلا عبد المطلب، هذا ما روته آمنة(ع)[3] ومعنى ذلك إن عبد المطلب طويلاً ابيضاً وهي من الصفات الحميدة، ولكن لم يحمل بورد جراحة، ومن دونه لم يستطع أجراء العملية، وان كان يملك بورد بمفردة لا يتمكن منها .

وعلى رواية أتاه آت [4] من دون تحديد هويته، إن كان من الإنس أم الجن؟ وهي لفظة عامة

وعلى لفظ عن النبي محمد ﷺ قال: أتاني آت فجعل يقول لصاحبه الأوسط بين الثلاثة، وهذا الأمر حصل في خرافة الإسراء عندما نزل جبريل(ع) ومعه ملائكة، فوجده ومعه أمير المؤمنين(ع) وغيره ولم يعرفوا الملائكة الشخص المقصود فـ قال لهم جبريل ذلك [5] .

---

١ ابن حنبل : مسند ٢٠٨/٤، مسلم : صحيح ١٠١/١

٢ مسلم : صحيح ١٠١/١

٣ الصدوق : كمال الدين /١٧٥ ، الامالي /٣٣٥ .

٤ ابن سعد : الطبقات الكبرى ١٥٠/١، ابن حنبل : مسند ١٢١/٣

٥ ابن حنبل : مسند ٢٠٨/٤ ، البخاري : صحيح ٢٤٨/٤

وقال أيضاً أتيت[1] وفي آخر قال: أتى رسول الله ﷺ ثلاث ليال[2] وهنا أيهام في الأمر، لماذا تكرر الآت ثلاث ليال ولم يفعل ما أتى لأجله هل منعه مانع ؟ علماً بـــ أمكانه أن يفعل ما أراد من أول ليلة .

وهنا اعتراض، الآت واحد، ولفظ أتيت لم نعرفه واحد أتاه أو أكثر .

وإذا كانت الروايات السابقة لم تحدد هوية الجراح وأسمه هناك من ذكرت اسمه فـــ قالت هو جبريل عليه السلام [3] .

وناقض ذلك ما رويَّ عن النبي محمد ﷺ قوله: أتاني رجلان عليهما ثياب بيض [4] وعنه أيضاً قال: جاءني ملكين في صورة كركيين [5] وبالتالي لم نعرف هل هم رجلين، أم ملكين على صورة كركيين؟ على واضع التهمة تعليل ذلك، ولكن بما انه فاقد الجواب ألقى تهمته وانصرف .

وهناك من جعلهم ثلاثة نفر[6] وأخيراً لم نهتدي إلى ما أردناه، ولم نستطع تحديد هوية الجراح ولا أسمه، ولا طبيب التخدير، ولم نعرف إن كان معه سستر أم لا، وكم عدد الكادر الطبي لأن القضية سيرد فيها ماء وطست ومشط كلها من ذهب وشق وغسل وعلقة وتفصيلات أخر .

الثالثة: ما هي الأدوات التي يحملها الجراح، المعهود في العمليات الجراحية استخدام غاز مخدر حتى لا يشعر المريض بـــ الألم، ولكن في هذه العملية، استعمل البلغم بدلاً من الغاز، بدليل إن الطبيب الجراح تفل في فيه [7] ولم يعرف الطب الحديث تخديراً من هذا النوع .

وأحضر لأجراء العملية طشت، وعليه لا بد معرفة الهدف منه، وهو أداة من أدوات الغسيل، ويسمى الغسال، يستعمل لغسل الأواني والملابس والمفروشات وكل ما يغسل، يوضع فيه الماء، وكأن صاحب الرواية أراد القول، من إحضاره لغرض غسل أمعاء النبي محمد ﷺ وكل أحشاءه، أو غسل قلبه ظناً منه إن القلب يزن كذا كيلو لا يسعه إلا آنية غسل واسعة، وهذا يدل على قلة فهم الراوي في ألف باء الإنسان .

والغريـــب إنه مصنـــوع مـــن ذهـــب [8] مضـــروب بالـــزمرد [9] والمعـــروف انـــه من آنية

---

١ مسلم : صحيح ١٠١/١

٢ ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ٤٦١/٣

٣ ابن أبي شيبة : المصنف ٤٣٩/٨ ، ابن حنبل : مسند ٢٨٨/٣ ، ١٤٩ ، مسلم : صحيح ١٠١/١

٤ ابن اسحاق : السير /٥١

٥ ابن اسحاق : السير /٥١

٦ مسلم : صحيح ١٠١/١

٧ الصدوق : كمال الدين /١٧٥ ، الامالي /٣٣٥ .

٨ ابن سعد : الطبقات الكبرى ١٥٠/١، ابن حنبل : مسند ١٢١/٣

٩ الصدوق : كمال الدين /١٧٥ ، الامالي /٣٣٥ .

الصفر[١] وهذا يتطلب مصنع لصناعة الأواني، أو لعل هناك حرفيين مهتمين بذلك، ولكن السؤال لماذا مصنوع من ذهب دون غيره ؟ ممتلئ حكمة وإيماناً أفرغها في صدر النبي محمد ﷺ [٢] وسنقف عند ذلك لأن العلم والحكمة والإيمان أشياء معنوية غير محسوسة، فلا تصح عبارة امتلاء الطست منها، هذا من أوهام الرواة .

وقيل مملوءة ثلجاً وماءً بارداً [٣] ولا نعرف من أي معمل أشتروا الثلج ؟ وهل كان هذا المصطلح معروفاً في تلك الفترة ؟ .

وقيل معهم ماء زمزم [٤] وهنا مشكل ما يفعلوا بهذا الماء؟ لغسل قلب النبي محمد ﷺ مثلاً وهذا مشكل بحد ذاته، لأنه ولد من طهر طاهر، من النبي آدم (ع) إلى أمه وأبيه وقدمنا الأدلة الكافية على ذلك[٥] .

وقيل أتى بتور من ذهب فغسل جوفه[٦] ولفظة التور مذكر عربي، وقيل دخيل إناء معروف تشرب فيه العرب، يصنع من مادة الصفر أو الحجارة كـــ الإجانة وقد يتوضأ منه [٧] ولم نعرف الغرض من وجوده لصغر حجمه، أي لم ينفعهم بشيء عند أجراء العملية .

وكان معهم مشط [٨] من ذهب[٩] ولم نعرف مهمته بماذا ينفع في عملية جراحية كـــ هذه ؟ لو كان عندهم زفة عرس كان أولى بـــ إحضاره ؟ ولم نعرف معنى له غير هذا .

وكذلك مخيط قال أنس: لقد كنت أرى أثر المخيط في صدره[١٠] وهذا ضروري إحضاره تخييط شق الصدر أو البطن، الغريب إن النووي صدق هذه الأكذوبة، وعمل منها فتوى شرعية من دون التحقق في صحة الخبر فـــ قال: وفى هذا دليل على جواز نظر الرجل إلى صدر الرجل ولا خلاف في جوازه وكذا يجوز إن ينظر إلى ما فوق سرته وتحت ركبته إلا أن ينظر بشهوة فانه يحرم النظر بشهوة إلى كل آدمى إلا الزوج لزوجته ومملوكته وكذا هما إليه وإلا أن يكون

---

١ ابن منظور : لسان العرب ٥٨/٢
٢ مسلم : صحيح ١٠١/١
٣ السير /٥١
٤ ابن سعد : الطبقات الكبرى ١٥٠/١، ابن حنبل : مسند ١٢١/٣
٥ ينظر مبحث طهارة نسبه
٦ ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ٤٦١/٣
٧ ابن منظور : لسان ٩٦/٤
٨ راجعت معناها ولم اعرفه وجدت المشط : سبجة فيها أفنان ، وفي وسطها هراوة يقبض عليها وتسوى بها القصاب ، ويغطى بها الحب . ابن منظور : لسان العرب ٤٠٣/٧ .
٩ الصدوق : كمال الدين /١٧٥ ، الامالي /٣٣٥ .
١٠ ابن أبي شيبة : المصنف ٤٣٩/٨ ، مسلم : صحيح ١٠١/١

المنظور إليه أمرد حسن الصورة فانه يحرم النظر إليه إلى وجهه وسائر بدنه سواء كان بشهوة أو بغيرها إلا أن يكون لحاجة البيع والشراء والتطبيب والتعليم ونحوها [١] .

الرابعة: تنفيذ العملية، فيه روايات، منها ما روته آمنة(ع) قالت: اخذ الشخص الذي أجرى العملية المولود فشق بطنه شقاً ثم اخرج قلبه فشقه [٢] وهناك بعض الإشكاليات على الرواية، وقالت شق بطنه، وهو ليس صحيحاً بدليل وجود القلب في الصدر وليس البطن، المفروض يكون الشق في الصدر .

وقد أشارة أحد الروايات إلى شق صدره، ثم أطبقه [٣] وفي أخرى غسلا قلبه وبطنه بـــ الثلج، حتى إذا أنقياه رداه كما كان [٤] إذاً العملية تتعلق بالقلب والبطن، فـــ إذا كان القلب فيه نكة سوداء، فما ذنب البطن، وما أخرجوا منه ؟ .

وعلى رواية كان موضع الشق من النحر إلى مراقى البطن ثم ملئ حكمة وإيماناً [٥] ونسب إلى النبي محمد ﷺ قوله: شرح صدري إلى أسفل البطن [٦] وفي موضع آخر قال: شرح أحد الكركيين صدري ومج الآخر منقاره فغسله " [٧] والأمر متروك للقارئ أن يحكم بصحة أو بطلان رواية شق صدره، ويلحظ الاختلاف والتناقض فيها، ولم نعرف هل إن العملية تمت وهو عند أمه أم عند مرضعته ثم ما الموجب لهذا كله وأحاديث كثيرة تؤيد طهارته من ظهر آدم عليه السلام إلى ولادته [٨] كما لم نعرف مَنْ الذي تولى العملية؟ .

وقال قتادة: شق ما بين هذه إلى هذه، يعنى من ثغرة نحره إلى شعرته وقد سمعته يقول من قصته إلى شعرته [٩] فـــ ملئهُ حكماً وإيماناً [١٠] ومن ثم لامه [١١] هنا من حقنا وضع سؤال ما هو المبرر لشق جسمه طولاً ؟ وعلى ماذا كل ذلك ؟ الجواب في الفقرة التالية .

الخامسة: الهدف من العملية، أخراج نكته سوداء، وهذا ما حدث حسب الزعم فرمى بها [١٢]

---

١ شرح مسلم ٢١٧/٢
٢ الصدوق : كمال الدين /١٧٥ ، الامالي /٣٣٥ .
٣ مسلم : صحيح ١٠١/١
٤ ابن إسحاق : السير /٥١
٥ ابن حنبل : مسند ٢٠٧/٤
٦ مسلم : صحيح ١٠٣/١
٧ ابن إسحاق : السير /٥١ .
٨ للتفاصيل ينظر المحمداوي : أبو طالب /١٢
٩ ابن حنبل : مسند ٢٠٨/٤
١٠ ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ٤٦١/٣
١١ ابن سعد : الطبقات الكبرى ١٥٠/١، ابن حنبل : مسند ١٢١/٣
١٢ الصدوق : كمال الدين /١٧٥ ، الامالي /٣٣٥ .

وقيل علقه سوداء [١] فقال هذا حظ الشيطان منك ثم لامه وأعاده في مكانه [٢] هل هذا يستوجب شق الجسم كله ؟ أليس من الأجدر الإتيان على موضعها وأخراجها منه ؟ يظهر ان السونار حينها عاطل فما استطاعوا تحديدها مما اضطروا لشق الجسم الشريف كله .

وقضية حظ الشيطان ينقضها قول أمه عندما أرجعته مرضعته بعد العملية فقالت: أخشيتما عليه الشيطان، كلا والله ليس له عليه سبيل [٣] إذا هي حلفت بالله العظيم، وهي صادقة بقولتها فمن أين كان للشيطان حظ فيه ؟ ليخرجوه في أكذوبة العملية الجراحية .

ولم نعرف هذه الغدة، وما ضررها، هل إنها سرطانية خبيثة أم حميدة، وبماذا تم تشخيصها؟ وماذا تحمل؟ وهل هي خاصة بالنبي محمد ﷺ أم موجودة في الناس عامتهم؟ وهل بـــ استطاعت الطب الحديث نزعها من قلوبنا أن كانت موجودة ؟

وعلى رواية منقولة عن النبي محمد ﷺ قال: استخرجا من قلبي شيئاً فطرحاه [٤] من دون تحديده، أي غير معروفاً أهو ضارُ أم نافعُ لسنا ندري ؟ .

الملاحظ إن قلب النبي ﷺ كان اسوداً فأزيل عنه السواد بوساطة التداخل الجراحي فأصبح قلبه نظيفاً لا تشوبه شائبة، إي أصبح مسلماً مؤمناً عابداً لله، وإذا كان كذلك لماذا وصف انه يعبد الأصنام ويبول واقفاً ويبول على القبلة، وانه ضالاً [٥] كما سنرى .

وبعد أن أزال الجراح السواد، اخرج صرة من حرير خضراء ففتحها فإذا كـــ الذريرة البيضاء فحشاه ثم رده إلى ما كان ومسح على بطنه [٦] وكأن صاحب الرواية أشار إلى أخفاء اثر العملية، وهناك عكس ذلك، مروي عن انس بقاء اثر المخيط [٧] .

ويضاف على ذلك، مسألة حشو قلبه إيمان وعقل وحلم ويقين، اتضح منها جهل واضع الرواية، لأن كل ما ذُكر هم أشياء معنوية غير محسوسة، ولم تكن مادية حتى تحتاج حشو حسب وصفه ولا حقن، وهذه المصيبة العظمى تأريخ نبينا يُكتب بـــ أيادي الجهلة، وحسبك بلدُ قادته من هؤلاء، كيف يكون مصيره، حسبنا الله ربنا، أصحاب الرواية كأنهم متسيسة العراق في الوقت الحاضر لا يفقهون شيئاً .

---

١ السير /٥١

٢ ابن أبي شيبة : المصنف ٤٣٩/٨ ، ابن حنبل : مسند ٢٨٨/٣ ، مسلم : صحيح ١٠١/١

٣ ابن إسحاق : السير /٥٠

٤ ابن إسحاق : السير /٥٠

٥ للتفصيلات ينظر المحمداوي : الافتراءات على النبي محمد ﷺ بحث مقبول للنشر مجلة الكلية الإسلامية الجامعة

٦ الصدوق : كمال الدين /١٧٥ ، الامالي /٣٣٥ .

٧ ابن حنبل : مسند ٢٨٨/٣

رابعاً: مكان العملية

اختلفت الآراء حوله، هناك من قال: حصلت وهو في بيت آمنه [١] ولا ندري هل كان بيتها مؤمناً لأجراء عملية من هذا النوع ؟ وقال آخر: في ديار حليمة السعدية [٢] وهو في رعاية البهائم [٣] وهذه حجة ساقطة لأنه ابن عبد المطلب سيد القوم، وثري أثرياء مكة، فـ القول انه رعي غنم قومه افتراء عليه، بدليل إن مكة {... بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ... } [٤] وقد كان لعبد المطلب أبل ملأت الدنيا، ودليل ذلك أصاب منها صاحب الفيل مائتي بعير [٥] الأولى بـ النبي أن يرعاها لنا في ذلك كلام إن شاء الله تعالى .

وقيل كان يلعب مع الغلمان [٦] وعلى لفظ مع الصبيان [٧] ولا ندري أهناك فرق بينهما أم لا ؟ وبالمحصلة لا نعتقد بوجود فرق بينهما، الأمر يتطلب وقتاً وجهداً وربما يبعدنا من أصل الموضوع .

وعلى رواية كان نائم في المسجد الحرام [٨] والغريب في سيرته معظم أحداثها منامات، ولا سيما في معراجه، وهذه الشبهة انسحبت على سيرة الإمام الحسين (ع) في ذهابه كربلاء، وهو على فرسة وكل فترة وأخرى هومت عيناه في النوم ورأى ما رأى، استغفر الله ربي وأتوب إليه، وكأنه نائم في فندق خمس نجوم .

وهل المسجد مكان للنوم، أم مكان للعبادة ؟ إلا يكن له بيت وزوجه يركن إليها ؟ ثم النوم يتطلب سكينة ونوع من الهدوء، وهذا لا يتوافر إلا في أماكن النوم .

وقال النبي: كنت عند البيت بين النائم واليقظان [٩] وقال بينا أنا في الحطيم وربما قال قتادة في الحجر مضطجع [١٠]. وفي رواية أخرى قال: فرج سقف بيتي وأنا بمكة [١١] يعني انشق وبالتالي من الذي أصلحه، وهل بقي لذلك الشق أثراً، كما هو الحال في أثر المخيط في بطنه .

---

١ الصدوق : كمال الدين /١٧٥ ، الامالي /٣٣٥ .
٢ اليعقوبي : تاريخ ١٠/٢
٣ ابن إسحاق : السير /٥٠
٤ إبراهيم/٣٧
٥ ابن هشام : السيرة النبوية ٣٣/١
٦ ابن أبي شيبة : المصنف ٤٣٩/٨ ، ابن حنبل : مسند ٢٨٨/٣
٧ ابن سعد : الطبقات الكبرى ١٥٠/١، ابن حنبل : مسند ١٢١/٣
٨ مسلم : صحيح ١٠١/١
٩ ابن حنبل : مسند ٢٠٧/٤
١٠ ابن حنبل : مسند ٢٠٨/٤
١١ مسلم : صحيح ١٠١/١

وعلى رواية أجريت له قرب بئر زمزم، وهذا ما رويَّ عن النبي محمد قوله: فانطلقوا بي إلى زمزم [1] وقيل عمد به إلى زمزم [2] يعني حصول العملية هناك، ولكن ما السبب ؟ العلة واضحة، حتى تسهل عملية الغسل، وهذا من سخف عقل الآخر ظناً منه، وجود درن ودم وما يرافق العملية من مخلفات، ولعل واضع الرواية يشتغل قصاباً، وتصور ما يجرى للذبيحة من دم وما شاكل يحتاج إلى كميات كبيرة من الماء لغسلها، انعكس ذلك على وضعه الرواية .

خامساً: موقف من شاهد الحادثة

في مقدمة ذلك موقف آمنة (عليها السلام) من الحادثة، ماذا فعلت ؟ هكذا أتسم موقفها بـــ السلبية لم تحرك ساكناً مكتفية بنقل الحادثة فقط، ولماذا لم تدافع عن ابنها ؟ علماً إن خصمها واحد، وهي امرأة عربية، والعربيات مشهورات بـــ الشجاعة، أو على الأقل، تصرخ وترفع صوتها، تطلب المساعدة حتى يحضر من يذب عنها، هذا على فرض أجراء العملية .

وهناك رأي آخر مفاده إن الغلمان الذين يرعون معه الغنم، أو يلعبون معه جاءوا يسعون إلى مرضعته فـــ قالوا إن محمداً قد قتل فاستقبلته وهو متغير اللون [3] .

وقيل جاء أخوه من الرضاعة يشتد فقال: ذاك أخي القرشي [4] وقيل يصيح بأمه أدركي أخي القرشي فخرجت أمه تعدو ومعها أبوه فيجدان رسول الله ﷺ منتقع اللون [5] وما يضعف الرواية إننا لا ندري هل انه خرج للرضاعة أم للتنشأة، أم لرعاية الغنم عند حليمة ؟ ثم ماذا عن الروايات التي أوردناها سابقاً والتي صدرت عن سيف بن ذي يزن والكهنة الذين أوصوا عبد المطلب بالحفاظ عليه من خطر اليهود وقومه، أليس من الأجدر الحفاظ عليه ؟ .

قالت حليمه: فوجدناه قائماً، فاعتنقه أبوه، وقال له ما شانك ؟ فـــ أخبرهم خبره، ثم رداه كما كان، فرجعنا به معنا، فقال أبوه: خشيت أن يكون قد أصيب بـــ شيء، فـــ أرجعناه لأمه، فقالت: ما ردكما به، قد كنتما حريصين عليه ؟! فقلنا: لا والله، إلا إن الله عز وجل قد أدى عنا وقضينا الذي علينا، وقلنا نخشى الإتلاف والإحداث، نرده إلى أهله [6] وزيادة في الإيضاح نقول: من هو أبيه الذي اعتنقه والذي هو حتماً زوج حليمة لم نعرفه ولم يكن له ذكر إلا في هذا المورد .

---

١ مسلم : صحيح ١٠١/١

٢ ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ٤٦١/٣

٣ ابن حنبل : مسند ٢٨٨/٣

٤ ابن اسحاق : السير /٥٠

٥ ابن سعد : الطبقات ١١٢/١ .

٦ ابن اسحاق : السير /٥٠

وهذا يدل على وجود أمه، فـ وجودها ينفي الرضاعة من حليمة أو غيرها، والرواية أرسلها الزهري عن حليمة، ولم تذكر اسم أخيه الذي اخبر حليمة، علماً أنها سمت له ثلاث أخوه، فيا ترى من هو الذي اخبر الخبر ؟ هذا ما تركته الرواية مجهولاً .

نتائج العملية

ومن نتائج هذه العملية، قال احد الجراحين لصاحبه: زنه بعشرة من أمته، فوزنتهم، ثم قال: زنه بألف، فوزنتهم، فقال: دعه عنك، فلو وزنته بأمته لوزنهم [١] .

وبعد العملية استنطقه فنطق ولم افهم ما قال ألا انه قال: في أمان الله وحفظه وكلاء ته، وقد حشوة قلبك إيماناً وعلماً وحلماً ويقيناً وعقلاً وحكماً فأنت خير البشر، طوبى لمن اتبعك وويل لمن تخلف عنك [٢] ولم يعرف عن النبي محمد ﷺ انه نطق وهو في اليوم الأول من الولادة حسب ما أوردته الرواية، ذاك مع النبي عيسى (ع) {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً } [٣] .

آراء النقاد

اختلفت آراءهم في الحادثة، هناك من صحح الحديث مثل الحاكم بـ قوله: صحيح الإسناد ولم يخرجاه [٤] وثبته ابن كثير بـ قوله: وثبت في الصحيح[٥] ولم يقدم أي دليل على ذلك، مجرد ثبوتية، ولكن وفق ماذا لا ندري؟ على ماذا استند؟ وكذلك قال ابن كثير: ولا منافاة لاحتمال وقوع ذلك مرتين، مرة وهو صغير، ومرة ليلة الإسراء ليتأهب للوفود إلى الملأ الأعلى ولمناجاة الرب عز وجل والمثول بين يديه تبارك وتعالى[٦] اختلطت الأوراق على الرجل ولم يمايز بين الإسراء والمعراج .

وقد أريد من هذه الرواية إن النبي ﷺ كان على ضلالة سواء أكان قبل البعثة أو بعدها، حتى ليلة اسري، أو عرج به عندما شق صدره، وتنظيف قلبه، وهم بذلك أرادوا تأييد إساءة فهم قوله تعالى بدليل قوله تعالى {وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى} [٧] فالضلالة هنا بمعنى الضياع أي ضائعاً بين الناس وقد وقفنا على ذلك [٨] .

---

١ ابن إسحاق : السير /٥١
٢ الصدوق : كمال الدين /١٧٥ ، الامالي /٣٣٥ .
٣ مريم/٣٠
٤ الحاكم : المستدرك ٥٢٨/٢
٥ ابن كثير : السيرة النبوية ٢٣١/١
٦ ابن كثير : السيرة النبوية ٢٣١/١
(٧) الضحى/٧
٨ المحمداوي : ابو طالب /١٨٥

ذكره البخاري في باب المعراج، ونسب الحادثة إلى الإسراء[١] وهناك من عده غريباً مثل ابن الأثير في غريب الحديث [٢] وكذلك الحربي [٣] .

ويدحض ذلك ما رواه عبد الله بن مسعود قال إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمدﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فـ ابتعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيء [٤] .

وهي عند الإمامية قصة لم يصححها حديث ولا اعتبار، وهم براء من هذه وأمثالها، وقد نقلها المجلسي في بحاره عن كتاب (فضائل شاذان بن جبرئيل القمي) نقلا عمن يسميه الواقدي، قال المجلسي: أقول: هذا الخبر – وان لم نعتمد عليه كثيراً، لكونه من طرق المخالفين – إنما أوردته لما فيه من الغرائب![٥] وعلق عليه الشيرازي بـ قوله: نحن في غنى من أن نسرد كل ما عثرنا عليه مما جاء في فضائله من المعاجز وخوارق العادات كما كان كتاب سيرته من القدماء يفعلون ذلك، فنحن لا نحتاج في أثبات عظمته إليها، بعد ما ملأت فضائله الآفاق [٦] .

وبهذا يكون شق صدره سبباً في إرجاعه إلى أمه، وكتب الحديث والسيرة عند غير الإمامية لا تخلو عن هذه الرواية غالباً، بل قد ذكروا أنه قد شق صدره ﷺ خمس مرات، أربع منها ثابتة: مرة في الثالثة من عمره، وأخرى في العاشرة، وثالثة عند مبعثه، ورابعة عند الإسراء، والخامسة فيها خلاف، توجيه غير وجيه، ويقولون: إن تكرير ذلك هو زيادة في تشريفه عليه الصلاة والسلام، فإننا نرى: أنها عند غير المسلمين، إما مبعث تهكم وسخرية، وإما دليل لإثبات بعض عقائدهم الباطلة، والطعن في بعض عقائد المسلمين، ونرى فريقا ثالثاً يُعد الرواية موضوعة، من قبل من أراد أن يضع التفسير الحرفي لقوله تعالى [٧] {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ }[٨].

وهذا الحديث من الأحاديث الغريبة وقد أخرجه البخاري ومسلم في كتابيهما، وتبعهما أكثر المؤرخين، إذ ذكروه في كتبهم، والمفسرون اعتمدوا على أحاديث الصحيحين اعتماداً كبيراً، فذكروا هذه الأسطورة في تفاسيرهم عندما جاءوا على تفسير الآية المذكورة ولكن

---

١ صحيح ٢٤٨/٤
٢ غريب الحديث ٤٨٠/٢
٣غريب الحديث ١٤٣/١
٤ ابن حنبل : مسند ٣٧٩/١
٥ البحار ٣٥٧/١٥ لكن المناسبة تختلف لم يقله في شق الصدر وإنما قاله في أخبار مفتراة أخر
٦ محمد هادي اليوسفي : موسوعة التاريخ الإسلامي ٢٧٣/١
٧ جعفر مرتضى : الصحيح من السيرة ٨٤/٢ – ٨٥
٨ الشرح/١

هذا الحديث جدير بالنقاش والنقد من عدة جهات حتى تتجلى الحقيقة وينكشف ما أسدل عليه من الستار .

وهناك تناقض بين الموضوع والعصمة: إن قصة شق الصدر بناءً على رواية أنس بن مالك إذا قورنت وقيست بموضوع عصمة النبي ﷺ تبدو ضعيفة وغير مقبولة، وخاصة تنزيهه ﷺ عن الارجاس الشيطانية، وذلك لأن ليس لإبليس حظ في النفوذ إلى قلب النبي ﷺ حتى يشق صدره ﷺ ويستخرج ما كان فيه من حظ الشيطان .

والشر ليس غدة مترشحة: أضف إلى ما مر ذكره من الموارد الثلاثة السابقة، أن الشر في ذات الإنسان ليس شبيها بالغدد المترشحة في الجسم، بحيث لو استأصلت الغدة انقطعت الترشحات، وهكذا الخير والبر لم يكونا من نوع الأمور المادية والظاهرة كالمواد المأكولة التي يتغذى جسم الإنسان بها بواسطة الإبرة، وهكذا العلم والحكمة ليست من نوع الأجسام المادية المحسوسة التي يمكن انتقالها من إناء إلى إناء آخر [١] .

خامساً: الأسانيد

أول الأسانيد رواية العباس بن عبد المطلب عن آمنة [٢] وهذا خارج حلبة الصراع بدليل انه لم يرد للعباس ذكراً في موضوع ولادة النبي ونشأته وتربته، وكــ أنه غير موجود، وهذا السند من صنع العباسيين لتزيين صورة جدهم، وهذا النمط من الوضع في الرواية، يضاهي ما وضعه الأمويين.

وفي سند آخر، ابن إسحاق عن حليمة [٣] وهما لم تحصل المعاصرة بينهما أن صح وجود مرضعة اسمها حليمة هي مجهولة لدينا تماماً، وابن إسحاق مطعون فيه [٤] ويكفينا الاوزاعي الذي كان يسيء القول فيه [٥] .

وجاءت رواية مسندة عن احمد عن يونس عن ابن إسحاق عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب النبي ﷺ [٦] فالسند غير صحيح رجاله الأول والثاني مطعون بهما [٧] وثور

---

١ محمد صادق النجمي : أضواء على الصحيحين/٢٣٧
٢ الصدوق : كمال الدين /١٧٥ ، الامالي /٣٣٥ .
٣ السير /٥٠
٤ للتفصيلات ينظر المحمداوي : عقيل /٣٣٢
٥ العقيلي : ضعفاء ١٧٩/١
٦ السير /٥١
٧ المحمداوي : أبو طالب /٨٦

بن يزيد الكلاعي، وخالد بن معدان الكلاعي الشامي مطعون بهما أيضاً [١] ودلس صاحب الرواية عن الأصحاب الذين اخذ الرواية عنهم، هم مجموعة، والأجدر به أن يشير إلى احدهم حتى نطمئن لصحتها .

ومن هذه الأسانيد، ما رواه عفان عن حماد عن ثابت عن أنس [٢] وهذه السلسلة بصرية خالصة فيها حماد بن سلمة، وما إدراك أيها القارئ ما هذا الرجل، لو أطلعت على بعض تفصيلات حياته وليت منه فرار، وكذلك ثابت بن اسلم البصري، أصله يهودياً وحسبك عداء اليهود للنبي محمد ﷺ وفيه طعون كثيرة [٣] أما أنس يكفيه ذلاً كتمانه شهادة سمعها، وقد ألحق ذلك ضرراً بـ المسلمين إلى اليوم عندما قال أمير المؤمنين عليه السلام على المنبر: نشدت الله رجلاً سمع رسول الله ﷺيقول يوم غدير خم: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، إلا قام فشهد، وتحت المنبر أنس بن مالك والبراء بن عازب، وجرير بن عبد الله، فأعادها فلم يجبه أحد منهم فقال: اللهم من كتم هذه الشهادة وهو يعرفها فلا تخرجه من الدنيا حتى تجعل به آية يعرف بها، فبرص أنس، وعمي البراء، ورجع جرير أعرابياً بعد هجرته، فأتى السراة فمات في بيت أمه هناك [٤] .

وهو الذي منع أمير المؤمنين(ع) أن يأكل من الطائر المشوي عندما قدم لرسول الله ﷺ فرخ – طائر – مشوي فقال اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير قال فقلت اللهم اجعله رجلاً من الأنصار فجاء علي عليه السلام فقلت إن رسول الله ﷺ على حاجة ثم جاء فقلت إن رسول الله ﷺ على حاجة ثم جاء فقال رسول الله ﷺ افتح فدخل فقال رسول الله ﷺ ما حبسك عليَّ فقال أن هذه آخر ثلاث كرات يردني انس يزعم انك على حاجة فقال ما حملك على ما صنعت فقلت يا رسول الله سمعت دعاءك فأحببت أن يكون رجلاً من قومي فقال رسول الله ﷺ إن الرجل قد يحب قومه " حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ورواه عن انس جماعة من أصحابه زيادة على ثلاثين نفساً ثم صحت الرواية عن علي وأبي سعيد الخدري وسفينة [٥] .

ويكفيه ذلاً حضوره الكوفة وقت استشهاد الإمام الحسين عندما كان ابن زياد ينكث رأسه بعصاه، قاله ابن تيمية: ثبت في صحيح البخاري إن الرأس وضع أمام عبيد الله بن زياد، وجعل ينكت بالقضيب على ثناياه بحضرة أنس بن مالك كان بـ العراق [٦] وفي الرواية تعريض لأنس

---

١ المحمداوي : الخلافة الراشدة ، قراءة جديدة ، في روايات العامة / ٣٤
٢ ابن حنبل : مسند ٢٨٨/٣
٣ للتفصيلات ينظر المحمداوي : رؤية قرآنية /٢٦٣ – ٢٧٠
٤البلاذري : انساب الإشراف/١٥٦
٥ الحاكم النيسابوري : المستدرك ١٣٠/٣
٦ رأس الحسين عليه السلام/١٩٩

بن مالك هو من أهل البصرة ما الذي أتى به إلى الكوفة وهو عارف بتحركات الإمام الحسين عليه السلام هذه نقطة سلبية تسجل عليه .

وقوله إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن أحدى عشرة، قيل لأنس أو كان يطيقه قال كنا نتحدث انه أعطي قوة ثلاثين " [١] .

وكذلك ما رواه هارون بن سعيد الايلى عن ابن وهب الصفار البصري عن سليمان بن بلال عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن انس بن مالك، وساق الحديث بقصته نحو حديث ثابت البنانى وقدم فيه شيئاً وأخر وزاد ونقص [٢] .

وهناك من اسند عن حرملة بن يحيى التجيبى عن ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن انس بن مالك[٣] وهذا السند فيه عبد الله بن وهب القرشي، مطعون فيه[٤] وكذلك محمد بن مسلم بن شهاب الزهري مطعون فيه [٥]. واسند يحيى بن سعيد عن هشام الدستوائي عن قتادة عن انس بن مالك عن مالك بن صعصعة [٦] السند فيه قتادة بن دعامة البصري، المتوفى سنة ١١٧هـ مطعون فيه [٧].

وروى هدبة بن خالد عن همام عن قتادة عن خليفة عن يزيد بن زريع عن سعيد وهشام عن بقية السند[٨] الرواية فيها يزيد بن زريع البصري، ت ٢٨٢ وقيل ٢٨٣هـ وثقه العامة، واثنوا عليه لأنه من رجالاتهم[٩]. ورواه محمد بن المثنى عن ابن عدى عن سعيد عن بقية السند[١٠] قال الترمذي: وفى الحديث قصة طويلة وهو حسن صحيح [١١]. وروى عفان عن همام بن يحيى عن قتادة عن أنس بن مالك بن صعصعة [١٢] وكذلك يزيد بن هارون وعفان بن

---

١ البخاري : صحيح ٧١/١
٢ مسلم : صحيح ١٠١/١
٣ مسلم : صحيح ١٠١/١
٤ المحمداوي : ابو طالب /١٧٥
٥ المحمداوي : ابو طالب /١٣٤
٦ ابن حنبل : مسند ٢٠٧/٤
٧ للتفصيلات ينظر المحمداوي : الإسراء والمعراج ، دراسة في سند روايات ابن إسحاق ، مجلة دراسات البصرة ، مجلد ٤١ العدد١ ، السنة ٢٠١٦ /ص ١٢٨ .
٨ البخاري : صحيح ٧٧/٤
٩ المحمداوي : رؤية قرانية /٢٢٠
١٠ مسلم : صحيح ١٠٣/١
١١ الترمذي : سنن ١١٣/٥
١٢ ابن حنبل : مسند ٢٠٨/٤

مسلم عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك[١] وحسن عن حماد عن ثابت البنانى عن أنس بن مالك[٢].

ورواه عبد الله بن هاشم العبدي عن بهز بن أسد عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عنانس بن مالك[٣] السند فيه بهز البصري، وننوه في هذا المقام على دراسة سيرة النبي محمد ﷺ في روايات أهل البصرة، لمعرفة موقفهم، ومقدار إساءاتهم له .

وروى أبو سعد أحمد بن محمد بن البغدادي عن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد القفال عن إبراهيم بن عبد الله الوراق عن أبي بكر بن زياد عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن يعقوب بن عبد الرحمن الزهري عن أبيه عنه أيضا يعني عبد الرحمن بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص عن أنس بن مالك [٤]. السند فيه أبو موسى، يونس بن عبد الأعلى الصدفي المصري، ت ٢٦٤هـ وثقه العامة [٥] يونس بن محمد عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس [٦] .

نسبه الشريف

مقدمة

كلمة النسب، وردت في القرآن الكريم بقوله تعالى {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً }[٧] وقوله {وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ }[٨] .

أفضل ما نبدأ به قوله تعالى {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً}[٩] ظاهر الآية الكريمة تحدثت عن خلق البشر، من نطفة، وقيل الماء الذي خلق الله منه[١٠] وهذا البشر هو نسب وصهر، في آن واحد وكأن الحديث بصيغة المفرد، بمعنى مخصوص به فرد أحد تجلت فيه الصهرية والنسبية، وهذان المصطلحان، يستحقان الدراسة لمعرفة إذا كانا

---

١ ابن سعد : الطبقات الكبرى ١٥٠/١، ابن حنبل : مسند ١٢١/٣
٢ ابن حنبل : مسند ١٤٩/٣
٣ مسلم : صحيح ١٠١/١
٤ ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ٤٦١/٣
٥ المحمداوي : رؤية قرآنية /٤٦
٦ ابن أبي شيبة : المصنف ٤٣٩/٨ ، مسلم : صحيح ١٠١/١
٧ الفرقان /٥٤
٨ الصافات /١٥٨
٩ الفرقان/٥٤
١٠ الطوسي : التبيان ٤٩٩/٧

متشابهين أم مختلفين، قيل هما يعمان كل قربى تكون بين آدميين [١] ولكن هل هو عام، في الآدميين كافة، أم لشخص مخصوص؟ .

حاول الباحث معرفة سبب نزول الآية المباركة، ولم يوفق خلا ما قيل إنها نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام ابن عم النبي صلى الله عليه وآله وزوج ابنته فاطمة، فـ كان نسباً وصهراً [٢] وعليه تكون الآية خاصة به وليس كل نسب صهر، ولا كل صهر نسب، وإنما أجتمع المعنيان فيه .

وقد سماه النبي محمد صلى الله عليه وآله ختنه فـ قال" وأما أنت يا علي فختني وأبو ولدي وأنا منك وأنت مني"[٣] فهذا يدل على أن زوج البنت ختن [٤] وأهله أختان [٥] وأختان الرجل أزواج بناته وأخواته وعماته وخالاته وكل ذي محرم منه [٦] ولكن هناك من ناقض ذلك فـ قال: الختن أبو الزوجة وأخوها [٧] والأختان كل شيء من قبل المرأة مثل أبيها وأخيها وعمها [٨] .

أما كلمة الصهر الواردة في الآية المباركة، وهو حرمة الختونة، وختن القوم، صهرهم، والمتزوج فيهم أصهار ويقال لأهل بيت المرأة أصهار، والفعل، المصاهرة، يقال أصهر بهم الختن، أي صار فيهم صهراً، والصهر: الإذابة والصهارة: ما ذاب منه، وكذلك: الأصهار في إذابته، ودليل ذلك قوله تعالى {يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ } [٩] أي يذاب [١٠].

وهو القرابة، يقال: صاهرت القوم إذا تزوجت فيهم، وأصهرت بهم إذا اتصلت بهم وتحرمت بجوار أو نسب أو تزوج، والصهر زوج بنت، أو الأخت، وربما كنوا بالصهر عن القبر لأنهم كانوا يئدون البنات فيدفنونهن، فيقولون: زوجناهن من القبر، ثم استعمل هذا اللفظ بعد البعثة فقيل، نعم الصهر القبر، وقيل: إنما هذا على المثل أي الذي يقوم مقام الصهر، وهو الصحيح، يقال فلان مصهر بنا، وهو من القرابة [١١] قال الفراء: الصهر هو النسب الذي يحل نكاحه، كـ بنات العم والخال وأشباههن من القرابة التي يحل تزويجها [١٢] .

---

١ القرطبي : الجامع ٥٩/١٣
٢ الحاكم الحسكاني : شواهد التنزيل ٥٣٨/١
٣ ابن حنبل : مسند ٢٠٤/٥
٤ النحاس : معاني القرآن ٣٨/٥
٥ الفراهيدي : العين ٤١١/٣
٦ النحاس : معاني القرآن ٣٨/٥
٧ ابن منظور : لسان العرب ٤٧١/٤
٨ النحاس : معاني القرآن ٣٨/٥
٩ الحج/٢٠
١٠ الفراهيدي : العين ٤١١/٣
١١ ابن منظور : لسان العرب ٤٧١/٤
١٢ معاني القرآن ١٦٧/٢ ، ينظر الزجاج : معاني القرآن وأعرابه ٢٧٨/٣

والصهر خلطة تشبه القرابة، وقيل الصهر المتزوج بنت الرجل أو أخته، والصهر خمسة أصناف قاله الضحاك [١] صهر: قرابة النكاح، وصهراً، أي إناثاً يصاهر بهن، ويصهر، يذاب وينضج بالحميم حتى يذيب أمعاءهم كما يذيب جلودهم ويخرج من أدبارهم [٢] .

وهو عبارة عن خلط الماء بين الذكر والأنثى على وجه الشرع، فإن كان بمعصية كان خلقاً مطلقاً ولم يكن نسباً محققاً، ولذلك لم يدخل تحت قوله: " حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم " بنته من الزنى، لأنها ليست ببنت له في أصح القولين لعلمائنا وأصح القولين في الدين، وإذا لم يكن نسب شرعاً فلا صهر شرعاً، فلا يحرم الزنى بنت أم ولا أم بنت، وما يحرم من الحلال لا يحرم من الحرام، لان الله امتن بالنسب والصهر على عباده ورفع قدرهما، وعلق الأحكام في الحل والحرمة عليهما فلا يلحق الباطل بهما ولا يساويهما [٣] .

قال أمير المؤمنين (ع): حرم الله من النسب سبعاً هي الأم والابنة والأخت وبنت الأخ وبنت الأخت والعمة والخالة [٤] فـ النسب ما رجع إلى ولادة قريبة، والنسب سبعة أصناف ذكرهم الله في آية التحريم [٥] قال الفراء: النسب الذي لا يحل نكاحه [٦] وقد قسم البشر قسمين ذوي نسب ذكوراً ينسب إليهم [٧]

وقيل النسب البنون، والنسب الذي ليس بصهر، وروى عميرة مولى ابن عباس عن ابن عباس رضي الله عنه وهو قول الضحاك قال حرم من النسب سبع [٨] .

والنسب في اللغة هو نسب القرابات، والنسبة القرابة، قيل هو في الآباء خاصة، ويكون إلى البلاد والصناعة [٩] وهو المرآة التي تظهر نقاوة دم الفرد، وارتباطه بالقبيلة، وكان الاهتمام به مهماً في حياة العرب قبل البعثة، وبعدها أصبح أساساً للتنظيم المدني والاجتماعي، في الأمصار العربية، فهو يوضح العلاقة بالنبي ﷺ والعرب الفاتحين [١٠] .

---

١ الطوسي : التبيان ٤٩٩/٧
٢ الطريحي : تفسير غريب القرآن/٢٥٦
٣ القرطبي : تفسير ٥٩/١٣
٤ زيد بن علي : مسند/ ٣٠٦
٥ الطوسي : التبيان ٤٩٩/٧
٦ معاني القرآن ١٦٧/٢ ، ينظر معاني القرآن وأعرابه ٢٧٨/٣
٧ الطريحي : تفسير غريب القرآن/٢٥٦
٨ النحاس : معاني القرآن ٣٨/٥
٩ ابن منظور : لسان العرب (مادة نسب)
١٠ العلي : محاضرات /١٢٩ .

وعلم النسب مستقل له آلياته، وعلماؤه لهم مجالسهم التي يتسامرون فيها، ويتناقلون أخبار الناس وطالما ذكرت كتب التاريخ، فلان من الناس انه نسابة، ودراسة الأنساب من الدراسات المشوقة التي يتوق فيها الباحث معرفة كثير من أصول بعض الشخصيات، سيما اختلاف القبائل قبل البعثة في حلها وترحالها، وما نتج عن ذلك من الزواج غير المشروع، لكثرة أنواعه وتعدد أسبابه، وبالتالي ما ينتج عنه، ذرية غير شرعية، قد كتب لها أن دخلت إدارة الدولة الإسلامية .

وقد نال علم النسب اهتمام الكتاب المسلمين، فكتبوا في المفاخرات، مثل كتاب مفاخرة هاشم بن عبد مناف وعبد شمس، للجاحظ، ومفاخرات قريش للجاحظ أيضاً، وكتاب المفاخرات للزبير بن بكار، وبعضهم كتب في المثالب، مثل مثالب العرب للهيثم بن عدي، والمثالب لأبي عبيد، ومثالب العرب لابن الكلبي، ومثالب ابن شهراشوب ومما تجدر الإشارة إليه إن الباحث لم يطلع على هذه المصادر، سوى مثالب العرب لابن الكلبي وإنما ذكرت في آثار غيرهم .

وهناك من نهى عن ذكر المثالب، وهذا ما أشار إليه ابن أبي الحديد بقوله " قال شيخنا أبو عثمان في كتاب مفاخرات قريش لا خير في ذكر العيوب إلا من ضرورة ولا نجد كتاب مثالب قط، إلا لدعي أو شعوبي ولست واجده لصحيح النسب ولا لقليل الحسد وربما كانت حكاية الفحش أفحش من الفحش ونقل الكذب أقبح من الكذب وقال النبي ﷺ " اعف عن ذي قبر " وقال " لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات " وقيل في المثل " يكفيك من الشر سماعة " وقالوا أسمعك من أبلغك وقالوا من طلب عيباً وجده " [1] .

لا نريد التعليق على الرواية وإنما ذكرناها إتماماً للفائدة، وكل الذي نريد قوله، هل إن الزبير بن بكار وابن الكلبي والهيثم بن عدي وغيرهم أدعياء وشعوبيين ؟ فهذا كلام عارٍ عن الصحة، وكذلك الأحاديث، فكل من هب ودب أراد أن يخدم قضيته وضع لها أحاديثاً وأحاديث، والغريب يصل الأمر بالمسلمين إلى هذا الحد، نحن لم نعرف إلى اليوم حياً اشتكى من ميت، فإذا كان الأمر كذلك، لِمَ لا يكف المسلمين عن أقاويلهم الباطلة واعتقاداتهم الفاسدة، في والدي النبي ﷺ إذ بلغ فيهم أفحش الأقوال، وابسط ما قيل فيهم أنهم عبدت أوثان، بل الافتراء على النبي ﷺ نفسه في قضية عبس وتولى، وقضية ووجدك ضالاً إلى ما شاء الله من الأقاويل، لكن مع الأسف عندما تصل القضية إلى

---

١ ابن أبي الحديد : شرح ٦٨/١١

المساس بفلان شخصية ؟ يبدأ التنظير والكلام بالقيم والأخلاق وما شاكل ذلك، وهو الذي يعبر عنه الكيل بمكيالين، والتحدث بلسانين ٠

وليس للمسلمين كتاب في المفاخرات بالأنساب حسب، وإنما لهم حكام يعرفون بالأنساب يتحاكمون إليهم في المفاخرات، منهم عقيل بن أبي طالب، الذي كان يعدد مساوئ المتنافرين، فأيهما كان أكثر مساوئ أخره فيقول الرجلان وددنا أنا لم نلته، اظهر من مساوئنا ما كان خافياً عن الناس ، وعلى اثر ذلك نال عداوة قريش وكرههم، لأنه يكثر من ذكر مثالبهم، ومن نتيجة صدقه وأمانته في نقل الأنساب، وقوله الفاجر في فجوره رماه ذوي الاحساب والأنساب السيئة بالحمق، وكان ناسباً عالماً بالأمهات بين الألسن سديد الجواب واعلم قريش بأيامها ومآثرها ومثالبها وأنسابها [١]

وفي ذكر الأنساب إرادة ربانية إلهية، ذكرت ليس لأجل المفاخرة، وإنما لتبيان حدود العباد بعضهم بعضهم، ومدى قرابة هؤلاء من الخالق، فجعل الله سبحانه هذا نبي وذاك وصي، وما شاكل ذلك، ودراسة النسب ليس الغرض منها إثبات أفضلية زيد على عمر، لان الله سبحانه وتعالى نهى عن ذلك وجعل الكرامة للمتقين، وهذا ما جاء في قوله تعالى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } [٢] وقوله {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ } [٣]

فكان المعيار والمفاضلة بين العباد هو تقوى الله سبحانه وتعالى، لذلك يقال عن أئمة أهل البيت أنهم " آل بيت النبي" لقربهم منه، وفي سلمان الفارسي رضي الله عنه قال النبي ﷺ " سلمان منا أهل البيت"[٤] ولم يقل ذلك لأبي لهب عمه، لماذا؟ لان الفاصل تقوى الله ولم يكن الحسب أو النسب، لذلك قال عنه تعالى {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ } [٥] ٠

وقد أشار ابن قتيبة إلى أهمية علم النسب، في معرض ذكره أسباب تأليفه كتابه المعارف فقال " فاني رأيت كثيراً من الإشراف من يجهل نسبه، ومن ذوي الأحساب من لم يعرف سلفه، ومن قريش من لا يعلم من أين تمسه القربى من رسول الله ﷺوأهله، أو الترحم بالأعلام من صحابته، ورأيت من أبناء ملوك العجم من لا يعرف حال أبيه وزمانه، ورأيت من ينتمي إلى

---

١ للتفصيلات ينظر المحمداوي : عقيل / ٣٨
٢ الحجرات /١٣
٣ المؤمنون١٠١
٤ الصدوق : عيون أخبار الرضا ٧٠/١
٥ المسد/١

الفصيلة وهو لا يدري من أي القبائل هو، ورأيت من رغب بنفسه عن نسب دق فانتمى إلى رجل لم يعقب ..." [١] ولكل ما تقدم تتضح أهمية النسب .

موقفه من علم النسب

ذكر الأنساب أمر مشروع ورد في قوله تعالى {وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ } [٢] واقره النبي ﷺ في أكثر من موقف أعلن فيه صراحة طهارة نسبة، من لدن آدم عليه السلام حتى خرج من ظهر أبيه وبطن أمه، وفي ذلك أحاديث كثيرة، لا نذكرها خشية الإطالة [٣] .

وخطب رسول الله ﷺ الناس فقال " أنا محمد بن عبد الله ... وما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في الخير منهما حتى خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي فأنا خيركم نسبا وخيركم أبا"[٤]

وروي عن النبي ﷺ قوله " خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم لم يصبني من سفاح أهل الجاهلية شيء لم أخرج إلا من طهره " وروى ابن الكلبي عن أبيه قوله " كتبت للنبي ﷺخمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحاً ولا شيئاً مما كان من أمر الجاهلية " [٥]

وخير دليل على ذلك، قول أمير المؤمنين عليه السلام في نسب النبي ﷺ " وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وسيد عباده كلما نسخ الله الخلق فرقتين جعله في خيرهما، لم يسهم فيه عاهر ولا ضرب فيه فاجر " [٦] .

وقد شرح ابن أبي الحديد ذلك فقال " لم يسهم لم يضرب فيه عاهر بسهم أي بنصيب وجمعه سهمان والعاهر ذو العهر بالتحريك وهو الفجور والزنا ... والمراة عاهرة ومعاهرة وعيهرة وتعيهر الرجل إذا زنى والفاجر كالعاهر هاهنا واصل الفجور الميل [٧] المراد من ذلك إن الإمام أشار إلى طهارة النبي ﷺ وانه خرج من نكاح لا من سفاح .

---

١ /٢
٢ الشعراء/٢١٩
٣ للتفصيلات ينظر المحمداوي : أبو طالب /٢
٤ السمعاني : الأنساب ١/ ٢٥
٥ ابن سعد : الطبقات ٦٠/١
٦ الشريف الرضي : نهج البلاغة ١٩٥/٢
٧ ابن أبي الحديد : شرح ٦٧/١١

وروى الإمام الباقر عليه السلام عن رسول الله ﷺ قوله: حسب المرء دينه ومروءته وعقله وشرفه وجماله، وكرمه تقواه [1]

ورويّ عن حمزة بن أبى سعيد الخدري عن أبيه قال سمعت النبي ﷺ يقول على المنبر " ما بال رجال يقولون إن رحم رسول الله ﷺلا تنفع قومه بلى والله إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة واني أيها الناس فرط لكم على الحوض إذا جئتم قال رجل يا رسول الله أنا فلان بن فلان وقال أخوه أنا فلان بن فلان قال لهم أما النسب فقد عرفته ولكنكم أحدثتم بعدى وارتددتم القهقرى"[2] وبهذا لم يوبخهما على ذكر نسبهما، ولم يلمهما، بل العكس سكوته عن ذلك دلالة على مشروعية العمل.

وكان النبي ﷺ يُسأل عن الأنساب ويجيب، إذ سأله احد الصحابة عن أبيه؟ وقد اظهر عمر بن الخطاب مخاوفه من ذلك، وفي هذا الأمر حديث واحد، ورد في روايتين هُنَّ:

الأولى: رواية عبد الرزاق

رواها عن معمر عن الزهري قال " أخبرني أنس بن مالك أن رسول الله ﷺخرج حين زاغت الشمس، وصلى الظهر، فلما سلم قام على المنبر، فذكر في الساعة، وذكر أن بين يديها أموراً عظاماً، ثم قال: مَنْ أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه، فــ والله لا تسألوني عن شيء إلا حدثتكم به مادمت في مقامي هذا، قال أنس: فأكثر الناس البكاء حين سمعوا به مادمت في مقامي هذا، وأكثر رسول الله ﷺأن يقول: سلوني سلوني ! فقام إليه رجل، فقال: أين مدخله يا رسول الله ؟ قال: النار، وقام عبد الله بن حذافة فقال: من أبي يا رسول الله ! قال: أبوك حذافة، ثم أكثر يقول: سلوني! فبرك عمر على ركبتيه، وقال: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدﷺ رسولاً، فسكت رسول الله ﷺحين قال عمر ذلك، ثم قال النبي ﷺ: أولا والذي نفسي بيده لقد عرضت عليَّ الجنة والنار آنفاً في عرض هذا الحائط وأنا أصلي، فلم أر كاليوم في الخير والشر " وقالت أم عبد الله بن حذافة لابنها ما رأيت ابناً قط أعق منك، أكنت تأمن أن تكون أمك قد قارفت بعض ما قارف أهل الجاهلية، فتفضحها على أعين الناس ؟ قال عبد الله: والله لو ألحقني بعبد أسود للحقت " [3].

وفي رواية أخرى رواها محمد بن أبي عبيدة بن معن عن أبيه عن الاعمش عن أبي سفيان عن أنس بن مالك قال: خرج إلينا رسول الله ﷺذات يوم وهو غضبان ونحن نرى جبريل معه،

---

١ الكليني : الكافي ٧٩/٨

٢ الصدوق : الامالي /٣٤٠

٣ المصنف ٣٧٩/١١ ، ينظر مسند أبي يعلى ٢٨٦/٦ .

فما رأيت يوماً كان أكثر باكياً منفعاً منه، فقال: " سلوني فو الله لا تسألوني عن شيء – إلا أنبأتكم به، فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله ! أفي الجنة أنا أم في النار ؟ قال: لا، بل في النار، فقام – إليه آخر فقال: يا رسول ! من أبي ؟ قال: أبوك حذافة، فقام إليه آخر فقال: أعلينا الحج في كل عام، قال: لو قلتها لوجبت، ولو وجبت ما قمتم بها، ولو لم تقوموا بها لهلكتم، فقام عمر بن الخطاب فقال: رضينا بالله رباً وبـــ الإسلام ديناً وبمحمد ﷺرسولاً، يا رسول الله ! كنا حديثي عهد بجاهلية، فلا تبد سوأتنا ولا تفضحنا لسرائرنا واعف عنا عفا الله عنك، فسري عنه ثم التفت نحو الحائط فقال " لم أر كاليوم في الخير والشر، رأيت الجنة والنار دون هذا الحائط " [1] .

وقد نزل في ذلك قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ...}[2]

سبب نزول الآية المباركة رواه أحمد بن هشام وسفيان بن وكيع عن معاذ عن ابـــن عـــون، قال: سألت عكرمة عنها قال: ذاك يوم قام فيهم النبي ﷺ فقـــال: لا تســـألوني عـــن شـــيء إلا أخبرتكم به فقام رجل، فكره المسلمون مقامه يومئذ، فقال: يا رسول الله من أبي ؟ قـــال: أبـــوك حذافة فنزلت هذه الآية [3] .

وقيل في سبب نزول هذه الآية قولان: أحدهما، قال ابن عباس وأنس وابو هريـــرة والحســـن وقتادة وطاوس والسدي: أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله رجل يقال اله عبـــد الله وكـــان يطعن في نسبه فقال: يا رسول الله من أبي، فقال له حذافة . فنزلت الاية . وقـــال أبـــو هريـــرة ومجاهد: نزلت حين سألوا عن أمر الحج لما انزل " ولله على الناس حج البيت " فقالوا: في كـــل عام ؟ قال: لا ولو قلت نعم لوجب . وقال قوم وقع السؤال الأول والثاني في مجلس واحد، فخاطب الله تعالى بهذه الآية المؤمنين ونهاهم عن مسألة الأشياء التي إذا أبديت وأظهرت ساءت واحزنت من أظهرت له . يقال بدا يبدو بدوا . وابداه إبداء إذا أظهره وبدا له في الامر بدوا وبدا وبداء إذا تغير رأيه، لأنه ظهر له، والبادية خلاف الحاضرة . والبدو خلاف الحضر مـــن الظهـــور [4] وقـــد فصلنا القول في هذا الموضوع [5] .

---

١ ابن أبي شيبة : المصنف ٤٣٨/٧

٢ المائدة/١٠١

٣ الطبري : جامع البيان ١٠٩/٧ ، السيوطي : تفسير ٣٣٤/٢ .

٤ الطوسي : التبيان ٣٥/٤

٥ المحمداوي : النسب في أحاديث النبي محمد ﷺ محاضرة يلقيها سنوياً على طلبة المرحلة الأولى ، قسم التاريخ كلية التربية العلوم الإنسانية بصرة .

الثانية: رواية البخاري

رواها عن أبي اليمان عن شعيب عن الزهري قال " اخبرني أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ خرج فقام عبد الله بن حذافة فقال من أبي فقال أبوك حذافة ثم أكثر أن يقول سلونى فبرك عمر على ركبتيه فقال رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺنبياً فسكت " [1].

وقال النباطي البياضي " وفي البخاري والإحياء أسند أحمد بن موسى أن رجلاً قال للنبي: من أبي ؟ قال: حذافة، فسأله آخر من أبي ؟ قال: سالم، فبرك عمر على ركبتيه وقال بعد كلام: لا تبد علينا سوءتنا: واعف عنا رواه أبو يعلى الموصلي في المسند عن أنس " [2] .

يلحظ انه ادعى على البخاري والموصلي نقلا الحادثة، وتمت مراجعتهما، ولم نجد ذلك، وإنما أوردا الخبر بشكل مختلف، كما نقلناه، فمن أين أتى بهذه الزيادة ؟ هل كانت موجودة في أصل الكتابين اللذين اطلع عليهما، وحذفت من قبل النساخ، وهذا ما أميل إليه، أم إن النساخ هم الذين أضافوا هذه الزيادة على الكتاب ؟ .

والمعروف إن الرواية مطعون فيها من سندها، إذ فيها معمر بن راشد الازدي والزهري، وكليهما مطعون فيهما [3] والأكثر من ذلك إن الزهري لم يدرك انس، فمتى اخبره بهذه الرواية ؟ وهي أحادية الجانب، مصدرها معمر عن الزهري عن انس ،ولم تنقل عن غير هذا الإسناد، فالأصل واحد والرواية مختلفة، وهذا الأمر إن دل على شيء إنما يدل على إن كتب الحديث قد تعرضت للتشويه فعدل كثير من فقراتها، وحذف بعضها الآخر، خشية الطعون في نسب بعض الشخصيات، أو إن بعض الرواة لم ينقلوا بدقة، حتى وقعوا في كثير من الأخطاء، وأساءوا إلى بعض الشخصيات .

وتبقى مسألة مهمة يجب الانتباه إليها، وهي إن عبد الله بن حذافة غير متأكد من صحة نسبته لأبيه، فأراد أن يعرف ذلك من النبيﷺ أو انه كان مشكوك في صحة نسبه لحذافة، فأراد أن يعرف ذلك من النبي ﷺ حتى يسمع بقية الصحابة أي المراد منه دفع شبهة، فما علاقة عمر بن الخطاب بالأمر ؟ ولماذا البروك على ركبتيه وكأنه أذنب ذنباً أراد من الرسول ﷺ أن يغفره له ؟ ولماذا أدى الشهادتين في غير موضعهما ؟ ما المبرر لذلك ؟ هذا الموقف منه ربما يفسر على إن نسبه فيه شيء فطلب من الرسول ﷺ أن يخفيه، وهذا يفسر بقرينة عبد الله بن حذافة عندما سأل عن أبيه، فالحديث كان عن الأنساب، وقد يفسر ذلك موقفه من ذكر الأنساب .

---

١ صحيح البخاري ٣٢/١ .

٢ الصراط المستقيم ٢٨/٣

٣ للتفصيلات ينظر المحمداوي : أبو طالب ٧٨– ٧٩

أما عبد الله الوارد ذكره هو عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص وأمه تميمة بنت حرثان من بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة هو الذي سأل رسول الله ﷺ عن أبيه قال أبو ك حذافة أنجبت أم حذافة الولد للفراش فقالت أمه أي بني لقد قمت اليوم بأمك مقاماً عظيماً فكيف لو قال الأخرى قال أردت أن أبدي ما في نفسي [١] إذاً هي كانت باغية وقد خافت الفضيحة، لذلك أراد عبد الله أن يتأكد من نسبته لأبيه .

وروي إن النبي ﷺ دخل يطوف فإذا جماعة قد طافوا برجل فقال الرسول ﷺ " ما هذا ؟ قالوا علامة يا رسول الله فقال ﷺ: وما العلامة قالوا عالم بأنساب العرب ووقائعها وأيام الجاهلية والشعر والعربية فقال الرسول ﷺ: ذلك علم لا يضر من جهله ولا ينفع من علمه" [٢].

لا نريد الخوض في تفصيلات الحديث ودراسة سنده والتأكد من صحته فهذا بحاجة إلى دراسة تفصيلية، لذلك اشرنا إلى الحديث على سبيل الاستشهاد به على فرض صحة صدوره، يفيد وجود النسابة بين ظهارين المسلمين وفي حياة النبي ﷺ ولم تسجل المصادر انه عاقب فلان نسابه لأنه تعرض إلى نسب فلان من الناس، على عكس عمر الذي عرضهما للنفي .

وهذا يتعارض مع حديث النبي ﷺ " أحبوا العرب لثلاث لأني عربي والقرآن عربي ولسان أهل الجنة عربي" [٣] فـ هل العربية علم لا ينفع من علمه وهي لغة القرآن .

والشعر روي عن النبي ﷺ قوله " إن من الشعر لحكمة " [٤] فـ إن لم يكن فيه هجو ولا فحش ولا كذب كان مباحاً على كراهية فيه عندنا، ثبت أنه مباح، وقوله تعالى {وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ *وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ}[٥] المراد به من يكذب منهم فأما غيرهم فلا بأس عليهم [٦] .

وقبال ذلك وضع ممن طُعن في أنسابهم حديثاً مفترى على النبي ﷺ مفاده انه نهى عن الطعن في النسب، ومن فعل ذلك كان كفراً، وهذا ما رواه ابن حنبل عن أبي بكر عن الأعمش عن

---

١ ابن سعد : طبقات ١٨٩/٤ .
٢ ابن حنبل : المسند ٣/ ١٨ .
٣ الطبراني : المعجم الأوسط ٣٦٩/٥ .
٤ ابن ماجة : سنن ١٢٣٥/٢ .
٥ الشعراء/٢٢٤ – ٢٢٧ .
٦ الطوسي : المبسوط ٢٢٧/٨ .

أبى صالح عن أبى هريرة عن الرسول ﷺ قوله "اثنان هما كفر النياحة والطعن في النسب"[١] ما يخص الأولى ليس محلها هنا وقد ناقشناها في كتابنا الراشدون .

أما الطعن في النسب: كان عقيل بن أبي طالب، يطعن في انساب بعض الناس، كما ذكرنا، ولم يوصف بالكفر وأمير المؤمنين عليه السلام يطعن في نسب معاوية، وقد كشفت المراسلات التي جرت بينهما عن ذلك، وكان يقول له أنت ليس من قريش، بل من اللصقاء بها، فهل هذا يعني إن الإمامَ كافرٌ؟.

أما سند الحديث مقدوح فيه من جهة الأعمش وأبي صالح [٢] ولهذا لا يجوز الاحتجاج به .

وفي حديث آخر عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال " شعبتان من أمر الجاهلية لا يتركهما الناس أبداً النياحة والطعن في النسب " [٣] وهذا الحديث ببين قِدَم القضية وان الطعن في الأنساب معروف ومتداول قبل البعثة والى اليوم، ولم يرد في الحديث ما يدل على النهي عن ذكر الأنساب، وذكرنا فيما سبق دلالة مشروعيتها من القرآن والسُنة، فما الضير فيها، ونحن إلى اليوم نكتب في الأنساب ونُدّرس ذلك في جامعاتنا .

طهارة نسبه

قبل الحديث عن طهارة النسب المحمدي الشريف، حري بنا أن نعرف البيئة الاجتماعية التي ولد فيها النبي محمد ﷺ ولا سيما كثرة البغاء وما نجم عنه من اختلاط الأنساب، بحيث لا يخفى على أي احد كثرة البغاء في مجتمعات العرب قبل البعثة المحمدية، إذ كان الزواج مباحاً حتى من المحارم، بـ دليل ما صنعه أمية لم يصنعه أحد من العرب، فقد تنازل لابنه أبي عمرو في حياته عن زوجته، وزوجه منها فبنى بها أمام أبيه، وكان المقيتون في الجاهلية الذين يتزوجون نساء آبائهم بعد موتهم، أما من تزوج زوجة أبيه وهو حي على مرأى منه، فهذا لم يكن قط من غير أمية[٤] .

فضلاً عن وجود بغايا رافعات الرايات على بيوتهن، أسموهن العرب ذوات الرايات، تكون الراية بمثابة نقاط دلالة لمن يريد أن يقضي حاجته الحيوانية، ومن الجدير ذكره إن القوم يعيشون مغالطات كثيرة، إذا ذكرنا لهم رواية صحيحة السند قطعية الدلالة قالوا هذه من روايات الروافض، لذلك ارتأينا أن تكون الرواية من صحيح البخاري مسنده عن الزهري رواها عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت " أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء فنكاح منها نكاح الناس اليوم

---

١ المسند ٢/٣٧٧ .
٢ المحمداوي : أبو طالب /١١٤ – ١١٥ .
٣ ابن حنبل : المسند ٢/ ٤٣١
٤ محمد بن عقيل : تقوية الإيمان/٢٠٠

يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها أرسلي إلى فلان فاستبضعى منه ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد فكان هذا النكاح، نكاح الاستبضاع ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها فإذا حملت ووضعت ومر ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها تقول لهم قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمى من أحبت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل ونكاح الرابع يجتمع ناس كثيرون فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً فمن أرادهن دخل عليهن فإذا حملت أحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم للقافة ثم الحقوا ولدها بالذي يرون فـ التاط به ودعى ابنه لا يمتنع من ذلك فلما بعث النبي محمد ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم [1] .

ومن أدلة ذوات الروايات، حمامة جدة أبي سفيان [2] **ونكاح النابغة أم عمرو بن العاص، دليلاً على نكاح الرهط، إذ وقع عليها أبو لهب بن عبد المطلب، وأمية بن خلف الجمحى، وهشام بن المغيرة المخزومى، وأبو سفيان بن حرب، والعاص بن وائل السهمى، في طهر واحد، فولدت عمرو، فادعاه كلهم، فحكمت أمه فيه فقالت: هو من العاص بن وائل، وذاك لأنه ينفق عليها كثيراً، وكان عمرو أشبه بـ أبى سفيان، وفى ذلك قال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب** [3] **وقد خاطب عمرو بن العاص:**

أبوك أبو سفيان لا شك قد بدت لنا فيك منه بينات الشمائل[4]

ولما تولى عبد المطلب الحجة على الناس، نفى ذوات الرايات [5] **وهذا حكمٌ شرعيٌ يُلزم أخراج البغايا والبغاة من ديار المسلمين لئلاً تشيع الفاحشة، لأن ذلك تسبب في اختلاط الأنساب،**

---

١ البخاري : صحيح ١٣٢/٦

٢ البلاذري : انساب الإشراف /٧٢

٣ ابن هاشم بن عبد المناف بن قصي ، اسمه المغيرة ، أمه غزية بنت قيس بن طريف ، له من الولد جعفر وأمه جمانة بنت أبي طالب بن عبد المطلب ، انقرض ولده ، فلم يبق منهم أحد وكان أبو سفيان شاعرا فكان يهجو أصحاب رسول الله ﷺ وكان مباعداً الإسلام شديدا على من دخل فيه وكان أخا رسول الله ﷺ من / صفحة ٥٠ / الرضاعة أرضعته حليمة أياماً ، ومات بالمدينة بعد أخيه نوفل بن الحارث بأربعة أشهر إلا ثلاث عشرة ليلة ويقال بل مات سنة عشرين وصلى عليه عمر بن الخطاب وقبر في ركن دار عقيل بن أبي طالب بالبقيع ٠ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤٩/٤ – ٥٣ ولعل أريد بالصحابة لأن هجا عمرو بن العاص لأنه ابن زنى

٤ ابن أبي الحديد : شرح ٢٨٣/٦

٥ اليعقوبي : تاريخ ١١/٢

إلا بعض العوائل المسلمة، ولا سيما أفراد البيت القصوي كانوا في منأى عن البغاء، لذلك لم تسجل عليهم قبل البعثة أي حالات شاذة، على عكس غيرهم .

والغريب عندنا أيام الحكومة البالية انمازت احد البغايا بـ دار مميزه يشار لها بالبنان تقع على مفرق طرق وهي عبارة عن قصر منيف، وبعد سقوط الحكومة سكنت الإمارات العربية وقد استأجرت عمارة للدعارة جمعت فيها كثير من البغايا، لتؤمن طلب من يريد البغاء، فـ هل هناك فرق بينها وبين ذوات الرايات ؟ .

وفي خضم تلك الظروف ولد محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، فإما ما بعد ذلك إلى إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام فيه اختلاف كثير في العدد والأسماء لا ينضبط ولا يحصل منه غرض، لذلك فان مضر وربيعة هم صريح ولد إسماعيل باتفاق جميع أهل النسب، هذا ما ذهب إليه ابن الأثير [1] .

أما نسبه من جهة أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة وأمها برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب، وأمها أم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، أمها برة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي، وأمها قلابة بنت الحارث بن مالك بن حباشة بن غنم بن لحيان بن عادية بن صعصعة بن كعب بن هند بن طابخة بن لحيان بن هذيل بن مدركة ابن الياس بن مضر، وأمها أميمة بنت مالك بن غنم بن لحيان بن عادية بن صعصعة وأمها دب بنت ثعلبة بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة، وأمها عاتكة بنت غاضرة بن حطيط بن جشم بن ثقيف وهو قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان واسمه إلياس بن مضر، وأمها ليلى بنت عوف بن قسي وهو ثقيف وأم وهب بن عبد مناف بن زهرة جد رسول الله ﷺ قيل ويقال هند بنت أبي قيلة وهو وجز بن غالب بن الحارث بن عمرو بن ملكان بن أفصبن حارثة من خزاعة، وأمها سلمى بنت لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وأمها ماوية بنت كعب بن القين من قضاعة وأم وجز بن غالب السلافة بنت واهب بن البكير بن مجدعة بن عمرو من بني عمرو بن عوف من الاوس، وأمها ابنة قيس بن ربيعة من بني مازن بن بوي بن ملكان بن أفصى أخي أسلم بن أفصى، وأمها النجعة بنت عبيد بن الحارث من بني الحارث بن الخزرج

---

١ أسد الغابة ١٣/١ .

وأم عبد مناف بن زهرة جمل بنت مالك بن فصية بن سعد بن مليح بن عمرو من خزاعة، وأم زهرة بن كلاب أم قصي وهي فاطمة بنت سعد بن سيل وهو خير بن حمالة بن عوف بن عامر الجادر من الازد [١] .

وقد حكم النبي محمد ﷺ بـ طهارة جداته فـ قال " ما ولدتني بغي قط مذ خرجت من صلب أبي آدم ولم تزل تنازعني الأمم كابراً عن كابر حتى خرجت من أفضل حيين من العرب هاشم وزهرة [٢] ودليل ذلك ما رواه هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه قال " كتبت للنبي ﷺ خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحاً ولا شيئاً مما كان من أمر الجاهلية " [٣] .

وعليه أجمعت الطائفة المحقة على إن آمنة بنت وهب كانت من المؤمنات، وإجماعهم حجة[٤] كانت على التوحيد، وأنها تحشر في جملة المؤمنين[٥] مما تقدم يلحظ إن أهل السنة " الشيعة الإمامية " متفقون على طهارة النسب الشريف .

ولهذا قال النبي ﷺ إنما خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم لم يصبني من سفاح أهل الجاهلية شيء لم أخرج إلا من طهره، رواه ابن عباس وعائشة[٦] وقاله الإمام الباقر عليه السلام[٧] وقال أيضاً: ولدت من نكاح كـ نكاح الإسلام[٨] إلى أن ولدني أبي وأمي[٩] وكذلك قال: لم يلتق أبواي قط على سفاح لم يزل الله تعالى ينقلني من الأصلاب الحسنة إلى الأرحام الطاهرة[١٠].

ولهذا مدار حديثنا حول طهارة سلسلة النسب هذه كلها، ومن الأدلة التي قال بها المنصفون على ذلك هي:

الدليل الأول: قوله تعالى {وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ }[١١] قال الإمام الباقر عليه السلام معناه تنقله في

---

١ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٥٩/١
٢ ابن عساكر : تاريخ ٣/ ٤٠١
٣ ابن أبي شيبة : المصنف ٤٠٩/٧ ، الطبراني : المعجم الأوسط ٨٠/٥ ، ابن عساكر : تاريخ ٣/ ٤٠٢
٤ الفتال : روضة الواعظين /١٣٨
٥ المفيد : أوائل المقالات/٤٥
٦ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٦٠/١ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ٣/ ٤٠٠
٧ عبد الرزاق : تفسير ٢٩١/٢ ، الطبري : جامع البيان ١٠١/١١ ، البيهقي : السنن الكبرى ١٩٠/٧ ، السيوطي : الدر المنثور ٢٩٤/٣
٨ البيهقي : السنن الكبرى ١٩٠/٧ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ٣/ ٤٠٠
٩ ابن أبي شيبة : المصنف ٤٠٩/٧ ، الطبراني : المعجم الأوسط ٨٠/٥ ، ابن عساكر : تاريخ ٣/ ٤٠٢
١٠ ابن عساكر : تاريخ ٤٠٨/٣ ، ابن كثير : البداية ٣١٨/٢
١١ الشعراء/٢١٩ .

أصلاب النبيين، من نبي إلى آخر [١] حتى أُخرج نبياً قاله عكرمة عن ابن عباس [٢] ورجاله رجال الصحيح غير شبيب ين بشر وهو ثقة [٣] .

لأن معنى القلب لغة: تحويل الشيء عن وجهه ظهراً لبطن، وبطنا لظهر [٤] والساجدين يعني المصلين [٥]وهذا معناه تنقلك من ساجد لآخر، وهو عمل يؤديه المسلم لله ولا يحل لغيره .

وقبال ذلك، أنكرها المخالفين، وقد أشار المفيد إلى ذلك فـ قال: وخالفهم على هذا القول المخالفين [٦] وكأن هناك طائفة أرادت زحزحة الآية عن مسارها الصحيح، فـ عملوا انعطافة فـ قالوا إن المراد بها رسول الله ﷺ كان يرى من خلفه في الصلاة كما يرى من بين يديه، وهذا الأمر مروي عن مجاهد [٧] والباحث على علمه القاصر لم يعرف هذه الصفة له .

وقال عكرمة: المراد بها قيام النبي محمد ﷺ وركوعه وسجوده [٨] وقال الطبري: اختلف أهل التأويل في ذلك، وأولى الأقوال قول من قال ويرى تقلبك مع الساجدين في صلاتهم معك، حين تقوم معهم وتركع وتسجد، لان ذلك هو الظاهر من معناه، فأما قول من وجهه إلى أن معناه: وتقلبك في الناس، فإنه قول بعيد من المفهوم بظاهر التلاوة، وإن كان له وجه، لأنه وإن كان لا شيء إلا وظله يسجد لله، فإنه ليس المفهوم من قول القائل: فلان مع الساجدين، أو في الساجدين، أنه مع الناس أو فيهم، بل المفهوم بذلك أنه مع قوم سجود، السجود المعروف، وتوجيه معاني كلام الله إلى الأغلب أولى من توجيهه إلى الإنكار، وكذلك أيضا في قول من قال: معناه: تتقلب في أبصار الساجدين، وإن كان له وجه، فليس ذلك الظاهر من معانيه، فتأويل الكلام إذن: وتوكل على العزيز الرحيم، الذي يراك حين تقوم إلى صلاتك، ويرى تقلبك في المؤتمين بك فيها بين قيام وركوع وسجود وجلوس [٩] .

وقد وصف كثرة سجوده لله سبحانه وتعالى، ولا سيما إذا جاء شيء يسره وهذا عام رواه أبو بكرة [١٠]

---

١ الطوسي : اختيار معرفة الرجال ٤٨٨/٢ .
٢ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢٥/١ ، الطبراني : المعجم الكبير ٢٨٧/١١ .
٣ الهيثمي : مجمع الزوائد ٨٦/٧ .
٤ ابن منظور : لسان العرب ٦٨٩/١ ، ٨٠/٢
٥ البخاري : صحيح ١٦/٦ ، النحاس : معاني القرآن ١٠٧/٥
٦ المفيد : أوائل المقالات/٤٥
٧ تفسير مجاهد ٤٦٦/٢ ، ينظر الحميدي : مسند ٤٢٧/٢
٨ سفيان الثوري : تفسير /٢٣٠
٩ الطبري : جامع البيان ١٥١/١٩ ، ابن الجوزي : زاد المسير ٥٤/٦ ، القرطبي : تفسير ١٤٤/١٣
١٠١٠ الطوسي : الخلاف ٤٣٥/١

وهناك من فسر الآية على إن رسول الله من أعظمكم قدراً [١] .

الدليل الثاني: جاء في تفسير قوله تعالى {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } [٢] قال الإمام علي عليه السلام إن المراد من قوله تعالى " من أنفسكم " نسباً وصهراً وحسباً ليس في آبائي من لدن آدم سفاح كلها نكاح [٣] وقد استشهدت الزهراء عليها السلام بهذه الآية في معرض حجاجها مع أبي بكر عندما صادر فدكاً فقالت " فإن تعرفوه تجدوه أبي من دون آبائكم وأخا ابن عمي دون رجالكم " [٤] .

الدليل الثالث: حكم الله سبحانه وتعالى على الكفار بالنجاسة فـ قال {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ... } [٥] فـ دل على أن آباءه كلهم كانوا مؤمنين، فـ إذ كان فيهم كافراً لما استحق الوصف بالطهارة [٦] .

الدليل الرابع: قال ابن عباس: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله قلت فداك أبي وأمي أين كنت وآدم في الجنة، فتبسم حتى بدت ثناياه ثم قال كنت في صلبه ورُكب بي السفينة في صلب أبي نوح وقذف بي في صلب إبراهيم صفتي مهدي لا يتشعب شعبان إلا كنت في خيرهما [٧] وعلى رواية قال: مصفى مهذباً قد أخذ الله بالنبوة ميثاقي وبالإسلام هداني وبين في التوراة والإنجيل ذكرى وبين كل شيء من صفتي في شرق الأرض وغربها وعلمني كتابه ورقى بي في سمائه وشق لي من أسمائه فذو العرش محمود وانا محمد ووعدني أن يحبوني بالحوض وأعطاني الكوثر وأنا أول شافع وأول مشفع ثم أخرجنى في خير قرون أمتي وأمتي الحمادون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر[٨] ومما تجدر الإشارة إليه إن المقصود بـ أمته ليس العرب وإنما السائرون على خطه ومنهاجه .

الدليل الخامس: قال رسول الله صلى الله عليه وآله بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرنا حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه، وكذلك قال إن الله إذا أراد أن يبعث نبياً نظر إلى خير أهل الأرض قبيلة

---

١ الحاكم : المستدرك ٢/٢٤٠
٢ التوبة/١٢٨
٣ القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١/١٥
٤ ابن طيفور : بلاغات النساء /١٢
٥ التوبة/٢٨
٦ المفيد : تصحيح اعتقادات الإمامية /١٣٩
٧ ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ٣/٤٠٨ ، ابن كثير : البداية ٢/٣١٨
٨ السيوطي : الدر المنثور ٥/٩٨

فيبعث خيرهاً رجلاً [1] وكأن الرواية أرادت تمجيد قريش لا شخص النبي محمد ﷺ وهي مشكوك في صحتها، ذكرناها لأنها حجة على القوم .

الدليل السادس: مسألة اصطفاء النبي محمد ﷺ أشار لها بقوله " إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم"[2] هذا حديث حسن صحيح غريب [3] .

الدليل السابع: قضية تفضيل النبي محمد ﷺ على غيره قال " ما افترقت فرقتان إلا كنت في خيرهما وقوله الحق، وذلك أن الناس من لدن أدم إلى نوح عليهما الصلاة والسلام انقرضوا فكان النسل بعد لنوح، وافترقت بنو نوح فرقاً شتى، وفضل الله سام بن نوح على إخوته وجعل العرب من ولده والأنبياء أجمعين إلا إدريس، ثم افترقت بنو سام فرقاً، ففضل الله أرفخشذ بن سام على إخوته لما جعل في نسله من الأنبياء، فمنهم خليل الله والذبيح ونجي الله وروح الله وكلمته، وحبيب الله صلى الله عليهم أجمعين، ثم افترق ولد أرفخشذ فرقاً فمنهم قحطان وجرهم وحضرموت والسلف والموذ وعدنان، ففضل الله عدنان على قحطان وإخوته، ثم افترق بنو عدنان فرقاً ففضل الله نزار بن معد بن عدنان عليهم، ثم افترق بنو نزار فرقاً ففضل الله مضر على سائرهم، ثم افترق بنو مضر فرقتين: إلياس والناس، وهو عيلان ففضل الله إلياس على الناس، ثم افترق بنو إلياس فرقتين: مدركة وطابخة، ففضل الله مدركة على طابخة، ثم افترق بنو مدركة فرقتين: خزيمة وهذيلاً، ففضل الله خزيمة على هذيل، ثم افترق بنو خزيمة فرقاً: أسداً وكنانة والهون، ففضل الله كنانة على أخويه، ثم افترق بنو كنانة فرقاً، ففضل الله النضر على سائرهم، ثم افترق بنو النضر فرقتين: مالكاً ويخلد، ففضل الله مالكاً على يخلد، ثم افترق بنو مالك فرقتين: فهراً والحرب، ففضل الله فهراً على الحرب، ثم افترق بنو فهر فرقاً، ففضل الله غالباً على سائرهم، ثم افترق ولد غالب فرقاً ثلاثاً، ففضل الله لؤياً على سائرهم، ثم افترق بنو لؤي فرقاً، ففضل الله كعباً على إخوتهم، ثم افترق بنو كعب ثلاثاً فرق: عدي وحصيص ومرة ففضل الله مرة على أخويه، ثم افترق بنو مرة ثلاث فرق: كلاب وتيم ويقظة، ففضل الله كلاباً على أخويه، ثم افترق بنو كلاب فرقتين: قصياً وزهرة، ففضل الله قصياً على زهرة، ثم افترق بنو قصي أربع فرق: عبد مناف وعبد الدار وعبد العزى وعبد بني قصي، ففضل الله عبد مناف على سائرهم ثم افترق بنو عبد مناف أربع فرق: هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل، ففضل الله هاشماً على

---

١ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢٥/١

٢ البخاري : التاريخ الكبير ٤/١ ، مسلم : صحيح ٥٨/٧

٣ الترمذي : سنن ٢٤٥/٥

إخوته، ثم افترق بنو هاشم، فرقاً فدرجوا كلهم وانقرضوا والبقية منهم لعبد المطلب بن هاشم فبعث الله نبيه ﷺ وله أربعة أعمام: حمزة والعباس وأبو طالب وأبو لهب فاتبعه اثنان وخالفه اثنان، ففضل الله فرقة – التي تبعته على التي خالفته – وقال الكلبي في أسانيده: فضل الله العرب على العجم لأنهم كانوا لا ينكحون البنات ولا الأخوات، وفضل الله مضر بن نزار على سائر العرب لأنهم كانوا أعملهم بسنة إبراهيم عليه السلام وألزمهم لمناسكه، وفضل الله قريشاً على سائر مضر لأنهم كانوا لا يظلمون الجار ولا يغير بعضهم على بعض، وفضل الله بني هاشم على قريش لأنهم كانوا أوصلهم للأرحام وأكفهم عن الآثام، وفضل الله بني عبد المطلب على سائر بني هاشم بولادة محمد ﷺ وفضل الله محمداً ﷺعلى سائر بني عبد المطلب لأنه كان خيرهم وأبرهم وأصدقهم وأوصلهم ﷺ وقال محمد بن سلام الجمحى في أسانيده: إن النبي ﷺ قال: " إن الله عز وجل اختار من الناس العرب، ثم اختار من العرب مضر، ثم اختار من مضر كنانة، ثم اختار من كنانة قريشاً، ثم اختار من قريش بني هاشم، ثم اختارني ممن أنا منه وقال محمد بن سلام الجمحي في حديث آخر: إن رسول الله ﷺقال " أتاني جبريل " عليه السلام فقال: لقد بلغت الأرض شرقها وغربها وشمالها ويمينها فما وجدت خيراً من قريش ولا وجدت في قريش خيرا من هاشم " أول ما ذكر من أحاديث قريش ما خصها الله به من الفضل والمن به على سائر الخلق وأنه بعث منها نبي الرحمة وأنزل عليه القرآن بلسانها، قال الله تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [1] فلغة قريش أفصح اللغات ونسبها أصح الأنساب [2] لنا تعليق طويل على الرواية ليس محله لأننا لا نميل إلى كل ما ورد فيها، وإنما محل الشاهد منها طهارة النسب الشريف .

وروي عن رسول الله ﷺ قوله " خير العرب مضر وخير مضر بنو عبد مناف وخير بنى عبد مناف بنو هاشم وخير بنى هاشم بنو عبد المطلب والله ما افترق شعبتان منذ خلق الله آدم إلا كنت في خيرهما " [3] .

---

١ إبراهيم/٤

٢ ابن حبيب : المنمق /١٩

٣ السيوطي : الدر المنثور ٢٩٤/٣

الفصل الثاني

صفاته الخلقية الواردة

في روايات العامة، ومعانيها في اللغة

العربية

الملخص

من المعروف إن الله سبحانه وتعالى بعث أنبياء كثر ولبعضهم سيرة، والآخر لا، وحتى نمايز سيرة النبي محمد ﷺ من بينهم يجب القول السيرة النبوية المحمدية، أو نكتفي بالسيرة المحمدية، وانطلاقاً من سلسلة رد الشبهات التي أثيرت وما زالت ضده ولا سيما تشويه صورته، عن طريق الرسوم المسيئة، علم الله إني لم أطلع عليها، ولكن هكذا سمعت وتماشياً مع رد الشبهات عنه، ارتأينا كتابة البحث تحت عنوان " صفات النبي محمد ﷺ الخلقية الواردة في روايات العامة، ومعانيها في اللغة العربية " أي المادية المحسوسة، ولم نقف عند المعنوية، بسبب كبر حجم البحث سوى شيء يسير ذكرناه إتماماً لـ الفائدة .

وقد تمت قراءة النصوص التاريخية بناءً على مراجعة مفرداتها لغوياً وعرض أسانيدها على علم الرجال لمعرفة أحوال كل راوٍ على حده، ومقارنة متون الروايات بعضها بعضاً، فكان البحث في ثلاثة مباحث، ضم الأول بين دفتيه عرض عام لأشهر الروايات التي أشارت إلى صفاته بشكل عام، وبالعموم طرقنا روايات مختلفة، ناقشنا أسانيدها، وتم اشتقاق عنوانات فرعية من روايات المبحث الأول، منها تناول وصف وجهه الكريم، مثل جماله، ولون بشرته وعينيه وجبينه وثناياه وحاجبيه وانفه وابتسامته، كل ذلك وغيره كان عنوان المبحث الثاني، وكان قوام جسمه مثل استقامة طوله وهيأته، ومرفقيه، ورجليه ومشيته، وشعر جسمه، ووصف قدميه وكفيه، كان حصة المبحث الثالث .

والجدير ذكره، عدم كتابة خاتمة البحث، دليل عدم قناعتنا بها، ونعدها جريمة منهجية كبرى، تلخيص جهد شهور في كتابة بعض السُطيرات، هي لم تغنِ عن البحث العلمي شيئاً، بل زائدة يجب استأصلاها .

العنوانات الرئيسة Titles

الروايات الدالة على صفاته Hadith That Refer to his Attributes

ما نريده من هذا المبحث عرض شامل لكل الروايات التي ذكرت صفاته، والوقوف عند أسانيدها لا غير، من دون التطرق إلى تعريف بعض المصطلحات الواردة فيه، حتى لا يقول قائل أين دور الباحث ؟ وما قدمه هو نقل من المصادر ؟ وبهذا نكون قد بينا الهدف The target ومعنى أدق هي عينة البحث التي نضعها في المخبر ليحللها ونأخذ منها النتائج .

وقبل ذلك لا بد من تعريف كلمة الصفة Attribute وهي من الوصف، وصفك الشيء بحليته ونعته [١] وصفت الشيء وصفاً وصفه، والهاء عوض من الواو وتواصفوا الشيء من الوصف، واتصف الشيء، أي صار متواصفاً، والنحويون عندهم الصفة هي النعت، وهو اسم الفاعل نحو ضارب، أو المفعول نحو مضروب، أو ما يرجع إليهما من طريق المعنى نحو مثل وشبه وما يجرى مجرى ذلك، يقولون: رأيت أخاك الظريف، فـ الأخ هو الموصوف والظريف هو الصفة، لهذ قالوا: لا يجوز أن يضاف الشيء إلى صفته، كما لا يجوز أن يضاف إلى نفسه، لان الصفة هي الموصوف عندهم، ألا ترى أن الظريف هو الأخ [٢] .

وصف الشيء له وعليه وصفاً، وصفة بمعنى حلاه، الوصف المصدر والصفة الحلية وتواصفوا الشيء من الوصف، قال تعالى {... وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ } [٣] أراد ما تصفونه من الكذب، واستوصفه الشيء سأله أن يصفه له، واتصف، أمكن وصفه [٤] .

وكأن هناك تداخل في المعاني بين الصفة والنعت، قال ابن الأثير: النعت وصف الشيء بما فيه من حسن، ولا يقال في القبيح إلا أن يتكلف متكلف، فيقول نعت سوء، والوصف يقال في الحسن والقبيح [٥] فـ العرب العاربة إنما تقول لـ شيء إذا كان على استكمال النعت [٦] يبدو لا خلاف بين المصطلحين، سوى النقص والكمال، وهو ليس من شأننا وإنما الأمر متروك تقديره لأهل اللغة، ما يهمنا من الموضوع بيان صفات النبي محمد ﷺ طبقاً لما جاء في الروايات، ومنها:

رواية عبد الله بن جعفر الطيار

وقد أعطت بعض الصفات الجسمية للنبي ﷺ وهو طفل، ولهذا أعطيناها الأولوية وقدمناها على غيرها، على اعتبار إنها تحدثت عن صفات مبكرة له، رواها ابن إسحاق عن جهم بن أبي جهم مولى الحارث بن حاطب الجمحى عن عبد الله بن جعفر الطيار، أو عمن حدثه قال: كانت حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية تحدث عن رضاعته حتى قالت: كان يشب شباباً لا يشبه الغلمان، فـ والله ما بلغ سُنية ــ تصغير سنة ــ حتى كان غلاماً جفراً قدمنا به على أمه ونحن اضن

---

١ الفراهيدي : العين ١٦٢/٧ .
٢ الجوهري : الصحاح ١٤٣٨/٤ .
٣ الأنبياء/١١٢ .
٤ ابن منظور : لسان العرب ٣٥٦/٩ .
٥ النهاية ٧٩/٥ .
٦ الفراهيدي : العين ٧٢/٢ .

شيء به مما رأينا فيه من البركة[1] وقالت " كان يشب في اليوم شباب الصبي في الشهر، فبلغ ستاً وهو جفر، وهذه الكلمة لا بد من بيانها إذ يقال لـ الصبي استجفر إذا قوي على الأكل، وأصله في أولاد المعز إذا بلغ أربعة أشهر وفصل عن أمه وأخذ في الرعي قيل له جفر، والأنثى جفرة[2] والجفر والجفرة من أولاد الشاة ما قد استجفر أي صار له بطن وسعة جوف وأقبل على الأكل، وهو المتكرش من الناس، واستجفر الصبي: عظم بطنه وأكل، وأجفر جنبه فهو مجفر الجنبين من كل شيء[3] .

بناءً على ما تقدم ان الجفر من صفات البهائم، وان استعيرت للصبي هي صفة ذم له ولم تنطبق على الحبيب المصطفى، انه ذا كرش، ثم من أين أتى له، بعد قول العامة انه يتيم فقير متقع؟ ورواياتهم مستفيضة في هذا الجانب، ألا يشم متصفحها رائحة الدس الأموي، على اعتبار معاوية كان غليظ الأمعاء [4] وقد القوا التهمة على النبي ﷺ ولم يكن هذا حسب بل كأن الرواية تحدثت عن قدرات خارقة له، ولم نعرف ما القصد من ذلك وكيف ؟ جعلت كل شيء فيه هو معجزة من الله سبحانه وتعالى، ونحن نـ قول خلاف ذلك، ونعد نشأته وحياته كانت طبيعيتان شأنه شأن بقية الناس، وبـ دورنا ننفي وجود شخصية حليمة السعدية بـ وصفها مرضعته ونعدها شخصية وهمية، لا دليل على وجودها، فـ قد ذكرت المصادر مجموعة مرضعات له، ولم يثبت له رضاعة سوى صدر أمه (ع) ولا نميل لصحة الرواية ونعدها خرافة لعدم وثاقة ابن إسحاق في السيرة، وقفنا عند موضوع رضاعته وبينا زيفه [5] .

والسند فيه جهم بن أبي جهم، من أصحاب الإمام الكاظم (ع)[6] وهناك جهيم بن أبي جهم ويقال: ابن أبي جهمة، كوفي، روى عنه سعدان بن مسلم نوادر[7] وقد بين أستاذ المحققين السيد الخوئي اتحادهما [8] علماً إننا لم نجد معلومات كافية عن الرجل، ولم نعرف طرق رواية ابن إسحاق عنه، وبما انه من أصحاب الإمام الكاظم الذي استشهد سنة ١٨٣هـ، وبدوره روى عن

---

١ السير /٤٨ ، ابن هشام : سيرة النبي (ص) ١٠٥/١ ، الطبري : تاريخ ٥٧٤/١ ، ابن كثير : البداية ٣٣٤/٢ .
٢ ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ٢٦٨/١
٣ الفراهيدي : العين ١١٠/٦ ، الجوهري : الصحاح ٦١٥/٢ ، ابن منظور : لسان العرب ١٤٢/٤
٤ المحمداوي : الشجرة الملعونة في القران ، مجلة ابحاث ميسان ، مج ١٢، ع ٢٤ ، ٢٠١٦ ص ١٢
٥ المحمداوي : محاضرات القاها على طلبة المرحلة الأولى ، قسم التاريخ ، كلية التربية الإنسانية ، جامعة البصرة لغاية سنة ٢٠١٧ وما قبلها .
٦ الطوسي : رجال /٣٣٣ .
٧ النجاشي : رجال /١٣١ .
٨ معجم رجال الحديث ١٥٣/٥ .

عبد الله بن جعفر الطيار المتوفى سنة ٨٠هـ، ألم يكن في الأمر غرابة لـ بعد الفارق الزمني بينهما إلا في حالة إرسال الرواية، وعليه يكون حكمها حكم المرسلات .

وكذلك موقفنا سلبياً من ابن الطيار [١] والغريب إن ولادته في الحبشة سنة ١هـ، وما رجع إلاَّ بعد فتح مكة سنة ٨هـ واستشهد الطيار (ع) في مؤتة ٨هـ وعبد الله طفلاً صغيراً [٢] فمن أين حصل على هذه الأخبار، وهناك تدليس في اسم الذي حدثه، لم يذكر اسمه، وأخيراً: ما جاء في الرواية غير صحيح وحسبناه فرية، وما ذُكر من صفات لا تصح مصداقاً عنه .

الروايات المنسوبة لأمير المؤمنين(ع)

وردت عنه أربع بهذا المعنى وبأسانيد ومعاني مختلفة، الأولى رواها محمد بن عمر الاسلمي عن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب(ع) عن أبيه عن جده عن أمير المؤمنين قال: بعثني النبي ﷺ إلى اليمن فإني لأخطب يوماً على الناس وحبر من أحبار اليهود واقف في يده سفر ينظر فيه فنادى إليَّ فقال صف لنا أبا القاسم، قلت: ليس بالقصير ولا بالطويل البائن وليس بالجعد القطط ولا بالسبط هو رَجِلٌ الشعر أسوده ضخم الرأس مشرب لونه حمرة عظيم الكراديس شثن الكفين والقدمين طويل المسربة وهو الشعر الذي يكون في النحر إلى السرة أهدب الاشفار مقرون الحاجبين صلت الجبين بعيد ما بين المنكبين إذا مشى يتكفأ كأنما ينزل من صبب لم أر قبله مثله ولم أر بعده مثله، وأضاف الحبر قائلاً: في عينيه حمرة حسن اللحية الفم تام الاذنين يقبل جميعاً ويدبر، فقال أمير المؤمنين(ع) هذه والله صفته، قال الحبر: وشيء آخر فيه جناً[٣] قال أمير المؤمنين(ع) هو الذي قلت لك كأنما ينزل من صبب، قال الحبر: إني أجد هذه الصفة في سفر آبائي ونجده يبعث من حرم الله وأمنه وموضع بيته ثم يهاجر إلى حرم يحرمه هو ويكون له حرمة كحرمة الحرم الذي حرم الله ونجد أنصاره الذين هاجر إليهم قوماً من ولد عمرو بن عامر أهل نخل وأهل الأرض قبلهم يهود، قال أمير المؤمنين (ع) هو النبي ﷺ فقال الحبر فإني أشهد أنه نبي الله ورسوله ﷺ إلى الناس كافة فعلى ذلك أحيا وعليه أموت وعليه أبعث إن شاء الله، فكان يأتي أمير المؤمنين (ع) يعلمه القرآن ويخبره بشرائع الإسلام ثم خرج علي والحبر هنالك حتى مات في إمارة أبي بكر وهو مؤمن بـ النبي ﷺ يصدق به [٤] .

---

١ المحمداوي : أم كلثوم /٢٣٦ .
٢ ابن حجر : الإصابة ٣٦/٤
٣ الرجل يجنأ جنوءا ، إذا أكب على شئ ، وجنأ إليه ظهره . الفراهيدي : العين ١٨٢/٦ .
٤ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤١٢/١ .

من المآخذ على الخبر إننا لم نعرف الحبر هذا الذي علم الغيب وتكهن بمعرفة السيرة فـ قرأها قبل أن تحدث وهو يصلح ان يكون وصي النبوة، ولا ندري هل هذه الصفات فعلاً مذكورة في الأسفار، وان وجدت لا خلاف انها مزورة مزيفة لا يعول على ما ورد في التوراة والانجيل، وعند ملاحظة تاريخ الحادثة، نجده قد ذكر أشياء حصلت فعلاً مثل بعثته وهجرته، فـ إذا كان يعرف صفات النبي ﷺ لماذا سأل عنها ؟ ولا نتفق مع الرواية بوجود ولد في الذرية الطاهرة اسمه عمر، لا بد من التحقق في وجود ابنه محمد وحفيده عبد الله، هؤلاء بحاجة إلى دراسة معمقة لمعرفة وجودهم من عدمه .

وما يخص بعثة أمير المؤمنين (ع) إلى اليمن يقال مرتين إحداهما سنة ٨هـ، والأخرى في شهر رمضان سنة ١٠ هـ [١] لا ندري في أي منهما حصلت الحادثة، وهل يوجد يهود حينها في اليمن؟ ربما نعم كانت اليهودية موجودة زمن الحميريين، ولا سيما اننا وقفنا عند هذه بعثته اليمن ولم نجد اثنان وإنما واحدة [٢] وهل الصفات التي ذكرها اليهودي موجودة الآن في أسفارهم؟ الباحث لم يطلع عليها، وعمرو بن عامر لم اعرفه لعله ابن ماء السماء، المقصود به جد أنصار النبي ﷺ. والثانية رواها شريك بن عبد الله عن عبد الملك بن عمير عن نافع بن جبير عنه(ع) أنه وصف النبي ﷺ قال: عظيم الهامة أبيض مشرباً حمرة عظيم اللحية ضخم الكراديس، شثن الكفين والقدمين، طويل المسربة كثير شعر الرأس، رجله يتكفأ في مشيته كأنما ينحدر في صبب، لا طويل ولا قصير، لم أر مثله قبله ولا بعده [٣] ما يخص بياضه وصفه أبو جحيفة قال كان أبيض أشمط [٤] وسنقف على جوانب من حياة ابو جحيفة لا حقاً .

وسئل الدارقطني عن حديث نافع وبينه في علله[٥] والسند فيه شريك بن عبد الله النخعي الكوفي، ت ١٧٧ هـ، أو ١٧٨هـ جده سنان بن انس مطعون فيه[٦] وعبد الملك بن عمير، قاضي الشام، من اشد أعداء أمير المؤمنين(ع) هو راوي حديث الضحضاح الذي فيه مؤمن قريش أبي طالب بن عبد المطلب، فـ الرجل مطعون في رواياته، واعتقد لا تقبل شهادته [٧]

---

١ ابن سعد : الطبقات الكبرى ١٦٩/٢ .
٢ المحمداوي : الخلافة الراشدة /٧٨ .
٣ ابن أبي شيبة : المصنف ٤٤٦/٧ .
٤ ابن حنبل : العلل ٢٨٠/١ .
٥ الدار قطني : علل ٢٠/٣ .
٦ المحمداوي : عقيل /٢٦٣ .
٧ المحمداوي : ابو طالب /١٦٣

يظهر أن الرجلين على غير خط النبوة والإمامة، وعليه ما رواه محل شك يستوجب التوقف عنده لبيان معناه .

ونافع بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي، أمه أم قتال بنت نافع بن ضريب بن نوفل، توفي بالمدينة سنة ٩٩هـ في آخر ملوكية سليمان بن عبد الملك، ثقة [١] مدني تابعي ثقة [٢] اطلعنا على شيوخه لم نجد أمير المؤمنين (ع) من بينهم، ولم نجد ابن عمير من بين تلامذته [٣] كان يقيم بالمدينة ومكة معاً كان يحج ماشياً وناقته تقاد إلى جنبه ويخضب بالوسمة [٤] وعليه لا بد انه أرسل الرواية عن الإمام (ع) .

والثالثة رواها ابن عساكر بسند طويل انتهى إلى حماد عن مقاتل عن عطاء عن أبي هريرة، قال: طلب احد الأحبار من أمير المؤمنين (ع) وصف النبي ﷺ فبكى بكاءً شديداً وقال: والله لأن كنت مشتاقاً إليه فأنا أشوق منك ثم قال بأبي وأمي لم يكن بالطويل الذاهب ولا بالقصير كان ربعة من الرجال أبيض مشرباً بحمرة جعد المفرق شعره إلى شحمة أذنيه صلت الجبين واضح الخدين مقرون الحاجبين أدعج العينين سبط الأشفار أقنى الأنف دقيق المسربة مبلج الثنايا كث اللحية كأن عنقه إبريق فضة كأن الذهب يجري في تراقيه كان عرقه في وجهه كاللؤلؤ شثن الكفين والقدمين له شعرات ما بين لبته وصدره تجري كالقضيب لم يكن على بطنه ولا على ظهره شعرات غيرها يفوح منه ريح المسك إذا قام غمر الناس وإذا مشى فكأنما يتقلع من صخرة إذا التفت التفت جميعاً وإذا يتحدر كأنما يتحدر في صبب أطهر الناس خلقاً وأشجعهم قلباً وأسخاهم كفاً لم يكن قبله مثله ولا يكون بعده مثله أبداً، قال الحبر: إني أصبت في التوراة هذه الصفة أيقنت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله [٥] .

لا ننسى سند الرواية فيه حماد بن سلمة بن دينار البصري ت ١٦٧هـ مطعون فيه [٦] ومقاتل بن سليمان، ت ١٥٠هـ كذلك [٧] وعطاء بن السائب، ت ١٣٦هـ، وثقوه [٨] وأبو

---

١ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢٠٥/٥ – ٢٠٨.
٢ ابن ابي حاتم : الجرح والتعديل ٤٥١/٨ ، العجلي الثقاة ٣٠٨/٢ ..
٣ ابن ابي حاتم : الجرح والتعديل ٤٥١/٨ .
٤ ابن حبان : مشاهير علماء الأمصار/١٢٧ ، الثقاة ٤٦٦/٥.
٥ ابن عساكر : تاريخ ٣٩١/٣ .
٦ المحمداوي : ابو طالب /١٦٦
٧ المحمداوي : الإسلام قبل البعثة /٢٢٩ .
٨ المحمداوي : أم كلثوم /٤٨ .

هريرة، عندنا مطعون فيه ولا نميل إلى قبول رواياته، الإجماع معقود على إسلامه في سنة ٧هـ، وكان مدلساً وما يرويه مرسلٌ، ولم يأخذ الحديث سماعاً من النبي ﷺ [١] .

والرابعة نقلها ابن هشام عن عمر مولى غفرة[٢] عن إبراهيم بن محمد بن علي بن أبى طالب(ع) قال كان أمير المؤمنين (ع) إذا نعت النبي ﷺ قال: لم يكن بالطويل الممغط، ولا القصير المتردد، وكان ربعة من القوم، ولم يكن بالجعد القطط ولا السبط، جعداً، ولم يكن بالمطهم ولا المكلثم، أبيض مشرباً، جليل المشاش والكتد، دقيق المسربة، أجرد، شثن الكفين والقدمين، إذا مشى تقلع، كأنما يمشى في صبب، وإذا التفت التفت معاً، أجود الناس كفاً، وأجرأ الناس صدراً، وأصدق الناس لهجةً، وأوفى الناس ذمة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشيرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله [٣] .

قال الترمذي " هذا حديث ليس إسناده بمتصل " [٤] واعتراضه وارد المفروض رفعه إلى أمير المؤمنين، هو اعرف بـــ ذلك، أما إيراده بهذه الكيفية غير صحيح وسبب قدح فيه، وليس هذه العلة الوحيدة وإنما فيه عمر بن عبد الله مولى غفرة، وقيل مولى أبي بكر[٥] المدني أبو حفص يكتب حديثه وليس بالقوي [٦] ليس به بأس ولكن حديثه مرسل [٧] وضعيف [٨] ليس كثير الحديث، روى عنه الثقاة [٩] مثل الليث بن سعد وبشر بن المفضل ويحيى بن أيوب [١٠] ولم نبحث عنهم لأنه يبعدنا من أصل الموضوع .

لم يسمع من أصحاب النبي ﷺ [١١] قيل له هل سمعت من ابن عباس ؟ قال أدركت زمانه، ومع هذا روى عنه [١٢] متناً بـــ أسانيد لينة [١٣] .

---

(١) للتفصيلات ينظر أبو رية : شيخ المضيرة /١١٢

٢ بحثت عنها ولم أجدها إلا في هذا الموضع ، قيل اسمها ، غفيرة . ابن حجر : الإصابة ٢٥٥/٨ وهذا غير كاف لإثبات وجودها .

٣ ابن هشام : السيرة ٢٧١/٢ ، ينظر ابن سعد : الطبقات ٤١١/١ ، ابن ابي شبة النميري : تاريخ المدينة ٤٠٦/٢ ، ابن كثير : البداية ٣٣/٦ .

٤ سنن ٢٦٠/٥ .

٥ ابن عدي : الكامل ٣٦/٥ .

٦ العجلي : الثقاة ١٦٩/٢ .

٧ ابن حنبل : العلل ١٠٧/٣ .

٨ النسائي : الضعفاء والمتروكين/٢٢١ ، ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ١١٩/٦ .

٩ ابن عدي : الكامل ٣٦/٥ .

١٠ ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ١١٩/٦ .

١١ ابن معين : تاريخ ١٦٢/١ .

١٢ ينظر الحديث بغير هذا الإسناد عند ابن حنبل : مسند ٣٠٧/١ .

١٣ العقيلي : ضعفاء ١٧٨/٣ .

روى عن ابن عمر عن النبي ﷺ قوله لكل أمة مجوس ومجوس أمتي الذين يقولون لا قدر إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم [١] هنا سؤال هل هذا صحيح ؟ هل هناك مصاديق عن ذلك ؟ ثم ما وجه الشبه بين من يقول بـــ القدر وبين المجوس، القائلون بـــ القدر، أي قدرة الإنسان على خلق فعله، والقول بحرية الارادة وهي مطابقة للقائلين بـــ الجبر، وقد كانت للباحث وقفة مع القدرية والمجبرة في مناسبة سابقة [٢] .

وروى عن محمد بن كعب عن ابن عمر عن عمر قال لأصحاب الشورى: لله درهم لو ولوها الأصيلع [٣] كيف يحملهم على الحق وإن حمل السيف على عاتقه ؟ قلت أتعلم ذلك منه ولا تستخلفه قال إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني وان أترك فقد ترك من هو خير مني، وروى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبي ﷺ قال: قريش ملك الناس ولا يصلح الناس إلا بهم ولا يعطى إلا عليهم كما أن الطعام لا يصلحه إلا الملح [٤] وعلى الرغم من كل ذلك، وثقه بن سعد مات سنة ١٤٥ هـــ [٥] .

وانقطع السند عند إبراهيم بن محمد المعروف (ابن الحنفية) بن أمير المؤمنين (ع) المدني من أصحاب الإمام السجاد (ع)[٦] روى عن أنس بن مالك، وأمير المؤمنين (ع) مرسلاً، وأبيه محمد بن الحنفية، روى عنه أيوب بن سيار، وحماد بن عبد الرحمان الأنصاري، ومحمد بن إسحاق بن يسار، وياسين العجلي، روى له الترمذي، والنسائي، وابن ماجة [٧] ترجم له ابن حبان في الثقاة [٨] جعله ابن حجر صدوقاً [٩] ولم نملك دليلاً على مدحه أو قدحه سوى ما ذُكر .

رواية الإمام الحسن(ع)

وهي سالبة بـــ انتفاء الموضوع، نفتها ما نسب لأمير المؤمنين (ع) في وصف النبي ﷺ لأنه هو من سألوه عن ذلك، الأجدر به نقل رواية أبيه ان صحت أفضل من غيرها، ولكن أي رواية يقبل وقد نسب له أربع روايات، وبحكم انه عاش حياة النبي ﷺ ملازماً له، ومع ذلك الرواية رواها أبو غسان النهدي، مالك بن إسماعيل، عن جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي

---

١ ابن حنبل : مسند ٨٦/٢ .
٢ المحمداوي : الاسراء والمعراج ، دراسة في سند روايات ابن اسحاق /١٣٤ – ١٤١ .
٣ المراد بها أمير المؤمنين (ع) انتقاصاً منه ، ولم يكن كذلك وإنما شبهة مثارة ضده .
٤ ابن عدي : الكامل ٣٧/٥ .
٥ الذهبي : الكاشف ٦٤/٢ .
٦ الطوسي : رجال /١٠٩ .
٧ المزي : تهذيب الكمال ١٨٣/٢ ، ينظر ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ١٢٤/٢ .
٨ ٤/٦ .
٩ تقريب التهذيب ٦٥/١ .

عن رجل بـــ مكة عن ابن لأبي هالة التميمي عن الإمام الحسن بن علي (عليهما السلام) قال: سألت خالي هند بن أبي هالة التميمي وكان وصافاً عن حلية النبي ﷺ وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به فقال: كان فخماً مفخماً يتلألأ وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر أطول من المربوع وأقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر إن انفرقت عقيصته فرق وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره أزهر اللون واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ في غير قرن بينهما عرق يديره الغضب أقنى العرنين له نور تعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم كث اللحية ضليع الفم مفلج الأسنان دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادن متماسك سواء البطن والصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس أنور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة سبط القصب شن الكفين والقدمين سائل الأطراف خمصان الاخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء إذا زال زال قلعا يخطو تكفؤاً ويمشي هوناً ريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب وإذا التفت التفت جميعاً [١] الحديث ذكره البخاري فـــ قال " لا أراه يصح " [٢] قال أبو داود: أخشى أن يكون موضوعاً [٣] .

وقال العقيلي " وقد روي من غير هذا الوجه بأسانيد فيها لين " [٤] وقال ابن حبان: إسناد ليس له في القلب [٥] فيه مالك بن إسماعيل بن زياد بن درهم النهدي الكوفي [٦] متعبداً صحيح الكتاب [٧] روى عن زهير بن معاوية وإسرائيل روى عنه بن أبى شيبة وأهل العراق مات سنة ٢١٩هـــ [٨] صدوق ثبت متقن إمام من الائمة ولولا كلمته لما كان يفوقه بالكوفة أحد [٩] وثقوه[١٠] .

أخرج له البخاري في الوضوء والصلاة ومناقب عمار وبدء الخلق والنكاح والبيوع وغير موضع، ونقل الباجي عن أبي حاتم قوله: كان يملي من أصله ولا يملي حديثاً حتى يقرأه وكان

---

١ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤٢٢/١ .
٢ التاريخ الكبير ٢٠٧/٦ .
٣ الآجري : سؤالات ٢٨١/١ .
٤ ضعفاء ١٩٧/٣ .
٥ الثقاة ١٤٥/٢
٦ الباجي : التعديل والتجريح ٧٧٠/٢
٧ العجلي : الثقاة ٢٥٩/٢ .
٨ ابن حبان : الثقاة ١٦٤/٩
٩ ابن شاهين : تاريخ أسماء الثقات /٢١٩
١٠ ابن حبان : الثقاة ١٦٤/٩ ، العجلي : الثقاة ٢٥٩/٢ ، الذهبي : ميزان الاعتدال ٤٢٤/٣ ، ابن حجر : تقريب التهذيب ١٥١/٢

يتحرى، لم يكن بالكوفة أتقن منه لا أبا نعيم ولا غيره، وهو أوثق من إسحاق بن منصور السلولي، متقن وكان له فضل وصلاح وعبادة وصحة حديث واستقامة كتب، إذا نظرت إليه كأنه خرج من قبره [١] ولم نعرف بماذا يفيد هذا الوصف .

قال ابن سعد: أظنه مولى لآل الزبير [٢] وقيل كان حسنياً يعني على مذهب شيخه الحسن بن صالح [٣] على عبادته وسوء مذهبه، قال ابن عدي: لم أذكر له من الحديث شيئاً إلا أنه مشهور بالصدق وبكثرة الروايات في جملة الكوفيين وهو أشهر من أن يذكر له حديث فإن أحاديثه تكثر وهو في نفسه صدوق وإذا حدث عن صدوق مثله حدث عنه صدوق فلا بأس به وبحديثه [٤] المعروف الطعن يوجه للشخص فما علاقة مذهبه ؟ ومن قال بـــ صحة مذهب الطاعن .

وجميع بن عبد الرحمن العجلي الكوفي [٥] روى عن بعض التابعين، فسقه أبو نعيم، الفضل بن دكين الملائي [٦] حسب قول الذهبي [٧] وقال أبو داود: هو راوي حديث هند بن أبي هالة، أخشى أن يكون كذاباً [٨] وقال ابن عدى مجهول [٩] ويكفينا موقف القرآن الكريم من خبر الفاسق، جاء بـــ قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ } [١٠] إذاً علينا التحقق من صحة خبره، قبل ان نكون من النادمين، والعجيب رواية السيرة المحمدية عن الفسقة، إلا يوجد مؤمنين تُنقل عنهم ؟ ومن غريب هذا الخبر رواه الفاسق عن رجل في مكة لم يسمه وإنما دلس عنه، ومهما كان شكل ضعفاً في السند، فضلاً عن ذلك لم نعرف ابن أبي هالة، فـــ أصبح الأمر تدليس على تدليس .

لا بأس به يكتب حديثه، وليس بالقوي [١١] ترجم له ابن حبان في الثقاة [١٢] .

---

١ التعديل والتجريح ٧٧٠/٢

٢ الطبقات الكبرى ٣٠٦/٢

٣ الحسن بن صالح بن حي الهمداني الثوري الكوفي ، من أصحاب الإمام الباقر (عليه السلام) وهو صاحب المقالة ، الزيدي واليه تنسب الصالحية . الطوسي : رجال /١٣٠ .

٤ الكامل ٣٨٢/٦

٥ ابن عدي : الكامل ١٦٧/٢

٦ لمعرفة تفصيلات أحواله ينظر المحمداوي : عقيل /٢٢ .

٧ ميزان الاعتدال ٤٢١/١

٨ الذهبي : ميزان الاعتدال ٤٢١/١

٩ ابن حجر : لسان الميزان ٣٤٢/٤

١٠ الحجرات/٦

١١ ابن حجر : تهذيب التهذيب ٩٥/٢

١٢ ١٦٦/٨

وما يخص ابن ابي هالة ورد في الرواية انه تلميذ الإمام الحسن (ع) اي انه روى عنه، وفي الرواية نفسها شيخ الامام (ع) وبالتالي بين حانة ومانه ضاعت لحايا، نعم والله ضاع الحق بين هذه الخزعبلات، وبما إننا لم نعرف ابن أبي هالة، يجب مراجعة سيرته، على سبيل المثال معرفة اسمه، النباش بن زرارة بن وقدان، وقيل هو زرارة بن النباش، قيل اسمه مالك بن النباش بن زرارة، وقيل أبو هالة هند بن زرارة بن النباش، يقال أن زرارة بن النباش رثى كفار بدر ولم يذكر له إسلام [١] .

يقال تزوج السيدة خديجة (عليها السلام) فولدت له هند بن هند [٢] رباه النبي ﷺ [٣] الذي تزوجها بعد ابي هالة [٤] والباحث لا يميل لصحة الخبر، وينفي وجود أزواج للسيدة خديجة (عليها السلام)ويعدها بكراً ادخرتها الإرادة الربانية لتنجب ذرية طاهرة ملأت المعمورة، ذكر الأدلة يطول وبعيد من أصل الموضوع، ولكن نكتفي بالقول: من لا يشرب الخمر تأبى نفسه شرب الماء في إناء شُربت فيه الخمرة، فكيف إذا كان النبي ﷺ هل تطب نفسه الأقتران بزوجة قد واقعها أهل الشرك، لنا تفصيل في هذا المورد ناقشناه في كتابنا الذي لم يطبع بعد تحت عنوان " دراسات في زوجات النبي محمد ﷺ "

وابنه هند بن النباش بن زرارة، يقال قتل مع أمير المؤمنين (ع) في معركة الناكثين، كان فصيحاً بليغاً وصف النبي ﷺ فأحسن وأتقن [٥] وليس لــ هالة فيه مدخل ويرد الحديث في ترجمة هند، ولعل ابا نعيم الملائي تركه لهذا، ذكره أبو عمرو مختصراً ولم يورد له حديثاً، ترجم له الحافظ أبو عبد الله وأورد في ترجمته حديث هند، قيل هو ابن خديجة، والصحيح هالة أخت خديجة بنت خويلد وهى هالة بنت خويلد أم أبى العاص بن الربيع [٦] .

وقيل هند بن هند بن أبى هالة التميمي، يقال له صحبة [٧] روى عن النبي ﷺ روى عنه الإمام الحسن (ع) صفة النبي ﷺ أخرجه الترمذي والبغوي والطبراني وغيرهم من طرق عن الحسن بن علي ووقع بعلو في مشيخه أبي علي بن شاذان من طريق آل البيت، وأخرجه البغوي أيضاً، وأخرجه ابن منده [٨] هذا كل ما عرفناه عن الرجل .

---

١ ابن حجر : الإصابة ٤٣٦/٦ .
٢ ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ١٧٩/٣
٣ المجلسي : بحار الأنوار ٢٠٠/٢٢
٤ ابن حجر : الإصابة ٤٣٦/٦ .
٥ ابن حجر : الإصابة ٤٣٧/٦ .
٦ ابن الأثير : أسد الغابة ٥٠/٥ .
٧ ابن حبان : الثقاة ٣/ ٤٣٦ .
٨ ابن حجر : الإصابة ٤٣٦/٦ .

رواية ابن عباس

رواها الصدوق، وهو من أهل السنة (الشيعة الإمامية) جعله الله صدوقاً في الدنيا والآخرة، وهو كثير ما يميل إلى نقل روايات العامة، ظناً منه إنها صحيحة، ربما تنفعه في المجالس، وربما هذه الكتب منسوبة له نحن لم نتحقق من ذلك وإنما تكهنات لا تستند إلى شيء صحيح، جاءت الرواية بـــ سند طويل عن عكرمة، عنه في رواية أطول من مسلسل مراد علم دار وباب الحارة مجتمعين، ولنجاري القائلين بعدم جواز مثل هذا التشبيه في الأبحاث الاكاديمية نقول: أطول من الف ليلة وليلة، قال: قدم يهوديان أخوان على أمير المؤمنين (ع) فـــ قال أحدهما له: صف لي محمداً كأني أنظر إليه حتى أومن به الساعة، فبكى ثم قال: هيجت أحزاني، كان صلت الجبين، مقرون الحاجبين، أدعج العينين، سهل الخدين، أقنى الانف، دقيق المسربة، كث اللحية براق الثنايا، كأن عنقه إبريق فضة، له شعيرات من لبته إلى سرته، ملفوفة كأنه قضيب كافور، لم يكن في بدنه شعيرات غيرها، لم يكن بالطويل الذاهب ولا بالقصير النزر، إذا مشى مع الناس غمرهم نوره، وإذا مشى كأنه يتقلع من صخر أو ينحدر من صبب، مدور الكعبين، لطيف القدمين دقيق الخصر عمامته السحاب، وسيفه ذو الفقار، وبغلته دلدل، وحماره اليعفور، وناقته العضباء، وفرسه لزاز، وقضيبه الممشوق، وكان أشفق الناس على الناس، وأرأف الناس بالناس، بين كتفيه خاتم النبوة مكتوب على الخاتم سطران أما أول سطر لا إله إلا الله وأما الثاني فمحمد رسول الله ﷺ هذه صفته، فقال اليهوديان: نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ وأنك وصي محمد حقاً، فأسلما وحسن إسلامهما ولزما أمير المؤمنين (ع) فكانا معه حتى كان من أمر الناكثين ما كان، فخرجا معه إلى البصرة فقتل أحدهما في وقعة الناكثين، والآخر في معركة القاسطين [1] .

هنا سؤال هل لمجرد وصف النبي(ص) دليل على انه وصيه؟ بـــ امكان اي صحابي رأى النبي(ص) ان يصفه، وما يخص حماره لم ندرسه ولم نتحقق من وجوده، ونحن من الرافضين قضية خاتم النبوة، هذه ترهات لا تصدق، وما يخص سيف ذو الفقار، هل ثبت لـــ النبي(ص) أو لأمير المؤمنين فيه خلاف بيناه في بحثنا الناكثون والقاسطون والمارقون[2] .

يضعف الرواية عدم معرفة اسمي الرجلين، وهي أحادية لم يذكرها غير صاحبها ونقلها عنه المجلسي[3] فـــ إذا صح نقلها عن أمير المؤمنين، كثر نقلها عن ذريته، وملأت بطون مؤلفات

---

١ الصدوق : الخصال/٥٩٨ .

٢ مقبول لـــ النشر مجلة ابحاث البصرة ، سنة ٢٠١٨ .

٣ البحار ٩٣/٣٠ .

الشيعة منها، ولم تكن بـــ هذه المحدودية، ويكفي الرواية ضعفاً وجود عكرمة مولى ابن عباس فيها، هو رجل من اسم فقط وغير معروف الأب بينا كثير من أحواله في وقت سبق[1] وعليه اكتفينا به عن نقد باقي السند .

رواية أبو الطفيل

رواها محمد بن عمر عن شيبان عن جابر بن يزيد عن أبي الطفيل قال: رأيته يوم فتح مكة فما أنسى شدة بياض وجهه وشدة سواد شعره إن من الرجال لمن هو أطول منه ومنهم من هو أقصر منه يمشي ويمشون قلت لـــ خولة أمي فمن هذا قالت هذا النبي ﷺ قلت ما كانت ثيابه قالت ما أحفظ ذلك الآن[2] .

الرواية في سندها الواقدي مطعون فيه[3] وقد تعبنا واتعبنا غيرنا في إشكالية طعن الواقدي على اعتبار انه مقدوح عند أهل الحديث وليس التاريخ، وإذا كان الحال هكذا هل نلغي الروايات الوارده في كتابه المغازي وغيره؟ لا نرجو من الكاذب في الحديث ان يصدق في التاريخ، هذا هو الجواب ومن شاء ينظر المغازي ويطلع على ما فيها، ما وافق روايات الإثبات نعمل بها بقرينة وجود من يؤيدها، وما خالف هي رواية كذاب نتركها والسلام؟ .

وشيبان بن عبد الرحمن، يكنى أبا معاوية، مولى بني تميم، مؤدب سليمان بن داود بن علي بن عبد الله بن عباس، توفي في بغداد سنة ١٦٤هـــ في إمارة المهدي ودفن في مقبرة الخيزران، وثقه العامة [4].

وجابر بن يزيد الجعفي ثقة لا غبار عليه من خلص أصحاب الإمام الباقر وثقاته [5] وله رواية قد تكون اصح من هذه رواها عن الإمام الباقر(ع) وهي عبارة عن طلب منه قال: صف لي النبيﷺ قال: أبيض مشرب بـــ حمرة، أدعج العينين، مقرون الحاجبين، شثن الأطراف كأن الذهب افرغ على براثنه عظيم مشاشة المنكبين، إذا التفت يلتفت جميعاً من شدة استرساله، سربته سائلة، من لبته إلى سرته كأنها وسط الفضة المصفاة كأن عنقه إلى كاهله إبريق فضة،

---

١ المحمداوي : عكرمة مولى ابن عباس مفسراً ، بحث مقبول للنشر مجلة الكلية الإسلامية الجامعة /٢٠١٧ .
٢ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤١٩/١ .
٣ المحمداوي : ابو طالب /١٧٠ .
٤ المحمداوي : دراسات في زوجات النبي ﷺ مبحث الأنصارية .
٥ المحمداوي : الاسلام قبل البعثة /٢٤٤ – ٢٥٠ .

يكاد أنفه إذا شرب أن يرد الماء، وإذا مشى تكفأ كأنه ينزل في صبب، لم ير مثل نبي الله قبله ولا بعده ﷺ[1] .

وأبو الطفيل، عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمير الكنانى الليثى، هو بكنيته أشهر ولد عام أحد وأدرك من حياة النبي ﷺ ثمان سنين سكن الكوفة ثم انتقل إلى مكة، من أصحاب أمير المؤمنين(ع) المحبين له شهد معه مشاهده كلها، ثقة مأموناً يعترف بفضل أبى بكر وعمر وغيرهما إلا انه كان يقدمه عليهما توفى سنة ١٠٠هـ وقيل ١١٠هـ وهو آخر من مات ممن رأى النبي ﷺ [2] .

المعروف إن معركة أحد وقعت سنة ٣هـ أي تاريخ ولادته، وشاهد النبي ﷺ في فتح مكة سنة ٨هـ، بناء على ما ورد في الرواية، وبهذا يكون عمره ٥ سنوات وهو صبي غير مميز، لا يصح النقل عنه في أعطاء تفصيلات دقيقة حول وصف الحبيب المصطفى، والغريب عرفوا جل صفاته إلا ملابسه ما عرفوها، وكيف عرفوا سواد شعره ورأسه مغطى، وهذا يتناقض وما قيل إدراكه إياه لثمان سنوات، وعليه تركيب السند بهذه الطريقة لا يصح، وتكون الرواية باطلة .

رواية ابن مسعود

رواها عبدان بن أحمد عن يحيى بن حاتم العسكري عن بشر بن مهران عن شريك عن عثمان بن المغيرة عن زيد بن وهب عنه قال: أول شيء علمت من أمر النبي ﷺ قدمت مكة في عمومة لي فأُرشدنا الى العباس بن عبد المطلب فاتتهينا إليه وهو جالس إلى زمزم فجلسنا إليه فبينا نحن عنده إذ أقبل رجل من باب الصفا أبيض تعلوه حمرة له وفرة جعد إلى أنصاف أذنيه أشم أقنى أذلف براق الثنايا أدعج العينين كث اللحية دقيق المسربة شثن الكفين والقدمين عليه ثوبان أبيضان كأنه القمر ليلة البدر [3] .

الرواية مسندة عن ابن مسعود، وموقف الباحث سلبياً منه سجل عليه بعض علامات الاستفهام [4] ويشم منها رائحة العباسيين لتزيين سيرة جدهم العباس احد مسلمة الفتح، المنافي لقدم إسلام ابن مسعود وهجرته الحبشة إن صح ذلك، المفروض أن يسأل عمه وحاميه وناصره

---

١ الكليني : الكافي ٤٤٢/١

٢ ابن الأثير : أسد الغابة ٩٦/٣ .

٣ الطبراني : المعجم الكبير ١٨٣/١٠ ، ابن عساكر : تاريخ ٢٦٥/٣

٤ المحمداوي : الاسراء والمعراج ، دراسة في سند روايات ابن إسحاق ، مجلة أبحاث البصرة ، مج ٤١ ، ع ١ ، السنة ٢٠١٦ /ص ١١٥ .

أبي طالب، متن الرواية يحتاج إلى نقد وتحقيق عميقين، لمعرفة تفصيلات أكثر عن حياة ابن مسعود وإسلامه، وهل انه مكي أم لا ؟ ومن أين أتى ؟ .

روايتا البراء بن عازب

له روايتين، الأولى عن محمد بن جعفر عن شعبة عن أبي اسحق السبيعي عنه قال: كان النبي ﷺ رجلاً مربوعاً بعيد ما بين المنكبين عظيم الجمع إلى شحمة أذنيه عليه حلة حمراء ما رأيت شيئاً قط أحسن منه[١] السند فيه محمد بن جعفر الهذلي، ويلقب غندر، مطعون فيه[٢] وكذلك شعبة بن الحجاج، ت ١٦٠هـ [٣] وعمرو بن عبد الله السبيعي الهمداني صنيعة معاوية، افسد حديث أهل الكوفة [٤] .

البراء بن عازب، بن الحارث بن عدي بن جشم ... بن الخزرج، أمه حبيبة بنت أبي حبيبة ابن الخزرج، ويقال بل أمه أم خالد بن ثابت بن سنان، كنيَّ أبا عمارة [٥] أنصاري من أصحاب النبي ﷺ [٦] سكن الكوفة [٧] إصابته دعوة أمير المؤمنين(ع) في كتمان حديث الولاية فعمي[٨].

وقيل شهد له بالجنة، وذلك بعد أن روت العامة [٩] وقد نقى الخوئي كل ذلك بـ قوله: لم يثبت ذلك، فإن ذلك مروي عن طريق العامة، ولا وثوق بصحة سنده، وأما من طريق الخاصة، فقد رواه الصدوق في المجالس، وراح مسترسلاً في الموضوع [١٠] كان أحد الحاضرين يوم تتويج أمير المؤمنين (ع) [١١] مات في ولاية مصعب بن الزبير على العراق سنة ٧٢هـ [١٢] .

والثانية عن وكيع عن سفان عن أبى اسحق عن البراء قال ما رأيت من ذى لمة أحسن في

---

١ ابن حنبل : مسند ٢٨١/٤ .
٢ المحمداوي : أبو طالب /٢٣٢ .
٣ المحمداوي : دراسات في زوجات النبي ﷺ مبحث الأنصارية
٤ المحمداوي : ابو طالب /٨٤ .
٥ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣٦٤/٤ .
٦ العجلي : الثقاة ١/ ٢٤٥ .
٧ ابن ابي حاتم : الجرح والتعديل ٣٩٩/٢ .
٨ العلامة الحلي : خلاصة الأقوال /٧٨ .
٩ ابن داوود : رجال /٥٤ .
١٠ معجم رجال الحديث ١٨٤/٤ .
١١ المحمداوي : الخلافة الراشدة /٩٦ .
١٢ ابن حبان : الثقاة ٢٦/٣ .

حلة حمراء منه له شعر يضرب منكبيه بعيد ما بين المنكبين ليس بالطويل ولا بالقصير [١] هذا حديث حسن صحيح [٢] السند فيه وكيع بن الجراح الكوفي وثقوه [٣] .

رواية أم معبد

وهي طويلة فيها سجع وشعر وتطرقت إلى شاة ولبن اخذنا منها موضع الشاهد، وهو وصف النبي(ص) قالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة متبلج الوجه حسن الخلق لم تعبه ثجلة ولم تزر به صعلة وسيم قسيم في عينيه دعج وفي أشفاره وطف وفي صوته صحل أحور أكحل أزج أقرن شديد سواد الشعر في عنقه سطع وفي لحيته كثافة إذا صمت فعليه الوقار وإذا تكلم سما وعلاه البهاء وكأن منطقه خرزات نظم يتحدرن حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر أجهر الناس وأجمله من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب ربعة لا تشنوؤه من طول ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا له رفقاء يحفون به إذا قال استمعوا لقوله وإذا أمر تبادروا إلى أمره محفود محشود لا عابث ولا مفند [٤] . الغريب في الموضوع احد الخبراء الذين قيموا البحث عندما قرأ الرواية قال " يظهر ان الباحث ينقل النصوص بطريقة النسخ واللصق " وهذه فراسة قوية من لدن الخبير كيف توصل إلى هذه النتيجة المهمة بعد ان كاد ينهي تقويم نصف البحث ؟ يا سيدي نحن في عصر السرعة، نهايات سنة ٢٠١٨ م تريد منها نشتغل على قصاصة، منهج الستينيات مثلاً، ولعله لم يجد موضع للقدح الا هذه فجعل منها رصاصة ضرب فيها الباحث وليس البحث، المهم له كل التقدير كل الود والاحترام على كل جرة قلم ساهمت في رقي الشيء الذي بين أيدينا.

المراد بـ الثجلة عظيم البطن ومصدره الثجل[٥] والصعلة، الرجل الصعل إذا صغر رأسه، كأنه يستوى مع عنقه من غير قصر في العنق[٦].

قال أبو داود: أخشى أن يكون مصنوعاً، يعني الكلام السجع والشعر، فاما الشاة واللبن فلا، عاشت أم معبد إلى أيام عثمان، وأخذت بلحيته وقالت له أعدل[٧] وهنا إشكالية قد تثار هل انه غير عادل؟ وإذا حصل وأخذت بلحيته معناه الرجل قمة التواضع أي أمير تفعل معه اليوم هكذا إذا

---

١ ابن حنبل : مسند ٣٠٠/٤ .
٢ الترمذي : سنن ١٣٤/٣ ، ٥/ ٢٥٨.
٣ المحمداوي : النهج الأموي ، مجلة أبحاث البصرة ، مج ٣٧ ، ع ٢ ، س ٢٠١٢ ، ص ١٧٢
٤ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢٣٠/١ .
٥ الفراهيدي : العين ٩٩/٦ .
٦ الفراهيدي : العين ٣٠٢/١ .
٧ الآجري : سؤالات ٢٨٢/١ .

ما يأمر السياف بـــ قطع عنقك، ربما اراد الراوي انها احد الذين ثاروا ضد عثمان وقد فعلت بـــه ذلك في يومه الأخير من الدنيا، الرواية تبدو وكأنها خرافة أقتطعنا منها ما يفيدنا وتركنا غيره.

عموماً الباحث لا يميل إلى وجود شخصية أم معبد هذه ويعدها وهمية على الرغم من ترجمة لها ابن ابي حاتم قال: الخزاعية التي نزل عليها النبي ﷺ روت عنه هذا الحديث وحـــده الـــذي نحن بصدده واسمها عاتكة بنت خالد روى عنها أخوها حبيش، ويقال اسمها عاتكة بنت منقذ[١].

هناك مَنْ استدل على صحته فـــ قال "وفي حديث أم معبد المشهور في لحيته كثافـــة"[٢] مـــن دون التحقق إن كان الأمر صحيح أم مفترى .

في نهاية المطاف قد يقول قائل: الآن خلص الموضوع الأول من البحث وقد ضـــعف الباحـــث الروايات كلها، والصحيح ليس تضعيف وإنما عرض أسانيدها على ميزان علم الرجال فـــ وجـــد فيها من خفت موازينه ومَنْ ثقلت، المهم لا بد في النهاية ترجيح واحدة يعتمد عليها فـــي بقيـــة نقاط البحث، أما انه كل الروايات تجرح أسانيدها معناها ما الجدوى من البحث، وبمعنى أدق يريد القارئ معرفة الصفات الحقة لـــ النبي (ص) .

وقريب من هذا المعنى قول آخر، ما الهدف من هذا الطعن في الأسانيد، مـــع مـــا ان المـــتن تقريباً متشابه في كل الروايات وهي من أفضل الوصف ؟ وإذا كان هناك اجمـــاع علـــى ســـبيل الفرض، هل يكون حجة؟ كأن صاحب هذا القول ذهب الى الحديث المفترى على النبي (ص) قـــال "ان لا يجمع أمتي على ضلالة"[٣] هذا ليس صحيحاً اجتمعت الأمة ومضت.

المقال ظاهره جميل، beautiful article وقد يكون محموداً عند غير المحققين، ومرفوضاً عند أهل التحقيق، سؤال لماذا مرفوض ما هي الأسباب ؟ الجواب المحقق لست بائع جملـــة فـــي سوق العمل وإنما بائع مفرد، بمعنى دقيق هو لست البرلمان العراقي يعمل بالتفاهمات ويصـــوت على القرارات في سلة واحدة، وإنما قد تصح من الرواية كلها جملة واحدة، والعكـــس صـــحيح، عمل الباحث في هذا المورد قائماً على تفكيك الروايات تجزئتها ومن ثم غربلتها وبيان الجيد مـــن الرديء، Bad وعليه يجب على القارئ، The reader must ان ينماز بـــ الصبر Patience وطول الأناة حتى يتمكن من قراءة الموضوع اللاحق العنوانات الفرعية عندها تكـــون الصـــورة أمامه واضحة ان شاء الله تعالى .

---

١ ابن ابي حاتم : الجرح والتعديل ٤٦٦/٩ .
٢ الشوكاني : نيل الأوطار ١٨٤/١ .
٣ ابن حنبل : مسند ٣٩٦/٦ .

العنوانات الفرعية subtitles

وهي عبارة عن اشتقاقات لُغوية لمفردات وردت في روايات المبحث الأول، بـ معنى شبيه بـ اشتقاق الحادثة التاريخية من البيت الشعري مثال example عندما يرد مصطلح صلت الجبين يجب العودة إلى قواميس اللغة لمعرفة معناه، ولا يعجل علينا أبا هند ويتفوه بـ القول: لا وجود للكاتب وانما البحث عبارة عن معجم اللغة العربية لبعض المعاني ولا علاقة له بـ الموضوع، وهذا ما حصل فعلاً، نحن نتعكز على قول الشاعر عمرو بن كلثوم التغلبي، ت ٣٩ق. هـ: أَبا هِندٍ فَلا تَعجَل عَلَينا وَأَنظِرنا نُخَبِّركَ اليَقينا [١]

على من يذهب هذا المذهب أن يتأنى في النقد، ويعي ما أراده الباحث، ومن بعده يصدر حكمة، أما اطلاق مثل هذا المعنى هو جناية على الباحث، وبحثه، علينا أن ندرس أوصاف النبيﷺ التي وردت في الروايات السابقة ، ومن المعروف إن الصفات تنقسم إلى قسمين صفات معنوية moral غير محسوسة، هذه ليس محلها، وصفات مادية materialism ظاهرة بينة للعيان، هي مدار حديثنا الآن منها:

أولاً: وصف رأسه description his head

بالغت الروايات في كبر رأسه، ومنها رواية نافع بن جبير عن أمير المؤمنين (ع) قال عظيم الهامة[٢] great وفي رواية ابو هالة، ضخم الرأس huge [٣] وحتى نعرف المراد من الرواية أهو مدحاً، أو قدحاً، لا بد من مراجعة قواميس اللغة لـ معرفة الهامة وعظيمها، قيل هي الجمجمة جمعاً Skull، وقيل: القحف القطعة منها، وقيل: هي ما بين حرفي الرأس، وقيل الرأس، وقيل وسطه ومعظمه من كل شيء، وقيل الهامة أعلاه وفيه الناصية والقصة، وهما ما أقبل على الجبهة من شعر الرأس، وفيه المفرق، وهو فرق الرأس بين الجبينين إلى الدائرة [٤] إن صح فهمنا للرواية هي تمثل قدحاً بـ معنى انه كبير الرأس، وما أسوء ذم الرجل في لغة اليوم عندما يقال له بـ لغة هابطة "أبو راس" رب يوجد من يعد هذا دليلُ ليس ناهضٌ .

وعادة يرتبط الشعر Hair بـ الرأس، وعليه لـ نعرف كيف صورته الروايات، ومن ذلك رواية نافع بن جبير قال: كثير شعر الرأس، ولهذا نتصور رأس ضخم عظيم وكثير الشعر، كيف

---

١ ديوانه ، القصيدة النونية ، رقم البيت ٢٣ .

٢ ابن أبي شيبة : المصنف ٤٤٦/٧

٣ البخاري : التاريخ الكبير ٨/١، ابن شبة النميري : تاريخ المدينة ٦٠٢/٢ ، ينظر الترمذي : الشمائل المحمدية/٣١ ، الطبري : تاريخ ٤٢٥/٢.

٤ ابن منظور : لسان العرب ١٢/ ١١٠ ، ٦٢٤ .

يصبح الحال، أليس هذا قدحُ، وليس هذا حسب بل شعره طويل إلى شحمة أذنه، كما في رواية ابي هريرة[١] وقيل يصيب منكبيه[٢] [٣] وعلى رواية كان شعره فرق حاجبيه[٤] .

أما طبيعة شعره، هناك من نفى الجعودة عنه واختط طريقاً وسطاً، فـ قال: ليس بالجعد القطط ولا بالسبط هو رجل الشعر أسوده إلى السرة [٥] قضية رجولة الشعر احد صفات النبي عيسى(ع)[٦] وفي صفة النبي محمد ﷺ كان شعره رجلاً أي لم يكن شديد الجعودة ولا شديد السبوطة بل بينهما [٧] معناه في شعره تكسر وتعقف [٨] أي ليس مبالغ في الجعودة كشعر السودان ونحوهم [٩] يعني وسط منزلة بين منزلتين، ولون شعره أسود كما جاء في الرواية .

شعر مرجل أي مسرح وكان شعره بأصل خلقته مسرحاً، بكسر الجيم ومنهم من سكنها أي مسرح الشعر، وفسر بما فيه تثن قليل، ورويَّ أنه شعر بين شعرين، لا رجل ولا سبط فالمراد به المبالغة في قلة التثني [١٠] أي حسناً إذا مشطه بالمشط كأنه حبك الرمل [١١] أو كأنه المتون التي تكون في الغدران إذا سفتها الرياح فإذا مكث لم يرجل أخذ بعضه بعضاً [١٢] .

وان شعره قطط: وهذه احد صفات المسيح الدجال [١٣] والقط: النصيب لقوله تعالى {وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ }[١٤] وشعر قطط، والجميع قططون وقططات [١٥] هو شديد

---

١ ابن عساكر : تاريخ ٣٥٧/٣ .
٢ المنكب : مجمع عظم العضد والكتف ، وحبل العاتق من الإنسان . الفراهيدي : العين ٣٨٥/٥ .
٣ ابن حنبل : مسند ١١٨/٣ .
٤ وهو ما بين الكتف والعنق . ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ١١٣/٥ .
٥ ابن هشام : السيرة ٢٧١/٢ ، ينظر ابن سعد : الطبقات ٤١١/١ ، ابن ابي شبة النميري : تاريخ المدينة ٤٠٦/٢ ، ابن كثير : البداية ٣٣/٦ .
٦ ابن حنبل : مسند ١٢٧/٢ .
٧ الطبراني : الأحاديث الطوال/٧٨ ، ابن منظور : لسان العرب ٢٧٢/١١، الزبيدي : تاج العروس ٣٣٧/٧ .
٨ الصدوق : معاني الأخبار/٨٤ .
٩ المزي : تهذيب الكمال ٢٢٤/١ .
١٠ المناوي : فيض القدير ٨٨/٥ ، ٩٧.
١١ حبكته بالسيف حبكا، وهو ضرب في اللحم دون العظم، ويقال محبوك العجز والمتن إذا كان فيه استواء مع ارتفاع، والحباك: رباط الحضيرة بقصبات تعرض ثم تشد كما تحبك عروش الكرم بالحبال، واحتبكت إزاري: شددته. والحبيكة: كل طريقة في الشعر وكل طريقة في الرمل تحبكه الرياح إذا جرت عليه. الفراهيدي: العين ٦٦/٣.
١٢ ابن عساكر : تاريخ ٣٥٧/٣ .
١٣ ابن حنبل : مسند ١٢٧/٢ .
١٤ ص /١٦
١٥ الفراهيدي : العين ١٥/٥ .

الجعودة، وقيل حسن الجعودة، والأول أكثر[١] كان على هذه الصفة شعر الزنجـــي، قطـــط، جعـــد وقصير [٢] وحاشا رسول الله ﷺ من ذلك .

وقيل جعد الشعر ، Frizzy hair جاء في رواية أبي هريرة انه جعد المفرق، الجعد في صفات الرجال يكون مدحاً وذماً، فالمدح معناه أن يكون شديد الأسر والخلق، أو يكون جعد الشعر، وهو ضد السبط، لأن السبوطة أكثرها في شعور العجم، وأما الذم فهو القصير المتردد الخلق[٣] وكان له جمة جعدة، وهي من جعد الرأس: أي ما سقط على المنكبين[٤] والجمة بالضم: مجتمع شعر الرأس وهى أكثر من الوفرة يقال للرجل الطويل الجمة، جماتي [٥] ولا نعرف مجمع الشعر أين يكون من الرأس؟ لعله في أعلاه .

والجعد من الرجال، المجتمع بعضه إلى بعض، والسبط: الذي ليس بمجتمع، وقيل: الجعد الخفيف من الرجال، وقيل: هو المجتمع الشديد، والجعد إذا ذهب به مذهب المدح فله معنيان مستحبان: أحدهما أن يكون معصوب الجوارح، غير مسترخ ولا مضطرب، وجعودة الشعر هي الغالبة على شعور العرب، فإذا مدح الرجل بالجعد لم يخرج عن هذين المعنيين، أن يقال رجل جعد إذا كان بخيلاً لئيماً، وإذا قالوا رجل جعد السبوطة فهو مدح، إلا أن يكون قططا مفلفلاً كشعر الزنج والنوبة فهو حينئذ ذم[٦] والمراد بالجعد هنا جعودة الجسم وهو اجتماعه واكتنازه وليس المراد جعودة الشعر[٧] وهذا هو الصحيح؟.

أما الشعر السبط، هو المسترسل ليس فيه تكسر ويقال في الفعل منه سبِط شعره بكسر البـــاء يسبَط بفتحها سبطا بفتحها أيضاً[٨] وفي رواية ابن مسعود له وفرة جعد إلى أنصاف أذنيه Ears أي تركه حتى يكون وفرة، وهي الجمة[٩] جعله طويلاً لم يحلقه .

كما ورد في رواية ابي هالة إن انفرقت عقيصته فرق [١٠] العقيصة: الشعر المعقوص، وهو نحو من المضفور، وأصل العقص، اللى، وإدخال أطراف الشعر في أصوله، والمشهور "عقيقته"

---

١ ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ٨١/٤ .
٢ ابن منظور : لسان العرب ٣٨٠/٧ .
٣ ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ٢٦٦/١
٤ ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ٢٨٩/١
٥ الجوهري : الصحاح ١٨٩٠/٥
٦ ابن منظور : لسان العرب ١٢٢/٣
٧ النووي : شرح مسلم ٢٢٧/٢ .
٨ الصدوق : معاني الأخبار/٨٤ ، النووي : شرح مسلم ٢٢٧/٢ .
٩ المزي : تهذيب الكمال ٢٢٤/١ .
١٠ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤٢٢/١ .

لأنه لم يكن يعقص شعره، والمعنى إن انفرقت من نفسها وإلا تركها على حالها ولم يفرقها [١] وقيل معناها صار شعره فرقين بنفسه في مفرقه [٢] والعقيقه: هي الشعر المجتمع في الرأس، وعقيقة المولود: الشعر الذي يكون على رأسه من الرحم، ويقال لشعر المولود المتجدد بعد الشعر الاول الذي حلق عقيقة [٣] والعقص: أن تلوي الخصلة من الشعر ثم تعقدها ثم ترسلها، وقيل أن تأخذ المرأة كل خصلة من شعرها فتلويها ثم تعقدها حتى يبقى فيها التواء Twising ثم ترسلها، فكل خصلة عقيصة، وربما اتخذت عقيصة من شعر غيرها، ولا يقال للرجل عقصة، والعقيصة: الضفيرة، وعقص الشعر: ضفره وليه على الرأس [٤] وانماز شعره بشدة سواده جاء ذلك في رواية أبي الطفيل .

على الرغم من التنويه إلى استخدام معاجم اللغة وبينا أسباب ذلك، لم نسلم حتى على هذه هناك من وضع ؟ وقال: ما الغرض من كل هذه المعاني اللغوية ؟ النتيجة ما هي طبيعة شعر النبي (ص) ؟ وهذا السؤال استفزازي جاء على طريقة تجاهل العرف، ماذا نقول له بعد الذي كتباه عن الموضوع ؟ .

ثانياً: وجهه his face

ورد عند أبي داود ما يفيد إن النبي محمد ﷺ يشبه النبي عيسى(ع)[٥] ونسب له القول "أنا أشبه ولد إبراهيم به"[٦] وهذه الأوصاف درسناها في كتابنا الإسراء والمعراج[٧] .

كان جمال وجهه مضرب الأمثال لحسنه، حتى قيل كأنه فلقة قمر[٨] روى ذلك عبيد الله بن موسى عن موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد عمن أخبره أنه ذكر النبي ﷺ في حديث رواه قال: ما رأيت رجلاً مثله كأنه فلقة قمر[٩] .

---

١ ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ٣/٢٧٥ .
٢ ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ٣/٤٣٨ .
٣ الصدوق : معاني الأخبار/٨٤ .
٤ ابن منظور : لسان العرب ٧/٥٦ .
٥ مسند /٢٤٩
٦ ابن إسحاق : السير /٢٩٥
٧ كتاب غير منشور .
٨ ابن حبيب : المنمق/ ٤٢٧
٩ ابن سعد : الطبقات الكبرى ١/٤١٩

السنـــد فيه عبيد الله بن موسى العبسي الكوفي توفى في حدود ٢١٣هـــ فيه طعون[١] وكذلك موسى بن عبيدة [٢] وأيوب بن خالد بن صفوان بن أوس الأنصاري النجاري المدني، نزل برقة، أمه عميرة بنت أبي أيوب الأنصاري، روى له مسلم، والنسائي حديثاً واحداً [٣] ترجم له ابن حبان في الثقاة [٤] وقال ابن حجر: فيه لين [٥] وقد دلس عن الذي اخبره، من هو لم نعرفه؟.

وكان في مهده نائماً فـــ قال قائل لما كشفت الغطاء عنه برق وجهه برقاً شق السقف بنوره والتزق في عنان السماء، ولما أتى عليه شهر كان إذا نظر إليه الناظر يتوهم انه من أبناء سنة لوقاره، وتمام فهمه [٦] الرواية لم نطمئن للمصدر الذي ذكرها لأنه يبحث عن الفضائل حتى اذا كانت مكذوبة، وهي شيء من الغيبيات ممزوجة بـــ شيء من الخرافة، على العموم هي غير مقبولة لدينا .

وشاهده عبد المطلب عند الولادة وكأنه القمر ليلة البدر [٧] ونعته ابن مسعود هكذا [٨] .

وروى هناد بن السري عن عبثر بن القاسم عن أشعث بن سوار عن أبي إسحاق عن جـــابر بن سمرة قال رأيته في ليلة إضحيان – مضيئة– وعليه حلة حمراء فجعلت أنظر إليه وإلى القمر هو عندي أحسن من القمر[٩] حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[١٠] .

وروى عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن سماك عن جابر بن سمرة قال له رجل: كان وجهه ﷺ مثل السيف sword، فقال: لا، بل كان مثل الشمس والقمر مستديراً circular[١١] السند فيه إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي، كنيَّ أبا يوسف وثقته العامة[١٢] وسماك بن حرب، تابعي مشهور فيه مدح وقدح[١٣] ورواه سفيان بن وكيع عن حميد بن عبد الرحمن الرؤاس عن زهير عن ابي إسحاق قال سأل رجل البراء بن عازب[١٤] .

---

١ المحمداوي : أم كلثوم /٨٩ .
٢ المحمداوي : مصاهرة قبيلة كندة النبي ﷺ /١٦١ .
٣ المزي :تهذيب الكمال ٤٦٨/٣
٤ ٢٥/٤
٥ تقريب التهذيب ١١٧/١
٦ الفضل بن شاذان القمي : الفضائل /٢٢ــ ٢٤ .
٧ الفضل بن شاذان القمي : الفضائل /٤٠
٨ ابن عساكر : تاريخ ٢٦٥/٣
٩ الترمذي : الشمائل المحمدية/٣٩
١٠ الحاكم النيسابوري : المستدرك ١٨٦/٤ .
١١ ابن أبي شيبة : المصنف ٤٤٦/٧
١٢ المحمداوي : كربلاء ارض كرب وبلاء ، مبحث كربلاء في أحاديث أمير المؤمنين (ع) .
١٣ المحمداوي : عقيدة تبع الحميري ، بحث مخطوط /٩
١٤ الترمذي : الشمائل المحمدية/٣٩

وقال يزيد الفارسي [١] رأيته في النوم، جميل دوائر الوجه [٢] ونحن لا نعمل بـــ المنامات ولا نرتب عليها أثراً وروى يزيد بن هارون عن الجريري قال كنت أطوف مع أبي الطفيل بالبيت فقال ما بقي أحد رأى رسول الله ﷺ غيري، قلت رأيته قال نعم قلت كيف كان صفته فقال كان أبيض مليحاً[٣] الملحة في الالوان: بياض يشقه شعيرات سود[٤] سند الرواية فيه يزيد بن هارون، وثقه العامة، على الرغم من تدليسه[٥] ومحمد بن بشار البصري وثقه العامة وفيه ضعف[٦].

وروى وهب بن جرير بن حازم عن أبيه عن الحسن قال كان النبي ﷺ أبيض أزهر[٧] السند فيه جرير بن حازم، ت ١٧٠هـــ فيه مدح وقدح[٨] وربما يكون الشخص الذي سمع منه هو الحسن البصري، ت ١١٠هـــ فيه طعون[٩] والفرق بينهما ٦٠ سنة .

ما قيل عن بياض وجهه انسجم وما قاله عمه أبي طالب (ع) :

وَأَبيَضَ يُستَسقى الغَمامُ بِوَجهِهِ ثِمالُ اليَتامى عِصمَةٌ لِلأَرامِلِ[١٠]

ومن اللافت للنظر إن أبا طالب في ديوانه عامة وفي قصيدته خاصة كثيراً مـــا كـــرر كلمـــة (أبيض) (في قوله وأبيض يستسقي، وبيض السيوف، وأبيض ماضٍ) أشارة إلى الســـيف الـــذي يعود إلى أجداده وآبائه.

وكون اللون الأبيض يمثل اشرف الألوان ويدل على الرجل الكريم وهي صـــفة تطلـــق علـــى النبي(ص) ويكنى به عن السرور والبشر ولما كان البياض أفضل الألوان قالوا البيـــاض أفضـــل والسواد أهول، وقد أرتبط اللون الأبيض في كل الشرائع تقريباً بالطهر والنقـــاء وأضـــفى عليـــه الشعراء نوعاً من القداسة والنورانية، ويعد من أجمل الألوان ومن أحبها عند الناس[١١].

---

١ يزيد بن هرمز مولى بني ليث المدني عن أبي هريرة قال لي على قال عبد الرحمن : يزيد الفارسي هو ابن هرمز ذكرته ليحيى فلم يعرفه ، وكان يكون مع الأمراء ، كان كاتب عبيد الله بن زياد ، كان أمير الموالي بالمدينة في الفتنة . البخاري : التاريخ الكبير ٣٦٧/٨ .

٢ ابن أبي شيبة : المصنف ٤٤٦/٧

٣ابن حنبل : مسند ٤٥٥/٥ ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤١٧/١ ، ابن الأثير : أسد الغابة ٩٦/٣.

٤ الفراهيدي : العين ٢٤٤/٣ .

٥ المحمداوي : الراشدون في فكر العامة ، مبحث أنهم ثلاثة .

٦ المحمداوي : الاسلام قبل البعثة /٤٢ .

٧ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤١٩/١ .

٨ المحمداوي : الراشدون في روايات العامة ، مبحث القائلون إنهم أربعة .

٩ المحمداوي : الإسراء والمعراج دراسة في سند روايات ابن إسحاق /١١٩ .

١٠ ابو هفان ديوان ابي طالب ، القصيدة اللامية رقم البيت /٤٠ .

١١صورة اللون في الشعر الأندلسي ، دراسة دلالية وفنية: د٠ حافظ المغربي/ ٢١٦ .

قوله ثمال بكسر المثلثة وتخفيف الميم هو العماد والملجأ والمطعم والمغيث والمعين والكافي قد أطلق على كل من ذلك وقوله عصمة للأرامل أي يمنعهم مما يضرهم والأرامل جمع أرملة وهي الفقيرة التي لا زوج لها وقد يستعمل في الرجل أيضا مجازا ومن ثم لو أوصى للأرامل خص النساء دون الرجال[١] .

سبحان وقد شاع استعمال مفردات هذا البيت فـ ضمنها الشعراء في اشعارهم ومن المؤسف وصفوا بها من لا يستحق على سبيل المثال ما قاله الحطيأة: ثِمالُ اليَتامى عِصمَةٌ في المَهالِكِ [٢] وحمدون بن الحاج السلمي، ثِمَالُ اليَتَامَى عِصمَةٌ للأرَامِلِ [٣] وسبط ابن التعاويذي: ثِمالُ اليَتامى عِصمَةُ المُستَجيرِ[٤]

وقال محمد بن حمير الهمداني: كهف اليتامى والأرامل عُصْمَةٌ [٥] .

قال قتادة: ما بعث الله نبيا قط إلا بعثه حسن الوجه والصوت حتى بعث نبيكم ﷺ فبعثه كذلك ولم يكن يرجع ولكن كان يمد بعض المد " [٦] قال ابن عدي وهذا لا أعلم أحدا جود إسناده ويوصله غير عباس البحراني وغيره أرسله [٧] الرواية مرسلة لأن قتادة تابعي لم يدرك عصر النبي ﷺ فمن أين علم أوصافه والرجل مطعون فيه [٨] .

وانه صلت الجبين[٩] أي مستو[١٠] رجل صلت الوجه والخد والجبين أي أملس[١١] والجبين: حرف الجبهة ما بين الصدغين [١٢] منفصلاً عن الناحية، كل ذلك جبين واحد، وبعضهم يقول: هما جبينان[١٣] عن يمين الجبهة وشمالها والجبين فوق الصدغ [١٤] والجبينان على هذا كلام العرب،

---

١ ابن حجر : فتح الباري ٤١٢/٢

٢ ديوانه

٣ ديوانه ، الالفية /١٨ ، ينظر عبد الهادي السودي : ديوانه ، الرائية /٣٦ ، عمر الرافعي : ديوانه ، اللامية /١١٢ ، عبد الباقي العمري : ديوانه ، اللامية /٢ ، محمد بن جواد البغدادي : ديوانه ، اللامية /٢ .

٤ ديوانه ، الميمية /٣

٥ ديوانه ، الدالية /١٦

٦ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣٧٦/١ .

٧ الكامل ٤٣٤/٢ .

٨ المحمداوي : الإسراء والمعراج دراسة في سند روايات ابن إسحاق /١٢٨.

٩ ابن سعد : الطبقات ٤١٨/١ .

١٠ الفراهيدي : العين ٩٩/٧

١١ الفراهيدي : العين ١٠٥/٧

١٢ ما بين لحاظ العين إلى أصل الاذن . الفراهيدي : العين ٣٧١/٤ ، ويسمى أيضا الشعر المتدلى عليها صدغاً . الجوهري : الصحاح ١٣٢٣/٤ .

١٣ الفراهيدي : العين ١٥٣/٦

١٤ الجوهري : الصحاح ٢٠٩١/٥

حرفان مكتنفا الجبهة من جانبيها فيما بين الحاجبين مصعداً إلى قصاص الشعر، وقيل: هما ما بين القصاص إلى الحجاجين، وقيل: حروف الجبهة ما بين الصدغين متصلاً عدا الناصية، كل ذلك جبين واحد [١] .

ومبلج الثنايا: رجل أبلج طليق الوجه بالمعروف، وأبلجت الشمس إبلاجاً، أنارت وأضاءت، انبلج الصبح إذا أضاء[٢] والبلوج: الإشراق، والبلجة: نقاوة ما بين الحاجبين، يقال: رجل أبلج بين البلج، إذا لم يكن مقروناً، وفى حديث أم معبد، في صفة النبي ﷺ "أبلج الوجه" أي مسفرة مشرقه [٣] البلجة والبلج: تباعد ما بين الحاجبين، إذا كان نقياً من الشعر، وقيل: الأبلج الأبيض الحسن الواسع الوجه، يكون في الطول والقصر[٤] وتبلج الرجل إلى الرجل: ضحك وهش، وهو الفرح والسرور[٥] وبالعموم هذا نعت .

وما يخص لون بشرته the color of skin فقد حدث أبو سلمة الخزاعى عن سليمان بن بلال عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن انه سمع أنس بن مالك نعت النبي ﷺ بما شاء ان ينعته قال: أزهر ليس بالآدم ولا بالابيض ولا الامهق [٦] قال الترمذي " هذا حديث حسن صحيح"[٧] سنده فيه سليمان بن بلال وقفنا عنده فـ وجدناه خال من الطعون[٨] الرواية مقبولة لا بأس بها.

والمقصود بـ الامهق Albino أي بياض في زرقة [٩] وقيل البياض الشديد، لا يخالطه شيء من الحمرة، وليس بنير، ولكن كـ لون الجص أو نحوه [١٠] وقيل هو الكريه البياض، اي أنه نير البياض[١١] وقيل: بياض الإنسان حتى يقبح جداً، وهو بياض سمج لا يخالطه صفرة ولا حمرة، وفي صفة النبي ﷺ أنه أزهر ولم يكن بـ الأبيض الأمهق، وقيل ليس هو كذلك بل إنه كان نير البياض[١٢] والأزهر: القمر، وهو لكل لون أبيض كـ الذرة الزهراء [١٣] .

---

١ ابن منظور : لسان العرب ٨٥/١٣
٢ الفراهيدي : العين ١٣٣/٦
٣ الجوهري : الصحاح ٣٠٠/٥
٤ ابن منظور : لسان العرب ٢١٥/٢
٥ ابن منظور : لسان العرب ٢١٥/٢
٦ ابن حنبل : مسند ٢٤٠/٣ ، البخاري : صحيح ١٦٤/٤ ، مسلم : الصحيح ٨٧/٧.
٧ سنن ٢٥٢/٥ .
٨ المحمداوي : فاطمة بنت عتبة حقيقة أم وهم / ١٠٨
٩ الفراهيدي : العين ٣٧٢/٣
١٠ الجوهري : الصحاح ١٥٥٧/٤
١١ ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ٣٧٤/٤
١٢ ابن منظور : لسان العرب ٣٤٩/١٠
١٣ الفراهيدي : العين ١٣/٤

وروى أبو داود المصاحفي سليمان بن سلم عن النضر بن شميل عن صالح بن ابي الأخضر عن ابن شهاب عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال: كان النبي ﷺ أبيض كأنما صيغ من فضة[١] الرواية فيها الزهري مطعون فيه[٢] ومع ذلك يجب التنويه ان وجود راوي مطعون فيه لا يعني ضعف الرواية أو رفضها إذا لم يكن في المتن إساءة .

وبخصوص بياض خده، رواه خالد بن مخلد البجلي عن عبد الله بن جعفر عن إسماعيل بن محمد بن سعد عن عامر بن سعد عن أبيه قال كان النبي ﷺ يسلم عن يمينه حتى يرى بياض خده ثم يسلم عن يساره حتى يرى بياض خده [٣] لا يهمنا قضية التسليم، نحن لا نميل الى صحتها ومرفوضة تماماً وهي تمثل التفاته في الصلاة مبطلة لها، بقدر ما يهمنا بياض خده كونه احد صفاته .

وروى الفضل بن دكين عن أبي الاحوص عن أشعث بن سليم قال سمعت شيخاً من بني كنانة قال: كان النبي ﷺ أبيض مربوعا كأحسن الرجال وجهاً [٤] السند فيه الفضل بن دكين، فيه عيوب منها التدليس في أحاديث مناكير، يوجد من أثنى عليه [٥] وفيه تدليس عن المخبر وهو رجل من كنانة وما أكثر رجالها المفروض أن يرد اسمه وعليه لا يجوز تعليق الخبر على مخبر مجهول .

وروى الواقدي عن فروة بن زبيد عن بشير مولى المأربين عن جابر بن عبد الله قال كان النبي ﷺ أبيض مشرباً بحمرة [٦] الرواية في سندها الواقدي مطعون فيه [٧].

وانه لا مطهم ولا مكلثم: يلحظ على صاحب الرواية انه نفى وجود هاتين الصفتين فيه، وعليه لا بد من معرفتهما، فما يخص المطهم هي لم تكن من صفات الرجال وإنما للخيل، يعني الفرس تام الخلق، جهير الجمال [٨] وقيل التام كل شيء منه على حدته، فهو بارع، ووجه مطهم، أي مجتمع مدور، ومنه صفة النبي ﷺ أي لم يكن بالمدور الوجه ولا بالموجن [٩] وفسر المطهم

---

١ الترمذي : الشمائل المحمدية/٣٩
٢ المحمداوي : ابو طالب /١٣٤ .
٣ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤١٨/١ .
٤ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤١٨/١ .
٥ المحمداوي : الخلافة الراشدة /٧٩ .
٦ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤١٨/١ .
٧ المحمداوي : ابو طالب /١٧٠ .
٨ العين ٢٢/٤
٩ الجوهري : الصحاح ١٩٧٧/٥

في صفته، المنتفخ الوجه، وقيل: الفاحش السمن، وقيل: نحيف الجسم، وهو من الأضداد [١] .

فقد تم النفي في قوله لم يكن بالمطهم وهذا مدح، ومن قال إنه النحافة فقد تم النفي في هذا لأن أم معبد وصفته أنه لم تعبه نحلة ولم تشنه ثجلة أي انتفاخ بطن، وأما من قال التطهيم الضخم فقد صح النفي، فكأنه قال لم يكن بالضخم، وفي صفته كان بادناً متماسكاً، وقيل المطهم، نتفخ الوجه [٢] .

أما المراد بـــ المكلثم: يقال امرأة مكلثمة، ذات وجنتين، حسنة دوائر الوجه، فاتتها سهولة الخد، ولم تلزمها جهومة القبح[٣] والكلثوم: كثير لحم الخدين والوجه، والكلثمة: اجتماع لحم الوجه [٤] كلثم في صفته هو من الوجوه: القصير الحنك دانى الجبهة، المستدير مع خفة اللحم، أراد أنه كان أسيل الوجه ولم يكن مستديراً [٥] ووجه مكلثم: مستدير كثير اللحم وفيه كالجوز من اللحم، وقيل المتقارب الجعد المدور، وقيل نحو الجهم غير أنه أضيق منه وأملح، ولا تكون الكلثمة إلا مع كثرة اللحم، وكلثوم رجل، وأم كلثوم امرأة [٦] .

كما ورد فيما سبق انه لم يكن بـــ الموجن، وهو مشتق من وجن، الوجين: العارض من الأرض ينقاد ويرتفع قليلاً، وهو غليظ، ومنه الوجناء، عظيمة الوجنتين، والوجنة: ما ارتفع من الخدين، ورجل موجن: عظيم الوجنات[٧] .

وقيل مسنون الوجه: سن عن وجهه اللحم أي خفف[٨] ويقال إذا كان في أنفه ووجهه طول[٩] وقيل مخروط أسيل مصقول، من سننته بالمسن سناً إذا أمررته على المسن، ورجل مسنون الوجه: حسنه سهله، وسنة الوجه ،دوائره، وصورته [١٠] .

وكان غلاماً أمرد ما رأى الرائون مثله [١١] الشاب الذي بلغ خروج لحيته وطر شاربه ولم تبد لحيته، أي بقى زماناً ثم التحى بعد ذلك وخرج وجهه، المرد نقاء الخدين من الشعر [١٢] وفي

---

١ ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ١٤٧/٣
٢ ابن منظور : لسان العرب ٣٧٢/١٢
٣ الفراهيدي : العين ٤٣١/٥
٤ الجوهري : الصحاح ٢٠٢٤/٥
٥ ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ١٩٦/٤
٦ ابن منظور : لسان العرب ٥٢٥/١٢
٧ الجوهري : الصحاح ٢٢١٢/٦
٨ الفراهيدي : العين ١٩٧/٧
٩ الجوهري : الصحاح ٢١٤٠/٥
١٠ ابن منظور : لسان العرب ٢٢٤/١٣
١١الفضل بن شاذان القمي: الفضائل /٣٦
١٢ ابن منظور : لسان العرب ٤٠١/٣

حديث معاوية: تمردت عشرين سنة وجمعت عشرين ونتفت عشرين وخضبت عشرين وأنا ابن ثمانين أي مكثت أمرد عشرين سنة ثم صرت مجتمع اللحية عشرين سنة [١] مما يدل على طول يد البيت الأموي في وضع الرواية ولم نجدها في المصادر المتقدمة .

ومقرون الحاجبين [٢] يعني أزج أقرن [٣] القرن للثور وغيره، وموضعه من رأس الإنسان قرن أيضاً، وكبش أقرن، كبير القرنين [٤] .

وأقنى الأنف (العرنين): وهي صفة مشتركة بين النبي محمد ﷺ والنبي موسى والإمام المهدي (ع) كل منهما أقنى، وقال النبي ﷺ: المهدي مني أجلى الجبهة، أقنى الأنف[٥] ذكره الإمام علي عليه السلام [٦] ومنه الحديث " يملك رجل أقنى الأنف " يقال: رجل أقنى وامرأة قنواء [٧] .

وهو ارتفاع في أعلى الأنف بين القصبة والمارن من غير قبح، وقيل القنا ارتفاع في أعلى الأنف واحديداب في وسطه وسبوغ [٨] في طرفه، وقيل: هو نتوء وسط القصبة وإشرافه وضيق المنخرين، والقنا في الأنف: طوله ودقة أرنبته مع حدب في وسطه، وقد يوصف بذلك الباز والصقر، وهو مدح، يوجد فيهما اعوجاج في المنقار [٩] .

وكان صاحب ابتسامة مميزة: ناتجة من جمال أسنانه لأنه براق الثنايا [١٠] والثنية، واحدة الثنايا من السن، الثنية من الأضراس أول ما في الفم، وثنايا الإنسان في فمه الأربع التي في مقدم فيه: ثنتان من فوق، وثنتان من أسفل [١١] وكان يضحك إلا تبسماً، وقيل حسن المضحك [١٢] قال ابن عباس: كان النبي ﷺ أفلج الثنيتين إذا تكلم رؤي كالنور يخرج من بين ثناياه [١٣] والفلج في الأسنان: تباعد ما بين الثنايا والرباعيات، وصاحبه أفلج، فإن تكلف فهو التفليج [١٤] .

---

١ ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ٣١٥/٤ .
٢ الكليني : الكافي ٤٤٣/١
٣ ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ٥٤/٤
٤ ابن منظور : لسان العرب ٣٣١/١٣
٥ أبو داود : سنن ٣١٠/٢ ، المروزي : كتاب الفتن/٢٢٥ ، السيوطي : الجامع الصغير ٦٧٢/٢ .
٦ ابن منظور : لسان العرب ٣١٧/١١
٧ ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ١١٦/٤ .
٨ شيء سابغ ، أي كامل واف ، وسبغت النعمة تسبغ بالضم سبوغاً ، اتسعت ، وأسبغ الله عليه النعمة ، أي أتمها ، وإسباغ الوضوء ، إتمامه . الجوهري : الصحاح ١٣٢١/٤ .
٩ ابن منظور : لسان العرب ١٥/ ٢٠٣
١٠ ابن عساكر : تاريخ ٢٦٥/٣
١١ ابن منظور : لسان العرب ١٢٣/١٤
١٢ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤٢٠/١ ، ابن أبي شيبة : المصنف ٤٤٦/٧ .
١٣ الترمذي : الشمائل المحمدية/٣٩
١٤ الفراهيدي : العين ١٢٧/٦ .

عينيه His eyes

العيون رمز جمالية الإنسان، كبرها وسعتها طولها وعرضها، كل ذلك جميل، وقد تغنى بها الشعراء قديماً وحديثاً على سبيل المثال ما قاله ابن مكنسة:

وهل سودُ العيونِ سوى أُسودٍ تَأَمَّلْ كيفَ يَفْتَرِسُ الفُتُورُ [١]

وقال احمد شوقي:

السِحرُ مِن سودِ العُيونِ لَقيتُهُ وَالبابِليُّ بِلَحظِهِنَّ سُقيتُهُ [٢] .

وقال السري الرفاء:

يَغْتَدي بينَها الفُهودُ على الغِز لانِ خُزْرَ العُيونِ سُودَ المآقي[٣] موق العين موقعها .

بعد هذا المدخل نلج في نعت عيون الحبيب المصطفى، قيل انجل العينين [٤] يعني سعتها مع الحسن، يقال رجل أنجل وعين نجلاء[٥] فإن عظمت المقلة [٦] مع السعة، فهو أنجل [٧] وعلى رواية ادعج العينين [٨] بينة الدعج، وامرأة دعجاء، ورجل أدعج، وهو عام في كل شيء [٩] وهو شدة سواد العين وبياضه، قال العجاج يصف انفلاق الصبح:

تَسورُ في أَعجازِ لَيلٍ أَدعَجا [١٠] فـ جعل الليل أدعج لشدة سواده وبياض الصبح [١١] وقيل أراد بـ الأدعج: المظلم الأسود [١٢] قال أبو نواس:

قالوا فَزِد قُلتُ وَفي ال عَينَينِ مِنهُ دَعَجُ [١٣]

ويقال الدعج: شدة السواد مع السعة، والادعج من الرجال: الاسود، وأما قول ابن أحمر، عمرو الباهلي:

---

١ ديوانه الرائية رقم البيت /٤
٢ ديوانه التائية ، رقم البيت /١
٣ ديوانه ، القافية رقم البيت /٢٢
٤ ابن حبيب : المنمق/ ٤٢٧
٥ الفراهيدي : العين ١٢٥/٦
٦ مقلة العين : سوادها وبياضها الذي يدور في العين كله . الفراهيدي : العين ١٧٥/٥ .
٧ ابن قتيبة : غريب الحديث ٣٥٨/٢
٨ ابن هشام : السيرة ٢٧١/٢
٩ ابن منظور : لسان العرب ٢٧١/٢
١٠ ديوانه ، القصيدة الجيمية ، البيت ٦٥ .
١١ الفراهيدي : العين ٢١٩/١
١٢ ابن منظور : لسان العرب ٢٧١/٢
١٣ القصيدة الجيمية ، البيت السادس .

ما أَمُّ غُفرِ على دَعجاءَ ذي عَلَقٍ يَنفي القَراميدَ[١] عَنها الأَعصَمُ الوَقِلُ[٢]

وقد أريد من الدعج في صفته ﷺ سواد عينيه الشديد [٣] قال جابر بن سمرة [٤] وكنت إذا نظرت إليه قلت: أكحل العينين وليس بأكحل[٥] يعني سود العيون من دون كحل، وهو نعت جميل والنعت كله جمال، ولهذا ورد في الموروث الشعبي، ولا سيما عند البصريين أهجزوجة "بصراوي عيونه مكحلة" وعند أهل ميسان "عيونج سود شلج بالكحل ذبيه" بمعنى عينيك سوداوان لا تضعي عليها شيء .

وقيل كان النبي ﷺ أشكل العين، يعني طويل شق العين[٦] وهذا النعت الأجمل والأكمل، إما أحلى العيون عندما تكون طويلة يضرب بها المثل في الحسن .

وكان أهدب الاشفار، أي طويل شعر الاجفان[٧] وكثيرها يقال رجل أهدب [٨] وهدب العين: ما نبت من الشعر على أشفارها[٩] اي الشعر النابت على حروف الأجفان، وهو غلط، إنما شفر العين منبت الهدب من حرفي الجفن[١٠] .

لحيته His beard

أوردنا فيما مضى من صفاته نقاء خديه من الشعر، وقبال ذلك وصف انه كبير اللحية، رواه عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن سماك عن جابر بن سمرة قال: كان النبي ﷺ قد شمط

---

١ كل شيء يطلى به، نحو الجص، حتى يقال: ثوب مقرمد بالزعفران والطيب. الفراهيدي: العين ٢٦٠/٥، والقرمد: ضرب من الحجارة يوقد عليها ، فإذا نضج قرمد به البرك، أي طلى، والقرميد: الآجر، والجمع القراميد. وبناء مقرمد: مبنى بالآجر أو الحجارة. الجوهري: الصحاح ٥٢٤/٢ .

٢ ديوانه ، القصيدة اللامية ، البيت الرابع

٣ ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ١١٩/٢

٤ ابن جنادة بن جندب العامري ثم السوائى وقيل ابن عمرو بن جندب ، حليف بنى زهرة وهو ابن أخت سعد ابن أبى وقاص، أمه خالدة سكن الكوفة وابتنى بها داراً وتوفى سنة ٦٦هـ أيام المختار روى عن النبيﷺ أحاديث كثيرة. ابن الأثير: أسد الغابة ٢٥٤/١

٥ ابن أبي شيبة : المصنف ٤٤٦/٧

٦ الترمذي : الشمائل المحمدية/٣٨

٧ ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ٢٤٩/٥

٨ الفراهيدي : العين ٢٩/٤

٩ الجوهري : الصحاح ٢٣٧/١

١٠ ابن منظور : لسان العرب ٧٨٠/١

مقدم رأسه ولحيته، فكان إذا ادهن ثم مشطه لم يتبين، وكان كثير شعر اللحية [١] حتى ملأت صدغيه [٢]

وكادت تملأ نحره [٣] . والشمط في الرجل، شيب اللحية، ولا يقال، أمة شيباء، ولكن شمطاء، ويقال للرجل: أشمط [٤] وهو بياض شعر الرأس يخالط سواده، والرجل أشمط، وقوم شمطان، مثل أسود وسودان، وقد شمط بالكسر يشمط شمطا، والمرأة شمطاء، وشمطت الشيء أشمطه شمطا، خلطته، وكل خليطين خلطتهما فقد شمطتهما، فهما شميط [٥] .

وقيل عظيم اللحية [٦] اي كثها وهي غير رقيقة ولا طويلة، ولكن فيها كثافة [٧] الكث والاكث: نعت لــ كبير اللحية [٨] كث الشيء كثاثة، أي كثف، ولحية كثة وكثاء أيضاً [٩] .

وقيل كان يصبغ لحيته، المعروف عنها عادة قديمة معروفة في تاريخ العرب قبل البعثة يقال أول من ادخلها عبد المطلب بن هاشم [١٠] وقد ورد عن النبي ﷺ ما يفيد الحث عليه، روى ذلك معمر عن الزهري عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبي ﷺ قال: إن اليهود والنصارى لا يصبعون فخالفوهم، قال الزهري: والأمر بالإصباغ فــ احلكها أحب إلينا [١١] يعني أسودها، وللرد على ذلك نقول، إن سنته لم تكن قائمة على العناد، بمعنى الشيء إذا لم يفعله اليهود والنصارى فعله هو، هذه فرية فــ إذا كانوا يصبغون شعورهم ما ذا يكون الحال ينهى عنه؟ تبدو الرواية غير مقبولة عقلاً .

أما سندها فيه معمر بن راشد البصري، والزهري كلاهما مطعون فيهما [١٢] وسيرد في رواية أخرى للزهري قال بالمنع، ومصدر الرواية أبو هريرة عندنا لا تصح الرواية عنه .

وهناك ما غاير ذلك رواه عروة بن الزبير عن الزبير عن النبي ﷺ أنه قال غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود، وسُئل الداراقطني عن ذلك فقال: حديث يرويه محمد بن كناسة عن هشام بن

---

١ ابن أبي شيبة : المصنف ٤٤٦/٧
٢ الصدغ : ما بين العين والاذن ، ويسمى أيضا الشعر المتدلى عليها صدغاً . الجوهري : الصحاح ١٣٢٣/٤ .
٣ ابن أبي شيبة : المصنف ٤٤٦/٧
٤ الفراهيدي : العين ٢٤٠/٦
٥ الجوهري : الصحاح ١١٣٨/٣
٦ ابن منظور : لسان العرب ١١٠/١٢
٧ ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ١٥٢/٤
٨ الفراهيدي : العين ٢٧٦/٥
٩ الجوهري : الصحاح ٢٩٠/١
١٠ المحمداوي : عبد المطلب ، اسمه ونسبه ، مجلة دراسات تاريخية ع ١٣ ، ، كانون الاول ٢٠١٢ ص ٣٢
١١ ابن حنبل : مسند ٣٠٩/٢ .
١٢ المحمداوي : ابو طالب /١٣٣ .

عروة عن أخيه عثمان بن عروة عن أبيه عن الزبير ولم يتابع عليه [١] وعلى رواية معمر عن ليث عن أبي الزبير عن جابر قال: أتي بأبي قحافة إلى النبي ﷺ يوم الفتح كأن رأسه ثغامة بيضاء، فقال: غيروه وجنبوه السواد [٢] .

وأن رجلاً دخل عليه وقد صفر لحيته، فقال ﷺ ما أحسن هذا، ثم دخل عليه بعد هذا وقد أقنى بالحناء، فتبسم وقال: هذا أحسن من ذلك، ثم دخل عليه وقد خضب بالسواد فضحك وقال: هذا أحسن من ذاك وذاك، وقال لــ لأمير المؤمنين عليه السلام: درهم في الخضاب أفضل من ألف درهم في غيره في سبيل الله، وقال الامام الباقر(ع): "كان النبي ﷺ يخضب وهذا شعره عندنا " وروي أنه كان في رأسه ولحيته (ع) سبع عشرة شيبة، خضبها بــ الكتم [٣] والإمام الباقر (ع) كذلك [٤] قيل الإمام الحسين عليه السلام خضب به والحناء، وقتل عليه السلام وقد نصل الخضاب من عارضيه[٥] .

محمد بن حسان الازرق عن أبي سفيان الحميرى عن الضحاك بن حمزة عن غيلان بن جامع عن إياد بن لقيط عن أبى رمثة قال كان النبي ﷺ يخضب بالحناء والكتم وكان شعره يبلغ كتفيه أو منكبيه [٦] وروى معمر عن سعيد الجريري عن عبد الله بن بريدة عن أبي الاسود عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال : إن أحسن ما غير هذا الشعر الحناء والكتم [٧] .

وقبال ذلك، جاء النهي عنه في قول النبي ﷺ إن صح " إن الله تعالى لا ينظر إلى من يخضب بالسواد يوم القيامة " [٨] ورأى رجلاً أسود الشعر قد رآه بــ الأمس أبيض الشعر قال من أنت قال أنا فلان قال بل أنت شيطان، وقال الزهري: مكتوب في التوراة ملعون من غيرها بالسواد يعني اللحية، سئل عطاء عن خضاب الوسمة فقال هو مما أحدث الناس قد رأيت نفراً من أصحاب النبي ﷺ فما رأيت أحداً منهم خضب بــ الوسمة وما كانوا يختضبون إلا بالحناء والكتم وهذه الصفرة [٩] .

---

١ علل ٢٣٤/٤

٢ عبد الرزاق : المصنف ١٥٤/١١

٣ نبات يخلط مع الوسمة للخضاب الاسود . الفراهيدي : العين ٣٤٣/٥ .

٤ العلامة الحلي : تذكرة الفقهاء ٢٥٤/٢ .

٥ المفيد : الارشاد ١٣٣/٢ .

٦ ابن حنبل : مسند ١٦٣/٤ .

٧ عبد الرزاق : المصنف ١٥٣/١١

٨ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤٤١/١ ، السيوطي : الجامع الصغير ٢٨١/١

٩ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤٤١/١

وعلى رواية انه لا يخضب، روى ذلك محمد بن عمر الاسلمي عن بكير عن مسمار عن زياد مولى سعد قال سألت سعد بن أبي وقاص هل خضب رسول الله ﷺ فقال لا ولا هم به قال كان شبيه في عنفقته وناصيته ولو أشاء أعدها لعددتها، لحيته حسنة شديد سواد الرأس واللحية [١] .

رواه هشام بن سعيد الطالقاني عن محمد بن راشد قال سمعت مكحولا يحدث عن موسى بن أنس عن أبيه قال لم يبلغ النبي ﷺ من الشيب ما يخضب [٢] وروى يونس عن حماد بن زيد عن ثابت إن أنساً سئل خضب النبي ﷺ قال لم يبلغ شيب رسول الله ﷺ ما كان يخضب ولو شئت أن أعد شمطات كن في لحيته لفعلت [٣] وقال القاسم لو علمت أن رسول الله خضب لبدأت به فذكرته [٤] .

قيل توفاه الله على رأس ستين سنة وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء " [٥] وما رواه روى معمر عن ثابت البناني عن أنس قال: ما عددت في رأس النبي ﷺ إلا أربع عشرة شعرة بيضاء، وروى معمر عن جابر عن الإمام الباقر (ع) قال: قال النبي ﷺ : لا تنتفوا الشيب فإنه نور المسلم، وروى معمر عن جابر الجعفي عن الإمام الباقر(ع) أن حجاماً أخذ من شارب النبي ﷺ فكانت شعرة بيضاء، فأراد أن يأخذها، فقال النبي ﷺ : دعها، كأنه أراد أن يستأصلها، ولم يفعله أمير المؤمنين (ع) رواه معمر عن أبي إسحاق قال: رأيت عليا على المنبر أبيض اللحية والرأس، عليه إزار ورداء [٦] وهذا هو الصحيح .

ومن سُنة خليل الرحمن (ع) قص الشارب [٧] وفعلها النبي ﷺ رواه عبيد الله بن موسى عن حسن بن صالح عن سماك عن عكرمة [٨] هذا حديث حسن غريب [٩] والسند فيه عكرمة مولى ابن عباس مطعون فيه [١٠] .

---

١ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤١٨/١ .
٢ ابن حنبل : مسند ١٩٨/٣ .
٣ ابن حنبل : مسند ٢٢٧/٣ .
٤ ابن سعد : الطبقات الكبرى ١٨٨/٣
٥ البخاري : صحيح ٥٧/٧
٦ عبد الرزاق : المصنف ١٥٥/١١
٧ المحمداوي : الاسلام قبل البعثة / الفصل الثاني تكلمنا عن ذلك في موارد متفرقة من الفصل .
٨ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤٢٠/١ ، الكليني : الكافي ٤٨٧/٦ .
٩ الترمذي : سنن ١٨٥/٤ .
١٠ المحمداوي : قبسات من تفسير عكرمة .

جسمه his body

في هذا المبحث وصف لأعضاء جسم النبي ﷺ والانطلاقة من طوله، فـــ قد وصفه عبد المطلب بـــ أجمل وصف وقال: ما رأيت قبله أطيب منه ولا اطهر قط ولا جسماً ألين ولا أطيب منه [١] .

وقد تغنى الشعراء في نعومة الجسم ومنهم جميل بثينة بـــ قوله:

يَكادُ فَضيضُ الماءِ يَخدِشُ جلدها إذا اِغتَسَلَت بِالماءِ مِن رِقَّةِ الجِلدِ [٢]

ونسب هذا البيت إلى مجنون ليلى، وهذا يعني انها كلينكس أو أرق منه .

وقال مهيار الديلمي

حدَّدهـــا الطالـــي فمـــا عابهـــا على بيـــاضِ الجسم لُبْسُ الحِدادْ [٣]

وما يخص تقاطيع جسمه الشريف، روى ربيعة الرأي [٤] عن أنس بن مالك قوله: كـــان النبيﷺ ليس بالطويل البائن ولا بالقصير[٥] ربعة من الرجال[٦] أي ليس بطويل ولا قصير[٧] لم يكن بالطويل الممغط، ولا القصير المتردد[٨] إذاً لم يكن بائن الطول[٩] يقال رجل ممغط، أي طويل، كأنه مد مداً من طوله [١٠] قيل متناهى الطول [١١] وقيل: الطويل مطلقاً [١٢] ونفى عنـــه القصـــر المتردد، اي المتناهى في القصر، كأنه تردد بعض خلقه على بعض، وتداخلت أجزاؤه [١٣] يقـــال رجل متردد: مجتمع قصير ليس بسبط الخلق [١٤] .

---

١ الصدوق : كمال الدين /١٧١

٢ ديوانه ، الدالية رقم البيت ١٦ .

٣ ديوانه ، الدالية رقم البيت ٤١ .

٤ وقفنا عند ربيعة الرأي في بحثنا نزول القرآن في المدينة ، بحث غير منشور .

٥ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤١٨/١ ، البخاري : صحيح ٥٧/٧

٦ ابن هشام : السيرة ٢٧١/٢ ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤١٣/١ ، ابن حنبل : مسند ٢٤٠/٣ ، البخاري : صحيح ١٦٤/٤ ، مسلم : الصحيح ٨٧/٧ ، الطبري : تاريخ ٤٢٦/٢.

٧ ابن أبي شيبة : المصنف ٤٤٦/٧ ، ينظر الفراهيدي : العين ١٣٣/٢

٨ ابن هشام : السيرة ٢٧١/٢

٩ الفراهيدي : العين ٣٨٩/٤

١٠ الجوهري : الصحاح ١١٦١/٣

١١ ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ٣٤٥/٤

١٢ ابن منظور : لسان العرب ٤٠٥/٧

١٣ ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ٢١٣/٢

١٤ ابن منظور : لسان العرب ١٧٤/٣

وكان مقصداً [١] والمقتصد من الرجال الذي ليس بقصير ولا جسيم ويستعمل في غير الرجال، وكذلك المقصد من الرجال [٢] .

إذا قام غمر الناس، وهذا يقتضي معرفة معنى كلمة غمر، وهو ماء كثير المغرق، وفلان غمر فلاناً أي: علاه بفضله [٣] قيل للرجل: غمره القوم، إذا علوه شرفاً، ورجل غمر الخلق وغمر الرداء، إذا كان سخياً بين الغمورة [٤] قال كثير عزة:

غَمرُ الرِداءِ إذا تَبَسَّمَ ضاحِكاً غَلِقَت لِضَحكَتِهِ رِقابُ المالِ[٥] .

وقد خاض الرواة في أدق التفصيلات ومنها وصف بطنه، روى أبو صالح عن أم هانئ قالت: ما رأيت بطنه قط إلا ذكرت القراطيس [٦] المثنية بعضها على بعض، وروى محمد بن عمر عن شيبان عن جابر عن أبي صالح عن أم هلال [٧] السند فيه أبو صالح إذا كان ذكوان السمان المدني، مطعون فيه[٨] وأم هانئ بنت أبي طالب امرأة مطلقة[٩] كيف رأت بطن النبيﷺ وهو عورة لا يمكن النظر إليه، ثم هل جسمه مباح إلى هذا الحد؟ .

ولم يكتف المفترون عليه حتى وصفوه بـ البدانة وهذا ما رواه، إسحاق بن يوسف الازرق عن زكريا بن أبي زائدة عن سعد بن إبراهيم عن نافع بن جبير بن مطعم عن النبي ﷺ قال إني قد بدنت فلا تبادروني بالقيام في الصلاة والركوع والسجود[١٠] وهذه رواية معاوية عن النبيﷺ قال لا تبادروني بالركوع ولا بالسجود فإنه مهما أسبقكم به إذا ركعت تدركوني به إذا رفعت ومهما أسبقكم به إذا سجدت تدركوني به إذا رفعت فإني قد بدنت[١١] وقفنا عندها ولم تثبت صحتها[١٢].

١ابن حنبل : مسند ٤٥٥/٥ ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤١٧/١ ، ابن الأثير : أسد الغابة ٩٦/٣.
٢ الفراهيدي : العين ٥٥/٥ .
٣ الفراهيدي : العين ٤١٦/٤
٤ الجوهري : الصحاح ٧٧٢/٢
٥ ديوانه ، القصيدة اللامية ، رقم البيت ٢٣
٦ معروف ، يتخذ من بردي مصر ، وكل أديم ينصب للنضال فاسمه : قرطاس يقال قرطس الرامي إذا أصاب الاديم . الفراهيدي : العين ٢٥٠/٥ .
٧ ابن سعد : الطبقات الكبرى ١/ ٤١٧ ، ٤١٩ .
٨ المحمداوي : عقيل /٢٠١
٩ المحمداوي : أبو طالب /٤٩
١٠ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤٢٠/١ .
١١ ابن الجارود : المنتقى /٨٩ ، الحميدي : مسند ٢٧٣/٢ ، ابن ماجة : سنن ٣٠٩/١ ، الطبراني : المعجم الكبير ٣٦٧/١٩
١٢ المحمداوي : الشجرة الملعونة /١٧ .

وقيل جليل المشاش والكتد: أي عظيم رؤوس العظام، كالمرفقين والكتفين، والركبتين، هي رؤوس العظام اللينة التي يمكن مضغها [١] والكتد مجتمع الكتفين، وهو الكاهل[٢] [٣] وقيل هو ما بين الثبج[٤] إلى منصف الكاهل من الظهر، فإذا أشرف ذلك الموضع من الظهر فهو أكتد[٥] وقيل ما بين الكاهل إلى الظهر [٦] قال ذو الرمة:

وَإذ هُنَّ أَكتادٌ بِحَوضى كَأَنَّما زَها الآلُ عِندانَ النَخيلِ البَواسِقِ [٧]

وقيل: الكتد من أصل العنق إلى أسفل الكتفين، وهو يجمع الكاثبة [٨] والثبج والكاهل [٩] .

وجاء ذلك في رواية انه اجرد [١٠] وهو الذي ليس على بدنه شعر، ولم يكن كذلك، وإنما أراد به أن الشعر كان في أماكن من بدنه، كالمسربة، والساعدين، والساقين، وهو ضد الأشعر، وهو الذي على جميع بدنه شعر [١١] ومنه حديث ابو هريرة عن النبي ﷺ قال: أهل الجنة شباب جرد مرد كحل لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم [١٢] حديث غريب [١٣] .

وفي صفته ﷺ انه أنور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط [١٤] أي ما جرد عنه الثياب من جسمه وكشف، هو مشرق الجسم [١٥] وفي رواية ايوب بن خالد انه متجرداً[١٦] وقفنا عند سندها في مبحث وصف وجهه .

وانه دقيق المسربة: ورد ذلك في رواية عطاء عن أبي هريرة، ورواية عكرمة عن ابن عباس، وابو هالة التميمي، وابراهيم بن محمد بن الحنفية، وابن مسعود، وقيل وصف انه طويل

---

١ ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ٣٣٣/٤
٢ الكاهل : مقدم الظهر ، مما يلي العنق ، وهو الثلث الأعلى ، فيه ست فقرات . الفراهيدي : العين ٣٧٨/٣ .
٣ ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ١٤٩/٤
٤ أعلى الظهر من كل شيء . الفراهيدي : العين ٩٩/٦ ، وقيل هو ما بين الكاهل إلى الظهر ، ويقال : ثبج كل شيء ، وسطه . وثبج الرمل : معظمه ، وثبج الراعى بالعصا تثبيجا ، إذا جعلها على ظهره وجعل يديه من ورائها . الجوهري : الصحاح ٣٠١/١
٥ الفراهيدي : العين ٣٢٥/٥
٦ الجوهري : الصحاح ٥٣٠/٢
٧ ديوانه ، القصيدة القافية ، البيت السادس .
٨ ما ارتفع من منسج الفرس ، والجميع : كواثب وأكثاب . الفراهيدي : العين ٣٥٢/٥ .
٩ ابن منظور : لسان العرب ٣٧٧/٣
١٠ ابن هشام : السيرة ٢٧١/٢ .
١١ ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ٢٤٨/١
١٢ الدارمي : سنن ٣٣٥/٢
١٣ الترمذي : سنن ٨٦/٤
١٤ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤٢٢/١
١٥ ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ٢٤٨/١ ، ينظر الفراهيدي : العين ٧٦/٦
١٦ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤١٩/١ .

المسربة [١] وقيل ذا مسربة، وفي حديث آخر [٢] وقيل ذو مسربة [٣] المسرُبة: ما دق من شعر الصدر سائلاً إلى الجوف [٤] والشعر المستدق، النابت وسط الصدر إلى البطن، وقيل، الذي يأخذ من الصدر إلى السرة، وقيل ليست المسرُبة على المكان ولا المصدر، وإنما هي اسم للشعر [٥] .

وفي رواية عبد الله بن محمد بن عمر عن أبيه عن جده عن أمير المؤمنين (ع) قال طويل المسربة وهو الشعر الذي يكون في [٦] النحر [٧] .

وهذا يتعارض مع رواية وكيع عن إسرائيل عن أبى اسحق عن البراء قال رأيت النبي ﷺ يوم الخندق ينقل التراب وقد وارى التراب شعر صدره His chest [٨] وروى البخاري انه كثير الشعر [٩] قال ابن حجر: الظاهر أنه كان كثير شعر الصدر، فيمكن بين الدقة والكثرة أي لم يكن منتشراً بل كان مستطيلاً [١٠] وهذا تبرير غير مقبول، جارى صاحبه سيده البخاري، وأعطاه على هواه كما يقولون، بمعنى انه أراد أن يسد زلته، وعليه لا نميل الى قبول الرواية بدلالة المصدر الذي ذكرها نأخذ عنه بحذر شديد .

وصف كفيه وقدميه

الكف والقدم معروفان، لا يحتاجان بيان موقعهما من الجسم، وهما يشكلان مواضع جمال الانسان، لهما أوصاف معينة، وما يخص وصف قدمي الحبيب المصطفى، قيل منهوس العقب، يعني قليل لحم العقب[١١] والعقب: مؤخر القدم، تؤنثه العرب، وتميم تخففه، وتجمع على أعقا[١٢].

روى سفيان الثوري عن الزبير بن عدي عن إبراهيم قال: كان النبي ﷺ يفترش رجله اليسرى حتى يرى ظاهرها أسود [١٣] السند فيه سفيان الثوري مطعون فيه [١٤] السؤال هنا لماذا

---

١ ابن أبي شيبة : المصنف ٤٤٦/٧
٢ ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ٣٥٦/٢
٣ ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ٢٤٨/١
٤ ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ٣٥٦/٢
٥ ابن منظور : لسان العرب ٤٦٥/١
٦ موضع القلادة من الصدر ، وهو الموضع الذى ينخر فيه الهدى وغيره . الجوهري : الصحاح ٨٢٤/٢
٧ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤١٢/١ .
٨ ابن حنبل : مسند ٣٠٠/٤
٩ البخاري : صحيح ٦٩/١ ، ٢٥/٤ .
١٠ ابن حجر : فتح الباري ٣٠٨/٧
١١ الترمذي : الشمائل المحمدية/٣٨
١٢ الفراهيدي : العين ١٧٨/١ .
١٣ عبد الرزاق : المصنف ١٩٣/٢ ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤١٩/١ .
١٤ المحمداوي : عقيل ٩٨ .

سواد باطن رجله ألا يتنافى وبياض وجهه ؟ ولم تشر رواية عائشة إلى ذلك بل قالت وكان يفترش رجله اليسرى وينصب اليمنى [١] وروى الفضل بن دكين عن يوسف بن صهيب عن عبد الله بن بريدة أن النبي ﷺ كان أحسن البشر قدماً [٢] وقد وصفت ساقيه بـــ البريق [٣] وهذا ينقض الرواية القائلة بسواد رجله .

السند فيه عبد الله بن بريدة بن الحصيب، الاسلمي البصري قاضي مرو، أخرج له البخاري في المغازي والحيض وغير موضع[٤] ترجم له العقيلي في الضعفاء، مستدلاً على ضعفه [٥] تابعي وثقه يحيى بن معين، وأبو حاتم والعجلي[٦] .

ولادته لثلاث سنين مضين من إمارة عمر بن الخطاب، ولاه يزيد بن المهلب القضاء بمرو ومات بها سنة ١١٥هـــ [٧] وقبره بجاورسة[٨] عالم خراسان، وقيل انه لقى ابن مسعود، متفق على الاحتجاج به وقد عاش مائة سنة، ونشر علماً كثيراً [٩] .

أصابعه Fingers

لا يخفى على الجميع كيف أنها تضيف مسحة جمالية على الإنسان ذكراً كـــان أم أنثـــى، مـــا يهمنا وصف أصابع النبي ﷺ قيل انه شثن الأصابع[١٠] إي الكفين والقدمين[١١] وهـــو الرجـــل الذي في أنامله غلظ وقيل الخشونة [١٢] وقيل يميلان إلى الغلظ والقصر، وقيل هو الذي في أنامله غلظ بلا قصر، ويحمد ذلك في الرجال، لأنه أشد لقبضهم[١٣] وأصبر لهم على المراس، ويذم فـــي النساء[١٤] وقيل شثن الاطراف كأن الذهب افرغ على براثنه، البرثن هو مخلب الأسد، وتستعار

---

١ ابن حنبل : مسند ٣١/٦ ، ابن أبي شيبة : المصنف ٣١٨/١.
٢ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤١٩/١ .
٣ عبد الرزاق : المصنف ٤٦٧/١ .
٤ الباجي : التعديل والتجريح ٩٠٥/٢
٥ العقيلي : ضعفاء ٢٣٨/٢
٦ ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ١٣/٥ ، العجلي : الثقاة ٢٢/٢
٧ مشاهير علماء الأمصار: ابن حبان /٢٠٢
٨ قرية على ثلاثة فراسخ من مرو، بها قبر عبد الله بن بريدة رضي الله عنهما، وأهل مرو والنواحي يجتمعون عنده ليلة البراءة، منها سالم الجاورسي مولى عبد الله بن بريدة . السمعاني: الأنساب١٣/٢، ياقوت الحموي: معجم البلدان ٩٦/٢.
٩ الذهبي : تذكرة الحفاظ ١٠٢/١
١٠ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤١٨/١ ، الكليني : الكافي ٤٤٣/١ .
١١ ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ٤٤٤/٢
١٢ الفراهيدي : العين ٢٥٠/٦
١٣ ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ٤٤٤/٢
١٤ ابن منظور : لسان العرب ٢٣٢/١٣

لأصابع الإنسان، وقيل: البرثن الكف بكمالها مع الأصابع [١] .

وخدلج الساقين يعني حسن ممتلئ [٢] والخدلجة، المرأة الممتلئة الذراعين والساقين [٣] جميل القدم والقامة [٤] وروى عباد بن العوام عن حجاج عن سماك عن جابر بن سمرة قال: كانت في ساقي رسول الله ﷺ حموشة [٥] المراد بها دقة القوائم [٦] .

وما يخص مشيته، روى عفان بن مسلم عن سعيد بن يزيد عن أبي سليمان عن رجل عن عائشة قالت كان النبي ﷺ لا يلتفت إلا جميعاً [٧] ولا ندري هل هذا مدحاً أم قدحاً وهو إلى الأخيرة أقرب، لعله رقبته قصيرة لا يستطيع الالتفات .

السند فيه عفان وثقوه [٨] وأبو سليمان لعله ،جعفر بن سليمان من أهل البصرة وثقوه [٩] وقد دلس عن الرجل الذي نقل عن عائشة .

ورواه وكيع بن الجراح عن مسعر عن عوف [١٠] وعفان بن مسلم عن حماد بن سلمة عن داود بن أبي هند عن رجل عن ابن عباس قال أن النبي ﷺ كان لا يلتفت إلا جميعاً وإذا مشى مجتمعاً ليس فيه كسل [١١] السند فيه داود السرخسي ، ١٣٩هـ وثقوه [١٢] وحماد بن سلمة البصري مطعون فيه اشرنا إلى ذلك سابقاً، وكذلك داود بن ابي هند، وقد دلس عن اسم الرجل الذي روى عن ابن عباس . ومسعر بن كديم بن ظهير وثقه العامة [١٣] .

إذا مشى تقلع كأنما يمشي في صبب [١٤] يعني قوة مشيه، كأنه يرفع رجليه من الأرض رفعاً قوياً، لا كمن يمشى اختيالاً ويقارب خطاه، فإن ذلك من مشى النساء ويوصفن به، وقيل " إذا زال

---

١ ابن منظور : لسان العرب ٥٠/١٣
٢ الحربي : غريب الحديث ٥٧٤/٢
٣ الجوهري : الصحاح ٣٠٩/١
٤ شاذان بن جبريل القمي : الفضائل /٤٢
٥ ابن أبي شيبة : المصنف ٤٤٦/٧
٦ الفراهيدي : العين ١٠٠/٣
٧ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤٢٠/١ .
٨ المحمداوي : حديث النبي ﷺ في هدنة الامام الحسن (ع) مجلة الكلية الاسلامية الجامعة ، ع ٣٩ ، س ١٠ ، حزيران ٢٠١٥ ص ٣١٨
٩ المحمداوي : كربلاء أرض كرب وبلاء ، قيد الطبع ، دار بصائر بيروت ٢٠١٨
١٠ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤٢٠/١ .
١١ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤١٩/١ .
١٢ المحمداوي : قراءة في روايات استشهاد امير المؤمنين (ع) مجلة المبين ، س١، ع٢ ٢٠١٦ ، ص ٢٥٨
١٣ المحمداوي : الاسراء والمعراج ، كتاب غير منشور .
١٤ ابن سلام : غريب الحديث ٢٤/٣

زال قلعاً " [١] أي يزول قالعاً لرجله من الأرض، كما جاء في حديث آخر " كأنما ينحط من صبب " والانحدار: من الصبب والتقلع: من الأرض قريب بعضه بعضاً، أراد أنه كان يستعمل التثبت، ولا يبين منه في هذه الحالة استعجال ومبادرة شديدة، رجل قلع القدم إذا كانت قدمه لا تثبت عند الصراع [٢] الصبب: الانحدار [٣] وقيل رجله يتكفأ في مشيته [٤] .

إذا مشى هرول الناس وراءه ولا ترى مثله أبداً [٥] ويمشي هوناً ريع المشية إذا مشى [٦] وهذه مستقاة من قوله تعالى {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً ... } [٧] وقيل فيه جنأ [٨] يعني ميل وانحناء

والغريب تصوير رواية عون بن أبي جحيفة عن أبيه إن النبي ﷺ خرج للصلاة كأني أنظر إلى بريق ساقيه فصلى بنا [٩] والأغرب من ذلك وجود من برر هذا القول أن الساق ليست بعورة وهذا مجمع عليه [١٠] لم نبحث في تحديد العورة، فيه اختلاف ووجهات نظر، لأن الحديث بـــ شأن النبي ﷺ مختلف، وظاهر الرواية فيها مدحاً له على اعتبار جمال ساقيه، وفي باطنها ذم فـ لا يصح هذا الفعل منه، بـ دليل من منا اقصد أصحاب الأقلام يستطيع السير في الشارع بـــ زيه الرسمي ولم يرتدِ جواريب الا يصبح هزوا وسخرية، هذا الأمر مردود، وحاشاه منه .

السند فيه أبو جحيفة السوائي، وهب بن عبد الله من بني سواءة بن عامر بن صعصعة، رأى النبي ﷺ وسمعه، وروى عنه أحاديث وقيل استشهد (ص) ولم يبلغ أبو جحيفة الحلم [١١] من أصحاب النبي وأمير المؤمنين (عليهما السلام) [١٢] كان معه في معركة الناكثين على أهل المدينة[١٣] جعله على بيت المال بالكوفة وشهد معه مشاهده كلها وكان يحبه ويشق إليه

---

١ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤٢٢/١
٢ ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ١٠١/٤ ، ابن منظور : لسان العرب ٢٩١/٨
٣ ابن سلام : غريب الحديث ٢٧/٣
٤ ابن أبي شيبة : المصنف ٤٤٦/٧
٥ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤١٨/١ .
٦ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤٢٢/١ .
٧ الفرقان/٦٣ .
٨ ابن سعد : الطبقات ٤١٢/١ .
٩ ابن حنبل : ابن حنبل ٣٠٨/٤ .
١٠ النووي : شرح مسلم ٢١٩/٤ .
١١ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٦٣/٦ .
١٢ الطوسي : رجال /٨٤
١٣ ابن حنبل : العلل ٤٣٠/١

ويسميه[١] يقال له وهب الخير نزل الكوفة وابتنى بها داراً [٢] وتوفي بها في ولايــة بشــر بــن مروان [٣] سنة ٧٤هـ [٤].

أخرج البخاري في الصلاة والسير رويً عنه قوله: قدم علينا مصدق النبي ﷺ فجعل يأخــذ الصدقة من أغنائنا فيقسمها في فقرائنا وكنت غلاماً فأعطاني منها [٥]

عون بن ابى جحيفة كوفى روى عن أبيه، روى عنه سفيان الثوري وشعبة ومسعر وثقه ابن معين وأبو حاتم [٦] من متقنى الكوفيين مات في ولاية خالد بن عبد الله [٧] من أهل الكوفــة روى عن أبيه، روى عنه سفيان الثوري وشعبة مات في ولاية خالد على العراق [٨] هذا ولــم يســمع الوقت في بحث حياة الأب والابن .

وكان ضخم الكراديس [٩] واحدها كردوس، وهو فقرة من الكاهل، فكل عظم عظمت نحضته فهو كردوس، ويطلق على كسر الفخذ، أي رأس الفخذ، ويسمى الكسر الأعلى كردوساً لعظمه فقط[١٠] وهو كل عظمين التقيا في مفصل نحو المنكبين والركبتين والوركين[١١] وهي رؤوس العظام، وقيل: هي ملتقى كل عظمين ضخمين، كالركبتين، والمرفقين، والمنكبين، أراد أنه ضخم الأعضاء[١٢] وكل عظم تام ضخم، فهو كردوس، وكل عظم كثير اللحم عظمت نحضته كردوس[١٣].

لباسه His clothes

اللباس: ما واريت به جسمك، والحياء لباس التقوى [١٤] إذاً الغرض منه ستر الجسم، وخيــر لباس التقوى، بمعنى الحياء، وعليه مراعاته، ومن المحزن حقاً تبخر اللباس المحتشم وحل محله

---

١ ابن الأثير : أسد الغابة ١٥٧/٥ .
٢ ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٢٢/٩ .
٣ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٦٣/٦ .
٤ ابن حبان : مشاهير علماء الأمصار/٨٠ .
٥ الباجي : التعديل والتجريح ١٣٦٠/٣ .
٦ ابن ابي حاتم : الجرح والتعديل ٣٨٥/٦
٧ ابن حبان : مشاهير علماء الأمصار/١٧٠ .
٨ ابن حبان : الثقاة ٢٦٣/٥ .
٩ ابن أبي شيبة : المصنف ٤٤٦/٧
١٠ الفراهيدي : العين ٤٢٦/٥
١١ الجوهري : الصحاح ٩٧٠/٣
١٢ ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ١٦٢/٤
١٣ ابن منظور : لسان العرب ١٩٥/٦
١٤ الفراهيدي : العين ٢٦٢/٧ .

اللباس الخليع، المتجرد من الحشمة والوقار، برمودة وما شاكل وقد تسلل ذلك حتى على أربـــاب الأقلام ولا سيما الأكاديميين لبسوا كابوي وتيشرت وفانيله ربع ردن من دون قميص، وغيره من اللباس الذي انقص من قيمتهم، وغاب بينهم الزي الرسمي، وإذا حدثت احدهم أجابك " هذه حرية شخصية " وتحت هذا المصطلح غابت أحكام الشريعة .

الذي يهمنا من الموضوع، لباس الحبيب المصطفى، وفيه روايات:

الأولى: رواها اسود بن عامر عن إسرائيل عن أبي اسحق، عن البراء قال: ما رأيت أحداً من خلق الله أحسن في حلة حمراء منه وان جمته لتضرب إلى منكبيه، قال ابن أبى بكيـــر لتضـــرب قريباً من منكبيه وقد سمعته يحدث به مراراً ما حدث به قط الا ضحك [١] الســـند إســـرائيل بـــن يونس بن أبي إسحاق السبيعي، وثقته العامة [٢] لعله حفيد أبو إســـحاق الســـبيعي الـــوارد فـــي الرواية كذاب مفتري كله طعون، وقفنا عنده سابقاً .

الثانية: سفيان الثوري عن عون بن أبى جحيفة عن أبيه قال رأيت النبيﷺ فـــي قبـــة لـــه حمراء أراها من ادم كأني انظر إلى بريق ساقيه قال سفيان نرى القبة من أدم، والحلة حبـــرة [٣] حاولنا معرفة المراد من القبة الحمراء فلم نعرفها، كل الذي وجدناه، القبب: دقة الخصر، والفعل: قبه يقبه قبا، وهو شدة الدمج لـــ لاستدارة، والنعت أقب، والجميع قب [٤] والسند فيـــه ســـفيان مطعون فيه قلناه سابقاً، هو علة الحديث، وبقية السند لا طعن فيهما .

الثالثة: ورواها وكيع بن الجراح وإسحاق بن يوسف الازرق عن باقي السند، قال: أتيته بـــــ الابطح [٥] وهو في قبة له حمراء فخرج وعليه جبة حمراء وحلة مثل لونها [٦] ورواها عباد بن العوام عن عون وباقي السند [٧] ورواه ابو داود عن عمر بن ابى زائدة عن عون باقي السند[٨].

قال النووي: ومذهبنا أنها ليست مكروهة أيضا فان الثوب الأحمر لاكراهة فيه سواء كانت

---

١ ابن حنبل : مسند ٢٩٥/٤ .

٢ المحمداوي : كربلاء ارض كرب وبلاء ، مبحث كربلاء في أحاديث أمير المؤمنين (ع) .

٣ عبد الرزاق : المصنف ٤٦٧/١ .

٤ الفراهيدي : العين ٢٩/٥ .

٥ يضاف إلى مكة وإلى منى ، لان المسافة بينه وبينهما واحدة ، وربما كان إلى منى أقرب ، وهو المحصب ، وهو خيف بني كنانة ، وقد قيل إنه ذو طوى وليس به . وذكر بعضهم أنه إنما سمي أبطح ، لان النبي آدم (ع) بطح فيه . ياقوت الحموي : معجم البلدان ٧٤/١ .

٦ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤٥٠/١ .

٧ ابن أبي شيبة : المصنف ٥٥٩/٧ .

٨ ابن حنبل : ابن حنبل ٣٠٨/٤ .

حمراء أم لا وقد ثبتت الأحاديث الصحيحة أن النبي ﷺ لبس حلة حمراء وقيل عن بعض العلماء كراهتها لئلا يظنها الرائى من بعيد حريراً، وكذلك قال: وفيه جواز لباس الأحمر[١].

قوله في حلة حمراء الظاهر أن الجار والمجرور حال من النبي ﷺ وهذا بيان الحال التي رآه عليها متفكراً في جماله ويحتمل أنه حال من أحد لكونه في حيز الفي فصح وقوعه ذا حال أو متعلق برأيت لا لكون الرؤية كانت في الحلة بل لكون مفعولها كان في الحلة حال الرؤية مثل رأيت زيدا في المسجد ومثله كثير والمراد بالحمراء المخططة لا الحمراء الخالصة كما ذكره كثير[٢] .

وتكون الحلة الحمراء، جملة حالية معترضة استدل بهذا على جواز لبس الثوب الأحمر للرجال [٣] وهي إزار ورداء برد أو غيره، ولا يقال لها حلة حتى تكون ثوبين [٤] وهي برود يمانية جمع برد مرفوع لأنه صفة للحلة، ويمانية صفة للبرود ذلك أي منسوبة إلى اليمن [٥] .

وهذا يتعارض وتحريم لبس المعصفر للرجال لأن الأصل في النهي التحريم، وإن كان يصبغ صبغاً أحمر، فلا معارضة بينه وبين ما ثبت في الصحيحين من أنه ﷺ كان يلبس حلة حمراء لأن النهي في هذه الأحاديث يتوجه إلى نوع خاص من الحمرة وهي الحمرة الحاصلة عن صباغ العصفر [٦] .

وكذلك معارض بـ ما رواه معمر عن ابن طاووس عن أبيه قال: رأى النبي ﷺ على عبد الله بن عمرو بن العاص ثوبين معصفرين، فقال: أمك ألبستك هذين ؟ قال: نعم، ألا ألقمها، قال: بل حرقهما، قال معمر: وأخبرني يحيى بن أبي كثير أن النبي ﷺ أحد إليه النظر حين رآهما عليه، وقال: إن الحمرة من زينة الشيطان، وإن الشيطان يحبها [٧] فأياكم منها وكل ذي ثوب شهرة [٨] وقد نهى عنه فـ قال " من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة" [٩] والحمرة منها .

---

١ شرح مسلم ١٣٣/١٤ ، ٢١٩ .
٢ ابن عبد الهادي : حاشية السندي على النسائي ١٣٣/٨ .
٣ المباركفوري : تحفة الأحوذي ٧٧/٨ .
٤ الفراهيدي : العين ٢٨/٣ ، الجوهري : الصحاح ١٦٧٣/٤ ، ابن سلام : غريب الحديث ٢٢٨/١.
٥ العظيم آبادي : عون المعبود ١٥٥/٢ .
٦ المباركفوري : تحفة الأحوذي ٣٢٢/٥ .
٧ عبد الرزاق : المصنف ٧٧/١١ ، ٧٩ .
٨ الطبراني : المعجم الأوسط ٣٥٣/٧ .
٩ ابن حنبل : مسند ٩٢/٢ .

وهناك دليل عقلي ممكن الإشارة إليه إذا صح لبس الحمرة في الصلاة وغيرها نكون قد ضيعنا السُّنة فيجب لبسها ولا سيما من قبل المرجعيات الدينية، ثم ألا تجد النفس كراهة الحمرة لأنه لون الدم، وهناك فرق كبير بين الأحمر والأبيض الذي يبعث على الراحة، وبالله عليكم يا عقلاء ليلبس أحدكم الأحمر، وانظروا اليه ماذا يكون الحال ؟.

وأكثر لبس النبي ﷺ الجيد من الثياب مثل أبراد اليمن، وما شاكل ذلك، وكانت ملحفته مورسة – مصبوغة بالورس – حتى إنها لتردع على جلده [١] .

وله موقف النبي ﷺ من لبس الخز، والمقصود ثياب تنسج من صوف وإبريسم، وهى مباحة، وقد لبسها الصحابة والتابعون، فيكون النهى عنها لاجل التشبه بالعجم وزى المترفين، وإن أريد بالخز النوع الآخر، وهو المعروف الآن فهو حرام، لان جميعه معمول من الابريسم[٢].

والخز: معروف من الثياب مشتق منه، عربي صحيح، وهو من الجواهر الموصوف بها، حكى سيبويه: مررت بسرج خز صفته، قال: والرفع الوجه، يذهب إلى أن كونه جوهرا هو الأصل. قال ابن جني: وهذا مما سمي فيه البعض باسم الجملة كما ذهب إليه في قولهم هذا خاتم حديد ونحوه، والجمع خروز، ومنه قول بعضهم: فإذا أعرابي يرفل في الخزوز، وبائعه خزاز [٣] .

أختلفت الآراء حول موقفه ﷺ الأول يفهم منه الجواز، وهذا ما رواه عثمان بن محمد الانماطى البصري عن عبد الرحمن بن عبد الله الرازي عن أحمد بن عبد الرحمن الرازي عن أبيه عن أبى عبد الله بن سعد، عن أبيه سعد، قال: رأيت رجلاً ببخارى على بغلة بيضاء عليه عمامة خز سوداء، فقال: كسانيها النبي ﷺ، هذا لفظ عثمان، والإخبار في حديثه [٤] .

الثاني: ورد فيه المنع، رواه عبد الوهاب بن نجدة عن بشر بن بكر، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عطية بن قيس عن عبد الرحمن بن غنم الاشعري عن أبي عامر أو أبو مالك، والله يمين أخرى ما كذبني، أنه سمع النبي ﷺ قال " ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الخز والحرير " وذكر كلاما، قال: (يمسخ منهم آخرون قردة وخنازير إلى يوم القيامة) [٥] هناك من بين طرق الحديث [٦] .

---

١ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ٢٦٢/١٨

٢ ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ٢٨/٢ .

٣ ابن منظور : لسان العرب ٥/ ٣٤٥ .

٤ أبو داود : سنن ٢٥٦/٢ .

٥ أبو داود : سنن ٢٥٦/٢ .

٦ ابن حجر : الإصابة ٢١٠/٧ .

ورواه هشام بن عمار عن صدقة بن خالد عن عبد الرحمن بن يزيد عن باقي السند، وأضاف عليه ... والخمر والمعازف ولينزلن اقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم يأتيهم لحاجة فيقولوا ارجع الينا غدا فيبيتهم الله ويضع العلم ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة [١].

وروى وكيع عن أبي المعتمر عن ابن سيرين عن معاوية أن رسول الله ﷺ نهى عن ركوب الخز والنمور، قال ابن سيرين: فكان معاوية لا يتهم في الحديث على رسول الله ﷺ [٢] وفي حديث أمير المؤمنين (ع): نهى عن ركوب الخز والجلوس عليه[٣] وعلى أي حال فالخز منهى عنه [٤] .

بحثنها عنه بوصفه ركوبه فلم نعرفه وكل الذي وجدناه، الخزز: ولد الأرنب، وقيل: هو الذكر من الأرانب، والجمع أخزة وخزان مثل صرد وصردان، وأرض محزة: كثيرة الخزان [٥] وهو غير قابل للركوب .

روى معاوية بن أبي سفيان عن النبي ﷺ انه قال لا تركبوا الخز ولا النمار وكأنه كره زي العجم في مراكبهم واستحب القصد في اللباس والمراكب [٦] ونحن لا نميل لقول كبير الحوايا هذا لأنه مكروه منبوذ من قبل النبي ﷺ [٧] .

وليس هذا حسب بل صيروه وكأنه يلبس اللباس المزركش من الديباج، وغيره وهذا ما رواه روح، عن ابن جريج عن ابي الزبير عن جابر بن عبد الله قال: لبس النبي ﷺقباء من ديباج أهديَّ له ثم أوشك أن ينزعه وأرسل به إلى عمر بن الخطاب فقيل قد أوشكت ما نزعته، فقال نهانى عنه جبريلعليه السلام فجاءه عمر يبكي فقال: كرهت أمراً وأعطيتنيه فــ مالي فقال لم أعطكه لتلبسه إنما أعطيتكه تبيعه فباعه بالفي درهم [٨] .

سند الرواية فيه عبد الملك بن جريج مولى الأمويين، ورد فيه مدح وقدح [٩] وتوجد علامات استفهام عليها، إن القباء مهدى للنبي ﷺوهو عربي والعرب يقبلون الهدية، لماذا أرسلها إلى عمر ؟ فــ إذا كان لبس الديباج مكروه أصبح سُنة الأفضل به أن لا يهديه، وإذا كان غير ذلك

---

١ البخاري : صحيح ٢٤٣/٦
٢ ابن أبي شيبة : المصنف ٧٨/٦ .
٣ ابن منظور : لسان العرب ٣٤٥/٥ .
٤ الشهرستاني : وضوء النبي (ص) ٣٩٢/٢ .
٥ ابن منظور : لسان العرب ٥/ ٣٤٥ .
٦ البيهقي : السنن الكبرى ٢٧٢/٣
٧ المحمداوي : الشجرة الملعونة في القرآن /١٠- ٢٣ .
٨ ابن حنبل : مسند٣/ ٣٨٣ .
٩ المحمداوي : فاطمة بنت عتبة حقيقة أم وهم ؟ /١١٠ .

المفروض أن يرسله إلى الفقراء حتى يبيعونه وينتفعوا من ثمنه، وإن عمراً لم يكن فقيراً، وإذا غضينا الطرف عن كل ذلك وسلمنا بقبول الرواية، نقول بعد أن باعه عمر أين ذهب ثمنه؟ وإذا نظرنا بجدية إلى الرواية نجدها مقصودة أريد منها رفع منزلة عمر على اعتبار انه مقرب للنبيﷺ وفي واقع الحال أصبحت ذم عليه .

وفي الوقت الذي كره فيه النبي ﷺ لبس الديباج، نسب له ما هو أفدح منه، اذ صيروه انه لبس خاتماً ذهبياً، وهذا ما رواه أبو سلمة عن مالك عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺكان يلبس خاتماً من ذهب ثم نبذه وقال لا ألبسه أبداً فنبذ الناس خواتيمهم [١] .

وفي موضع آخر نهى النبي ﷺ عن الميثرة – جلود السباع – والقسية – ثياب مضلعة من ابريسم يُأتى بها من مصر – وحلقة الذهب والمفدم – المشبع بالعصفر – [٢] .

وخير مثال على بساطة عيشه، ما قال عبد الله بن مسعود: دخلت على النبي ﷺ وهو في غرفة كأنها بيت حمام وهو نائم على حصير قد أثر بجنبه فبكيت فقال ما يبكيك ؟ قلت: كسرى وقيصر يطؤون على الخز والحرير والديباج وأنت نائم على هذا الحصير قد أثر بجنبك قال فإن لهم الدنيا ولنا الآخرة وما أنا والدنيا وما مثلي ومثلها إلا كمثل راكب نزل تحت شجرة ثم سار وتركها[٣] سبحان الله ما أشبه حصيرة رسول الله بحصيرة السيد السيستاني (دامت توفيقاته) بعيني شاهدته جالساً عليها سلمت عليه وانصرفت .

أين ساسة العراق من هذا ؟ يعيني رأيت صغيرهم الذي علمهم السحر يطأ بحذائه سجادة فاخرة في فندق الرشيد يوم الانتخابات والله العظيم كأنها الحرير مزخرفة، يتمنى المرء ان يحصل على متر منها يعلقها على جدران بيته .

فائدة (صفاته المعنوية)

كثيرة هي صفات الحبيب المصطفى ﷺ والخوض في تفصيلاتها يحتاج وقت طويل وجهد مضاعف ينتج عنه بحث اكبر من الذي بين أيدينا، لم يكن همنا بحثها الآن ولكن عثرنا على شيء منها في معرض حديثنا عن صفاته المادية، ومن صفاته المعنوية انه أجود الناس كفاً، وأجرأ الناس صدراً، وأصدق الناس لهجةً، وأوفى الناس ذمة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشيرة، من رآه بديهة هابـــــه، ومن خالطـــه أحبـــه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ[٤] إذا كان

---

١ ابن حنبل : مسند ٢/ ٧٢ .
٢ ابن حنبل : مسند ٢/١٠٠ .
٣ الطبراني : المعجم الكبير ١٠/١٦٢
٤ ابن هشام : السيرة ٢/٢٧١

المقصود بالعريكة النفس تكون لينة يمكن لا بأس بها .

وإذا كان المقصود بها الطبيعة، يقال لانت عريكته إذا انكسرت نخوته، يقال: فلان لين العريكة إذا كان سلساً مطاوعاً منقاداً قليل الخلاف والنفور، وشديد العريكة إذا كان شديد النفس أبياً، والعريكة: النفس، يقال: إنه لصعب العريكة وسهل العريكة [1] فـ كسر النخوة يكون أمر مذموم حسب فهمنا المتواضع .

وهي صفة الزبير بن العوام، قال أمير المؤمنين عليه السلام لأبن عباس لما أرسله إلى الزبير يستفيئه إلى طاعته قبل حرب الناكثين "الق الزبير فإنه ألين عريكة"[2] وهذه حقيقة الرجل بدلالة انكسار نخوته يوم الناكثين وهروبه من المعركة إلى الحد الذي لم يستطع الدفاع عن نفسه، ولا يقول قائل أخذوه غيلة وهو يصلي .

والدليل على انه أصدق الناس لهجةً، ما جاء في وصفه " كلامه فصل وحكمه عدل " [3] .

وروى علي بن محمد وغيره، عن سهل بن زياد، عن محمد بن الوليد شباب الصيرفي عن مالك بن إسماعيل النهدي، عن عبد السلام بن حارث، عن سالم بن أبي حفصة العجلي، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: كان في رسول الله ثلاثة، لم تكن في أحد غيره، لم يكن له فيء، وكان لا يمر في طريق فيمر فيه بعد يومين أو ثلاثة إلا عرف أنه قد مر فيه لطيب عرفه وكان لا يمر بحجر ولا بشجر إلا سجد له [4] ما تقدم يستوجب شرحه والوقوف عنده طويلاً، لكننا في نهاية المشوار تعبنا ولم تكن لنا قوة على المواصلة أردنا الخروج من البحث والاكتفاء بما ذكرناه .

وفي خبر طويل أطول من مسلسل باب الحارة رواه مالك بن إسماعيل أبو غسان النهدي عن جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي حدثني رجل بمكة عن ابن لأبي هالة التميمي عن الحسن بن علي عليهما السلام قال: سألت خالي هند بن أبي هالة التميمي قال: خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء يعني جل نظره الملاحظة يسبق أصحابه يبدر من لقي بالسلام، قلت صف لي منطقه قال كان متواصلاً الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة لا يتكلم في غير حاجة طويل السكت يفتتح الكلام ويختمه بـ أشداقه [5] ويتكلم بجوامع الكلام فضل لا فضول ولا تقصير دمثاً ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وإن دقت لا يذم منها شيئاً لا يذم ذواقاً ولا يمدحه لا

---

١ ابن منظور : لسان العرب ٤٦٦/١٠ ، ينظر ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ٢٢٢/٣

٢ الشريف الرضي : نهج البلاغة ٧٦/١

٣ ابن حبيب : المنمق /٤٢٧ .

٤ الكليني : الكافي ٤٤٢/١

٥ الشدق : طفطفة الفم من باطن الخدين ، والاشدق : العريض الشدقين وما يليه . وتشدق في الكلام إذا فتح فاه . الفراهيدي : العين ٣٤/٥

تغضبه الدنيا وما كان لها فإذا تعوطي الحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها إذا أشار، أشار بكفه كلها وإذا تعجب قلبها وإذا تحدث أتصل بها يضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى وإذا غضب أعرض وأشاح وإذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام قال فكتمتها الحسين بن علي زماناً ثم حدثته فوجدته قد سبقني إليه فسأله عما سألته عنه ووجدته قد سأل أباه عن مدخله ومجلسه ومخرجه وشكله فلم يدع منه شيئاً قال الحسين سألت أبي عن دخول النبي ﷺ فقال كان دخوله لنفسه مأذوناً له في ذلك فكان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزءاً لله وجزءاً لأهله وجزءاً لنفسه ثم جزءاً جزؤه بينه وبين الناس فيسرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئاً وكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل ناديه وقسمه على قدر فضلهم في الدين فمنهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم والأمة من مسألته عنهم وإخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد الغائب وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي حاجته فإنه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها إياه ثبت الله قدميه يوم القيامة لا يذكر عنده إلا ذلك ولا يقبل من أحد غيره يدخلون روواداً ولا يفترقون إلا عن ذواق ويخرجون أدلة، فسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه فقال كان يخزن لسانه إلا مما يعينهم ويؤلفهم ولا يفرقهم أو قال ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره ولا خلقه ويتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويقويه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الأمر غير مختلف لا يغفل مخافة أن يغفلوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجوزه الدين يلونه من الناس خيارهم أفضلهم عنده أعمهم نصيحة وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مؤاساة ومؤازرة، فسألته عن مجلسه فقال كان لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر لا يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث انتهى به المجلس ويأمر بذلك يعطي كل جلسائه بنصيبه لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه من جالسه أو قاومه في حاجة صابرة حتى يكون هو المنصرف ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول قد وسع الناس منه بسطة وخلقه فصار لهم أبا وصاروا في الحق عنده سواء مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثى فلتاته متعادلين يتفاضلون فيه بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون أو يحوطون الغريب قلت كيف كانت سيرته في جلسائه قال كان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب يتغافل عما لا يشتهي ولا يدنس منه ولا يجنب فيه قد ترك نفسه من ثلاث المراء والإكثار ومما لا يعنيه وترك الناس

من ثلاث كان لا يذم أحدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير إذا سكت تكلموا ولا يتنازعون عنده من تكلم أنصتوا له حتى يفرغ حديثهم عنده حديث أوليتهم يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته حتى إذا كان أصحابه ليستجلبونهم ويقول إذا رأيتم طالب الحاجة يطلبها فــ أردفوه ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ ولا يقطع عن أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام قال فسألته كيف كان سكوته قال كان سكوت رسول الله ﷺ على أربع على الحلم والحذر والتقرير والتفكر فأما تقريره ففي تسوية النظر والاستماع من الناس وأما تذكره أو تفكره ففيما يبقى ويفنى وجمع الحلم والصبر وكان لا يغضبه شئ ولا يستنفره وجمع له الحذر في أربع أخذه بالحسنى ليقتدى به وتركه القبيح ليتناهى عنه واجتهاده الرأي فيما أصلح أمته والقيام فيما جمع لهم الدنيا والآخرة [١] .

وروى يزيد بن هارون عن مسعر عن عبد الملك بن عمير عن ابن عمر قال ما رأيت أحداً أجود ولا أنجد ولا أشجع ولا أوضأ من رسول ﷺ [٢] الكلمات واضحة لا تحتاج توضيح سوى كلمة الوضاءة: مصدر الوضئ، وهو الحسن النظيف [٣] .

وروى عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن جابر الجعفي عن الإمام الباقر (ع) قال: كان النبي ﷺ شديد البطش [٤] وهذا يتقاطع وقوله تعلى {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } [٥] فــ إذا رسالته رحمة ماذا يكون الحال ؟ من أين تأتيه النقمة، وقد تكون شدة بطشه على الكافرين لا أعلم ذلك .

وأم الفوائد في هذا الموضوع ما ذكره عمه ابي طالب بن عبد المطلب قــال صــفاته ونعتــه قال:-

وَمـــا تَركُ قَــومٍ لا أَبا لَكَ سَيِّداً ... يَحوطُ الــذِمارَ غَيرَ ذَربٍ مُواكِلِ

يَلوذُ بِهِ الهُلّــاكُ مــن آلِ هاشِمٍ ... فَهُم عِنــدَهُ فــي رَحمَةٍ وَفَواضِلِ

لعمري لقد كلفت وجــداً بأحمــد ... وأخوتــه دأب المحــب المواصل

فلا زال في الدنيا جمالاً لأهلهــا ... وزيناً على رغم العــدو المخايــل

---

١ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤٢٢/١

٢ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤١٩/١ .

٣ ابن منظور : لسان العرب ١٩٥/١ .

٤ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤١٩/١ .

٥ الأنبياء/١٠٧ .

فمن مثله في الناس أومن مؤمل إذا قايس الحكـــام أهـــل التفاضل

حليـــم رشيـــد عادل غير طائش يوالي ألهاً لـــيس عنـــه بذاهـــل

فأيـــــده رب العبـــاد بنصـــــره واظهر ديناً حقـــه غيـــر ناصـــل

لكنـــــا ابتغـــاه علـــى كل حالة من الدهر جداً غير قول التهـــازل

لقـــد علمـــوا إن أبننا لا مكذب لديهـــم ولا يعنى بقـــول الاباطـــل

لعل الشعراء الذين نظموا قصائدهم في مدح النبي ﷺ جاء بعد بعثته ونزول ألآيات القرآنية الدالة على نبوته والمعددة لمعجزاته والمبينة لأخلاقه وخلقه ،لذلك ذهب الدكتور ماهر دلي إلـــى القول إن الشعر بعد البعثة شعر فكرة تبلورت في ظلال القران الكريم والسنة النبويـــة المطهـــرة وقامت على تصور البعثة للكون والحياة والإنسان بعاطفة إسلامية [1] .

عدد الشاعر النعوت إلتي نعت بها النبيﷺفهو الحليم، الرشيد، العادل، المـــلاذ، وكافـــل اليتيم، والفاضل، المؤيد بنصر الله معتمداً على قوله تعالى {...وَاللّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ...}[2] ونفى عنه الكذب أن الله رافع امره .

وقد ناصره الشاعر وآمن به ودافع عنه بماله وسيفه، وما في اللامية دليل حبه ورعايته لـــه وعدم إشراكه بالله ،وفي تخاذل القوم وعدم مناصرتهم النبي قال موضحاً مواقفهم .

١ ينظر: البناء الفكري والفني للقصيدة الإسلامية في الشعر الحديث / ٢٦ .
٢ آل عمران / ١٣ .

الفصل الثالث
كيفية نزول الوحي عليه

أدلة نبوته قبل المبعث

لـــ نبوة النبي ﷺ امتدادات طويلة من عصر النبي آدم، وفي ذلك عهود ومواثيق على الأنبياء الاعتراف بها وهو غير مولود، ورفع الله ذكره في الأولين والآخرين ونوه عليه حين أخذ الميثاق عليهم أن يؤمنوا به ويأمروا أممهم بالإيمان به ثم شهر ذكره في أمته فلا يذكر الله إلا ذكر معه[١] ومع ذلك وردت بعض الأدلة إفادة هذا المعنى، رواها أناس ممن عاصره أو لم يعاصره، ومنهم:

أولاً: سيف بن ذي يزن

ومن دلالات نبوته قبل المبعث وجود شامة النبوة، إذ لم يبعث الله نبياً إلا وقد كانت عليه فـــي يده اليمنى، إلا هو فإنها بين كتفيه وقد سُئل عنها فقال هذه شامة الأنبياء قبلي لأنه لا نبي بعدي ولا رسول [٢] وهذه الشامة ذكرها سيف بن ذي يزن، لـــ عبد المطلب، قبل ولادته[٣] .

وقيل كان خاتم النبوة بين كتفيه مثل بيضة الحمامة تشبه جسده [٤] وهو خاتم النبيين[٥] قال سيف بن ذي يزن لعبد المطلب: سيولد غلام مكتوب بخاتم النبوة على كتفيه سطران الأول لا اله إلا الله والثاني محمد رسول الله ﷺ وأنا وجدت في كتب إسرائيل صفته أبين واشرح من القمر بين الكواكب[٦] وأخرج البغوي من طريق أم بكر بنت المسور عن أبيها قال مر بي يهودي والنبي(ص) يتوضأ وأنا خلفه فرفع ثوبه فإذا خاتم النبوة في ظهره فقال لي اليهودي ارفع رداءه عن ظهره فذهب أفعل فنضج في وجهي كفاً من ماء [٧] وللرد على مروجي هذه الروايات نقول لدينا من الروايات الحقيقية، ما يكفي لإثبات نبوته قبل وبعد الولادة، ولا نحتاج إلى هكذا خرافات، ممكن أن تسجل نقاط ضعف علينا، وإذا جارينا ناقليها وقبلناها، هل يقبلها غيرنا، أم يأخذها ويعلق أفكارنا، وبالتالي يفسد اعتقادنا؟ .

وقالت آمنة تحدث العباس بن عبد المطلب عن ولادة النبي محمد قالت: أتاني شاب فـــ اخرج صرة أخرى من حريره بيضاء ففتحها فإذا فيها خاتم فضرب به على كتفيه، ثم قال: أمرني ربي ان انفخ فيك من روح القدس فنفخ فيه وألبسه قميصاً وقال: هذا أمانك من آفات الدنيا، فهذا ما

---

١ ابن كثير :تفسير ٥٦١/٤
٢ الحاكم النيسابوري : المستدرك ٥٧٧/٢
٣ ابن حبيب : المنمق/ ٤٢٧
٤ ابن أبي شيبة : المصنف ٤٤٦/٧
٥ ابن هشام : السيرة ٢٧١/٢
٦ شاذان بن جبريل القمي : الفضائل /٤٢
٧ ابن حجر : الإصابة ٩٣/٦

رأيت يا عباس بعيني، فقال العباس: وأنا يومئذ أقرء فكشفت عن ثوبه فإذا خاتم النبوة بين كتفيه، فلم أزل اكتم شأنه ونسيت الحديث فلم اذكره إلى يوم إسلامي حتى ذكرني رسول الله ﷺ[1] .

وعلق السيد جعفر مرتضى على الرواية بقوله: إن هذا الحديث لا يصح، لأن العباس اكبر من النبي ﷺ بسنتين، فكيف يكون قد حضر ولادته فضلاً عن نسيانه الأمر الخطير جداً هو الآخر غير معقول ولو سلمنا انه نسيه، فكيف لا يذكره حين بعثة الرسول ﷺ ويبادر إلى التصديق به وإعلان إسلامه بل يتأخر في ذلك هذه السنين الطويلة، بل إلى عام الفتح كما يقولون، والحقيقة هي أنهم يريدون من أمثال هذه الحكايات إثبات فضائل العباس مثل كونه أول من اسلم، بل اسلم قبل ولادة النبي ﷺ نفسه وما إلى ذلك [2] فإسلام العباس المتأخر هو اكبر دليل على بطلان الرواية، وقد حاول ابن عباس تزيين سيرة والده، أو غيره استغل اسمه فوضعت روايات تمجده [3] .

وقال سيف بن ذي يزن لعبد المطلب: وهو يحدث عن دلائل النبوة، والله باعثه جهاراً وجاعل له منا أنصاراً يعز بهم أولياءه ويذل بهم أعداءه يفتح بهم خزائن الأرض ويضرب بهم الناس عن عرض ويكسر الأوثان ويزجر الشيطان ويعبد الرحمن يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله [4] .

ثانياً: عبد المطلب بن هاشم

من الثابت عندنا إن النبوة لم تكن بالطفرة الوراثية، ومسألة اختياره لم تكن مسألة عشوائية وإنما هناك إعدادات نفسية اصطلح عليها دلائل النبوة، ولم تكن خافية على احد، بل كانت بائنة على وجه أبيه وأمه وجده، دلت على ذلك الروايات، ومنها نبوءة عبد المطلب قال: إني أرى انه سيأتي عليكم يوم هو سيدكم إني أرى غرته غره تسود الناس [5] ومنذ يوم ولادته رأى ذلك فقال: ليكونن لابني هذا شأن[6] وكأن وجهه القمر ليلة البدر يسبح ويكبر في نفسه فتعجب منه، انبت الله تعالى على رأسه شجرة النبوة وظللته الغمامة صاحب الشفاعة يوم القيامة [7] وكان في مهده

---

١ الصدوق : كمال الدين /١٧٥ ، الامالي /٣٣٥ .
٢ الصحيح من السيرة ٦٧/٢ .
٣ ينظر المحمداوي : ابو طالب /٢٦٩
٤ ابن حبيب : المنمق/ ٤٢٧
٥ الصدوق : كمال الدين /١٧١ .
٦ ابن سعد : طبقات ١٠٣/١.
٧ شاذان بن جبريل القمي : الفضائل /٤٢ .

نائم وعليه هيبة الأنبياء [1] قال الواقدي: فلما أتى عليه شهر كانوا يسمعون من التسبيح التمجيد والثناء على الله تعالى [2] .

وما رواه ابن شهراشوب عن الماوردي قوله: رأى عبد المطلب في منامه كأنه خرج من ظهره سلسلة بيضاء لها أربعة إطراف طرف قد اخذ المغرب وطرف اخذ المشرق وطرف لحق باعنان السماء وطرف لحق بثرى الأرض، فبينما هو يتعجب إذ التقت الأنوار فصارت شجره خضراء، مجتمعة الأغصان متدلية الإثمار كثيرة الأوراق قد أخذت أغصانها أقطار الأرض في الطول والعرض ولها نور قد اخذ الخافقين وكأني قد جلست تحت الشجرة وبازاي شخصان بهيان وهما نوح وإبراهيم عليهما السلام قد استضلا به، فقص ذلك على كاهن ففسره بولادة النبي صلى الله عليه وآله " [3] .

وهذه رواية أحادية لم نجدها إلا عند صاحبها، الذي لم نطلع على مؤلفاته الذي ذكر فيها الرواية، ولا نعرفه هذا لعله خلف بن محمد بن أبي الحسن الماوردي البصري، كان غالياً في مذهبه، ضعيفاً لا يلتفت إليه [4] أو أقضى القضاة، أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب البصري، الماوردي، الشافعي، ت ٤٥٠هـ، حدث عنه: أبو بكر الخطيب، ووثقه، وله مصنفات كثيرة في الفقه والتفسير، وأصول الفقه والأدب، وكان حافظا للمذهب لم يظهر شيئاً من تصانيفه في حياته، وجمعها في موضع، فلما دنت وفاته، قال لمن يثق به: الكتب التي في المكان الفلاني كلها تصنيفي، وإنما لم أظهرها لأني لم أجد نية خالصة، فإذا عاينت الموت، ووقعت في النزع، فاجعل يدك في يدي، فإن قبضت عليها وعصرتها، فاعلم أنه لم يقبل مني شيء منها، فاعمد إلى الكتب، وألقها في دجلة، وإن بسطت يدي، فاعلم أنها قبلت، قال الرجل: فلما احتضر، وضعت يدي في يده، فبسطها، فأظهرت كتبه كان رجلاً عظيم القدر، أحد الأئمة، له التصانيف الحسان في كل فن، هو متهم بالاعتزال كان يختار في بعض الأوقات أقوالهم [5] .

وروى ابن كثير، ت ٧٧٤هـ، عن أبي نعيم، عن عبد الله بن محمد بن جعفر عن محمد بن أحمد بن أبي يحيى عن سعيد بن عثمان عن علي بن قتيبة الخراساني عن خالد بن الياس عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي الجهم عن أبيه عن جده، قال " سمعت أبا طالب يحدث عن عبد المطلب قال، بينا أنا نائم في الحجر إذ رأيت رؤيا هالتني ففزعت منها فزعاً شديداً، فأتيت كاهنة قريش وعليَّ مطرف خز وجمتي تضرب منكبي فلما نظرت إليَّ عرفت في وجهي التغيير وأنا

---

١ الفضائل /٢٢ــ ٢٤ .
٢ الفضائل /٢٤ .
٣ المناقب ١/٢٤ .
٤العلامة الحلي : خلاصة الأقوال/٣٤٤ .
٥ الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٨/ ٦٥ – ٦٧ .

يومئذ سيد قومي فقالت: ما بال سيدنا قد أتانا متغير اللون ؟ هل رأبه من حدثان الدهر شيء ؟ فقلت لها بلى ! وكان لا يكلمها أحد من الناس حتى يقبل يدها اليمني، ثم يضع يده على أم رأسها ثم يذكر حاجته ولم أفعل لأني كبير قومي، فجلست فقلت إني رأيت الليلة وأنا نائم في الحجر كأن شجرة تنبت قد نال رأسها السماء وضربت بأغصانها المشرق والمغرب، وما رأيت نوراً أزهر منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفاً، ورأيت العرب والعجم ساجدين لها وهي تزداد كل ساعة عظماً ونوراً وارتفاعاً ساعة تخفى وساعة تزهر، ورأيت رهطاً من قريش قد تعلقوا بأغصانها، ورأيت آخرين يريدون قطعها، فإذا دنوا منها أخرهم شاب لم أر قط أحسن منه وجهاً ولا أطيب منه ريحاً فيكسر أظهرهم، ويقلع أعينهم، فرفعت يدي لا تناول منها نصيباً، فمنعني الشاب فقلت لمن النصيب؟ قال لهؤلاء الذين تعلقوا بها وسبقوك إليها، فانتبهت مذعوراً فزعاً فرأيت وجه الكاهنة قد تغير، ثم قالت لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب ويدين له الناس ثم قال – يعني عبد المطلب – لأبي طالب، لعلك تكون هذا المولود فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث بعدما ولد رسول الله ﷺ وبعدما بعث، ثم قال كانت الشجرة هو [١] وهذا الخطأ في الموضوع، فُسرت النبوة على إنها ملك.

وقد أشارت الرواية إلى ذهاب عبد المطلب إلى الكاهنة، وهذا لا يصح لان الكهنة أناس كفرة، وهذا ما ورد عن أمير المؤمنين قوله " إنما المنجم كالكاهن، والكاهن كالكافر، والكافر في النار[٢] والكهانة: عمل يوجب طاعة بعض الجان له وأتباعه، إذ يأتيه بالأخبار الغائبة، وكان قبل البعثة كهنة ومع كل واحد شيطان، وكان يقعد من السماء مقاعد للسمع، فيستمع من الملائكة ما هو كائن في الأرض، فينزل ويخبر به الكاهن، فيفشيه الكاهن إلى الناس، فهو قريب من السحر أو أخص منه[٣] وعلى الرغم من وجود السحر والشعوذة في عمل الكهان هناك من كتب عنهم مضيفاً إليهم النبوءات في مولد النبي محمد ﷺ جاعلاً من هذه الخزعبلات التي سعينا إلى تفنيدها حقيقة معروفة[٤] ولهذا يكون عمل الكهنة حرام، وعبد المطلب مسلم مؤمن عامل بأدلة قطعية[٥].

وفي تراث مدرسة آل البيت ما يؤيد رواية ابن كثير، فعلى سبيل المثال ما رواه الصدوق بسنده عن ابن عباس عن أبيه قال: وهو يتحدث عن ولادة عبد الله أخيه فقال أبي: إن لهذا الغلام شأناً عظيماً، فرأيت في منامي انه خرج من منخره طائر ابيض فطار فبلغ المشرق والمغرب ثم

---

١ ابن كثير : البداية ٣٨٧/٢

٢ ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة ٢٧٠/٢

٣ المحقق النراقي : مستند الشيعة ١١٦/١٤

٤ توفيق فهد : الكهانة العربية قبل الإسلام /٧٧

٥ للتفصيلات ينظر المحمداوي : عبد المطلب بن هاشم /٦٥

رجع راجعاً حتى سقط على بيت الكعبة، فسجدت له قريش كلها، فبينما الناس يتأملونه إذ صار نوراً بين السماء والأرض وامتد حتى بلغ المشرق والمغرب، فلما انتبهت سألت كاهنة بني مخزوم، فقالت لي: يا عباس لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبه ولد يصير أهل المشرق والمغرب تبعا له، أتيت فرأيت النور بين عينيه يزهر فحملته وتفرست في وجهه فوجدت منه ريح المسك، وصرت كأني قطعة من مسك من شدة ريحي [١] .

إما سند الرواية فيه، عبد الله بن محمد بن جعفر أبو محمد الاصبهاني ويعرف بأبي شيخ، ت ٣٦٩هـ، حديثه مشهور [٢] حافظ اصبهان ومسند زمانه، صاحب المصنفات السائرة، سمع وكتب العالي والنازل ولقى الكبار، ومع سعة علمه وغزارة حفظه صالحاً خيراً قانتاً لله صدوقاً، قال ابن مردويه: ثقة مأمون، صنف التفسير وكتب كثير في الأحكام وغير ذلك، وقال أبو بكر الخطيب: كان حافظاً ثبتاً متقناً، قال احد العلماء: ما دخلت على الطبراني إلا وهو يمزح أو يضحك، وما دخلنا على أبى الشيخ إلا وهو يصلى، قال أبو نعيم: كان أحد الأعلام، يفيد عن الشيوخ ويصنف لهم ستين سنة [٣] ضعفه أبو أحمد العسال الاصفهانى [٤] وقيل ثقة [٥] من حفاظ الحديث، العلماء برجاله[٦] .

وهو المعروف ابن حبان صاحب كتاب طبقات المحدثين بأصفهان، الذي نقل الرواية التي نحن بصددها عن شيخه محمد بن احمد بن أبي يحيى، وهو مجهول وغير معروف نقل عنه ثلاث روايات فقط[٧] ولم نجده روى عن شيخه المزعوم في الرواية سعيد بن عثمان .

والأخير غير معروف، وذلك لوجود أكثر من شخص بهذا الاسم منهم سعيد بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ربيب عبد مناف، قليل الحديث [٨] وسعيد بن عثمان عن مسلم بن أبي بكرة عن أبيه [٩] .

وسعيد بن عثمان بن سعيد التجيبى الاندلسي، أبو عثمان الاعناقى، ت ٣٠٥هـ سمع أحمد بن عبد الله بن صالح العجلى ويونس بن عبد الأعلى وغيرهما، روى عنه أحمد بن سعيد بن حزم، كان ورعاً زاهداً عالماً بالحديث، بصيراً بعلله ولا علم له بالفقه [١٠] .

---

١ كمال الدين /١٧٥ ، الامالي /٣٣٥ .
٢ ابن ماكولا : إكمال الكمال ٣٣١/١
٣ الذهبي : تذكرة الحفاظ ٩٤٥/٣
٤ ابن الدمياطي : المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ١٢٩/٢
٥ ابن حجر : لسان الميزان ٦٤/٧
٦ الزركلي : الاعلام ١٢٠/٤
٧ ابن حيان : طبقات المحدثين باصفهان ٣٨٢/١، ٥٦/٢ ، ٢٦٥/٢
٨ ابن سعد : الطبقات ١٥٣/٥
٩ البخاري : التاريخ الكبير ٥٠٣/٣
١٠ العجلي : معرفة الثقاة ٥١/١

وسعيد بن عثمان البلوى روى عن عاصم بن ابى البداح وجدته أنيسة بنت عدى، روى عنه عيسى بن يونس، وسعيد بن عثمان التنوخى أبو عثمان الحمصي، روى عن بشر بن بكر وأبي المغيرة وأسد بن موسى وبشر بن المنذر وعلي بن معبد حدث بـــ حمص، محله الصدق [١] .

وسعيد بن عثمان بن بكر أبو سهل الاهوازي [٢] ومما تجدر الإشارة إليه لم تكن هناك آصرة تربط هذه الشخصيات بالتي قبلها أو بعدها بوصفهم تلامذة وشيوخ، لم يتوافر هذا، بمعنى لم تحصل المعاصرة بينهم، ولم يكن علي بن قتيبة الخراساني شيخ سعيد بن عثمان .

أما علي بن قتيبة الخراساني، فهو مجهول بحثنا عنه، ولم نجد عنه شيئاً سوى الرواية التي نحن بصدد تفنيدها وأخرى رواها ابن عساكر عن أبي محمد عبد الكريم بن حمزة عن عبد العزيز بن أحمد عن تمام بن محمد أخبرني إبراهيم . . . بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن يحيى حدثني إبراهيم بن إسحاق بن أبي الجحيم عن علي بن قتيبة الخراساني عن مالك عن الجهم بن أبي الجهم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال " إن الله ضرب الحق أو قال جعل أبو عبد الرحمن يشك فيه على لسان عمر وقلبه " في إشارة إلى حديث أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال " إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه [٣] .

وخالد بن الياس القرشى العدوى المدينى، من ولد عامر بن لؤى، متروك الحديث، وليس بـــ شيء، وضعيف، ومنكر الحديث، وليس بقوى، قال أبو نعيم: لا يسوى حديثه وسكت، وذكر بعدها لا يسوى حديثه فلسين [٤] .

ليس بـــ شيء ولا يكتب حديثه، وقال النسائي: مدني متروك الحديث، وقد جمع ابن عدي نتف من أحاديثه المنكرة فقال له غير ما ذكرت قليل، أحاديثه كأنها غرائب وافرادات عن من يحدث عنهم ومع ضعفه يكتب حديثه " [٥] .

جعله أبو حاتم ضعيف الحديث منكر، قيل له يكتب حديثه فقال زحفاً وقال أبو زرعة ضعف ليس بقوي، وقال البخاري منكر الحديث ليس بـــ شيء وقال أبو داود كان يؤم في مسجد النبيﷺ نحواً ثلاثين سنة وقال النسائي متروك الحديث وقال مرة ليس بثقة ولا يكتب حديثه، وذكره يعقوب بن سفيان في باب من يرغب عن الرواية عنهم، وقال الترمذي ضعيف عند أهل الحديث وقال النسائي في الكنى مدني ضعيف وقال ابن شاهين في الضعفاء، ضعفه محمد بن

---

١ ابن ابي حاتم : الجرح والتعديل ٤٧/٤ .
٢ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٩٩/٩ .
٣ تاريخ مدينة دمشق ١٠١/٤٤ .
٤ ابن ابي حاتم : الجرح والتعديل ٣٢١/٣ .
٥ الكامل ٥/٣ .

عمار وقال الساجي في الضعفاء سمعت ابن مثنى يقول خالد بن الياس يضعف في الحديث، قال الساجي هو ضعيف الحديث جداً وليس هو بحجة في الأحكام، وقال أبو بكر البزار في مسنده ليس بالقوي وقال ابن حبان يروي الموضوعات عن الثقاة حتى يسبق إلى القلب أنه الواضع لها لا يكتب حديثه إلا على جهة التعجب وهو الذي روى أن الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة، وقال الحاكم روى عن ابن المنكدر وهشام بن عروة والمقبري أحاديث موضوعة وكذا قال أبو سعيد النقاش وقال ابن عبد البر ضعيف عند جميعهم[١] وهو ليس خالد بن الياس الذي روى عنه شعبة، ذا بصري ثقة، والذي نحن بصدده المديني ساقط الحديث[٢] ومنكر[٣] وضعيف[٤] وليس بـــ شيء[٥] .

وأبو بكر بن عبد الله بن أبي الجهم العدوي، ينسب إلى جده، واسم أبي الجهم صخير، وثقه ابن معين، وقال ابن حبان: صدوق وذكره ابن حبان في الثقاة، كان قليل الحديث[٦] سمع من فاطمة بنت قيس[٧] ثقة [٨] .

إما عبد الله بن أبي الجهم أسلم عام الفتح مع أبيه وخرج إلى الشام غازياً فقتل بـــ أجنادين[٩] واسم أبي الجهم عامر وقيل عبيد الله وعبد الله أخو عبيد الله بن عمر بن الخطاب لامه، أمهما أم كلثوم بنت جرول الخزاعية وكأنها كانت عند أبي الجهم قبل عمر، وأن عبد الله بن أبي الجهم عاش بعد أجنادين دهرا فيحتمل أن يكون له أخ باسمه [١٠] .

يظهر إن عبد المطلب كان على علم تام أنه سوف يخرج من صلبه نبي هذه الامه، لكن غلب على الرواية طابع الغيب، ولم تكن حقيقة وإنما هي رؤيا نائم، لذلك تخبط أصحابها مرة تخرج منه شجرة، وأخرى سلسلة بيضاء، وتارة ذهب إلى كاهنة وأخرى إلى كاهن، وإذا كان في هاتين الروايتين إنه الرؤيا، جاء في غيرها انه النجاشي وسواد بن قارب وورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل رأو ذلك.

---

١ ابن حجر : تهذيب التهذيب ٧٠/٣ ، تلخيص الحبير ٤١٦/١ .
٢ ابن حزم : المحلى ٣٦/٢ .
٣ ابن قدامة : المغني ٥٦٨/١ ، النووي : المجموع ٢٤١/٢٠ ، الهيثمي : مجمع الزوائد ٨٣/٢ .
٤ البيهقي : السنن الكبرى ١٢٤/٢ ، الماردِيني : الجوهر النقي ١٢٤/٢ .
٥ البخاري : التاريخ الكبير ١٤٠/٣ .
٦ ابن حجر : تهذيب التهذيب ٢٤/١٢ .
٧ ابن حنبل : العلل ٩٨/٣ .
٨ الذهبي : الكاشف من له رواية ٤١٠/٢ ، ابن حجر : تقريب التهذيب ٣٦٤/٢ .
٩ موضع معروف بالشام من نواحي فلسطين ، في الرملة من كورة بيت جبرين ، كانت به وقعة ، جيش ابي بكرِ بن ابي قحافة والروم ، مشهورة . شهد ها مائة ألف من الروم ، سرب هرقل أكثرهم ، وتجمع الباقي من النواحي ، حدث فيها قتالاً شديداً ، قتل فيها طائفة من العرب ، منهم عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب بن هاشم ، وعكرمة بن أبي جهل ، والحارث بن هشام ، وكانت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ١٣هــ قبل وفاة أبي بكر . ياقوت الحموي : معجم البلدان ١/ ١٠٣ .
١٠ بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب القرشي العدوي.ابن حجر: الإصابة ٣٩/٤

ثالثاً: حليمة المرضعة المفتراة

وهناك روايات نحن لا نقول بصحتها وهي حجة على القوم لأنها وردت في مصادرهم، ولا سيما ما روته المرضعة المفتعلة حليمة السعدية، نذكرها في موضع الإنكار لا الإقرار، إنها رأت غمامة تظله إذا وقف وقفت وإذا سار سارت فأفزعها ذلك أيضاً من أمره فقدمت به إلى أمه لترده وهو ابن خمس سنين [1] وقد نفينا ذلك بـــ القول: ما بقاءه كل هذه المدة عند المرضعة .

وقولها: اقبل على ثدياي بما شاء من لبن فشرب حتى روي، وشرب أخوه حتى روي، وقام صاحبي إلى شارفنا – ناقتنا – تلك فإذا أنها لحافل، فحلب ما يشرب وشربت حتى روينا فبتنا بخير ليلة فقال صاحبي: والله إني لأراك قد أخذت نسمة مباركة، ألم ترى إلى ما بتنا به الليلة من الخير حين أخذناه ؟!فلم يزل الله يزيدنا خيراً حتى خرجنا راجعين إلى بلادنا، فـــ والله لقطعت أتاني بالركب حتى ما يتعلق بها حمار حتى ان صواحبي ليقلن: ويلك أهذه أتانك التي خرجت عليها معنا ؟ فـــ أقول: نعم، والله أنها لهي، فيقلن: والله ان لها لشأناً، حتى قدمنا ارض بني سعد وما اعلم أرضاً من ارض الله عز وجل اجدب منها فان كانت غنمي لتسرح ثم تروح شباعاً لبناً فنحلب ما شأنا، وما حولنا أحد تبض له شاة بقطرة لبن، وان أغنامهم لتروح جياعاً حتى أنهم ليقولون لرعيانهم ويحكم انظروا إذ تسرح غنمها فاسرحوا معهم، فيسرحون مع غنمي إذ تسرح، فيريحون أغنامهم جياعاً وما فيها قطرة لبن وتروح غنمي شباعاً لبناً نحلب منها ما شئنا، فلم يزل الله عز وجل يرينا البركة ونتعرفها [2] .

وقولها: والله ما غسلت له ثوباً من بول ولا غائط كان إذا جاء وقت حاجته ينقلب من جنب إلى جنب حتى تعلم بذلك وتأخذه وتخدمه لـــ يقضي حاجته ولا شممت ورب السماء منه رائحة نتنة قط، بل كان يفوح منه رائحة المسك والكافور، فلما أتى عليه تسعة أشهر ما رأيت ما يخرج منه البته لان الأرض تبتلعه، فلهذا لم أر وكان منها أن تحمله حين كملت له عشرة أشهر فقامت يوم الخميس وقعدت على باب الخيمة تنتظره لتحمله إلى جده، فلم ينتبه وإبطأ في الخروج فلم يخرج إلا بعد أربع ساعات وهو مغسول الرأس مسرح الذوائب وقد زرق جنبيه وذقنه وعليه ألوان الثياب من السندس والإستبرق فتعجبت من ذلك فقالت: يا ولدي من أين لك هذه الثياب الفاخرة والزينة الكاملة ؟ فقال لها: إما الثياب فمن الجنة وإما الزينة فمن أفعال الملائكة، ثم حملته يوم الجمعة فلما نظر إليه عبد المطلب قام واعتنقه وأخذه إلى حجره فقال له: من أين لك هذه؟ فقال له: اسأل حليمة، فروت له الخبر، فأمرها بكتمان ذلك ودفع لها ألف درهم بيض وعسرة دسوت ثياب وجارية رومية فخرجت

---

١ ابن سعد : الطبقات ١١٢/١ .
٢ ابن اسحاق : السير /٤٨

من عنده فرحه مسرورة إلى حيها وكان لها اثنان وعشرون رأساً من المواشي فوضعت في تلك السنة كل شاة توماً ببركته وخرج من عندها ولها إلف وثلاثون رأساً من الثاغية والراغية وكان له إخوة من الرضاعة يخرجون بالنهار ويعودون بالليل إلى منازلهم فرجعوا ذات ليلة مغمومين فلما دخلوا الدار قالت لهم مالي أراكم مغمومين قالوا: في هذا اليوم جاء ذئب واخذ شاتين منا وذهب بها فقالت: الخلف والخير في الله تعالى فسمع قولهم فقال لهم لا عليكم إني استرجعهما بمشيئة الله تعالى فقال ضمره وآعجبا منك قد أخذها الأمس فكيف تسترجعها اليوم فقال النبي ﷺ انه صغير في قدرة الله تعالى فلما أصبحوا قام ضمره وأخذه على كتفيه فقال النبي ﷺ مر بي إلى الموضع الذي اخذ الذئب فيه الشاتين فذهب إليه فعند ذلك نزل عن كتف أخيه وسجد سجده لله تعالى وقال: الهي وسيدي ومولاي تعلم حق حليمة عليَّ وقد تعدى ذئب على مواشيها فاسئلك أن تلزمه بردها إلى عندي فما استتم دعاءه حتى أوحى الله إلى جبريل أن قل للذئب أن يرد المواشي إلى صاحبها إن الذئب لما ذهب بالشاتين حين أخذها نادى مناد أيها الذئب احذر الله وبأسه وعقوبته وأحفظ الشاتين حتى أردها على خير الأنبياء والمرسلين محمد ﷺفلما سمع النداء تحير ودهش ووكل بتلك المواشي راعياً يرعاها إلى الصباح فلما حضر النبي ﷺودعا بدعائه قام الذئب ورد الشاتين وقد قدم النبي ﷺوقال: اعذرني فـــ إني لم اعلم أنها لك فاخذ ضمرة – لم اعرفه – الشاتين ولم ينقص منها شيء فقال: يا محمد ما أعجب شأنك وأنفذ أمرك فبلغ ذلك إلى عبد المطلب فأمرهم بكتمانه فكتموه مخافة أن تأخذه قريش ويعملون في دمه[1] .

وللتعليق على الرواية نقول: مسألة الوقت الذي هو أربع ساعات الذي استغرقه الطفل الرضيع لتجميل حالة أمر لا يصدق، وينفيه كثرة كراماته على الله سبحانه وتعالى، وكذلك خرافة عدد مواشيها الاثنان وعشرون، وسرعة كثرة عددهم بحيث أصبحوا إلف وثلاثون رأساً، لا ندري من أين لهم مراعي ومكة وادي غير ذي زرع، كما لا ندري هل توقفت حليمة من الرضاعة بعد النبي ﷺ .

والمشكل على الرواية بقاء النبي محمد ﷺ خمس سنوات[2] وهي عندها٢٢ رأساً وكل واحدة أنجبت توأم يصبح العدد لمدة سنة واحدة يساوي٤٤ رأساً وإذا ضربنا هذا العدد في٥ سنوات تكون النتيجة يساوي٢٢٠ رأساً فمن اين اتى صاحب الرواية بهذا الرقم الهائل؟ كما نرفض رضاعته من قبل أي مرضعة، علماً أن الرضاعة سنة واحدة، فما المبرر لوجوده كل هذه المدة؟.

---

١ القمي : الفضائل /٢٤ – ٣١ .
٢ الطبقات ١٦٦/١

وعندما غاب عن مرضعته، بحثوا عنه فوجدوا شجرة ثابته في الوادي نبتت بشكل آني تضلله[١] وفي رواية مفتراة انه غاب عن جده فطلبوه ولم يجدونه، إذا شجره ثابتة في الوادي تظلله [٢] وهذه رواية لا يعتد بها سبق وان ناقشناها [٣] .

رابعاً: الكهنة والأصنام

منها على سبيل المثال، ما قاله كاهن مكة: يا معشر قريش اقتلوا هذا الصبي فانه يقتلكم ويفرقكم فهرب به عبد المطلب فلم تزل قريش تخشى من أمرها ما كان الكاهن حذرهم [٤] وعلى قضية هروب عبد المطلب مشكل، لأنه رئيس مكة وشيخ قريش، وانه لم يهرب من الفيلة في حملة الفيل، إيماناً منه إن للبيت رباً يحميه، فلا يصح القول انه هرب من قريش قبيلته، علماً إننا لم نعرف مَنْ هو كاهن مكة؟ .

وروى ابن شهراشوب عن البيهقي في الدلائل إن راهب في سوق بصرى قال " هل ظهر محمد ﷺ فهذا شهره الذي يظهر فيه " وقال عفكلان الحميري لعبد الرحمن بن عوف " إلا أبشرك ببشارة وهي خير لك من التجارة أنبئك بالمعجمة وأبشرك بالمرغبة إن الله قد بعث في الشهر الأول من قومك نبياً ارتضاه وصفياً انزل عليه كتاباً جعل له ثواباً ينهى عن لأصنام ويدعوا إلى الإسلام اخف الوقفة وعجل الرجعة، وكتب إلى النبي ﷺ :

اشهد بالله رب موسى انـــك أرسلـــت بالبطـــاح
فكن شفيعي إلى مليك يدعوا البرايا إلى الفلاح

فلما دخل على النبي ﷺ قال: أحملت إليّ وديعة أم أرسلك إليَّ مرسل برسالة فهاتها؟ ورأت كاهنة عثمان فقالت: يا عثمان لك الحجج لك البيان هوان في الرهبان أرسله بحق الديان وجاءها بالتنزيل والفرقان، فتعاهد مع أبي بكر لو زوج مني رقية لأسلمت، وبشر اوس بن حارث بن ثعلبة قبل مبعثه بثلاثمائة عام وأوصى أهله بإتباعه في حديث طويل وهو القائل

إذا بعث المبعوث من آل غالب بمكة فيما بين زمزم والحجـــر
هنالك فاشروا نصرة ببلادكـــم بني غامر إن السعادة في النصر

وفيه قال النبي ﷺ "رحم الله أوساً مات في الحنيفية وحث على نصرتنا في الجاهلية"[٥] وقد بحثنا عن هذه الرواية فوجدناها أحادية الجانب لم ترد إلا عند ابن شهراشوب، وقد راجعنا شخصية

---

١ القمي : الفضائل /٣٦
٢ القمي : الفضائل /٣٦
٣ ينظر مبحث تفسير الاية السابعة من سورة الضحى /
٤ الطبقات ١٦٦/١
٥ مناقب ٢٣/١ .

عفكلان الحميري، فوجدناها وهمية لم ترد إلا في هذه الرواية، وكذلك لم نعرف كاهنة عثمان ما هي؟ فهي غير معروفة، وكذلك اوس بن حارث بن ثعلبة مجهول وغير معروف، وبهذا لا يمكن الركون إلى صحة الرواية، بل هي مفتعلة، والأكثر من ذلك إنها وردت من دون سلسلة سند .

الغريب في الأمر، وصل الافتراء حداً إن الأصنام بشرت بولادته ﷺ وهذا ما رواه ياقوت الحموي في معرض حديثه عن الجلسد صنم قبيلة كندة فقال " وكانوا يكلمون منه، يروى إن رجلاً قد ذبح له ذبحاً إذ سمعنا فيه كهمهمة الرعد، فأصغينا فإذا قائل يقول: شعار أهل عدم، انه قضاء حتم، أن بطش سهم فقد فاز سهم، فقلنا: ربنا وضاح وضاح ! فأعاد الصوت وهو يقول: ناء نجم العراق، يا أخزر بن علاق، هو أحسست جمعاً عما، وعدداً جما، يهوي من يمن وشام، إلى ذات الآجام، نور أظل، وظلام أفل، وملك انتقل، من محل إلى محل، ثم سكت فلم ندر ما هو، فقلنا: هذا أمر كائن، فلما كان في العام المقبل وقد راث علينا ما كنا نسمع من كلام الصنم وساءت ظنوناً وقربنا قرباناً ولطخنا بدمه وكذلك كنا نفعل، فإذا الصوت قد عاد علينا فتباشرنا وقلنا: عم صباحا ربنا لا مصد عنك ولا محيد، تشاجرت الشؤون، وساءت الظنون، فالعياذ من غضبك، والاباب إلى صفحك ! فإذا النداء من الصنم يقول: قلبت البنات، وعزاها واللات، وعلياها ومناة، منعت الأفق فال مصعد، وحرست فلا مقعد، وأبهمت فلا متلدد، وكان قد ناجم نجم، وهاجم هجم، وصامت زجم، وقابل رجم، وداع نطق، وحق بسق، وباطل زهق، ثم سكت، فتحدثت القبائل بهذا في مخاليف اليمن فـــ أنا لعلى أفان ذلك إذ أضل رجل من كندة إبلاً فأقبل إلى الجلسد فنحر جزورا واستعار ثوبين من ثياب السدنة واكتراهما فلبسهما، وكذلك كانوا يفعلون، ثم قال: أنشدك يا رب أبكراً ضخماً مدمومة دماً مخلوقة بالأفخاذ مخبوطة بالحاذ أضللتها بين جماهير النخرة حيث الشقيقة والضفرة، فاهد رب وأرشد، فلم يجب، قال الاخزر: فانكسر لذلك، وقد كان فيما مضى يخبرنا بالأعاجيب، فما جن علينا الليل بت مبيتي عنده فإذا هاتف يقول: لا شأن للجلسد ولا رثي لهدد، استقام الأود وعبد الواحد الصمد، واكفي الحجر الصلد، والرأس الأسود، فنهضت مذعوراً فأتيت الصنم فإذا هو منقلب على رأسه وكان لو اجتمع فئام من الناس ما حلحلوه، فوالذي نفسي بيده ما عرجت على أهل ولا مال حتى أتيت راحلتي وخرجت حتى أتيت صنعاء فقلت: هل من خابئة خبر؟ فقيل لي: ظهر رجل بمكة يدعوا إلى خلع الأوثان ويزعم أنه نبي، فلم أزل أطوف في مخاليف اليمن حتى ظهر الإسلام، فأتيت النبي ﷺ فأسلمت [1] .

١ معجم البلدان ١٥١/٢ .

البعثة الشريفة

نزول جبريل (ع)

من المعروف إن الأنبياء والرسل – إن كان هناك فرقاً بينهما – تأتيهم بشارة النبوة والرسالة عن طريقه، وهذا ما جاء في قوله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ ... } [1] وقوله {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً } [2] .

جاء ذكره في قوله تعالى {قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ } [3] وقوله {مَن كَانَ عَدُوّاً لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ } [4] وقوله {إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ } [5] .

وهذه النقطة يجب التوقف عندها ونمايز بين الوحي وجبريل، فـــ الأول يعني الأمر الرباني الذي ينقله الثاني، وبمعنى أوضح ومن دون تشبيه إن الوحي هو البريد، وجبريل ساعي البريد، وبمعنى أدق إن الوحي أمر، وجبريل اسم ملك ناقل له وهو وساطة بين الله ورسوله .

المهم قضية تلقي الوحي من قبل النبي (ص) تطلبت استعدادات منها كثرة عبادته وانقطاعه إلى الله سبحانه، إذ كان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ويتعبد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود ثم يرجع إلى السيدة خديجة عليها السلام فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في الغار فقال له اقرأ قال النبي (ص) ما انا بقارئ فأخذني فغطني حتى بلغ منى الجهد فعل ذلك ثلاث مرات، ثم أرسلني فقال {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ *خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ } [6] فرجع بها يرجف فؤاده فدخل على السيدة خديجة عليها السلام فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فـــ أخبرها الخبر وقال لقد خشيت على نفسي فقالت له كلا والله ما يخزيك الله أبداً انك لتصل الرحم وتحمل الكل [7] وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به إلى ورقة بن نوفل، وقد تنصر في الجاهلية وكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان

---

١ الأنبياء/٢٥ .
٢ النساء/١٦٣ .
٣ البقرة/٩٧ .
٤ البقرة/٩٨ .
٥ التحريم/٤ .
٦ العلق /١-٣
٧ فائدة لغوية : كل من أسماء القلة فلا تأخذ أل التعريف .

شيخاً كبيراً قد عمى فقالت له اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة ماذا ترى ؟ فاخبره فقال له هذا الناموس الذي نزله الله على النبي موسى عليه السلام يا ليتني فيها جذعاً ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو مخرجي هم قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي وان يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ثم لم ينشب أن توفى وفتر الوحي [1] .

يلحظ إن متن الرواية غير مفهوماً، وماذا يراد منه ؟ وعلى الرغم من رفضنا لها كاملة نورد بعض الملاحظات، منها مسألة القراءة، هل إن الوحي لا يعلم عدم قدرته على القراءة ؟ وإذا كان يعلم ما معنى هذا الإصرار عليها ؟ وهل انه أتاه بكتاب مكتوب وأراد قراءته ؟ أم طلب منه أن يردد الآيات التي نزل بها ؟ .

وما معنى رجفة فؤاده ؟ هل انه رأى الروح الأمين أم رأى جني والعياذ بالله ؟ في حين يجب أن يثبت فؤاده بالوحي ولا يرتجف منه، طبقاً لما جاء في قوله تعالى {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً } [2] ثم ما هو الفؤاد أصلاً ؟ هل هو عضو عضلي مرئي ؟ ربما يقول قائل: لم تكن مهمة تلقي الوحي سهلة، بـــ دليل من فينا يرى رؤياً الا وافزعته، فما بالك تلقي الصوت من مخلوق لم تراه ؟ نقول نعم ذا صحيح ولكن ليس بـــ هذا التهويل، وماذا دلائل النبوة التي عرفها العام والخاص وتوافرها في شخص النبي(ص) قبل ولادته وبعدها ؟ .

وبخصوص ورقة بن نوفل، إذا كان بهذا المستوى لماذا ما اصطفاه الله بـــ الرسالة بدلاً من أن يختار شخص خاف وهرب من جبريل ؟ ثم ما هي مؤهلاته حتى يعرفه ؟ وما موقفه من البعثة، هل دخل فيها وأصبح من أتباع الشريعة المحمدية ؟ ويكفيه انه على النصرانية، وهي شريعة مذمومة في القرآن الكريم، برء الله سبحانه وتعالى النبي إبراهيم منها، وخاطب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إن اليهود ولا النصارى لن يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم .

والأكثر من ذلك كيف عرف إن القوم يخرجونه من مكة ؟ هل انه قرأ الغيب ؟ ونحن نعرف لا يعلم الغيب إلا الله، وان استشهاد ورقة في معرفة جبريل (ع) غير موفق عندما قال انه الناموس الذي نزل على النبي موسى عليه السلام سيما إن ورقة لم يدرك ذلك بل انه عاش فترة قبل المبعث، وكانت النبوة لـــ عيسى عليه السلام فـــ الأجدر أن يستشهد به .

ويبطل ذلك ما رواه ابن أبي عاصم مشيراً إن ورقه لم يعرف جبريل (ع) وإنما سأل عن ذلك النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: كيف يأتيك ؟ [3] فـــ إذا كان يعرف ما سأله، والغريب زعم القوم إنه

---

١ البخاري : صحيح ٣/١

٢ الفرقان/٣٢

٣ الآحاد والمثاني ٤٢٨/١ .

عرفه قبل أن يعرفه الموحى إليه، ثم هو يسأل عن كيفية إتيانه ؟ وتبدو اثر الصنعة على الرواية من سندها الذي فيه ابن اسحق والزهري وهما عمال بنو أمية، وعليه فـــ السند كله مطعون فيه[١] أما عروة بن الزبير وعائشة، فيعجز القلم ويكل اللسان عن توصيفهما .

وما يخص نزول أول أية من آي القرآن الكريم لم يحصل اتفاق عليها، وقد قدمنا دراسة في هذا الموضوع أثبتنا من خلالها، أول من نزل هي سورة الحمدُ أو ما تسمى الفاتحة [٢] .

وبودنا الإشارة في هذا الجانب إن الله بعث النبي محمد (ص) على رأس أربعين سنة [٣] وهذه نقطة جوهرية لماذا بعثه في هذا العمر ؟ ألا يكن لـــ منتصف العمر دوره في زعامة الأمة، ولم يكن شاباً في طيش الشباب ولا كهلاً بلغ الخرف، وهذه النقطة لم يعيها حكام العراق بعد ٢٠٠٣م، اختاروا قيادات إما يرضع ممة لأن لم تنبت له أسنان بعد، وأما يزقون له الطعام زقاً وقد سقطت أسنانه بسبب كبر سنه، وقبال ذلك أحالوا علماء الوطن على التقاعد، وهم أناس صقلتهم التجارب يملكون من العلم والحلم والخبرة ما لا تملكها الحكومة بكل مفاصلها، ولذلك عاش الناس في تخبط وفوضى بسبب ساسة السوء، وليس أدل من ذلك حربنا مع داعش خسرنا نصف ابناء الوطن وتيتمت الأطفال وترملت النساء، وما خلصنا الا بشق الأنفس، بسبب غياب الخبرة العسكرية، فخرنا واعتزازنا بكل المجاهدين الشرفاء بذلوا قصارى جهدهم جزاهم الله ألف خير، ولكن لو توافرت الخبرة قلت الخسائر، فما حسبك وبلد طارد لخبرات أهله انه سنوات مظلمة، ومحن كثيرة مر ويمر بها هذا البلد الجريح، وأسوء المحن جاهل يعلم عالم .

ومما يجب معرفته هنا، ما هي الكيفية التي نزل بها جبريل (ع) ؟ الجواب رواه البخاري عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن الحرث بن هشام [٤] سأل النبي (ص) قال: كيف يأتيك الوحي ؟ فقال: أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليَّ فيفصم عنى قد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي بصورة رجل فيكلمني فأعي ما يقول، قالت عائشة: رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه يتصبب عرقاً [٥] ربما قضية صلصلة الجرس اصح من غيرها بمعنى انه يسمع صوت، ولم يرى أحد، أما صورة رجل غير مقبولة عندنا ولا نميل إلى صحتها ربما تتشابه عليه الرجال وكل يقول له أنا جبريل، فـــ ماذا يفعل ؟ وقضية

---

١ المحمداوي : أبو طالب /١٣٤ ، أم كلثوم /١٥٠ .
٢ المحمداوي : زمكنة نزول القران في مكة ، مجلة أبحاث البصرة ، ع ٦، م٤٢ ، س ٢٠١٧ م ، ص ١٢١ .
٣ البخاري : صحيح ٥٧/٧ .
٤ يقال هو ابن المغيرة المخزومي ، لم ابحثه ولم أتحرى عنه .
٥ البخاري : صحيح ٣/١ .

يتصبب عرقاً هل ان جبريل (ع) خنقه أم ماذا ؟ الا تكن الصورة مرعبة في يوم وصف بـــ البرودة والنبي (ص) فاض جسمه عرقاً الأمر فيه مبالغة والرواية غير صحيحة .

وهناك من جعله ينزل على سبعة صور: الأولى: الرؤيا الصادقة، الثانية: النفث في الروع لقوله ﷺ: إن روح الأمين نفث في روعي إن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها ورزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، الثالثة: يأتيه في مثل صلصلة الجرس وهو أشد عليه وكان كذلك ليستجمع عنده تلك الحالة فيكون أدعى لما يسمع، الرابعة: أن يمثل له الملك رجلاً كما كان يأتيه في صورة دحية الكلبي الخامسة: تراءى له في صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح ينتثر منها اللؤلؤ والياقوت، السادسة: كلمه الله تعالى من وراء حجاب في اليقظة كما في ليلة الإسراء، السابعة: قضية إسرافيل [١] قيل تراءى له ثلاث سنوات [٢] ولعل في الأمر خرافة، لأن الأخير لم يأتي بالوحي، بل هو من مهام جبريل عليه السلام كما لا نعرف تاريخ المدة التي نزل بها اسرافيل (ع)؟ وهل إن الوحي جفاه مدة من الزمن حسب زعم بعض المنافقين ؟ السؤال هنا كيف عرفه النبيﷺ وهو يأتيه على سبعة صور ؟ يسأله مثلاً، أو يأتيه حاملٌ باج تعريف، فربما شخص ما يتشبه به ويقرأ عليه نصوص كيف يمكن تمييزها ؟ .

وربما من باب الإجابة نسب له القول: أتاني جبريل في خضر معلق بالدر، إسناده ضعيف وهو جيد [٣] وقال جناحه في الخضرة وأظنه قال وباطن قدميه لؤلؤ [٤] وروى الشعبي عن مسروق عن عائشة عن رسول الله ﷺقال: رأيت جبريل هبط فملأ ما بين الخافقين عليه ثياب سندس معلق فيه اللؤلؤ والياقوت [٥] بما انه مرتدي ثياب فهو حتماً في صورة إنسان، مرتديا زينة، واستغفر الله قد يكون على هيأة امرأة، حسب ما أورده القوم من ترهات، السؤال هنا ما هو الهدف من كل ذلك ؟ در ولؤلؤ وسندس وياقوت ؟ أهو في حفلة عرس ؟ وإذا كان لم يفعل كل ذلك، فضلاً عن المبالغة الكبيرة في ضخامته، بـــ الله عليكم يا مسلمين، عندما تصل رواياتكم إلى بلاد الكفر الا يسخروا منكم، ولا سيما أنهم صعدوا الفضاء بمركبة، ملك واحد سد الخافقين إذا نزلوا عشرة ماذا يحصل ؟ ألا تزلزل الأرض ؟ شيء مؤسف حقاً أن يكتب تراث المسلمين على هذه الشاكلة، بل شيء مخجل .

وما يزيد تضعيف الرواية سندها الذي فيه الشعبي ومسروق مطعون فيهما [٦] .

---

١ السهيلي : الروض الأنف ٤٤٠/١ ، ينظر المازندراني : شرح أصول الكافي ١١٨/٥
٢ ابن حنبل : العلل ٣٣٧/٢ .
٣ مؤمل :جزء مؤمل/٤٥ .
٤ الضحاك : الآحاد والمثاني ٤٢٨/١ .
٥ ابن راهويه : مسند٧٩٦/٣ .
٦ ينظر المحمداوي : هل رأى النبي محمد ﷺ ربه /٧ .

وعلى رواية أتاه الوحي فـ خرج وكأنه خائفاً مترقباً قال: سمعت منادياً ينادي من السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله ﷺ وأنا جبريل، فرفعت رأسي إلى السماء انظر، فـ إذا جبريل في صورة رجل صاف قدمية في أفق السماء [١] من حقه ان يخاف، بل هو في قمة الشجاعة من في شجعان العالم يتحمل هكذا منظر، يناديك رجل من السماء، السؤال هنا لماذا رجل ولماذا صاف قدميه ؟ والأمر يكون أكثر تعقيداً إذا قيل جالس على كرسي .

وقيل أتاه مرة في صورة أعرابي، ومرة في صورة دحية الكلبي، ومرة في صورة شاب ومرة سد بجناحيه ما بين المشرق والمغرب، وهذا عليه اعتراض كيف يتحول من صورة إلى أخرى؟ وكيف يكون مرة في غاية الصغر ومرة في غاية الكبر ؟ من غير أن يزاد في جسمه ولا جثته وأعراضه لاتهم لا يعاينون إلا ما كان كذلك [٢] .

فـ إذ تمثل في صورته، كيف يتصور بغير صورته، ثم هو القادر عليها أو الله سبحانه وتعالى، وإن كان هو كيف يتصور بصورة البشر ؟ وهذه القدرة قد رويت أن إبليس يتصور وكذلك الجن، الجواب: أما تصوره فليس بقدرته بل الله تعالى يصوره كذلك حقيقة لا شكلاً والذي كان يسمعه النبي ﷺمن القرآن من جبريل في الحقيقة كان، أما جبريل عليه السلام وسماعه الوحي فيجوز أن يتكلم الله تعالى بكلام يسمعه فيعلمه، ويجوز أن يقرأه من اللوح المحفوظ [٣] .

أما مواعيد اللقاء به كان يلتقيه في كل ليلة من شهر رمضان، وهذا ما رواه ابن عباس قال كان النبي ﷺأجود الناس بالخير وأجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل (ع) في كل ليلة منه يعرض عليه القرآن فإذا لقيه كان أجود بالخير من الريح المرسلة [٤] ونحن نقول إذا لم يلقاه يكون بخيلاً والعياذ بالله !!! ضعف الرواية متأتى من الزهري [٥] .

وماذا عن باقي أيام السنة، لم يلتقيه مثلاً ؟ وماذا عن رواية أبو هريرة: من صام يوم سبعة وعشرين من رجب كتب له صيام ستين شهراً وهو أول يوم نزل جبريل عليه السلام على محمد ﷺ بالرسالة [٦] بناءً على ذلك سوف نصوم هذا اليوم ونفطر الدهر كله، وهذا لطيف جداً صيام يوم يعادل صيام ٦٠سنة، على أي مقياس حصل هذا ؟ هذه حسابات مغلوطة وترهات من لا يؤمن بـ الله، عدله أوسع من ذلك، إذا كان الأمر كذلك لماذا لا يشرع صيام هذا اليوم .

---

١ ابن إسحاق : السير /١٢١ .
٢ ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث/١٢٠ .
٣ الشريف المرتضى : رسائل المرتضى٤/٢٥ .
٤ البخاري : الأدب المفرد/٧٠ .
٥ المحمداوي : أبو طالب /١٣٤ .
٦ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٨/٢٨٤ .

ما هو جبريل عليه السلام ؟

بناءً على ما قدمناه، لم تكن صورته واضحة، وقد اتى النبي (ص) بـــ صور مختلفة، لذا يجب معرفة بعض الأمور عنه، ومن ذلك انه معصوم لا يصح أن يفعل قبيحاً [١] لكن مع الأسف نسبوا له القبح فجعلوه ملك معصية، وإنه دس في فم فرعون الطين مخافة أن يقول لا اله إلا الله[٢] وهو بذلك لا يريده أن يكون مسلماً .

وهناك من يحشر يوم القيامة على صورته وهذا ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله عندما أتاه رجل أكشف أحول أوقص أحنف أقحم أعسر أرسج أفحج فقال: أخبرني بما فرض الله عليَّ فلما أخبره قال إني أعاهد الله أن لا أزيد على فريضته قال لِمَ قال لأنه خلقني هكذا ثم أدبر فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد أين العاتب على ربه عاتب رباً كريماً فأعتبه قل له ألا ترضى أن تبعث في صورة جبريل يوم القيامة، فـــ بلغه ذلك[٣] وهذا الحديث فيه العلاء بن كثير [٤] وهو ضعيف جداً [٥]

وقد أساءوا لـــ جبريل حتى جعلوه وجهاً اجتماعياً فقالوا: كان وساطة في زواج عائشة من النبي صلى الله عليه وآله وبعث لها سلاماً [٦] وهو الذي أرجع حفصة بعد أن طُلقت [٧] السؤال هنا بـــ أي صورة كان عندما فعل ذلك ؟ وبماذا تحدث أعن نفسه، أم عن الله سبحانه وتعالى .

وبما إن الأمر مرتبط به حري بنا أن نعرف شيئاً عنه، وهل صورته مألوفة عند الناس أم لا ؟ هل رؤيته محصورة خصيصاً بـــ النبي محمد صلى الله عليه وآله أم يراه العام والخاص ؟ وكيف يأتيه في صورته الأصلية أم في نسخة مزورة ؟ مثلما قيل لم يراه في الصورة الأصل إلا مرتين، وأسئلة أخر هي محل الحوار في هذا المبحث .

وقد ادعت عائشة إنها شاهدته، وهذا ما رواه محمد بن آدم بن سليمان عن عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن صالح بن ربيعة بن هدير عنها قالت: أوحي إلى النبي صلى الله عليه وآله وأنا معه فقمت الغرارون(الباب) فلما رفه عنه قال: إن جبريل يقرئك السلام صلى الله عليه وآله [٨] قال المزي، وقع لنا بدلاً عالياً [٩] وهناك إشكالية حول جلوسها والنبي يوحى إليه هل شريكته أم تكتب عنه ؟ أم إنها بواب لأنها غلقت ؟ وما الهدف من ذلك ؟ لم تذكر الرواية في إي صورة نزل ؟ .

---

١ الشريف المرتضى : رسائل المرتضى٤/٢٥ .
٢ ابن حنبل : مسند١/ ٢٤٠ .
٣ الطبراني : المعجم الكبير ٢٢/ ٦٣ .
٤ المتقي الهندي : كنز العمال ٣/٧٤٦ .
٥ الهيثمي : مجمع الزوائد ٢/٢٦١ .
٦ ينظر مصدرية حديث الإسراء والمعراج /٥ .
٧ ابن راهويه : مسند ٤/٢٠ .
٨ ابن حنبل : فضائل /٨٥ ، النسائي : سنن ٧/٦٩ ، أبو يعلى : مسند ٨/٢١٥ ، الطبراني : المعجم الكبير ٣٢/٣٨ .
٩ تهذيب الكمال ١٣/٤٤ .

هذا الحديث في سنده هشام بن عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد، ت ١٤٥ هـ هو كعادته يروي عن أبيه، والرجل اشرنا إلى سنة وفاته، ولم نعرف سنة وفاة شيخه صالح حتى نعرف إذا حصلت بينهما ملازمة أم لا ؟ ويكفي السند تجريحاً ما رواه عروة بن الزبير عن عائشة إن رسول الله ﷺكان يقبلها وهو صائم [١] ربما قائل يقول هذا العمل مشروع ليس مفطر، نقول: ليس في العمل شبهة، وإنما في روايته، كيف طابت نفسها إفشاء سر النبي (ص) للناس عامتهم.

وتكمن علة الحديث في صالح بن ربيعة [٢] روى عن عائشة، روى عنه هشام بن عروة [٣] وكعادة ابن حبان عندما يجد ثلاثة كلمات عن شخص ما ترجم له وقال ثقة [٤] من دون أن يتحرى هل هذه الشخصية حقيقية أم لا ؟ وكذلك الذهبي أشار إليه بكلمة وثق [٥] وقيل مقبول [٦] فلا ندري من الذي وثقه وعلى ما وثق، والرجل لم يكن له غير هذا، ولم يكن له ذكر إلا ما ذكرناه، وفي واقع الحال هو شخصية وهمية، وروايته أحادية انفرد بها ابن حنبل .

وكذلك شاهدته في موضع آخر، عندما رجع النبي محمد ﷺ من غزوة الأحزاب ٥ هـ، وهذا صدر عن الحسن بن موسى، عن حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عنها: لما فرغ النبي ﷺ من الأحزاب دخل المغتسل يغتسل، جاء جبريل فرأيته من خلل الباب قد عصب رأسه الغبار فقال: أوضعتم أسلحتكم، قال ما وضعنا أسلحتنا بعد أنهد إلى بنى قريظة [٧] وروى وهب عن أبيه قال سمعت حميد بن هلال يحدث عن أنس بن مالك انه قال كأني انظر إلى غبار موكب جبريل عليه السلام ساطعاً في سكة بنى غنم حين سار إلى بنى قريظة [٨] سند الرواية فيه حماد بن سلمة مطعون فيه [٩] .

الغريب اصبح لـ جبريل موكب، كأنه مسؤول عراقي خرج من الخضراء المحصنة، الا وقد غصت الشوارع بـ الحمايات والسماء بـ الطائرات، وقد نسوا قوله تعالى {أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ... } [١٠] .

---

١ مسلم : صحيح ١٣٦/٣ .

٢ابن هدير بن ربيعة بن هدير التيمي القرشي المدنى . البخاري : التاريخ الكبير ٢٨٠/٤ .

٣ ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٤٠٢/٤ .

٤ الثقاة ٣٧٦/٤ .

٥ الكاشف ٤٩٥/١ .

٦ ابن حجر : تقريب التهذيب ٤٢٨/١ .

٧ ابن حنبل : مسند ٦ /١٣١ ، ٢٨٠ ، عبد بن حميد : مسند /٤٣٢ ، ابن كثير : البداية ١٣٤/٤ ، السيرة ٢٢٤/٣ .

٨ ابن حنبل : مسند ٢١٣/٣ .

٩ المحمداوي : أبو طالب / ١٦٦ .

١٠ النساء/٧٨ .

وكذلك رآه العباس بن عبد المطلب، وابنه عبد الله، روي ذلك عن الأخير قال: كنت مع أبي عند رسول الله ﷺوعنده رجل يناجيه فكان كالمعرض عن أبي فخرجنا من عنده فقال لي أبي أي بني ألم تر إلى ابن عمك كالمعرض عني فقلت يا أبت انه كان عنده رجل يناجيه، فرجعنا إليه فقال أبي يا رسول الله قلت لعبد الله كذا وكذا فاخبرني انه كان عندك رجل يناجيك فهل كان عندك أحد فقال: هل رأيته يا عبد الله، قلت نعم قال فان ذاك جبريل عليه السلام وهو الذي شغلني عنك [١] .

ودخل العباس ذات مرة على النبي ﷺ فلم ير عنده أحداً فقال له ابنه: لقد رأيت عنده رجلاً، فقال العباس: يا رسول الله زعم ابن عمك أنه رأى عندك رجلاً، قال: ذاك جبريل[٢] وهذا الأمر فيه قدح للعباس لأنه يرِ جبريل، وربما حجب نظره بسبب كثرة ذنوبه، وكأنه الباحث، وقبال ذلك مدح لأبنه الذي رآه .

وروي عن ابن عباس قوله: بينما جبريل جالس عند رسول الله ﷺإذ سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه فقال: لقد فتح باب من السماء ما فتح قط " فأتاه ملك فقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يعطهما من كان قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لم تقرأ منهما حرفاً إلا أعطيته [٣] .

سادساً: رآه أناس غير ما ذكرنا منهم انس بن مالك، وهذا ما رواه الاعمش عن أبي سفيان عن أنس بن مالك قال: خرج إلينا رسول الله ﷺذات يوم وهو غضبان ونحن نرى جبريل معه[٤] ورآه رجل لم يُذكر اسمه انه مر برسول الله ﷺوهو يناجى جبريل عليه السلام وانه تجنب أن يدنو منهما تخوفاً أن يسمع حديثه فلما أصبح قال له رسول الله ﷺما منعك أن تسلم إذ مررت بى البارحة قال رأيتك تناجى رجلاً فخشيت أن تكره أن أدنو منكما قال وهل تدرى من الرجل قال لا قال فذلك جبريلعليه السلام ولو سلمت لرد السلام وقد سمعت من غير أبى سلمة انه حارثة بن النعمان[٥] .

رويً عن احدهم قوله: رأيت عن يمين رسول الله ﷺوعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب أبيض ما رأيتهما قبل ولا بعد – يعني جبريل وميكائيل [٦] .

كل ما تقدم نعده ترهات دلت على سذاجة عقول وضاعها، لم يكن جبريل بتلك الهيأة، ولم يعرفه احد خلا الله ورسوله والراسخون في العلم، ولم يصح لنا بـــ أثر مقبول نركن إليه مشاهدة زيد أو عمر له، ربما إتيانه النبي (ص) عبارة عن صوت فقط، وما ورد انه

---

١ ابن حنبل : مسند ٢٩٣/١ .
٢ ابن أبي شيبة : المصنف ٥١٩/٧ .
٣ ابن أبي شيبة : المصنف ٤٢٣/٧ .
٤ ابن أبي شيبة : المصنف ٤٣٨/٧ .
٥ ابن حنبل : مسند ١٧/٤ .
٦ ابن أبي شيبة : المصنف ٥٠٨/٧ .

صورة لا نعرف ذلك والروايات الواردة بـــ هذا الشأن ركيكة جداً، وربما يقول قائل من لسانك أدينك، أنت الذي قلت انه حظر ساعة استشهاد النبي (ص) نعم قلنا ذلك ولم نحدد هيأته .

الرؤيا الصادقة

لم نملك دليلاً مقبولاً على إن النبي ﷺ كان يرى جبريل في النوم، أو ما يعبرون عنه بـــ المنام، وإنما ورد ذلك فيما يخص النبي إبراهيم عليه السلام في ذبح ابنه، وهذه القصة وردت في القرآن الكريم، بـــ قوله تعالى {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ}[1] ولولا ورودها هناك لأصبحت محل خلاف، ونقاش متواصل، وتكررت الرؤيا الصادقة مع عبد المطلب بن هاشم عليه السلام عندما أوحى الله إليه بـــ حفر بئر زمزم، ولما عجز أن يعرف مكانها دله الله سبحانه وتعالى عليه[2] .

ومن الأدلة على الرؤيا الصادقة، ما رواه احمد بن عبد الجبار العطاردي عن يونس بن بكير، عن ابن إسحاق عن الزهري قال: أول ما ابتدئ به رسول الله ﷺ من النبوة، لا يرى شيئاً إلا جاء كفلق الصبح [3] وطريق هذه الرواية كله مطعون فيه [4] والرواية مبتورة السند عند الزهري الذي لم يبلغ عصر البعثة المحمدية الشريفة، وإنما أرسل ذلك .

وهناك من حاول رفع الرواية فـــ اختلق لها سنداً عن يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺمن الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح [5] .

وقد اختلف اللفظ في الرواية الأولى التي قالت نبوة والثانية قالت الرؤيا الصالحة، وكلمة النوم الواردة في الرواية حذفت عند السهيلي [6] لعله احتاط فتجنب ذكرها، فلا ندري هل هذا من عمله أم من عمل الذين فهموا الإسلام خطئاً حتى لا تلام تلك المرأة ؟ .

وفي رواية أخرى رواها ابن إسحاق بالسند السابق عنه عن عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي، وكان واعية، عن بعض أهل العلم، عن رسول الله ﷺ في رواية طويلة عريضة محل الشاهد منها قوله: جاءني جبريل وأنا نائم، وبعد كلام انصرف عني

---

١ الصافات/١٠٢ .
٢ المحمداوي : بئر زمزم /٨٧ .
٣ السير /١٢٠ .
٤ المحمداوي : أم كلثوم /١٥٠ .
٥ صحيح ١/ ٣ .
٦ الروض الأنف ٤٣٩/١ .

وهببت من نومي كأنما صُور في قلبي كتاباً [١] أما السند فيه إيهام بل تدليس، مَنْ هم أهل العلم ؟ لأن كلمة بعض تعني أكثر من ثلاثة، ولم يُذكر واحداً منهم .

وربما قضية رؤيته في المنام جرت الويلات على السيرة المحمدية، فاستدل احدهم على إن جبريل يأتيه في النوم واليقظة [٢] ومن هذه الويلات ما روته عائشة إن جبريل عليه السلام كان يأتي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو نائم معها وقد خلعت ثيابها فكره ذلك المنظر حتى اوقض النبي من نومه وأخذه إلى البقيع [٣] .

وهذا عليه مشكل كيف يأتيه الوحي وهو نائم ؟ وهو ما لا نرضاه، فالنائم ينزعج من ابسط الأصوات، فكيف إذا ناد مناد لا يعرفه حسب زعمهم، كان الله في عونه، وما فقد عقله، ثم النوم يبطل الوضوء، وهذه من افتراءات القوم من العبث الرد عليها، لأن النوم فيه فقدان الوعي، ولهذا قال أحد المحققين: الفرق بين الموت والنوم أن في الموت ينقطع تعلق النفس الناطقة، وفي النوم يبطل تصرفها، فالمراد من خروج النفس الناطقة هنا بطلان تصرفها في البدن، والمراد من الروح هذا الجسم البخاري اللطيف الذي يكون من لطافة الأغذية وبخاراتها وله مدخل عظيم في نظام البدن [٤] وإذا سلمنا انه يأتيه وهو نائم وعلى فرض كان مجنباً ماذا يقول له تمهل حتى اغتسل ؟ أم يوحى إليه وهو على جنابة، سيما وان عائشة تروي انه ينام على جنابة [٥] .

هذه الروايات لا يترتب عليها اثر، لأن الله سبحانه وتعالى جعل الليل للراحة، لقوله تعالى {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً } [٦] وبهذا ماذا تكون الروايات القائلة بـــ أتيان الوحي له في النوم متعارضة مع هذه الآية ؟ وكل شيء يتعارض مع القرآن نضرب به عرض الجدار .

---

١ السير /١٢١ابن عساكر : تاريخ ١٢/٦٣ .
٢ السهيلي : الروض الأنف ٤٤٠/١ .
٣ ابن حنبل : مسند ٢٢١/٦ .
٤ المجلسي : بحار الأنوار ٥٥/٥٨
٥ البخاري : صحيح ٧٥/١
٦ الفرقان/٤٧

نزوله على صورة دحية الكلبي

قبل أن نتطرق إلى كيفية نزوله حري بنا أن نعرفه، لا بد من معرفة شيئاً بسيطاً عن أحواله من دون تفصيلات خشية أن يبعدنا عن أصل الموضوع، هو دحية بن خليفة [١] واسم الخزج زيد سمى بذاك لعظم بطنه [٢] .

وأول اعتراض نقدمه على النسابة، هو وضع النسب بهذه السلسلة الطويلة، ونقول لا يستطيع أي احد أن يضبط نسبه بسبب كثرة البغاء قبل البعثة المحمدية وما نجم عنه من اختلاط الأنساب .

ومعنى دحية: رئيس الجند ومقدمهم، وكأنه من دحاه يدحوه إذا بسطه ومهده، لان الرئيس له البسط والتمهيد، [٣] جاء في الحديث: يدخل البيت المعمور كل يوم سبعون ألف دحية مع كل دحية سبعون ألف ملك، قال أبو حاتم: الدحية، الرئيس من الناس، ولست أدرى أمن هذا سمي الرجل دحية أم لا [٤] وهذا حديث باطل لا أصل له ولا إسناد أقدم من ذكره ابن قتيبة، ولم يذكر من أين أخذه ؟ .

وسكنه مجهول لدينا، ولم نعرف من أي مدائن العرب، سوى ما قيل سكن مصر [٥] وانه قدم في تجارة من الشام [٦] ولا ندري هل انه ساكن هناك أم جلب تجاره من هناك .

أما أوصافه، أورد ابن سعد بعض الروايات الدالة على الشبه بينه وجبريل عليه السلام وبـــ أسانيد مختلفة منها قوله، روى يعلى بن عبيد، وعبيد الله بن موسى والفضل بن دكين عن زكريا بن أبي زائدة عن عامر الشعبي قال شبه رسول الله ﷺثلاثة نفر من أمية فقال دحية الكلبي يشبه جبريل، وعروة بن مسعود الثقفي يشبه عيسى بن مريم وعبد العزى يشبه الدجال، وروى ذلك عفان بن مسلم، عن ابي عوانة عن مغيرة عن يزيد بن الوليد عن أبي وائل، ورواه يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهري عن أبيه عن الزهري، عن رسول الله ﷺقال: أشبه من رأيت بجبريل دحية الكلبي[٧] ورواه أحمد بن يونس، عن ليث بن سعد عن أبي الزبير عن جابر عن

---

١ بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخزرج وهو زيد مناة بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة . ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢٤٩/٤

٢ ابن ماكولا : إكمال الكمال ٣١٤/٣

٣ ابن الأثير : النهاية ١٠٧/٢

٤ ابن قتيبة : غريب الحديث ٣٥٥/٢ ، الزمخشري : الفائق ٣٦٣/١

٥ ابن أبي حاتم : الجرح ٤٣٩/٣

٦ الطبري : جامع البيان ١٣٢/٢٨

٧ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢٥٠/٤

النبيﷺ[1] قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب [2] والسند فيه ليث بن سعد وثقه العامة، كما وصفه احدهم بالضعف، وآخر أنكر احد أحاديثه [3] .

ويقال تشبه لحيتة وسنه ووجهه جبريل عليه السلام [4] يضرب بحسنه المثل [5] يقال أجمل الناس [6] وقيل رجلاً جميلاً [7] مفرط الجمال [8] وأجمل الصحابة الموجودين بالمدينة [9] حسن الهيأة [10] إذا قدم لم تبق معصر [11] إلا خرجت تنظر إليه وإنما كن يخرجن إليه لجماله، وكان وإذا خرج المعاصير وهن يحجبن ويمنعن من الخروج، كأن النساء أحرى بالخروج [12] وإنما خص المعصر لأنها إذا خرجت وهى محجوبة فما الظن بغيرها ! وما قيل عليه مشكل لأنه لا حجة ولا دليل على أوصافه هذه، وإنما هو كلام وصفي إنشائي .

وقد نسب له عمل شيطاني، بدليل انه يلاقح بين الحمار والفرس، وهذا ما روي عن الشعبي عن دحية قوله: قلت يا رسول الله ألا أحمل لك حماراً على فرس فينتج لك بغلاً فتركبها قال إنما يفعل ذلك الذين لا يعلمون [13] لم يروى هذا الحديث عن دحية إلا الشعبي، ولا عن الشعبي إلا عمر بن حسيل، تفرد به وكيع [14] ما نريد قوله إن الحمار لا يواقع الفرس، لأنها لا تقبله ويعد إذلالاً لها، ثم إن الفرس أعلى منه، فلا يستطيع مواقعتها، وما العلة من ذلك هل فيه امتياز مثلاً ؟ علماً ان لـــ الرسول ﷺ ركوبات مختلفة فلا داعي الدخول في هذه الأعمال الشيطانية .

يقال صحابي مشهور [15] ولم ندري ما دلائل صحبته ؟ حتى نعرف شهرته، وبماذا أصبح مشهوراً، لعلهم صدقوا نزول جبريل على صورته، وإسلامه، فمختلف عليه، يقال أسلم قديماً ولم يشهد بدراً [16] وهذه عبارة متناقضة فالسابقون في الإسلام هم ممن شهدوا بدراً، وبما إن الرجل

---

١ عبد بن حميد بن نصر الكسي : منتخب /٣١٩
٢ سنن ٢٦٥/٥
٣ المحمداوي : الراشدون في روايات العامة ، مبحث تعيين أبي بكر
٤ ابن حنبل : مسند ١٤٢/٦
٥ المزي : تهذيب الكمال ٤٧٤/٨ ، الذهبي : الكاشف ٣٨٣/١ .
٦ العجلي : الثقاة ١٩٦/٢ .
٧ ابن حجر : الإصابة ٣٢١/٢ .
٨ الزمخشري : الفايق في غريب الحديث٣٧١/٢ .
٩ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٥٥٤/٢ .
١٠ المازندراني : شرح أصول الكافي ١١٨/٥ .
١١ الجارية إذا دنت من الحيض ، ويقال : هي التي أدركت .
١٢ ابن قتيبة : غريب الحديث ١٠٧/٢ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ١٧/ ٢١٥ ، المزي : تهذيب الكمال ٤٧٤/٨ .
١٣ ابن حنبل : مسند ٣١١/٤ .
١٤ الطبراني : المعجم الأوسط ١٧٧/٥ .
١٥ ابن حجر : الإصابة ٣٢١/٢ .
١٦ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢٤٩/٤ .

لم يحضرها معناه حينها لم يكن مسلماً، ثم عبارة اسلم قديماً هي تدليس في حد نفسها، متى هذا القديم الذي تحدث عنه الراوي ؟ .

ويقال بايع تحت الشجرة [١] يعني سنة ٦هـ، وإذا كان كذلك يجب الترضي عليه لقوله تعالى {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً } [٢] ولم نجد أحداً ترضى عليه، ولعل فر من المعركة كما فر أصحاب الشجرة عندما نزل النبي محمد ﷺ عن بغلة كان عليها فجعل يصرخ بالناس " يا أهل سورة البقرة ! يا أهل بيعة الشجرة، أنا رسول الله ونبيه، فتولوا مدبرين " [٣] .

وبخصوص اشتراكه في حروب المسلمين، قلنا انه لم يشهد بدراً، وإنما أحداً وما بعدها [٤] وناقض ذلك القول: أول مشاهده الخندق [٥] يعني سنة ٥ هـ، ويقال شهد اليرموك، سنة ١٥هـ وكان على كردوس [٦] حاول بعض الرواة اعطائة قيادة احد السرايا، وهذا ما رواه وكيع بن الجراح عن سفيان بن عيينة عن بن أبي نجيح عن مجاهد قال بعثه رسول الله ﷺ في سرية وحده وشهد المشاهد بعد بدر وبقي إلى ملوكية معاوية بن أبي سفيان [٧] وهذه الرواية عليها مشكل، لأننا لم نعرف اسم السرية التي قادها ولا المسلمين الذين خرجوا تحت إمرته، ولا حتى الجهة التي ذهب إليها، حتى نتمكن من دراستها، والأكثر من ذلك سندها مطعون فيه من جهة سفيان بن عيينة [٨] وكذلك مجاهد بن جبر المخزومي [٩] .

قيل انه شارك في غزوة خيبر سنة ٧هـ وحصل على جارية استرجعها منه النبي ﷺ [١٠] وهذه فيها تهمة وافتراء على النبي ﷺ لم تثبت لدينا سنناقشها فيما بعد [١١] .

وهناك من قال: إن النبي محمد ﷺ أرسله إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام [١٢] أُرخت هذه الحادثة بعد قدوم رسول الله ﷺتبوك سنة ٩هـ فلما أن جاءه كتاب رسول الله ﷺدعا قسيسي الروم وبطارقتها ثم أغلق عليه وعليهم [١٣] .

---

١ الذهبي : الكاشف ٣٨٣/١ .
٢ الفتح/١٨ .
٣ ابن أبي شيبة الكوفي : المصنف ٥٥٢/٨ .
٤ ابن الأثير : أسد الغابة ١٣٠/٢ .
٥ ابن حجر : الإصابة ٣٢١/٢ .
٦ ابن حجر : الإصابة ٣٢٣/٢ .
٧ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢٥١/٤ .
٨ المحمداوي : عقيل ٢١٢ .
٩ المحمداوي : الإسلام قبل البعثة /٢٩٨ .
١٠ ابن حنبل : مسند ١٠١/٣ .
١١ المحمداوي : التهم الموجهة للنبي ﷺ في روايات العامة /١٠ .
١٢ ابن حنبل : مسند ٢٦٢/١ .
١٣ ابن حنبل : مسند ٤٤١/٣ .

وفي قضية إرساله إلى قيصر إشكاليات منها، انه أعطي دور غيره، لأننا لم نعرف مؤهلاته حتى يمثل رسول الله ﷺ بحضرة القيصر مثلما مثله جعفر بن أبي طالب عليه السلام في حضرة نجاشي الحبشة، وكيف كان، هل يمتلك القابليات الكلامية وقوة الحجة ؟ ولم نعرف تاريخ إسلامه وهل كان مسلماً حينها أم لا ؟ ولا نعرف علاقته برسول الله ﷺ وهناك من هو أفضل منه، أمثال أمير المؤمنين عليه السلام وبلال وسلمان وأبي ذر وغيرهم .

له رواية عن النبي ﷺ [١] وهذه مردودة لأننا بحثنا سيرته ولم نجد ذلك، ولم تذكره كتب الحديث في رواية معتبرة، سوى ما قيل له حديثان عنه، قال ابن حجر: يجتمع لنا عنه نحو الستة[٢] وسنذكر الأحاديث وهن بالجملة واهيات لا يوجد فيهن شيء من الصحة سنعرضهن لاحقاً.

وانه أهدى النبي ﷺ هدية فقبلها منه، كانت جبة وخفين فقبلها ولبسهما حتى خرقهما [٣] وفي رواية أهداه فاكهة يابسة من فستق، ولوز، وكعك، إسناده واه [٤] وروي عنه قوله: أتى رسول الله ﷺ بقباطى فأعطاني منها قبطية أخرجه الثلاثة [٥] لعلها ثوب قبطية .

وهناك أدلة تنفي إسلامه في عصر النبي محمد ﷺ منها، انه لم يصل مع النبي ﷺ بل كان سبباً في ترك المسلمين صلاتهم عندما قدم عليهم بـــ سلعته، اذ كان بائعاً متجولاً على حمار أو فرس، فـــ قدم بتجارة زيت من الشام، والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة، فلما رأوه المسلمون قاموا إليه بالبقيع خشوا أن يسبقوا إليها [٦] فنزل قوله تعالى {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ }[٧] رواه البزار عن شيخه عبد الله بن شبيب وهو ضعيف [٨] .

ويناقض ذلك إن الآية لم تكن نازلة فيه، وهذا ما رواه سعيد بن منصور وابن سعد وابن أبى شيبة وأحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم والترمذي وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي من طرق عن جابر بن عبد الله قال بينما النبي ﷺيخطب يوم الجمعة قائماً إذ قدمت عير المدينة فابتدرها أصحاب رسول الله ﷺحتى لم يبق منهم إلا اثنا عشر رجلاً فنزلت الآية [٩]

---

١ ابن ماكولا : إكمال الكمال ٣١٤/٣ .
٢ الإصابة ٣٢١/٢ .
٣ ابن أبي شيبة : المصنف ٦٩٨/٧ .
٤ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٥٥٢/٢ .
٥ ابن الأثير : أسد الغابة ١٣٠/٢ .
٦ الطبري : جامع البيان ١٣٢/٢٨ .
٧ السيوطي : الدر المنثور ٢٢٠/٦ .
٨ الهيثمي : مجمع الزوائد ١٢٤/٧ .
٩ الجمعة/١١ .

وانه اسلم في أمارة أبي بكر، وردوه بـــ أن في إسناده الحسين بن عيسى الحنفي وهو أخو سليم القارئ وهو صاحب مناكير [١] قال الذهبي هذا حديثاً منكراً، أي إسلامه زمن أبي بكر [٢] ونحن نقول ما قاله الذهبي هو المنكر حقاً، لان الرجل لم يثبت له إسلام في عصر النبوة .

روى عنه خالد بن يزيد بن معاوية ومنصور الكلبى، روى عنه عبد الله بن شداد بن الهاد وعامر الشعبى[٣] وخرج من قريته إلى قرية عقبة بن عامر من الفسطاط في رمضان فأفطر، وأفطر معه الناس وكره آخرون أن يفطروا فلما رجع إلى قريته قال والله لقد رأيت اليوم أمراً ما كنت أظن أراه إن قوماً رغبوا عن هدي رسول الله ﷺوأصحابه يقول في ذلك للذين صاموا قال عند ذلك اللهم اقبضني إليك [٤] وكانت المسافة التي افطر فيها من الفسطاط إلى القرية ثلاثة أميال[٥] ولم نعرف اسم ومكان قريته التي خرج منها .

الروايات الدالة على ذلك

بعد أن عرفنا شيء عن أحواله، لم نجد فيه فضيلة حتى ينزل جبريل على صورته، سوى ما قيل انه يشبهه، ولم يكن هناك دليلاً على ذلك، وما يؤلم الباحث قبول هذه الروايات عند بعض العلماء قبولاً مطلقاً، فـــ على سبيل المثال الشريف المرتضى صدق ذلك وجعله حقيقة، وراح يبرر فقال: إن نزول جبريل عليه السلام بصورة دحية كان لمسألة من النبي ﷺلله تعالى في ذلك [٦] وهذا التبرير بحاجة إلى تبرير، وعليه استفهام ما هي المسألة التي من اجلها نزل على صورة دحية ؟ ولماذا هو بالذات من دون غير، المحزن في الأمر بعض الكتاب في مختلف الاختصاصات يصدقون كل ما يجدونه مكتوباً من دون تحقيق أو إبداء رأي واعتراض .

وكذلك ما أشار إليه المازندراني بقوله: جواز رؤية الملائكة على صورة الآدميين ولكنهم لا يعلمون أنهم ملائكة لأنهم لا يقدرون على رؤيتهم في صورهم الأصلية وكان رسول الله ﷺ يراه في صورة دحية وقد رآه أيضاً في صورته الأصلية مراراً وفيه إن الله سبحانه جعل صور الملائكة متى شاء في أي صورة شاء وإنما كان يريه في صورة الإنسان ليوانس به ولا يهوله لعظم خلقه [٧] .

---

١ ابن حجر : الإصابة ٣٢١/٢ .
٢ سير أعلام النبلاء ٥٥٤/٢ .
٣ ابن ابي حاتم : الجرح والتعديل ٤٣٩/٣ .
٤ ابن خزيمة : صحيح ٢٦٦/٣ .
٥ ابن حزم : المحلى ٥/ ٩ .
٦ رسائل ٢٥/٤ .
٧: شرح أصول الكافي ٤٨٢/١٠ .

أما نزوله على صورة دحية، هذا الأمر رواه عفان بن مسلم عن حماد بن سلمة عن إسحاق بن سويد عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر عن النبي ﷺقال كان جبريل يأتي النبي في صورة دحية الكلبي [١] .

الرواية مطعون في سندها من جهة عفان بن مسلم الصفار ويكنى أبا عثمان مولى عزرة بن ثابت الانصاري كان ثقةً ثبتاً كثير الحديث حجة [٢] بصري ثبت صاحب سنة وكان على مسائل معاذ بن معاذ فجعل له عشرة آلاف دينار على أن يقف عن تعديل رجل فلا يقول عدلاً ولا غير عدل قالوا له قف عنه لا تقل فيه شيئاً فأبي فقال لا أبطل حقاً من الحقوق وكان يذهب برقاع المسائل إلى الموضع البعيد يسأل فجاء يوماً إلى معاذ بالرقاع وقد تلطخت بالناطف فقال له أي شئ ذا قال له إني اذهب إلى الموضع البعيد فيصيبني الجوع فاخذت ناطفاً فجعلته في كمي وأكلته[٣] سكن بغداد وتوفى سنة ٢١٩ أو ٢٢٠ هـ وكانت ولادته في ١٣٤ هـ وقد ذكر العجلى في ترجمته حكاية تدل على ورعه ونزاهته في جرح الرجال وتعديلهم [٤] .

قال يحيى القطان: ما أبالي إذا وافقني عفان من خالفني، قيل هو اثبت من عبد الرحمن بن مهدى لزمنا عفان عشر سنين ببغداد، قال أبو محمد سألت ابى عنه فقال ثقة متقن متين [٥] ثبتاً في أحكام الجرح والتعديل [٦] وحماد بن سلمة البصري مطعون فيه [٧] .

أما ابن عمر ، ترجم له ابن سعد ترجمة طويلة وأنا اقرأها اشتبه عليَّ الأمر فظننت انه يترجم إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من كثرة الفضائل التي نسبها له لذلك أسقطتها وما صح لي إلا ما ذكرته، عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، أمه زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص، اسلم بمعية أبيه وهاجرا سوية إلى المدينة، يكنى أبا عبد الرحمن له من الولد اثنا عشر وأربع بنات، هم أبو بكر وأبو عبيدة وواقد وعبد الله وعمر وحفصة وسودة، أمهم صفية بنت أبي عبيد بن مسعود، وعبد الرحمن، أمه أم علقمة بنت علقمة بن ناقش، وسالم وعبيد الله وحمزة، أمهم أم ولد وزيد وعائشة، أمهما أم ولد، وبلال أمه أم ولد، وأبو سلمة وقلابة، أمهما أم ولد ويقال أم زيد بن عبد الله سهلة بنت مالك، لم يشترك في

---

١ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢٥٠/٤ .
٢ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢٩٨/٧ .
٣ العجلي : الثقاة ١٤٠/٢ .
٤ العجلي : الثقاة ٤١/١ .
٥ ابن ابي حاتم : الجرح والتعديل ٣٠/٧ .
٦ الذهبي : الكاشف ٢٨/٢ .
٧ المحمداوي : الاسلام قبل البعثة /٢٦٥ .

بدر وأحد، بحجة إن النبي أرجعه وكان عمره ١٣ أو ١٤ سنة، وشارك في الخندق وهو ابن ١٥ سنة، قال يزيد بن هارون وهو في الخندق ينبغي أن يكون ابن ست عشرة سنة لان بين أحد والخندق بدراً الصغرى [١] .

ما ورد في سلسلة النسب نقول: هي واهية، فالرجل لا يعرف له نسب إلا الخطاب وانقطعت السلسلة، لذلك كان عمر يتحسس من ذكر الأنساب [٢] .

وما قيل عن اشتراكه في حروب المسلمين ضد المشركين، يتناقض مع جبن الرجل لأنه فر عن الزحف وهذا ما قاله هو كنت في سرية من سرايا رسول الله ﷺ فحاص يعني الناس حيصة فكنت فيمن حاص فقلنا كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب فقلنا ندخل المدينة فنبيت بها ثم نذهب فلا يرانا أحد ثم دخلنا فقلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺفإن كانت لنا توبة أقمنا وإن كان غير ذلك ذهبنا فجلسنا إلى رسول الله ﷺقبل صلاة الفجر فلما خرج قمنا إليه فقلنا يا رسول الله نحن الغرارون فقال لا بل أنتم العكارون فدنونا فقبلنا يده فقال إنا فئة المسلمين[٣] وهذه الظاهرة ليست غريبة عنه وإنما الولد سر أبيه كما يقولون ' ذاك الذي ذهب بها عريضة.

وقد بلغ هذا الرجل مبلغاً انه اتخذ جارية له تحلق عنه الشعر لأن النورة ترق الجلد حسب زعمه [٤] .

هذا ليس محل حديثنا، ما نريده عدالة الرجل ووثاقته، ولا نلجأ في هذه المرة إلى كتب الرجال، لأن الميزان عندهم غير مضبوط ومقلوب، لذلك نلجأ إلى ضابطة أخرى غير الجرح والتعديل، وهي الصلاة إن قبلت قبل ما سواها وان ردت رد ما سواها، وهي عمود الدين، واحد فروعه، وما نسبق الحدث ونقول إن الرجل غير منضبط دينياً وأخلاقياً، ومن الأمثلة على ذلك أنه يبول قائماً [٥] وبال في السوق، ثم توضأ، فغسل وجهه، ويديه، ومسح رأسه، ثم دعى لجنازة ليصلى عليها حين دخل المسجد، فمسح على خفيه، ثم صلى [٦] وكان يعرق في الثوب وهو جنب ثم يصلى فيه [٧] .

---

١ ابن سعد : الطبقات الكبرى ١٤٢/٤ .
٢ المحمداوي : صهاك دراسة في سيرتها الشخصية /١٣٤ .
٣ ابن سعد : الطبقات الكبرى ١٤٥/٤ .
٤ ابن سعد : الطبقات الكبرى ١٥٤/٤ .
٥ مالك : الموطأ ٦٥/١ .
٦ مالك : الموطأ ٣٦/١ .
٧ مالك : الموطأ ٥٢/١ .

وكان بمكة والسماء غائمة، فخشى الصبح، فأوتر بواحدة، ثم انكشف الغيم، فرأى أن عليه ليلاً، فشفع بواحدة، ثم صلى بعد ذلك ركعتين ركعتين ،فلما خشى الصبح أوتر بواحدة [١] ولا يقنت في شيء من الصلاة [٢] .

وكان إذا توضأ لا يغسل أثر البول ولكنه ينضح [٣] ويمسح على خفيه فقال ابن عمر: إنكم لتفعلون هذا ؟ فقال سعد بن مالك: نعم، اجتمعنا عند عمر، فقال سعد: أفت ابن أخي في المسح على الخفين، فقال عمر: كنا ونحن مع نبينا ﷺنمسح على أخفافنا لا نرى بذلك بأساً فقال ابن عمر: وإن جاء من الغائط والبول ؟ فقال عمر: نعم، وإن جاء من الغائط والبول، فكان ابن عمر بعد ذلك يمسح عليهما ما لم يخلعهما ولم يوقت لهما وقتاً [٤] أغمي عليه يوماً وليلة فلم يقض ما فاته [٥] وأقام بأذربيجان ستة أشهر يقصر الصلاة، وكان يقول: إذا أزمعت إقامة فأتم [٦] .

ومن افتراءاته على النبي ﷺ ما رواه عنه سعيد بن يسار قوله: كنت أسير معه بـــ طريق مكة، فلما خشيت الصبح، نزلت، فأوترت، ثم أدركته، فقال لي أين كنت ؟ قلت له: خشيت الصبح، فنزلت فأوترت، فقال أليس لك في رسول الله أسوة ؟ فقلت: بلى والله ! فقال: إنه كان يوتر على البعير[٧] وقال في رواية أخرى: رأيته يصلى وهو على حمار، متوجه إلى خيبر[٨] وأخرى شغل عن الصلاة ليلة فأخرها حتى رقدنا في المسجد ثم استيقظنا ثم رقدنا ثم استيقظنا ثم خرج علينا ثم قال ليس احد من أهل الأرض ينتظر الصلاة غيركم وكان ابن عمر لا يبالى أقدمها أم أخرها إذا كان لا يخشى أن يغلبه النوم عن وقتها وكان يرقد قبلها [٩] وهو الذي وضع حديثاً مفترى عن النبي ﷺ عندما طلق أخته حفصة فروى زوراً وبهتاناً عن النبي ﷺ قوله ابغض الحلال عنـــد الله الطلاق [١٠] .

وعلى الرغم من كل ذلك قيل إذا رآه أحد كان به شئ من إتباعه آثار النبي ﷺ [١١] لذلك نقول: ما هو الدليل على ذلك ؟ سيما انه من أعداء النبي وآله (عليهم السلام) وما نقل عنهم، وهذا ما قاله الشعبي جالسته سنة فما سمعته يحدث عن رسول الله ﷺشيئاً [١٢] وكان الناس

---

١ مالك : الموطأ١/١٢٥ .
٢ مالك : الموطأ١/١٥٩ .
٣ عبد الرزاق : المصنف ١/١٥٢ .
٤ عبد الرزاق : المصنف ١/١٩٦ .
٥ عبد الرزاق : المصنف ٢/٤٧٩ .
٦ عبد الرزاق : المصنف ٢/٥٣٣ .
٧ مالك : الموطأ١/١٢٤ .
٨ مالك : الموطأ١/١٥١ .
٩ البخاري : صحيح ١/ ١٤٢ .
١٠ المحمداوي : تعدد الزوجات في السيرة المحمدية /١٠٠.
١١ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤/١٤٤ .
١٢ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤/١٤٥ .

يأخذون قوله، وهذا ما حمل أبو جعفر العباسي أن يسأل مالك بن أنس: كيف أخذتم قول ابن عمر من بين الأقاويل فقال له بقي وكان له فضل الناس ووجدنا من تقدمنا أخذ به فأخذنا به قال فخذ بقوله وإن خالف علياً وابن عباس [١] .

وانه من أنصار معاوية ولم يبايع أمير المؤمنين عليه السلام إذ بعث له كميلاً النخعي فجاء به فقال أنهض معي فقال أنا مع أهل المدينة، إنما أنا رجل منهم، وقد دخلوا في هذا الأمر فدخلت معهم ولا أفارقهم فان يخرجوا أخرج وان يقعدوا اقعد قال فأعطني زعيماً ألا تخرج قال ولا أعطيك زعيماً قال لولا ما اعرف من سوء خلقك صغيراً وكبيراً لأنكرتني دعوه فاتا به زعيم [٢] كان بين الإمام علي عليه السلام وبينه خصومة " [٣] .

يتضح من تعريف النفاق إنه منافقاً، إذ لقى أناساً خرجوا من عند مروان فقال من أين جاء هؤلاء ؟ قالوا خرجنا من عند مروان قال وكل حق رأيتموه تكلمتم به وأعنتم عليه وكل منكر رأيتموه أنكر تموه ورددتمه عليه قالوا لا والله بل يقول ما ينكر فنقول قد أصبت أصلحك الله فإذا خرجنا من عنده قلنا قاتله الله ما أظلمه وأفجره قال عبد الله كنا بعهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نعد هذا نفاقاً لمن كان هكذا [٤] .

وقبال ذلك فعل هو مثلهم، إذ قيل له زمن ابن الزبير والخوارج والخشبية أتصلي مع هؤلاء ومع هؤلاء وبعضهم يقتل بعضاً فقال من قال حي على الصلاة أجبته ومن قال حي على الفلاح أجبته ومن قال حي على قتل أخيك وأخذ ماله قلت لا [٥] .

كان من المقربين للحجاج يصلي معه بمكة فلما أخر الصلاة ترك أن يشهدها معه وخرج منها[٦] ونعوذ بالله كانت عاقبته سيئة إذ أصابه الخبل بمكة فرمي حتى أصاب الأرض فخاف أن يمنعه الألم فقال يا بن أم الدهماء اقض بي المناسك فلما اشتد وجعه بلغ الحجاج فأتاه يعوده فجعل يقول لو أعلم من أصابك لفعلت وفعلت فلما أكثر عليه قال أنت أصبتني حملت السلاح في يوم لا يحمل فيه السلاح [٧]وأغمى عليه، فذهب عقله، فلم يقض الصلاة، أن الوقت قد ذهب، فأما من أفاق في الوقت، فإنه يصلى [٨] .

---

١ ابن سعد : الطبقات الكبرى ١٤٧/٤ .
٢ سيف بن عمر : الفتنة ووقعة الجمل /١٠٩، الطبري : تاريخ ٤٦٦/٣ .
٣ الخلاف ٣٢١/٣ .
٤ ابن حنبل : مسند ٦٩/٢ .
٥ ابن سعد : الطبقات الكبرى ١٦٩/٤ .
٦ ابن سعد : الطبقات الكبرى ١٤٩/٤ .
٧ ابن سعد : الطبقات الكبرى ١٨٥/٤ .
٨ مالك : الموطأ١٣/١.

مات بـــ مكة ودفن بـــ فخ سنة ٧٤هـــ بعد عمر دام ٨٤هـــ سنة [١] .

وهناك روايات تفيد إن أناس من صحابة رسول الله ﷺ رأوا جبريل على صورة دحية الكلبي، منها:

أولاً: إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام رآه وهذا ما رواه ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ في بيته، فغدا إليه الإمام علي عليه السلام في الغداة، وكان يحب أن لا يسبقه إليه أحد، فدخل فإذا النبي ﷺ في صحن الدار، وإذا رأسه في حجر دحية بن خليفة الكلبي، فقال: السلام عليك، كيف أصبح رسول ﷺ؟ قال: بخير، يا أخا رسول الله، فقال علي عليه السلام: جزاك الله عنا أهل البيت خيراً، قال له دحية: إني أحبك، وإن لك عندي مديحة أهديها إليك، أنت أمير المؤمنين، وقائد الغر المحجلين، وسيد ولد آدم ما خلا النبيين والمرسلين، لواء الحمد بيدك يوم القيامة، تزف أنت وشيعتك مع محمد ﷺ وحزبه إلى الجنان، قد أفلح من والاك، وخاب وخسر من خلاك، محبو محمد ﷺ محبوك، ومبغضوه مبغضوك، لا تنالهم شفاعة محمد ﷺ، ادن من صفوة الله، فأخذ رأس النبي عليه السلام فوضعه في حجره، فانتبه النبي ﷺ فقال: ما هذه الهمهمة، فأخبره الحديث، فقال: لم يكن دحية، كان جبريل عليه السلام سماك باسم سماك الله تعالى به، وهو الذي ألقى محبتك في قلوب المؤمنين، ورهبتك في صدور الكافرين [٢] السند فيه الأعمش طعن به العامة فقيل شيعي مهمل [٣] ومصدر الخبر لا نعول على صحته .

ما نسجله على الرواية إنها خرافة مقروءة من عنوانها، وفيها تجني على ثلاث معصومين من الخطأ وهم الروح الأمين، والنبي محمد ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام وذلك لأسباب منها إن جبريل عليه السلام واسطة بين الله سبحانه وتعالى ورسوله محمد ﷺ وليس من واجبه أن يأخذ رأس النبي محمد ﷺ بحجرة كما تفعل بعض النساء بـــ أزواجهن وبلا تشبيه، أما أمير المؤمنين نحن نقول عنده علم المنايا والبلايا، وهو القائل سلوني قبل أن تفقدوني، وبالتالي لا يمايز بين دحية الكلبي وجبريل عليه السلام والأكثر من ذلك بشره جبريل بالولاية والنبي ﷺ لا يعلم ذلك فلسنا ندري هل إن الوحي مرسل إلى النبي ﷺ أم إلى الوصي ؟ .

والصحيح انه يعرف جبريل ويراه من دون هذا التشويه في الروايات، ولنا خير دليل في ما قاله صادق آل البيت عليهم السلام " كان الإمام على عليه السلام يرى مع رسول الله ﷺ قبل الرسالة الضوء ويسمع الصوت، وقال له ﷺ لولا إني خاتم الأنبياء لكنت شريكاً في النبوة، فان لا تكن

---

١ ابن سعد : الطبقات الكبرى ١٨٧/٤ .
٢ الطوسي : الأمالي /٦٠٤ .
٣ المحمداوي : ابو طالب /٢١١ .

نبياً فانك وصى نبي ووارثه، بل أنت سيد الأوصياء وإمام الأتقياء " [1] وهذا معناه لم يكن جبريل صورة، وإنما صوت فقط .

ورويَّ عن الإمام علي عليه السلام قال: ما دخل نوم عيني ولا غمض رأسي على عهد النبي محمد صلى الله عليه وآله حتى علمت ذلك اليوم ما نزل به جبرئيل من حلال أو حرام أو سُنة أو كتاب أو أمر أو نهي وفيمن نزل [2] .

ويقال قاتل جبريل (ع) مع أمير المؤمنين عليه السلام يوم بدر، وهذا الأمر منسوب للإمام الحسن بن على عليهما السلام قاله عند استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام: لقد فارقكم رجل بالأمس لم يسبقه الأولون بعلم ولا يدركه الآخرون كان رسول الله صلى الله عليه وآله يبعثه بالراية جبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله لا ينصرف حتى يفتح له [3] وقد اخذ الوضاع هذا الحديث فأضافوا من خلاله منقبة لفلان، فقيل لأمير المؤمنين عليه السلام ولفلان يوم بدر مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل واسرافيل ملك عظيم يشهد القتال أو قال يشهد الصف [4] .

ونحن نقول خلاف ذلك إن أمير المؤمنين عليه السلام قاتل في كل حروب البعثة المحمدية بشجاعته وبسيفة وبتسديد من الله ولم يقاتل بشجاعة جبريل عليه السلام وإنما أعدائه أصابتهم الغيرة والحسد والكراهية، فأرادوا أن يثلبوه بذلك فروجوا لهذه القضية، وما يخص فلان الذي حشروه مع الإمام في الرواية فهو لم يقاتل ولا في معركة واحدة قط والرجل فرار من المعارك مشهود له بذلك .

ثانياً: رآه أبو ذر (رض) وهذا ما روي بسند عن الإمام الصادق عليه السلام قال: إن أبا ذر أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وكان عنده جبريل عليه السلام في صورة دحية الكلبي وقد استخلاه رسول الله صلى الله عليه وآله فلما رآهما انصرف عنهما ولم يقطع كلامهما فقال جبريل عليه السلام: يا محمد هذا أبو ذر قد مر بنا ولم يسلم علينا أما لو سلم لرددنا عليه، يا محمد إن له دعاء يدعو به، معروفاً عند أهل السماء فسله عنه إذا عرجت إلى السماء، فلما ارتفع جبريل جاء أبو ذر إلى النبي فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ما منعك يا أبا ذر أن تسلم علينا حين مررت بنا ؟ فقال: ظننت أن الذي كان معك دحية الكلبي قد استخليته لبعض شأنك، فقال: ذاك جبريل عليه السلام يا أبا ذر وقد قال: أما لو سلم علينا لرددنا عليه فلما علم أبو ذر أنه كان جبريل عليه السلام دخله من الندامة لأنه لم يسلم عليه ما شاء الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ما هذا الدعاء الذي تدعو به ؟ فقد أخبرني جبريل عليه السلام أن لك دعاء تدعو به،

---

١ ابن أبي الحديد : شرح ٢١٠/١٣ .
٢ الحاكم الحسكاني : شواهد التنزيل ٤٣/١ .
٣ ابن حنبل : مسند ١٩٩/١ .
٤ ابن حنبل : مسند ١٤٧/١ .

معروفاً في السماء، فقال: نعم يا رسول الله أقول: " اللهم إني أسألك الأمن والإيمان بك والتصديق بنبيك والعافية من جميع البلاء والشكر على العافية والغنى عن شرار الناس " [1] .

وفيه منقبة عظيمة لأبي ذر [2] ونحن نقول إنها مثلبة، كيف يمر على سيده رسول الله ﷺ ولم يسلم عليه ؟ وهو مسلم وتحية الإسلام السلام، حتى إذا كان الشخص الذي مع رسول الله ﷺ دحية الكلبي، وإذا كان هو لا يجوز السلام عليهما، حتى إذا كانا منشغلين في أمر ما ؟ وكيف يعلم جبريل بـــ دعاءه ورسول الله ﷺ لا يعلم إي رسالة هذه وأي نبوة لقد اشبوعها تشويهاً حتى ملئوا بطون الكتب كذباً وافتراءً عليها؟ وعلى أئمة آل البيت (عليهم السلام) وهم براء من هكذا أكاذيب .

ثالثاً: رآه حارثه بن النعمان الأنصاري[3] مرتين على صورة دحية بن خليفة الكلبي، حين خرج رسول الله ﷺ إلى بني قريظة [4] .

رابعاً: رأته عائشة مرات:

١- سفيان بن عيينة عن مجالد بن سعيد عن الشعبي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة قالت يا رسول الله رأيتك واضعاً يدك على معرفة فرس وأنت قائم تكلم دحية الكلبي فقال وقد رأيتيه قالت نعم قال فإنه جبريل وهو يقرئك السلام قالت وعليه السلام ورحمة الله وجزاه الله خيراً من زاير الرحمن ومن دخيل فنعم الصاحب ونعم الدخيل يعني الضيف [5] والغريب إن المصادر ذكرت الحديث من دون أن تعلق عليه وكأنه حقيقة مسلم بها

علماً إن سند الرواية مطعون فيه من جهة سفيان بن عيينة [6] وكذلك الشعبي

يسجل على الرواية إن جبريل عليه السلام كان على فرس، وهذا ينفي صحتها لأنه لا يحتاج ركوبة فهو يصعد إلى السماء وينزل الأرض بقدرة الله تعالى ولا يحتاج إلى واسطة، إن صح ذلك عندما يصعد إلى السماء أين يتركها ويذهب يبيعها يودعها لا ندري؟ أما سلامه على عائشة من باب ماذا المجاملة مثلاً ؟ علماً انه لم يراها فكيف بعث لها سلاماً ؟ هل هي تحية غائب مثلاً ؟ والغريب إنها تجزي جبريل الخير لأنه بعث لها سلاماً، وانه خير صاحب للنبي ﷺ وانه نعم الضيف وهو لم يدخل بيتها وإنما شاهدت رجل مع رسول

---

١ الكليني : الكافي ٥٨٧/٢ .

٢ المازندراني : شرح أصول الكافي ٤٨٢/١٠ .

٣ مدينى له صحبة روى عنه عبد الله ابن عامر بن ربيعة وعبد الله بن رباح وعبد الله بن حارثة وعثمان والد محمد بن عثمان . ابن ابي حاتم : الجرح والتعديل ٣/ ٢٥٣ .

٤ كنيته أبو عبد الله ، شهد بدراً وأحداً وما بعدهما من المشاهد ، وشهد مع أمير المؤمنين عليه السلام القتال ، وتوفي في زمن معاوية الطوسي : رجال /٣٧ .

٥ الحميدي : مسند ١٣٣/١ ينظر ابن حنبل : مسند ٧٤/٦ ، الخطيب البغدادي : تاريخ ١٤٧/٧ ، ابن عساكر : تاريخ ٢١٠/١٧ .

٦ المحمداوي : عقيل /٢١٢ .

الله ﷺ ومعنى رؤية عائشة له وغيرها من الناس انه معروفاً وعندما ينزل على النبي محمد ﷺ تراه معظم الناس إن لم نقل كلهم .

٢- خالد بن مخلد، عن عبد الله بن عمر عن يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت: وثب رسول الله وثبة شديدة فنظرت فإذا معه رجل واقف على برذون [١] وعليه عمامة بيضاء قد سدل طرفها بين كتفيه ورسول الله ﷺ واضع يده على معرفة برذونه، فقلت يا رسول الله لقد راعتني وثبتك من هذا قال ورأيته قلت نعم قال ومن رأيت قلت رأيت دحية الكلبي قال ذاك جبريل عليه السلام [٢] وفي رواية أخرى عليه عمامة طرفها بين كتفيه [٣]وهذه المرة الثانية التي شاهدت بها جبريل عليه السلام يبدو إنه رجلاً معمماً سادلاً عمامتة كـ إمام الجماعة، وقيل إن عمامته يوم غرق فرعون سوداء [٤] .

٣- شاهدته في واقعة الخندق سنة ٥هـ ولم تحدد ركوبته فقط قالت دابة لا فرس ولا برذن يبدو إنها شاهدته على بعد، عندما أمر النبي ﷺ بالتوجه إلى يهود بنو قريظة، على عكس المرتين السابقتين الذي جاءه من دون عمل معين وهذا ما رواه عبد الله بن وهب، عن عبد الله بن عمر عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة قالت: رأيت رجلاً يوم الخندق على صورة دحية بن خليفة الكلبي على دابة يناجى رسول الله ﷺوعلى رأسه عمامة قد أسدلها عليه فسألته قال ذلك جبريل عليه السلام أمرني أن اخرج إلى بني قريظة، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه [٥] .

وهذا الحديث أقدم من ذكره الحاكم وهو من صحح إسناده، ونحن نعترض عليه، لان فيه ابن وهب كذاباً مقدوحاً مثبوراً شبه إجماع على رد روايته [٦] .

خامساً: رآه ابن عباس، وهذا ما رواه ميمون بن مهران عن ابن عباس قال مررت برسول الله ﷺ وعليَّ ثياب بيض وهو يناجي دحية بن خليفة الكلبي وهو جبريل عليه السلام وأنا لا أعلم فلم أسلم فقال جبريل يا محمد من هذا قال هذا ابن عمي هذا ابن عباس قال ما أشد وضح ثيابه إما إن ذريته ستسود بعده لو سلم علينا رددنا عليه فلما رجعت قال لي رسول الله ﷺ يا بن عباس ما منعك أن تسلم قلت معبد وأمي رأيتك تناجي دحية بن خليفة فكرهت أن تنقطع عليكما مناجاتكما

---

١ الدابة ، وهي من الخيل : ما كان من غير نتاج العراب ، وبرذن الفرس : مشى مشي البراذين ، وبرذن الرجل : ثقل. ابن منظور : لسان العرب ٥١/١٣ .

٢ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢٥٠/٤ ، ابن حنبل : مسند ١٥٢/٦ ، البخاري : صحيح ٨/٧ ، الحاكم : المستدرك ١٩٤/٤ ، ابن عساكر : تاريخ ٢١١/١٧.

٣ ابن حنبل : مسند ١٤٨/٦ .

٤ ابن أبي شيبة : المصنف ٤٥/٦ .

٥ المستدرك ١٩٣/٤ ، ابن عساكر : تاريخ ٣٦٨/٥ .

٦ للتفصيلات ينظر المحمداوي : عقيل /٥٩ .

وقد رأيته قلت نعم قال أما إنه سيذهب بصرك ويرد عليك في موتك قال عكرمة فلما قبض ابن عباس ووضع على سريره جاء طائر شديد الوهج فدخل في أكفانه فأرادوا نشرها قال عكرمة ما تصنعون هذه بشرى رسول الله ﷺالتي قال له فلما وضع في لحده تلقي بكلمة فسمعها من على شفير قبره قوله تعالى [1] {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ *ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً *فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وادخلي جنتي} [2] .

يؤاخذ على ابن عباس انه حبر الأمة، فكيف مر على جبريل ولم يعرفه ولم يسلم عليه والنبي ﷺوكأن الرواية مزيج من الرواية الأولى والثانية وركبت على هذا الأساس لأضفاء الطابع الشرعي على حكومة بني العباس، لأنها من الله بشر بها جبريل عليه السلام .

نزوله في صورته الأصلية

اختلفت الآراء حول ما رآه النبي محمد ﷺ عند سدرة المنتهى، ما يهمنا في هذا الصدد الرأي القائل إنه رأى جبريل عليه السلام في صورته الأصلية، وهذا ما رواه روح بن عبادة ويحيى بن واضح عن موسى بن عبيدة الربذي عن مسلم بن أبي الأشعث عن ذكوان أبي صالح السمان عن أبي سلمة عن عائشة عن رسول الله ﷺ قال: لجبريل إني أحب أن أراك في صورتك فقال أو تحب ذاك فقلت نعم فواعده جبريل في بقيع الغرقد لمكان كذا وكذا من الليل لقيه رسول الله ﷺ في موعده فنشر جناحاً من أجنحته وقيل جناحين من أجنحته فسد أفق السماء حتى ما يرى رسول الله ﷺ من السماء شيئاً وأجيب رسول الله ﷺ عند ذلك [3] .

السند فيه موسى بن عبيدة ضعفه الهيثمي [4] وفيه طعون كثيرة [5] وذكوان السمان، هناك من طعن به، ونقل حديثه عن ابي هريرة وعائشة [6] .

ويؤيد ذلك ما رواه، يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش عن إدريس بن منبه عن أبيه وهب بن منبه عن ابن عباس قال سأل النبي ﷺ جبريل أن يراه في صورته فقال ادع ربك فدعا ربه فطلع عليه سواد من قبل المشرق فجعل يرتفع وينتشر فلما رآه فاتاه فنعشه ومسح البزاق عن شدقيه [7] إذا سلمنا انه أمر الله، لكن ما العلة من ذلك ما هو الهدف ؟ لم نجد جواباً وهذا معناه

---

١ الفجر /٢٧- ٣٠ .
٢ الطبراني : المعجم الكبير ٢٣٧/١٠ .
٣ ابن راهويه : مسند ٤٩١/٢ .
٤ مجمع ١٧٤/٦ .
٥ المحمداوي : تعدد الزوجات في سيرة النبي محمد ﷺ /١٥ .
٦ المحمداوي : عقيل /٢٠١ .
٧ ابن حنبل : مسند ٣٢٢/١ .

إن الأمر مفترى وان جبريلعليه السلام ينزل في صورته الحقيقية، أما السند فيه وهب بن منبه مطعون فيه ضعيف وكثير النقل عن الإسرائيليات [١] .

وفي رواية أخرى لها رواها داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق قال: كنت عند عائشة، فذكر لها قوله تعالى {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى } [٢] أنا أول هذه الأمة سأل رسول الله ﷺعنها فقال إنما ذاك جبريل عليه السلام لم يره في صورته التي خلق عليها إلا مرتين رآه هابطاً من السماء إلى الأرض ساداً عظيم الخلقه ما بين السماء والأرض [٣] وفي رواية أخرى قال: هو جبريل رأيته مرتين رأيته بالأفق الأعلى ورأيته بالأفق المبين [٤] .

وروي عن مسروق قوله: كنت متكئاً في بيت عائشة فجلست فقلت لها، أنظريني ولا تعجليني، أليس الله تعالى يقول: وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ؟ قالت: إنما ذلك جبريل ' قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح [٥] .

وفي تفسير قوله تعالى ولقد {وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ }[٦] قالت عائشة: سألنا عن ذلك نبي الله ﷺ فقال رأيت جبريل ينزل من الأفق على خلقته وهيأته ساداً ما بينهما [٧] .

وحتى نعالج الموضوع بشكل صحيح، يجب أن يكون الرد علمياً منطقياً مقبولاً، نوجزه في نقاط:

الأولى: نطرح سؤالاً نقول ماذا يفعل مسروق عند عائشة ؟ يقول كنت عندها، يعني إن بابها مفتوح له بدليل قوله: أتينا عائشة فقالت خوضوا لابني عسلاً ثم قالت ذوقوه فإن رابكم منه شئ فزيدوا فيه عسلاً فإني لو كنت مفطرة لذقته قلنا: نحن صيام قالت وما صومكم هذا قالوا صمنا هذا اليوم فإن كان من رمضان أدركناه وإن لم يكن منه كان تطوعاً فقالت إنما الصوم صوم الناس والفطر فطر الناس والذبح ذبح الناس ولكني صمت هذا الشهر فوافق رمضان [٨] وروي عنه قوله: لولا بعض الأمر لأقمت على عائشة مناحة [٩] نحن لا نعرف هذا الأمر، وليس من شأننا معرفته، لأنه ليس مدار بحثنا .

---

١ المحمداوي : الإسلام رؤية قرآنية / ٣١٨ .
٢ النجم/١٣ .
٣ ابن حنبل : مسند٦/٢٤١ .
٤ ابو داود : مسند /٢٠٠ .
٥ سنن ٤/٣٢٨ ، ينظر النسائي : السنن الكبرى ٦/٤٧١ .
٦ التكوير/٢٣ .
٧ النسائي : السنن الكبرى ٦/٣٣٥ .
٨ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٦/٧٩ .
٩ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٦/٨٠ .

ولماذا سألها من دون غيرها من زوجات النبي ﷺ ؟ ولماذا اكتفى بجواها ولم يسأل البقية ؟ وأكثر ما يبطل الرواية تعارضها مع القرآن الكريم، مثلما استدلت عائشة في القرآن الكريم لإثبات دعواها، نرد عليها بالمثل، ونقول إن الله حرم على المسلمين التحدث مع المسلمات إلا من وراء حجاب فكيف إذا كانت زوجة النبي ﷺ ؟ ويحدثها ابا عائشة وهو متكأ سواء أكان في بيتها أو في بيته، الاثنين مصيبة عظمى لقوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ...}[1].

هذه زوجة نبي مطلوب منها الوقار في بيتها، لا التحدث مع ابا عائشة وهو متكأ لقوله تعالى وهو يخاطب أزواج النبي ﷺ {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ...} [2] فأيهما أفضل لها أليس التزام الوقار وعدم التحدث مع الأجانب ؟ وان يكون واجبها تلاوة القرآن لقوله تعالى {وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً } [3] .

والأكثر من ذلك يبدو إن بيت عائشة مفتوحاً لمن هدب وهدب سيما حجرتها، ربما هي مكانها الشخصي، وهذا ما رواه أبو شريح الخزاعي قال كسفت الشمس في عهد عثمان بن عفان وبالمدينة عبد الله بن مسعود فخرج عثمان فصلى بالناس تلك الصلاة ركعتين وسجدتين في كل ركعة ثم انصرف فدخل داره وجلس عبد الله بن مسعود إلى حجرة عائشة وجلسنا إليه فقال إن رسول الله ﷺ كان يأمرنا بالصلاة عند كسوف الشمس والقمر فإذا رأيتموه قد أصابهما فافزعوا إلى الصلاة فإنها إن كانت التي تحذرون كانت وأنتم على غير غفلة وان لم تكن كنتم قد أصبتم خيراً واكتسبتموه [4] .

ودخوله حجرة عائشة يمثل نقصاً في دينه لقول عبد الله بن مسعود، من أراد أن يكرم دينه فلا يدخل على السلطان ولا يخلون بالنسوان ولا يخاصمن أصحاب الأهواء [5] وعائشة حينها سلطان وأحد النسوان، ومن أصحاب الأهواء، وما دخل عليها إلا انه يهوى هواها، بدليل حديثه

---

١ الأحزاب/٥٣ .
٢ الأحزاب/٣٣ .
٣ الأحزاب/٣٤ .
٤ ابن حنبل : مسند ٤٥٩/١ .
٥ الدارمي : سنن ٩٠/١ .

المفترى على النبي ﷺانه قال لو كنت متحذاً خليلاً لأتخذت ابا بكر خليلاً ولكنه أخي وصاحبي وقد اتخذ الله عز وجل صاحبكم خليلاً [١] .

الثانية: نحن نتماشى مع عائشة في دعواها لكن نطلب منها دليلاً مقبولاً على إن المراد من الآية رؤية جبريل عليه السلام وليس رؤية الله سبحانه وتعالى، ومقدماً نقول أقوالها مرفوضة، ولا نعمل بها نريد دليلاً من القرآن الكريم أو السنة الصحيحة القطعية المتفق عليها لم يرد ذلك .

الثالثة: سند الحديث واحد هو داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق، فـ الأول داود بن أبي هند القشيري السرخسي، ت ١٣٩هـ، يكنى أبا بكر وثقه العامة ولم يطعنوا به [٢] والطعون في الشعبي، ومسروق [٣] .

رواية ابن مسعود

بعد ما عرضنا حال الرجل واتضح اتجاهه [٤] نريد أن نعرف موقفه من رؤية جبريل عليه السلام ويبدو إنها مثل رواية عائشة مصدرها واحد وأحاديثها مختلفة وكالآتي: الأول: ما روي عنه قال: إن النبي محمد ﷺ لم ير جبريل عليه السلام في صورته إلا مرتين، مرة سأله أن يريه نفسه في صورته فأراه فسد الأفق، والأخرى انه صعد معه حين صعد به، فلما أحس جبريل عليه السلام ربه عاد في صورته وسجد ... لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال خلق جبريل عليه السلام [٥] .

ثانياً: ما رواه عفان بن مسلم عن حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ قال رأيت جبريل عند سدرة المنتهى عليه ستمائة جناح ينثر من ريشة التهاويل الدر والياقوت [٦] أراد بـ التهاويل تزايين ريشه وما فيه من صفرة وحمرة وبياض وخضرة مثل تهاويل الرياض، ويقال لما يخرج من ألوان الزهر في الرياض التهاويل، وأصلها ما يهول الإنسان ويحيره [٧] وقد سأل شقيق بن سلمة، عاصم بن بهدله عن أجنحة

---

١ مسلم : صحيح ٧/ ١٠٨ .
٢ المحمداوي : تعدد الزوجات في السيرة المحمدية /٩٠ .
٣ ينظر المحمداوي : هل رأى النبي محمد ﷺ ربه /١٠ .
٤ المحمداوي : مصدرية دراسة حديث الإسراء والمعراج عند ابن إسحاق /١٣ .
٥ ابن حنبل : مسند ٤٠٧/١ ، ابن الجعد : مسند /٣٩٧ .
٦ ابن حنبل : مسند ٤١٢/١ ، ٤٦٠ ، الطبري : جامع البيان ٦٥/٢٧ ، أبو يعلى : مسند٢٤٣/٩ .
٧ ابن منظور : لسان العرب ١١/ ٧١٣ .

جبريل عليه السلام ولم يحر جواباً، فأخبره بعض أصحابه أن الجناح ما بين المشرق والمغرب [١] فإذا كانت أجنحة هكذا في إي مطار ينزل، وأي ارض تقله؟ وهو بذلك يحتاج إلى مدرج خاص به .

أما سند الحديث فيه حماد بن سلمة بن دينار البصري ت ١٦٧هـ فيه طعون [٢] وفي رواية أخرى له (ابن مسعود) إن رسول الله ﷺرأى جبريل عليه السلاموله ستمائة جناح [٣] من دون تهاويل.

ثالثاً: قال عبد الله بن مسعود رأى رسول الله ﷺ جبريل معلقاً رجله بسدرة عليه الدر كأنه قطر المطر على البقل [٤]علق ابن كثير على هذه الأسانيد بقوله " وهذه أسانيد جيدة قوية انفرد بها أحمد"[٥] لا نعرف للأسانيد قوة وهي أحادية .

رابعاً: محمد بن منصور عن سفيان عن أبي إسحاق عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال رأى جبريل عليه السلامقد سد الأفق لم يره إلا في هذين المكانين، وروى يحيى بن آدم عن إسرائيل عن أبى اسحق عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله في قوله ما كذب الفؤاد ما رأى قال رأى رسول الله ﷺ جبريل في حلة من رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض [٦] .

إذا سلمنا بصحة ذلك ولو إننا من الرافضين لها، عندما يأتي جبريلعليه السلام إلى النبيﷺ وهو في غير صورته كيف يعرفه ؟ لذلك اعلق ساخراً أقول يطلب هويته، أم يسأله كلمة السر !!!!!!!! ؟ وماذا يكون الحال إذا جاءه مهرج أو ساحر فقال له أنا جبريلعليه السلام ثم ما الموجب لكل هذا ؟ هل إن جبريل عليه السلام يتخفى في كل هذه الصور يخاف أن تغتاله الناس مثلاً ؟ كأن يضربونه بكاتم صوت !!! أم في عبوة ناسفة أم سيارة مفخخة ؟ نريد الإجابة من وضاع الروايات ؟ كل ما قالوه تهريج وخرافات لا غير .

وهذا ما حدث فعلاً إذ كان النبي ﷺ جالس في مجلس فيه أصحابه فـ جاءه جبريل عليه السلام في غير صورته يحسبه رجلاً من المسلمين فسلم عليه فرد عليه السلام ثم وضع جبريل يده...[٧]

وإن شيطاناً يقال له الأبيض أتى رسول الله ﷺ في صورة جبريل عليه السلام وألقى في قراءة النبي ﷺ: تلك الغرانيق العلا، وأن شفاعتهن لترتجي [٨] .

---

١ ابن حنبل : مسند١/٤٠٧ .
٢ المحمداوي : ابو طالب /١٦٦ .
٣ ابن حنبل : مسند ١/ ٣٩٨ .
٤ الحافظ الاصبهاني : أخبار إصبهان ٩٨/١ .
٥ ابن كثير : البداية والنهاية ٤٦/١ .
٦ ابن حنبل : مسند ٣٩٤/١ ، الطبري : جامع البيان ٦٥/٢٧ ، النسائي السنن الكبرى ٤٧٣/٦ .
٧ ابن حنبل : مسند ١٢٩/٤ .
٨ القرطبي : تفسير ٨٤/١٢ .

أسباب منعت جبريل من دخول بيت النبي ﷺ

ومما افتراه المنافقون، إن جبريل عليه السلام أحياناً لم يدخل بيت النبي محمد ﷺ لوجود بعض الموانع وقد وضعوا بعض الروايات الدالة على ذلك، ونحن مقدماً نقول هي روايات مرفوضة لعدم مطابقتها الواقع ومن هذه الموانع:

أولاً: دويبة أو تمثال

من الأمور التي افتراها المفترون على النبي محمد ﷺ إن جبريل جاءه ولم يدخل بيته لوجود دويبة أو تمثال، وهذا ما رواه علي بن المبارك الصنعاني عن إسماعيل بن ابي اويس عن إسماعيل بن عبد الله بن خالد عن سعيد بن أبي مريم عن أبيه عن جده عن كثير بن جريج انه سمع أم ذرة أن عائشة أخبرتها إن رسول الله ﷺ قال لها اجلسي حتى يأتيني جبريل فتسلمين عليه ويدعو لك بالخير فجاء فقام بالباب ثم رجع ولم يدخل فقال رسول الله ﷺ ما شأنه رجع ولم يدخل فلقيه رسول الله ﷺ مرة أخرى فقال له جلست عائشة لتسلم عليك وتدعو لها بالخير فرجعت عن بابنا فقال: إني جئت لأدخل عليكم فوجدت تلك الدويبة الخبيثة في بيتكم وإنا لا ندخل بيتاً فيه تلك الدويبة أو التماثيل [1] .

وردة كلمة دويبة، وهي تصغير دابة تستعمل للتحقير، وهي كل ماش على الأرض: دابة ودبيب، والدابة: اسم لما دب من الحيوان، مميزة وغيره جاء ذلك في قوله تعالى {وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ...} [2] ولما كان لما يعقل، ولما لا يعقل، قيل: فمنهم، ولو كان لما لا يعقل، لقيل: فمنها، أو فمنهن، ثم قال: من يمشي على بطنه، وإن كان أصلها لما لا يعقل، لأنه لما خلط الجماعة، فقال منهم، جعلت العبارة بمن، والمعنى: كل الدابة نفسها، وقوله، عز وجل {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ ...} [3] قيل من دابة من الإنس والجن، وكل ما يعقل، وقيل: إنما أراد العموم، والدابة: مميزة، وفي التي تركب، وقد غلب هذا الاسم على ما يركب من الدواب، وهو يقع على المذكر والمؤنث، وحقيقته الصفة [4] بناءً على ما ذكرناه إن المراد بالدويبة هي لا غيرها .

---

١ الطبراني : المعجم الأوسط ١٢٢/٤ ، الهيثمي : مجمع الزوائد ١٧٣/٥ .
٢ النور/٤٥ .
٣ فاطر/٤٥ .
٤ ابن منظور : لسان العرب ٣٦٩/١ .

ويدحض كل ذلك، انه من غير المعقول إن يكون في بيت النبي محمد ﷺ تمثال، بدليل إنه ا دخل الكعبة وحولها ستون وثلثمائة نصب فجعل يطعنها بعود بيده ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد وقال[١] {وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً}[٢] .

ويبطل تلك الفرية إن راويها غير متأكد فيما إذا كانت دويبة أو تمثال، ونحن نميل إلى وجود الأولى أي دويبة عاقلة مؤنثة، كان فيها البلاء المبرمُ حية وميتةٌ .

وروى مجاهد عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺقال أتاني جبريل عليه السلام فقال أني كنت أتيتك الليلة فلم يمنعني أن أدخل عليك البيت الذي أنت فيه إلا انه كان في البيت تمثال رجل وكان في البيت قرام ستر فيه تماثيل فمر برأس التمثال يقطع فيصير كهيأة الشجرة ومر بالستر يقطع فيجعل منه وسادتان توطآن ومر بالكلب فيخرج ففعل رسول الله ﷺوإذا الكلب جر وكان للحسن والحسين عليهما السلام تحت نضد لهما قال ومازال [٣] .

ثانياً: كلب، أو جرو

قلنا في وقت سابق ولا زلنا نقول إن كتب العامة مليئة بـــ الافتراءات على النبي محمد ﷺ وهي في واقع الحال إسقاطات نفسية وترهات كان زعماؤهم فعلوها، فما كان منهم إلا سحبوا ذلك على النبي محمد ﷺ وآل بيته فـــ على سبيل المثال، ما رواه أبو بكر بن عياش عن مغيرة بن مقسم عن الحرث العكلي عن عبد الله بن نجي عن الإمام علي عليه السلام قال: أتيت ذات ليلة فقال أتدري ما أحدث الملك الليلة كنت أصلي فسمعت خشفة في الدار فخرجت فإذا جبريل عليه السلام فقال ما زلت هذه الليلة أنتظرك إن في بيتك كلباً فلم أستطع الدخول وإنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا جنب ولا تمثال [٤] .

وفي رواية أخرى رواها محمد بن عبيد عن شرحبيل بن مدرك الجعفي عن عبيد الله بن نجى الحضرمي عن أبيه عن الإمام علي عليه السلام قال: جئت ذات ليلة إلى النبي محمد ﷺ فسلمت عليه فقلت السلام عليك يا نبي الله فقال على رسلك يا أبا حسن حتى أخرج إليك فلما خرج إليَّ قلت يا نبي الله أغضبك أحد قال لا قلت فما لك لا تكلمني فيما مضى حتى كلمتني الليلة قال سمعت في الحجرة حركة فقلت من هذا فقال أنا جبريل قلت ادخل قال لا أخرج إليَّ فلما خرجت قال إن في بيتك شيئاً لا يدخله ملك ما دام فيه قلت ما أعلمه يا جبريل قال اذهب فانظر ففتحت البيت فلم أجد شيئاً غير جرو كلب كان يلعب به الحسن قلت ما وجدت إلا جروا قال إنها ثلاث لن يلج ملك مادام

---

١ ابن حنبل : مسند ٣٧٧/١ .
٢ الإسراء/٨١ .
٣ ابن حنبل : مسند ٣٠٥/٢ .
٤ ابن حنبل : مسند ٨٠/١ .

فيها أبداً أو احد منها كلب أو جنابة أو صورة [١] ويبطل ذلك إن هذه التهمة هي من واقع يزيد بن معاوية كان يلهو بالقردة والكلاب بدليل قول ابن الزبير فيه " يزيد القرود، يزيد الفهود " [٢] فسحبوها منه والقوها على الإمام الحسن عليه السلام ثم هو تربى في بيت ابيه فـ المفروض يكون كلبه هناك .

وروى أبو الوليد هشام بن عبد الملك، عن سليمان بن كثير عن الزهري عن عبيد بن السباق عن ابن عباس عن ميمونة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وآله يوما خاثراً فقلت مالي أراك خاثراً فقال إن جبريل عليه السلام وعدني وما أخلفني فظل يومه ذلك وليلته وفي البيت كلب تحت نضد لنا فأمر به فأخرج ثم أخذ بيده ماء فنضح به مكانه ثم جاء جبريل عليه السلام وقال إنا لا ندخل بيتاً فيه صورة ولا كلب قالت وكان تكلم في كلب الحائط الصغير وما يأذن فيه [٣] .

وهذا الحديث ينقضه ما ورد في القرآن الكريم، عن كلب أصحاب الكهف الذي كان باسط ذراعيه في باب الكهف، وقد أشارت الروايات إلى دخوله الجنة مع أصحابه، وهذا ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله "فلا يدخل الجنة من البهائم إلا ثلاثة، حمار بلعم بن باعوراء وذئب يوسف وكلب شهداء الكهف" [٤] ونرفض فقرة ذئب يوسف لأنه بريء من ذلك ولم يكن هناك ذئب أكله .

وعندنا في الفقه الجعفري، السُنة في الصيد بالكلاب المعلمة من دون ما سواها من الجوارح، وإذا أرسل الإنسان كلبه المعلم على صيد فليسم، فإن ظفر به الكلب فليذكه، ثم ليأكله، فإن لم يدرك ذكاته حتى قتله الكلب فليأكل منه إذا كان قد سمى عند إرساله، فإن لم يكن سمى فلا يأكله، ولا بأس بأكل ما أكل منه الكلب إذا كان ذلك شاذا منه، فإن كان الكلب معتاداً لأكل الصيد لم يؤكل من صيده إلا ما أدرك بالذكاة [٥] .

ثالثاً: صورة أو بول

وكذلك نُسب إلى الإمام علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال أتاني جبريل عليه السلام فلم يدخل عليَّ فقال له النبي صلى الله عليه وآله ما منعك أن تدخل قال إنا لا ندخل بيتا فيه صورة ولا بول[٦] وعلينا أن نعترض بـ القول لمن البول؟ وكأن لدى الراوي تهمة ألقاها وانصرف أراد القول بول أطفال فاطمة عليها السلام .

---

١ ابن حنبل : مسند ٨٥/١ ، ١٤٨.

٢ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ١٣٣/٢٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٢٣٩/٨.

٣ ابن أبي عاصم : الآحاد والمثاني ٤٣٥/٥ .

٤ القمي : تفسير ٣٣/٢ .

٥ المفيد : المقنعة /٥٧٧ .

٦ ابن حنبل : مسند ١٤٦/١ .

وفي موضع آخر عن الإمام علي عليه السلام قال: إن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلمفقال إنا لا ندخل بيتا فيه صورة [1] .

وينقض كل هذه الأوهام، ما رواه أبو اليمان عن إسماعيل بن عياش عن ثعلبة بن مسلم الخثعمي عن أبى بن كعب، مولى ابن عباس عن سيده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلمانه قيل له: لقد أبطأ عنك جبريل عليه السلام فقال ولم لا يبطئ عنى وأنتم حولي لاتستنون ولا تقلمون أظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون رواجبكم [2] .

انقطاع الوحي

ورد هذا المعنى في قوله تعالى {وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى } [3] معنى ما قلاك ربك وما أبغضك ومعنى القالي: المبغض [4] في أسباب نزولها آراء :

الأول: رواه عبد الرزاق عن سفيان بن عيينة عن الأسود بن قيس قال سمعت جندب بن سفيان البجلي قال: أبطأ جبريل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال المشركون قد ودع محمد فنزلت الآيات الشريفات [5] ورواه أبو نعيم عن باقي السند قال: اشتكى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يقم ليلة أو ليلتين فاتت امرأة فقالت يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك [6] وهذه المرأة يقال لها أم جميل امرأة أبي لهب [7] والرواية نفسها رواها إسماعيل بن مسعود عن بشر بن المفضل عن شعبة عن باقي السند قال ... قالت أمرأة من قريش لقد تركه صاحبه [8] ولعلها خديجة (عليها السلام) كما سيرد، والفرق عن سابقتها إنها سمت المرأة من قريش، وبدلت كلمة شيطانك إلى صاحبك والفرق بين اللفظتين كبير .

الثاني، قاله وكيع عن هشام بن عروة عن أبيه: أبطأ جبريل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم: جزع جزعاً شديداً، فقالت له خديجة: إني أرى بك قد قلاك مما نرى من جزعتك [9] إن صح ذلك يُعد دليلاً على إن الآية مكية، بدلالة وجود السيدة خديجة (عليها السلام) على قيد الحياة .

---

١ ابن حنبل : مسند ١٤٨/١ .
٢ ابن حنبل : مسند ٢٤٣/١ .
٣ الضحى/١ – ٣ .
٤ الطبري : جامع البيان ٢٩٠/٣٠ .
٥ عبد الرزاق : تفسير القرآن ٣٧٩/٣ .
٦ ابن حنبل : مسند ٣١٣/٤ ، البخاري : صحيح ٩٧/٦ ، الواحدي النيسابوري : أسباب نزول الآيات/٣٠١ .
٧ ابن الجوزي : زاد المسير ٢٦٦/٨ .
٨ النسائي : السنن الكبرى ٥١٧/٦
٩ ابن أبي شيبة : المصنف ٤٣٨/٧ ، الطبري : جامع البيان ٢٩٠/٣٠، الواحدي النيسابوري : أسباب نزول الآيات/٣٠٢ ، السيوطي : الدر المنثور ٣٦٠/٦ .

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه لإرسال فيه [١] وروى ذلك ابن أبي الشوارب، عن عبد الواحد بن زياد، عن سليمان الشيباني، عن عبد الله بن شداد [٢] .

قال ابن حجر: هذه المرأة فيما ظهر لي غير المرأة المذكورة في حديث سفيان لأن هذه المرأة عبرت بقولها صاحبك وتلك عبرت بقولها شيطانك وهذه عبرت بقولها يا رسول الله وتلك عبرت بقولها يا محمد وسياق الأولى يشعر أنها قالته تأسفاً وتوجعاً وسياق الثانية يشعر أنها قالته تهكما وشماته [٣] وكلاهما مرسل رواتهما ثقاة [٤] .

الثالث: عن خولة خادمة رسول الله ﷺ أن جروا دخل بيت النبي ﷺ تحت السرير فمات، فمكث النبي ﷺ أياما لا ينزل عليه الوحى، فقال: يا خولة ما حدث في بيتى، لا يأتيني جبريل عليه السلام ؟ فقالت: هيأت البيت وكنسته فأهويت بالمكنسة تحت السرير فإذا شيء ثقيل فلم أزل حتى أخرجته، فإذا جرو ميت، فأخذته فألقيته خلف الجدار، فجاء نبى الله ﷺ ترعد لحياه، وكان إذا نزل عليه الوحى استقبلته الرعدة فقال: يا خولة دثريني [٥] بـــ الله عليكم يا مسلمين، إذا كان بيت نبي المسلمين هكذا؟ فما عسى ان تكون بيوتكم ؟ أين قوله (ص) " تنظفوا بكل ما استطعتم، فإن الله تعالى بنى الإسلام على النظافة، ولن يدخل الجنة إلا كل نظيف " [٦] .

المراد من الحادثة ثلب السيدة خديجة (عليها السلام) على اعتبار بيتها غير نظيف، لأن الحادثة في مكة والنبي ﷺ لم يتزوج غيرها، ولو فضل الخادمة وعبقريتها في كشف الحادثة لأستمر انقطاع الوحي، والمشكل هنا، إلا تظهر رائحة الجرو بعد موته حتى يتم الكشف عنه، لعل الموجودين في البيت لا توجد لديهم حاسة الشم بما فيهم الخادمة .

وهي بحاجة إلى بحث مفصل هل هي كائن مخلوق موجود فعلاً ؟ أم وجودها رمزي وهمي، وجدناها مطعون فيها، اسمها خولة بنت عاصم، امرأة بلال بن أمية هي التي قذفت ففرق بينهما النبي ﷺ يعني باللعان، لها ذكر ولا يعرف لها، رواية [٧] فجر بها شريك بن سحما [٨] وعليه لا يصح وجود هذه الفاجرة في بيت النبي ﷺ .

الرابع: يونس عن ابن وهب عن ابن زيد، قال: أن هذه السورة نزلت تكذيباً لـــ قول قريش قد ودع محمدا ربه وقلاه، ذكر الرواية بذلك، علي بن عبد الله الدهان، عن مفضل بن صالح، عن

---

١ المستدرك ٦١١/٢ .
٢ الطبري : جامع البيان ٢٩١/٣٠ .
٣ ابن حجر : فتح الباري ٧/٣ .
٤ السيوطي : لباب النقول/٢١٣ .
٥ الطبراني : المعجم الكبير ٢٤٩/٢٤ ، الواحدي النيسابوري : أسباب نزول الآيات/٣٠٢ .
٦ السيوطي : الجامع الصغير ٥١٧/١ .
٧ ابن حجر : الإصابة ١١٨/٨ .
٨ أحمد المرتضى : شرح الأزهار ٥١٠/٢ .

الاسود بن قيس العبدي، عن ابن عبد الله، هو جندب بن عبد الله البجلي قال: لما أبطأ جبريل على رسول الله ﷺ فقالت امرأة من أهله، أو من قومه: ودع الشيطان محمداً فنزل قوله تعالى [1] .

الخامس: بشر، عن يزيد، عن سعيد، عن قتادة فقال ناس من الناس، وهم يومئذ بمكة، ما نرى صاحبك إلا قد قلاك فودعك، فأنزل الله ما تسمع .

السادس: ابن عبد الأعلى، عن ابن ثور، عن معمر، عن قتادة فقال المشركون، وقاله الحسين عن ابي معاذ عن عبيد، عن الضحاك [2] .

واختلفوا في سبب انقطاعه، منها أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن ذي القرنين وعن أصحاب الكهف وعن الروح فقال سأخبركم غداً ولم يقل إن شاء الله فأحتبس عنه الوحي والثاني لقلة النظافة في بعض أصحابه [3] وفي مدة احتباس الوحي قيل ١٢، وقيل ١٥، وقيل ٤٠ يوماً، فاغتم لشماتة الأعداء، فنزلت تسلية لقلبه [4] وقيل طيب الله بها نفسه [5] .

---

١ الطبري : جامع البيان ٢٩٠/٣٠ .
٢ الطبري : جامع البيان ٢٩١/٣٠ .
٣ ابن الجوزي : زاد المسير ٢٦٦/٨ .
٤ المجلسي : بحار الأنوار ١٣٦/١٦ .
٥ الطباطبائي : تفسير الميزان ٣١٠/٢٠ .

الفصل الرابع

الشبهات التي أثارها المنافقون ضده

الملخص

كثيرة هي الشبهات التي أثارها المنافقون ضد النبي محمد ﷺ وهم الذين استسلموا قهراً تحت قوة سيوف المسلمين حفاظاً على مكاسبهم الدنيوية، وقد وضعوا سيوفهم في أغمدتها لا يستطيعون القتال بها فشهروا ألسنتم يضعون الروايات ويفترون عليه ظلماً وعدواناً، ولهذا كان من الواجب ردها ولو جانباً بسيطاً منها، وقف عند بعضها على صالح رسن المحمداوي في بحث اسماه " الشبهات التي أثارها المنافقون ضد النبي محمدﷺ" مثلاً انه غير حافظاً لصلاته ساهياً فيها، سماعاً الغناء، لم يعصم نفسه من ارتكاب الذنوب، لديه مغالطات في بعض أحاديثه، وغير عارفاً بـــ الأحكام الشرعية، وعلاقاته مع زوجاته فيها شبهات .

Abstract

A lot of suspicions were made against the prophet Mohammad (peace be upon him and his offspring) by the hypocrites. Those embraced Islam reluctantly, by force for the purpose of maintaining their profits. They sheathed their swords since they could not fight the Moslems. Instead, they produced many false sayings and malicious statements claiming that these belong to the prophet himself, calumniating ting his reputation. Accordingly, it is necessary to stand against these calumniations and refuting them. Some of these are now rebutted by the researcher, Ali Salih Rissan, who investigate them under the title " Suspicions mage against The prophet Mohammad". Some of these calumniations are that he was listening to songs, and absentminded in his praying, committing some sins, his sayings have some logical disconformities, ignorant to the injunctions of the law, etc, .

مقدمة

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام وهو يوصي أصحابه قال: اتقوا الله وكفوا ألسنتكم إلا من خير وإياكم أن تذلقوا بقول الزور والبهتان والإثم والعدوان فـ إنكم إن كففتموها عما يكره الله مما نهاكم عنه كان خيراً لكم عند ربكم من أن تذلقوا به فإن ذلق اللسان فيما يكره الله وفيما ينهى عنه دناءة للعبد عند الله ومقت من الله وصمم وعمى وبكم يورثه الله إياه يوم القيامة فيصيروا كما قال الله {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ }[1] يعني لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون وإياكم وما نهاكم الله عنه أن تركبوه وعليكم بالصمت إلا فيما ينفعكم الله به في أمر آخرتكم ويؤجركم عليه، وأكثروا من التهليل والتقديس والتسبيح والثناء على الله والتضرع إليه والرغبة فيما عنده من الخير الذي لا يقدر قدره ولا يبلغ كنهه أحد فاشغلوا ألسنتكم بذلك عما نهى الله عنه من أقاويل الباطل التي تعقب أهلها خلوداً في النار لمن مات عليها ولم يتب إلى الله منها ولم ينزع عليها، وعليكم بالدعاء فإن المسلمين لم يدركوا نجاح الحوائج عند ربهم بأفضل من الدعاء والرغبة إليه والتضرع إلى الله والمسألة [2] .

فـ المنافقون بدلاً أن يوفوا للنبي صلى الله عليه وآله غدروا به، فذلقت السنتهم بالكذب، وسلام الله على أمير المؤمنين، حين قال: إن الوفاء توأم الصدق ولا أعلم جنة أوفى منه، ولا يغدر من علم كيف المرجع، ولقد أصبحنا في زمان قد اتخذ أكثر أهله الغدر كيساً ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة، مالهم قاتلهم الله قد يرى الحول القلب وجه الحيلة ودونه مانع من أمر الله ونهيه فيدعها رأي عين بعد القدرة عليها، وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين [3] .

ومن الأمثال المأثورة عندنا اليوم، المثل القائل: جراحات السنان لها التئام ولا يلتئم ما جرحه اللسان، بمعنى إن الجراحات المادية المحسوسة ممكن علاجها وشفائها، أما الجراحات الناجمة من الأشياء المعنوية، كأن تكون عبارة نابية، أو طعن في الشرف، فهذه ليس لها علاج .

ومما تجدر الإشارة إليه إن ضرر اللسان أكثر أذية من ضرب السيف، وعليه من الواجبات الملقاة على المسلمين رد الشبهات عن شخص النبي محمد صلى الله عليه وآله التي أخذها الملاحدة وأصحاب الأهواء المزيفة فروجوا لها وأشاعوها وأذاعوها حتى تناقلها الأعلام الكافر على الفضائيات، لا لشيء وإنما لغرض الإساءة إلى مقام النبوة، وقد نادينا بـ ذلك منذ إن أقامت كلية الآداب جامعة

---

١ البقرة /١٨ .

٢الكليني : الكافي ٤٠٦/٨ .

٣ الشريف الرضي : نهج البلاغة ٩٢/١ .

الكوفة مؤتمرها العلمي الدولي عن شخصية الرسول ﷺ بـ تاريخ ٢٠١١/٢/١٧ م فاقترحنا على المؤتمرون أن يكون مؤتمر خاص بـ رد الشبهات حول الشخصية المحمدية، لكن لم يحصل ذلك .

فقام الباحث بـ محاولات بسيطة، إذ كتب بحثاً تحت عنوان " الافتراءات على ولادة سيد الكائنات " رد فيه كثير من الشبهات التي أثيرت حول مولده المبارك، وهو منشور في مجلة آداب ذي قار، العدد السابع، المجلد الثاني، آب /٢٠١٢ وكذلك عقدت الروضة الحسينية المطهرة مؤتمر الاكاديمين العالمي السادس، على هامش مهرجان ربيع الرسالة، بـ تاريخ ٢٨-٢٠١٣/١/٢٩ م وقد تولت جامعة بابل كلية التربية الأساسية، مهام المؤتمر علمياً وإدارياً، تناول السيرة المحمدية، ولم تكن البحوث بذاك المستوى الذي يتلائم مع صاحب الذكرى، بل ورد فيها ما هو غير مقبول، وكان الباحث من المعترضين عليها، مما اضطره الوضع القائم أن يستغل الوقت المحدد لإلقاء بحثه، للرد على تلك الإساءات التي صدرت من جهات تراثهم الفكري مليء بها، والمحزن في الأمر عجزت أدارة المؤتمر أن ترد إشكالاتنا العلمية على البحوث الملقاة، سيما رئيس جلسة مناقشة البحوث، الأستاذ الدكتور عبد الغني زهرة، مصري الجنسية، الذي سألنا سؤال إرباكي، من صحيفة المدينة، وقد أصُيب بـ الدهشة عندما قدمنا له الأدلة الكافية على وضعها وعدم صحتها، وهذا الأمر حمل مدير عام البحث والتطوير في وزارة التعليم العالمي والبحث العلمي، أن يرد علينا، محاولاً حفظ ماء وجه المؤتمرون، مشيراً إن ما قدمناه يمثل وجهة نظرنا، علماً إن ما قلناه رؤية قرآنية لا رأينا، ومن شاء المزيد يراجع التسجيل على قناة كربلاء، لأنها بثت المؤتمر بثاً مباشراً .

وكذلك كتب الباحث بحثاً رد فيه شبهة ما يسمى بـ " صحيفة المدينة، أو دستور المدينة " وهي معمول بها سنوات تُدرس في اغلب الجامعات الإسلامية، وهو نص مزيف وغير صحيح، وعلى الرغم من وضعها عقد مركز دراسات الكوفة، مؤتمراً أسموه مؤتمر وثيقة المدينة، بـ ١٢- ٢٠١٢/٢/١٣ م بعدها نصاً أصلياً غير مزيفاً، وعندما قدم الباحث أدلة زيفها أقام المؤتمرون الدنيا ولم يقعدوها، وكان مدير المركز حاضراً، وبعد إن لاحظ حراجة موقفه، ولم يملك وسيلة علمية للرد، تفوه قائلاً وهو يخاطب الباحث، غداً سوف أتحداك والقي بحثي، وأقدم أدلة ثبوتها، وجاء غداً وجاء الأستاذ المساعد الدكتور هادي عبد النبي التميمي، وهو يحمل كيسين من المصادر المعتبرة بينت بطلان الوثيقة، وعلى اثر ذلك تبخر الجليد، وفي الوقت نفسه خرج الهوى من البالونات، ولم أجد الشخص الذي تحداني إلا وهو لا يحرك ساكن، وكل رجع إلى جحره مدبراً .

ومن بين التهم الذي تصدينا لها تهمة النبي ﷺ انه استشهد ولم يوص ولم يعين خليفته من بعده، في حين هو ثابت في مصادر العامة، إذ أقامت الروضة الحيدرية المطهرة مهرجان الغدير العالمي الأول، بـ تاريخ ٤-٨ / تشرين الثاني ٢٠١٢ فكانت مشاركتنا بعنوان " وصية النبي ﷺ للإمام علي عليه السلام في روايات العامة، وعلى المنوال نفسه عقدت الروضة الحيدرية المطهرة مهرجان الغدير الثاني، بـ تاريخ ٣٠/١٠/ ٢٠١٣ م فكانت مشاركتنا بحثاً تحت عنوان " حديث الولاية في روايات العامة " دفع فيه الباحث شبهات كثيرة .

وفي التدريس الجامعي كون الباحث، مدرساً لـ مادة السيرة المحمدية، فبعد كل ما ذكر في المنهج الدراسي المقرر هو شبهة تستوجب الرد، وذلك لأنه كُتب أيام النظام البائد، ولحد الآن لم يبدل، ثم هوية الكاتب معروفة، ألغت رأي الآخر تماماً، وملاحظات كثيرة لا يتسع الوقت لـ ذكرها، فولادته شبهة، ورضاعة من قبل حليمة شبهة، وشق صدره كذلك، وقضية ورقة بن نوفل علمه الوحي، مصيبة عظمى، ولقاءه بحيراء الراهب تلك الشخصية الوهمية، كارثة علمونا إياها في الجامعات العراقية، منذ ١٩٨٩ م ولحد الآن تلك المعلومة البائسة تنشد، وكذلك قضية فقره وذهابه في تجارة السيدة خديجة عليها السلام وكثير من الأوهام ردينا عليها رداً علمياً في التدريس الجامعي ووثقناها بـ كتاب ينعى من يطبعه على نفقته .

أما الشبهات الواجب ردها في هذا البحث، انه غير حافظاً صلاته ساهياً فيها، سماعاً الغناء، لم يعصم نفسه من ارتكاب الذنوب، لديه مغالطات في بعض أحاديثه، وغير عارفاً بـ الأحكام الشرعية، وعلاقاته مع زوجاته فيها شبهات .

ولهذا رأى الباحث أن هذه الإساءات أساسها المنافقون الذين استسلموا قهراً تحت قوة سيوف المسلمين حفاظاً على مكاسبهم الدنيوية، ولهذا وضعوا سيوفهم في أغمدتها لا يستطيعون القتال بها فشهروا ألسنتم يضعون الروايات ويفترون على النبي ﷺ ظلماً وعدواناً، ولهذا كان من الواجب إن نرد ولو جانباً بسيطاً منها .

عصمته

العصمة لغة: تعني الدفع يقال أن يعصمك الله من الشر، أي يدفع عنك [١] وكذلك المنع، يقال عصمه الطعام، أي منعه من الجوع، وأبو عاصم، كنية السويق، والعصمة، الحفظ، يقال اعتصمت بالله، إذا امتنعت بلطفه من المعصية [٢] .

وجاء في قصة ابن النبي نوح عليه السلام في قوله تعالى { قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ ... } [٣] أي لا معصوم إلا المرحوم، وقيل: هو على النسب أي ذا وذو عصمة، والاسم العصمة، وقال الأخفش [٤] لا عاصم اليوم يجوز أن يكون لا ذا عصمة أي لا معصوم، قال الأزهري [٥] والحذاق من النحويين اتفقوا على أن قوله لا عاصم بمعنى لا مانع، وأنه فاعل لا مفعول، واعتصم فلان بالله إذا امتنع به [٦] .

قال الفراء: المعصوم خلاف العاصم، والمرحوم معصوم، ولم يكن المعصوم عاصماً، وإذا جعلت العاصم في تأويل المعصوم، كأنك قلت لا معصوم اليوم من أمر الله جاز رفع كلمة من، ولو قيل لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم كأنك قلت لا يعصم الله اليوم الا من رحم [٧] .

وقال الزجاج: معنى يعصمني من الماء، أي يمنعني من الغرق، ولا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم، هذا استثناء ليس من الأول، المعنى لكن من رحم الله فإنه معصوم، ويكون لا عاصم، معناه لا ذا عصمة [٨] .

كما وردت العصمة في قوله تعالى {قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِّنَ الصَّاغِرِينَ } [٩] طبعاً الآية نزلت على لسان

---

١ الفراهيدي : العين ٣١٣/١ .
٢ الجوهري : الصحاح ١٩٨٦/٥ .
٣ هود/٤٣ .
٤ أبو الحسن سعيد بن مسعده ، مولى بنى مجاشع بن دارم ، أصله من خوارزم ، و،من مشاهير النحو في البصرة ،اخذ عن سيبويه وهو احد أصحابه ، وكان أسن منه ، وهو الطريق إلى كتاب سيبويه ، وذلك إن كتاب الأخير لا يعلم إن أحداً قرأه عليه ولا قراه سيبويه الكتاب ولكنه لما مات قرئ الكتاب على الاخفش ، مات سنة ٢١١هـ بعد الفراء ويقال سنة ٢١٥ هـ. ٠. الذهبي : سير ٤٨٢/١٤ .
٥ العلامة ، أبو منصور ، محمد بن أحمد بن الازهر بن طلحة الهروي اللغوي الشافعي ، رأساً في اللغة والفقه ، ثقةً ، ثبتاً ، ديناً يؤثر عنه قوله : امتحنت بالأسر سنة عارضت القرامطة الحاج بالهبير ، فكنت لقوم يتكلمون بطباعهم البدوية ، ولا يكاد يوجد في منطقهم لحن أو خطأ فاحش ، فبقيت في أسرهم دهراً طويلاً ، وأنتفعت منهم ألفاظاً جمة ، مات في ربيع الآخر سنة ١٣٧هـ ، عن ٨٨ سنة . الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣١٥ .
٦ ابن منظور : لسان العرب ٤٠٣/١٢ .
٧ معاني القرآن ٣٣٣/١ .
٨ معاني القرآن واعرابه ٣٣٠/٢ .
٩ يوسف/٣٢ .

زليخة، عندما تعلق قلبها بحب النبي يوسف عليه السلام فطلبت منه ما طلبت، لكنه استعصم بمعنى امتنع، وهذا هو السؤال، معنى العصمة هنا الامتناع عن ارتكاب الذنوب .

كما وردت في خطبة أمير المؤمنين عليه السلام عند مسير الناكثون إلى البصرة فقال: وإن في سلطان الله عصمة لأمركم، فأعطوه طاعتكم غير ملومة ولا مستكره بها [1]

وقد عصم الله سبحانه وتعالى النبي محمد (ص) من الخطأ بقوله تعالى {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى } [2] مقتضى القاعدة أن لا يصدر منه خطأ لا في قول ولا فعل ولا تقرير، ثم هو مبلغ التشريع عن الله سبحانه وتعالى، فلا يجوز عليه الخطأ أو عدم المعرفة، لكن مع ذلك انه لم يخلص من الاتهامات في هذا المورد .

بدليك هناك من ذهب إلى نفي عصمته، وهذا ما روي عن عبد الله بن مسعود [3] قوله: كنت معه ليلة وفد الجن فلما انصرف تنفس فقلت ما شأنك فقال نُعيت إلى نفسي [4] وعلى رواية: لما دخل مكة تلقته الجن بالشر يرمونه، فقال جبريل عليه السلام تعوذ بـــ هذه الكلمات " أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء وما يعرج فها ومن شر ما بث في الأرض وما يخرج، وما شر الليل والنهار ومن كل طارق إلا طارق يطرق بخير يا رحمن، فدحروا عنه [5] .

وكادته الشياطين في موقف ما، إذ تحدرت عليه من الأودية والشعاب وفيهم شيطان بيده شعلة نار يريد أن يحرق بها وجهه فهبط إليه جبريل عليه السلام فـــ لقنه الكلمات سالفة الذكر فطفئت نارهم وهزمهم الله تبارك وتعالى [6] .

وعليه نقول: كل بني آدم يتعوذون من الشيطان، بدليل عندما نقرأ القرآن نقول: أعوذ بالله من شر الشيطان اللعين الرجيم، والشيطان عدو الإنسان، يظهر من الرواية إن الشياطين أجسام مرئية تقطن الأودية والشعاب، ولها القدرة على حمل النار، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يستطع أن يمنع نفسه منها لولا نجده الله سبحانه وتعالى بـــ جبريل (ع) فعلمه كلمات قالهن وعلى أثرهن كتب الله له النجاة .

---

١ الشريف الرضي : نهج البلاغة ٨١/٢ .

٢ النجم/٣- ٤ .

٣ الباحث لا يقيم لأقواله حجة ، وقد درس شيئاً من حياته . المحمداوي : الإسراء والمعراج دراسة في سند روايات ابن إسحاق ، ت ١٥١هـــ . مجلة أبحاث البصرة ، مج ٤١ ، ع١ ، س ٢٠١٦ ، ص ١١٥ .

٤ ابن حنبل : مسند ٤٤٩/١ .

٥ ابن أبي شيبة : المصنف ١٠١/٧ .

٦ ابن حنبل : مسند ٤١٩/٣ .

وحاولوا تشويه السيرة المحمدية حتى أرادوا القول عنه انه رجل مسحور سحره اليهود، وهذا رواه أبو معاوية عن الأعمش عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم قال: سحره رجل من اليهود فاشتكى لذلك أياماً ،فجاء جبريل عليه السلام فقال إن رجلاً من اليهود سحرك عقد لك عقداً في بئر كذا وكذا فأرسل إليها من يجئ بها فبعث أمير المؤمنين عليه السلام فاستخرجها فجاء بها فحللها فقام النبي صلى الله عليه وآله كأنما أنشط من عقال فما ذكر لذلك اليهودي ولا رآه في وجهه قط حتى مات [١] .

وما يطعن في صحة الحديث، انه تجني من قبل العامة، بل خداعهم ومكرهم في وضع الأحاديث، جعلهم يضربون عصفورين بحجر، فوضعوا هذا السند لإضافة منقبة لأمير المؤمنين(ع) ومن خلالها قدحوا النبي محمد صلى الله عليه وآله وبفضل الله لم يذكر الحديث في كتب أهل السنة (الشيعة الامامية) وإنما رواته محسوبين عليهم ولم يرد في مصادرهم، فـ العامة كذبوا الكذبة وصفقوا لها وتناقلوها في مصادرهم [٢] والغريب هذا الحديث ذكره ابن كثير [٣] من دون التعرض له وهذا ينافي ما يعتقده في أمير المؤمنين (ع) إذ كان جل همه تنقيصه .

وسند الرواية مطعون فيه، من جهة أبو معاوية الضرير، محمد بن حازم التميمي الكوفي، هذا الرجل كله طعون، وكذلك سليمان بن مهران، الأعمش [٤] قال الطوسي: وهذه أخبار آحاد لا يعمل عليها في هذا المعنى[٥] وقال الهيثمي: رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح [٦] .

وما خص المتن نقول: هذا قول مردود لأن النبي محمد صلى الله عليه وآله كرامته في نفسه، وعصمته كذلك هو الذي عصم نفسه من المعاصي وارتكاب الذنوب وجعل من نفسه كريماً، فهاتان الصفتان اكتسبهما بنفسه ومن عمله، فـ إذا كانا من الله، لا يحمد عليهما لأن الله وجه فعله وخلق سلوكه، وهذا ما لا يقوله عاقل .

وما ذهب إليه أبي بكر هو تبرير لقوله: إن النبي صلى الله عليه وآله كان يعصم بالوحي، وكان معه ملك، وإن لي شيطاناً يعتريني [٧] وقوله وهو يجبذ لسانه إن هذا أوردني الموارد [٨] .

---

١ ابن حنبل : مسند ٣٦٧/٤ .
٢ ابن ابي شيبة : المصنف ٤٣٥/٥ ، النسائي : السنن الكبرى ٧٠٣/٢، الطبراني : المعجم الكبير ١٨٠/٥ ، السوطي : الدر المنثور ٤١٧/٦ ، الشوكاني : فتح القدير ٥١٩/٥ ، الصالحي الشامي : سبل الهدى ٢١/٧ .
٣ البداية ٦١٤/٤ .
٤ المحمداوي : عقيل /٢٠٦ .
٥ الخلاف ٣٢٩/٥ .
٦ مجمع الزوائد ٢٨١/٦ .
٧ عبد الرزاق : المصنف ٣٣٦/١١ ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢١٢/٣ .
٨ مالك : الموطأ٩٨٨/٢ ، ابن حنبل : العلل ١٣٢/٢ ، ابن أبي شيبة : المصنف ٢٣٧/٦ ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ١١/٥ ، الدارقطني : علل ١٠٩/١ .

وروي عن النبي ﷺ قوله: أنزلت الليلة آيات لم ير مثلهن قط قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس وهن المعوذتين [1] وكان كثيراً ما يعوذ الحسن والحسين (ع) بهما وقال بعضهم: إن الله سبحانه جمع الشرور في سورة الفلق، وختمها بالحسد، ليعلم أنه أخس الطبائع، نعوذ بالله منه [2] المفروض أن يتعوذ بهما علماً إنهما مكيتان .

وقال الطباطبائي: وما استشكل به بعضهم في مضمون الروايات إن النبي ﷺ كان مصوناً من تأثير السحر كيف؟ وقد قال الله تعالى {... وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَّسْحُوراً}[3] يدفعه أن مرادهم بالمسحور والمجنون بفساد العقل بالسحر واما تأثره عن السحر بمرض يصيبه في بدنه ونحوه فلا دليل على مصونيته منه [4] .

صلاته

أ – الوضوء في النبيذ:

النبيذ كلمة مشتقة من الفعل الثلاثي نبذ، وهو أحد المشروبات المحرمة شرعاً، كان الناس يشربونه في مكة على عصر النبي محمد (ص) على الرغم من نهيه لهم بعدم شرابه، وقد كان عمر بن الخطاب شريباً له حتى ساعة هلاكه [5] .

الوضوء شرحه أمير المؤمنين (ع) عملياً حين كان جالساً ومعه ابنه محمد إذ قال له أعطني إناء فيه ماء فأتاه به فصبه بيده اليمنى على يده اليسرى ثم قال: " الحمد لله الذي جعل الماء طهورا ولم يجعله نجسا " ثم استنجى فقال: " اللهم حصن فرجي وأعفه واستر عورتي وحرمها على النار " ثم استنشق فقال: " اللهم لا تحرم علي ريح الجنة واجعلني ممن يشم ريحها وطيبها وريحانها " ثم تمضمض فقال: اللهم أنطق لساني بذكرك واجعلني ممن ترضى عنه " ثم غسل وجهه فقال: "اللهم بيض وجهي يوم تسود فيه الوجوه ولا تسود وجهي يوم تبيض فيه الوجوه" ثم غسل يمينه فقال: " اللهم أعطني كتابي بيميني والخلد بيساري " ثم غسل شماله فقال: " اللهم لا تعطني كتابي بشمالي ولا تجعلها مغلولة إلى عنقي وأعوذ بك من مقطعات النيران " ثم مسح رأسه فقال: " اللهم غشني برحمتك وبركاتك وعفوك " ثم مسح على رجليه فقال: " اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم تزل فيه الأقدام واجعل سعيي فيما يرضيك عني " ثم التفت إلى ابنه فقال:

---

١ مسلم : صحيح ٢٠٠/٢ .
٢ الطبرسي : مجمع البيان ٤٩٤/١٠ .
٣ الفرقان/٨ .
٤ الطباطبائي : الميزان ٣٩٣/٢٠ .
٥ للتفصيل ينظر المحمداوي : شرب الخمر بين الشريعة والقانون ، مجلة ابحاث البصرة ، ع ٣ ب ، مج ٤٣ ، تشرين ١ س ٢٠١٨ ص ١٣ .

من توضأ بمثل ما توضأت وقال مثل ما قلت خلق الله له من كل قطـرة ملكـاً يقدسـه ويسـبحه ويكبره ويهلله ويكتب له ثواب ذلك [1] لا يخفى على كل أحد كم هي المبالغة في الثواب بحيـث لا يصدقه عقل عاقل .

وقبل أن نعرف تفصيلات الموضوع، لا بد من تعريف النبيذ لغة: وهو مشتق من الفعل نبذ، النبذ: طرحك الشيء من يدك أمامك أو وراءك، والمنبوذ، ما نبذ من عصير ونحوه، والعامة تقول أنبذت، نبذ تمراً جعله نبيذاً، وإنما سمي نبيذاً لأن الذي يتخذه يأخذ تمراً أو زبيباً فينبذه في وعاء أو سقاء عليه الماء ويتركه حتى يفور فيصير مسكراً، وإذا لم يسكر حلال فإذا أسكر حرم، وسواء كان مسكراً أو غير مسكر فإنه يقال له نبيذ، ويقال للخمر المعتصرة من العنب: نبيذ، كما يقال للنبيذ خمر [2] .

وهو حرام يوجب إقامة الحد على النشوان منه ودليل ذلك جيء بـ رجل نشوان إلى النبي ﷺ فقال: إني لم أشرب خمراً إنما شربت زبيباً وتمراً في دباء، فبهر بـ الأيدي وخفق بالنعال ونهى عن التمر والزبيب أن يخلطا، وقيل كان سكران فضربه فقال له أي شيء شربت قال نبيذ تمر وزبيب قال لا تخلطوها كل واحد يكفي وحده، وعلى رواية ضرب في الشراب بالنعلين أربعين[3].

ونهى عن شربه، وهذا ما قاله أبو موسى الأشعري: أتيته بنبيذ جريش فـ قال اضرب به الحائط لأنه شراب من لا يؤمن بالله واليوم الآخر [4] وشربه فسق يوجب رد الشهادة [5] وفي الرواية طعن لأبي موسى الاشعري، لأنه أراد أن يسقي النبي ﷺ خمراً، وعليه شهادته مردودة يوم التحكيم في معركة القاسطين .

ويحرم الاستشفاء به بدليل عندما مرض إسماعيل بن الإمام الصادق عليه السلام وُصف له دواء فيه نبيذ فقال: هو حرام وإنا أهل بيت لا نستشفي بالحرام [6] وحرمته متأت لأنه مسكر، وكل مسكر حرام [7] .

ولا يجوز الوضوء به، وذلك ليس كل شيء فيه ماء يطلق اسم الماء عليه، لان الخل، وماء الورد، وسائر المائعات فيها ماء ولا يطلق عليها اسم الماء ويتيمم مع وجودها، على أنه إذا

---

١ الكليني : الكافي ٣/٧٠ .
٢ ابن منظور : لسان العرب ٣/٥١١ .
٣ النسائي : السنن الكبرى ٣/٢٥٤ .
٤ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٠/١٠٩ .
٥ الطوسي : المبسوط ٨/ ١٠٩ .
٦ الكليني : الكافي ٦/٤١٤ .
٧ الآمدي : الأحكام ١/١٠ .

تناول النبيذ اسم الماء لأخذ صفة الماء المطلق، ووجبت مساواته في الماء، ويلزم جواز الوضوء به مع وجود الماء لأنه جار مجراه، وقد أجمعوا على خلاف ذلك، على أن الانبذة المسكرة عندنا نجسة، وما ليس بمسكر منها فما دل على أن المائعات كالخل وما أشبهه لا يجوز الوضوء بها يدل على أنه لا يجوز الوضوء به [١] .

وبعد هذا كله حاول بعض المنافقين الطعن في شخصية النبي محمد ﷺ من كل جوانبها، حتى قالوا انه غير معصوم من الخطأ، واضعين أدلة تنقص من قدره المحمود، متخذين من صلاته مثلبة فقالوا انه توضأ في النبيذ، وهذا الحديث له أصل واحد هو ابن مسعود، إذاً هو من أخبار الآحاد، ولكن تلاقفته الأيادي والألسن فطار في الآفاق، وفيه روايات:

الأولى: رواها يحيى بن اسحق عن ابن لهيعة عن قيس بن الحجاج عن حنش الصنعانى عن ابن عباس عن عبد الله بن مسعود انه كان مع النبي ﷺليلة الجن فقال له معك ماء قال معي نبيذ في أدواة فقال اصبب عليَّ فتوضأ وقال شراب وطهور [٢] تفرد به المصنف [٣] السند فيه ابن لهيعة مطعون فيه [٤] .

ورواه وكيع عن أبيه عن أبي فزارة عن أبي يزيد مولى عمرو بن حريث عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال له ليلة الجن " عندك طهور " قال لا إلا شيء من نبيذ في إداوة فقال: ثمرة طيبة وماء طهور"[٥] قال أبو داود عن أبى زيد أو زيد: كذا قال شريك، ولم يذكر هناد ليلة الجن [٦] وكذلك لم يذكر انه توضأ به .

وذكر ابن كثير الحديث ولم ينكره فـــ قال: تفرد به أحمد من هذا الوجه وأورده الدارقطني من طريق آخر عن ابن مسعود رضي الله عنه به " [٧] ونحن في هذا المقام نقول: إذا كان احد رجالات أهل السنة (الشيعة الامامية) روى هذا الحديث، أكان مترضياً عليه، أم ينهال عليه سباً وشتماً وقدحاً لا بل حتى تكفيراً، وكتابه البداية والنهاية شاهد صدق على ذلك، والمشكل إن الرجل

---

١ الشريف المرتضى : الناصريات /٧٦ .
٢ ابن حنبل : مسند ١/ ٣٩٨ .
٣ ابن ماجة : سنن ١٣٥/١ .
٤ المحمداوي : كربلاء ارض كرب وبلاء ، مبحث روايات عائشة ،
٥ ابن أبي شيبة : المصنف ٣٨/١ ، أبو يعلى الموصلي : مسند ٢٠٣/٩ .
٦ أبو داود : سنن ٢٧/١ .
٧ ابن كثير : تفسير ١٧٨/٤ .

مفتري بدليل استشهاده بما قاله الدراقطني مصداقاً على صحة الحديث، وعندما راجعناه وجدنا عكس ذلك تماماً، ومن ذلك تضعيفه الحديث بـــ قوله: تفرد به ابن لهيعة وهو ضعيف الحديث [١].

الثانية: رواها سفيان الثوري وإسرائيل عن أبي فزارة العبسي عن أبي زيد مولى عمرو بن حريث عن عبد الله بن مسعود قال: لما كان ليلة الجن تخلف منهم رجلان، فقالا للنبي ﷺ نشهد معك صلاة الفجر، فقال لي: معك ماء ؟ قلت: لا، ولكن معي إداوة فيها نبيذ، فقال: تمرة طيبة وماء طهور فتوضأ، قال إسرائيل: في حديثه، ثم صلى الصبح [٢] إذاً مدار الحديث على أبي زيد، وهو مجهول عند أهل الحديث [٣] ولا يعرف بصحبته ابن مسعود [٤] وهذا الحديث أطبق علماء السلف على تضعيفه [٥] .

الثالثة: رواها أبو سعيد عن حماد بن سلمة عن على بن زيد بن جدعان عن أبى رافع عن ابن مسعود إن النبي ﷺ ليلة الجن خط حوله فكان يجئ أحدهم مثل سواد النخل وقال لي لا تبرح مكانك فاقرأهم كتاب الله عز وجل فلما رأى الزط قال كأنهم هؤلاء وقال النبي ﷺ أمعك ماء قلت لا قال أمعك نبيذ قلت نعم فتوضأ به [٦] .

قال ابن عدى: هذا الحديث مداره على ابن فزارة عن ابى زيد مولى عمرو بن حريث عن ابن مسعود وابو فزارة مشهور واسمه راشد بن كيسان وابو زيد مولى عمرو بن حريث مجهول ولا يصح هذا الحديث عن النبي ﷺ وهو خلاف القرآن، وروي هذا الحديث عن أبي سلام عن فلان بن غيلان الثقفي عن ابن مسعود، وعن ان لهيعة عن قيس بن الحجاج عن حنش عن ابن عباس عن ابن مسعود، ورواه محمد بن عيسى بن حبان عن الحسن بن قتيبة بـــ إسناده له إلى ابن مسعود، ورواه الحسين بن عبيد الله العجلى بـــ إسناد له عن ابن مسعود ولا يصح شيء من ذلك، ورواه أبو بكر بن الحارث الفقيه عن أبي الحسن الدارقطني الحافظ في تضعيف هذه الأسانيد علي بن زيد ضعيف وليس هذا الحديث من مصنفات حماد بن سلمة والرجل الثقفى الذى رواه عن ابن مسعود مجهول قيل اسمه عمرو وقيل اسمه عبد الله بن عمرو بن غيلان وابن لهيعة ضعيف الحديث لا يحتج بحديثه والحسن بن قتيبة ومحمد بن عيسى ضعيفان والحسين بن عبيـــد

---

١ سنن ٧٨/١ ، ينظر القرطبي : الجامع ٢١٣/١٦ .
٢ عبد الرزاق : المصنف ١٧٩/١ ، ابن حنبل : مسند ١/ ٤٤٩ ، البيهقي : السنن الكبرى ٩/١ .
٣ ابن ماجة : سنن ١٣٥/١ .
٤ البيهقي : السنن الكبرى ١٠/١ .
٥ ابن حجر : فتح الباري ٣٠٥/١ .
٦ ابن حنبل : مسند ٤٥٥/١ .

الله العجلى هذا يضع الحديث على الثقاة [١] .

وذكره ابن عدي: فقال ممن غلبت عليه الكنية ولم يسم وعرف بكنيته وان سموا لم تصح أسماؤهم أبو زيد مولى عمرو بن حريث سمعت ابن حماد يقول قال البخاري أبو زيد، رجل مجهول يعرف بصحبة عبد الله [٢] وابن لهيعة كذاب معروف بالكذب [٣] .

إن صح ذلك معناه سُنة، وهناك من رتب أثراً على ذلك، وخصص باباً اسمه باب الوضوء بالنبيذ [٤] السؤال هنا، ما هو موقف الشريعة المحمدية من هذا الشرب، وما تفسير حمله من قبل ابن مسعود وهو خارج للحج ؟ وهل هو خادم النبي محمد ﷺ ؟ وقد بينا سوء حاله [٥] ولماذا يصب عليه وهو يتوضأ ؟ وهل يجوز ذلك في الوضوء ؟ .

وما ورد في الرواية قدحاً لأبن مسعود، لأن النبيذ شرابه وهو أمر محرم، والنبي ﷺ لا يجوز عليه فعل المحرمات، وعليه نقول: ما الموجب إلى ذلك، أراد أن يصلي ولم يجد ماءً عليه بالتيمم، وهذا ما ورد في قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىَ تَغْتَسِلُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً } [٦] والتيمم عملية فيها تفصيلات يمكن مراجعتها في بابه [٧] .

وهذه آية واضحة الدلالة بينة المعنى، تفيد حلية التيمم في التراب بدلاً من الماء، في حالة عدم توافره، ولم تقل الوضوء بـــ النبيذ، ومع ذلك هناك من حاول أبعادها عن الحادثة ليفسح المجال عن صحة الحديث، فـــ قال نزول الآية بـــ المدينة بلا خلاف، والحادثة كانت بمكة [٨] وهذا ما يعبر عنه عذر أقبح من فعل، وينقضه تحريم النبيذ، هل كان مباحاً في هذه الفترة ؟ وماذا عن الذين شربوه قبل التحريم ؟ وماذا عن الذين لم يشربونه ؟ الاثنان سواء في الحكم، هل العدل الآهي يقبل ذلك ؟ .

---

١ البيهقي : السنن الكبرى ١٠/١ .
٢ ابن عدي : الكامل ٢٩١/٧ .
٣ ينظر المحمداوي : القبائل المذكورة في لامية أبي طالب / ٥ .
٤ أبو داود : سنن ٢٧/١ .
٥ المحمداوي : الإسراء والمعراج دراسة في سند روايات ابن إسحاق ، ت ١٥١هـــ . مجلة أبحاث البصرة ، مج ٤١ ، ع ١ ، س ٢٠١٦ .
٦ النساء/٤٣
٧ ابن بابويه : فقه الرضا (ع) /٨٨ .
٨ ابن حجر : فتح الباري ٣٠٥/١ .

وقف عندها الشريف المرتضى فـ قال: إنها لم تجعل وساطة بين الماء والتراب، ومن فعل ذلك أبو حنيفة الذي خالف الظاهر، وكانت واسطته النبيذ، وليس له أن يقول: في النبيذ ماء، فمن وجده كان واجداً الماء، ولا يجوز انتقاله إلى التراب وذلك ليس كل شيء كان فيه ماء يطلق عليه اسمه، لان الخل، وماء الورد، وسائر المائعات فيها ماء ولا يطلق عليها اسمه ويتيمم مع وجودها، على أنه إذا تناول النبيذ اسم الماء دخل تحت الآية الكريمة كـ دخول الماء المطلق، ووجبت مساواة النبيذ الماء في حكمها، ويلزم جواز الوضوء به مع وجود الماء لأنه جار مجراه، وقد أجمعوا على خلاف ذلك، على أن الانبذة المسكرة عندنا نجسة، ولا يجوز الوضوء بـ النجس، وما ليس بمسكر منها فما دل على أن المائعات كالخل وما أشبهه لا يجوز الوضوء بها، ولا يجوز الوضوء بالماء المستعمل، في تطهير الأعضاء والبدن الذي لا نجاسة عليه، وإذا جمع في إناء نظيف كان طاهراً مطهراً، ووافقنا في ذلك الحسن البصري والنخعي والزهري وسفيان الثوري ومالك، وداود، وقيل: إن مالكاً كرهه بعض الكراهية، وقال أبو حنيفة وأصحابه إن الماء المستعمل لا يجوز الوضوء به، واختلفوا في نجاسته، فقال أبو يوسف: نجس وروي مثل ذلك عن أبي حنيفة، والصحيح من قول الأخير أنه طاهر غير مطهر، وهو قول محمد بن الحسن والشافعي، وقال عيسى بن أبان: أنه طاهر مطهر، وذلك غير معمول عليه [١] .

وأجاز أبو حنيفة من بين معظم أصحابه، وفقهاء الأمصار الوضوء بنبيذ التمر في السفر [٢] وهذه حجة ساقطة لأن الوضوء هو نفسه في السفر أو في غيره .

وهناك من قال: إذا ألقى في الماء تمرات فحلا ولم يزل عنه اسم الماء جاز الوضوء به بلا خلاف يعني عندهم واستدلوا بحديث بن مسعود هذا أو هو أمرهم على ماء ألقيت فيه تمرات يابسة لم تغير له وصفاً وإنما كانوا يصنعون ذلك لأن غالب مياههم لم تكن حلوة [٣] وهذا غير مقبول لأنه أصبح ماء مضاف .

وهناك من فتح باب اسماه، باب الرجل لا يجد إلا نبيذ التمر هل يتوضأ به أو يتيمم واستدل بحديث ابن لهيعة وأبي رافع مولى عمر، وذهب قوم إلى أن من لم يجد إلا نبيذ التمر في سفره توضأ به واحتجوا في ذلك بهذه الآثار وممن ذهب إلى ذلك أبو حنيفة وخالفهم آخرون فقالوا لا يتوضأ به ومن لم يجد غيره تيمم ولا يتوضأ به وممن ذهب إلى هذا القول أبو يوسف وكان من الحجة لأهل هذا القول على ما رواه ابن مسعود إنما بـ طرق ليست تقوم بها الحجة عند من

---

١ الشريف المرتضى : الناصريات/٧٦ .

٢ ابن رشد الحفيد : بداية المجتهد ونهاية المقتصد ١/٣٠ .

٣ ابن حجر : فتح الباري ١/٣٠٥ .

يقبل خبر الواحد ولم يجئ أيضاً المجئ الظاهر فيجب على من يستعمل الخبر إذا تواترت الروايات به فهذا مما لا يجب استعماله لما ذكرنا على مذهب الفريقين [١] .

وإن ابن مسعود لم يكن مع النبي ﷺ ليلة الجن، رواه الشعبى عن علقمة قلت لابن مسعود هل صحب النبي ﷺ ليلة الجن منكم أحد ؟ فقال لا ولكنا فقدناه ذات ليلة فقلنا اغتيل أستطير ما فعل ؟ فلما كان في وجه الصبح أو في السحر إذا نحن به جاء من قبل حراء فقال: أتاني داعى الجن فأتيتهم فقرأت عليهم القرآن، فانطلق بنا فـ أرانا آثارهم [٢] هناك سؤال هل عمل الجن بـ أذن الله أم بـ أذن الشيطان ؟ .

وقيل لأبي عبيدة: أكان ابن مسعود مع النبي ﷺ ليلة الجن ؟ قال: لا [٣] قال النووي: هذا صريح في إبطال الحديث المذكور فيه الوضوء بالنبيذ، وحضور ابن مسعود معه ليلة الجن فان هذا الحديث صحيح وحديث النبيذ ضعيف باتفاق المحدثين [٤] ولا ندري كيف نعلق، أنضحك أم نبكي ؟ ولكن شر البلية ما يضحك، والأفضل نبكي، رجل مثل هذا ما كان همه الدفاع عن النبي، بقدر ما يدافع عن ابن مسعود، جل همه ان يكون حاضر الواقعة، وقد نسى في حضوره ضرراً على النبي ﷺ نحن نريد إبعاده حتى ندفع الشبهة هو يصر على حضوره .

وفي رواية أخرى عن ابن مسعود إن النبي ﷺ أتاه ليلة الجن ومعه عظم حائل وبعرة وفحمة فقال لا تستنجين بـ شيء من هذا إذا خرجت إلى الخلاء [٥] ولم يرد فيها قضية الوضوء.

وإذا أراد أن ينام وهو جنب غسل فرجه وتوضأ للصلاة، وإن عمر بن الخطاب سأله أيرقد احدنا وهو جنب قال نعم إذا توضأ أحدكم فليرقد وهو جنب [٦] وكذلك قال عمر " رأيت النبي ﷺ بعد الحدث توضأ ومسح على الخفين " [٧] وروى ذلك عطاء بن عبد الله عن أنس قوله: كنت مع النبي ﷺ في سفر فتخلف لحاجته ثم جاء فقال هل من ماء فأتيته بماء فتوضأ ثم مسح على الخفين ثم لحق بالجيش فأمهم [٨] وهذا السند فيه عطاء بصري سكن الشام مطعون فيه [٩]

---

١ ابن سلمة : شرح معاني الآثار ٩٤/١ .
٢ ابن حنبل : مسند ٤٣٦/١ ، مسلم : صحيح ٣٦/٢ .
٣ ابن أبي شيبة : المصنف ٦٣/٨ ، ابن حنبل : العلل ٢٨٤/١ ، أبو داود : سنن ٢٧/١ ، البيهقي : السنن الكبرى ١١/١، الحاكم النيسابوري : المستدرك ٢٦٩/١ .
٤ شرح مسلم ١٦٩/٤ .
٥ ابن حنبل : مسند ١/ ٤٥٧ .
٦ البخاري : صحيح ٧٥/١ .
٧ ابن حنبل : مسند ٢٠/١ .
٨ ابن ماجة : سنن ١٨٢/١ ، ابو يعلى : مسند ٣٣١/٦ ، الطبراني : مسند الشاميين ٢٩٧/٣ .
٩ المحمداوي : البداية والنهاية ، لأبن كثير ، مصدراً عن سيرة الإمام الحسين عليه السلام ، قيد النشر مجلة الكلية الإسلامية الجامعة لسنة ٢٠١٧ ص ٦ .

والحديث مكذوب، لم يثبت لأهل التحقيق صحته، وإنما هو من صنع فلان فـــ أضـــافوه للنبـــي محمدﷺ وأكثر ما يقدح في صحته، إن صاحبه رواه عن أنس بن مالك مرسل، وكذلك كل مـــن ذكر هنا من الصحابة [1] أي لم تثبت له رواية عن من أسموهم بـــ الصحابة .

وقال ابن مهدي: عندي عن المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ في المسح على الخفين ثلاثـــة عشر حديثاً " [2] وهذه التهمة رديناها في صلاة عمر انه كان يمسح على الخفين .

ب – صلى الفجر والشمس طالعة: لم يكتفِ المنافقون بذلك بل طعنوا في صلاته، ولا يخفى على أي أحد إن الصلاة عمود الدين، ولأهميتها جعلها النبي ﷺ من أفضل الأعمال إذا كانت على أوقاتها [3] .

وبما أن الصلاة على هذا القدر من الأهمية، وجب علينا إعطاءها ما تستحق من الاهتمام، ولا سيما النبي كونه المبلغ عن الله سبحانه وتعالى أوامره ونواهيه، وعليه يجب أن نورد ما أورده المنافقون عن صلاته منها انه غشيه النعاس، فـــ طلعت عليه الشمس ولم يصل الصبح، وهذا ما قاله ابن مسعود: لما انصرفنا من غزوة الحديبية سنة ٦هـــ قال النبي ﷺمن يحرسنا الليلة فقلت أنا حتى عاد مراراً قلت أنا، قال فـــ أنت إذاً، فحرستهم حتى إذا كان وجه الصبح أدركني قول النبي ﷺانك تنام فنمت فما أيقظنا إلا حر الشمس في ظهورنا فقام النبي ﷺوصنع كما كان يصنع من الوضوء وركعتي الفجر ثم صلى بنا الصبح فلما انصرف قال إن الله عز وجل لو أراد أن لا تناموا لم تناموا ولكن أراد أن تكونوا لمن بعدكم فهكذا لمن نام أو نسى [4] .

ما نسب إلى النبي ﷺ في هذه الرواية أمر غير صحيح لأنه عارفاً تماماً إن ابن مسعود سوف ينام، فـــ الأجدر به وضع شخصاً غيره للحراسة، هذا من جانب، ثم انه معسكر كامل اقصد جيش من المسلمين كانوا عائدين من غزوة، وهذا العدد لا يكفي ابن مسعود حراستهم بمفرده المفروض معه حراس، من جانب آخر يبطل الرواية، وبما انه نبي ومعصوم بالوحي كان به أن يأتيه يوقظه للصلاة مثلما أتاه ونبهه على عدم طهارة نعاله الذي صلى فيه [5] .

وفي رواية حبسته عائشة عن صلاة الفجر، وأتاه بلال يؤذنه بالصلاة فشغلته بـــأمر ســـألته عنه حتى طلع الصبح، فقام فآذنه بالصلاة وتابع آذانه فلم يخرج فلما خرج فصلى الناس أخبـــره أن عائشة شغلته حتى أصبح الصبح وأنه أبطأ عليه بالخروج فقال إني ركعت ركعتي الفجر فقـــال

---

١ المزي : تهذيب الكمال ١٠٧/٢٠ .
٢ ابن أبي حاتم : الجرح ٢٦١/١ .
٣ البخاري : صحيح ٢٠٠/٣ .
٤ ابن حنبل : مسند ٣٩١/١ .
٥ ابن حنبل : مسند ٣٤٠/٣ .

يا رسول الله إنك قد أصبحت جداً قال لو أني أصبحت أكثر مما أصبحت لركعتهما وأحسنتهما وأجملتها [1] .

ت ــ حبسه المشركون عن صلاة العصر حتى اصفرت أو احمرت الشمس فقال شغلونا عن الصلاة الوسطى ملأ الله أجوافهم أوحشا الله أجوافهم وقبورهم ناراً [2] وانه جمع أربع صلوات في آن واحد: قاله ابن مسعود: كنا مع النبي ﷺفحبسنا عن صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء فاشتد ذلك عليَّ ثم قلت نحن مع النبي ﷺوفي سبيل الله فــ أمر بلالاً فأقام الصلاة فصلى بنا الظهر ثم أقام فصلى بنا العصر ثم أقام فصلى بنا المغرب ثم أقام فصلى بنا العشاء ثم طاف علينا فــ قال ما على الأرض عصابة يذكرون الله عز وجل غيركم [3] .

وهذه الرواية كشفت عن جهل واضعها، بـــ دليل قوله تعالى {حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ } [4] فكيف لا يحافظ عليها وهو نبي الله ﷺ ومبلغ أوامره إلى العباد؟ فــ إذا كان هكذا ؟ فما يقال عن الإمام الحسين عليه السلام الذي لم يتركها عند اشتداد المعركة في وافعة الطف ؟ .

ج – كان ساهياً في صلاته: ويبدو إن وجه البلاء، كان من ابن مسعود الذي روى كــل شــاذ وغريب، فعلى سبيل المثال قوله: صلى النبي ﷺ الظهر أو العصر خمساً فلما انصرف قيــل لــه أزيد في الصلاة قال لا قالوا فانك صليت خمساً فسجد سجدتي السهو ثم قال إنما أنا بشر أذكر كما تذكرون وأنسى كما تنسون [5] وروى سعيد بن عبد الرحمن بن ابزي عن أبيه قال: إن النبيﷺ نسي آية من كتاب الله وفي القوم أبي فقال نسيت آية كذا [6] وهذا يتعارض مــع قولــه تعــالى {سَنُقْرِؤُكَ فَلَا تَنسَى}[7] وهذا الرجل مجهول، غير معروف رواياته مخالفة سُنة النبي ﷺ [8] .

وفي سورة النجم وعلى وجهة التحديد في الآيتين التاسعة عشر إلى العشرين، نسب إلى النبي محمد ﷺالسهو، وذلك أنه كان يصلي، إذ نزلت عليه قصة آلهة العرب، فجعل يتلوها فسمعه المشركون فقالوا: إنا نسمعه يذكر آلهتنا بخير فدنوا منه، فبينما هو يتلوها وهو يقول: {أَفَرَأَيْتُمُ

---

١ ابن حنبل : مسند ١٤/٦ .
٢ ابن حنبل : مسند ٤٠٣/١ .
٣ ابن حنبل : مسند ٤٢٣/١ .
٤ البقرة/٢٣٨ .
٥ ابن حنبل : مسند ٤٢٠/١ .
٦ ابن خزيمة : صحيح ٧٣/٣ .
٧ الأعلى/٦ .
٨ المحمداوي : دراسات في زوجات النبي محمد ﷺ مبحث الجونية زوجته ، كتاب غير منشور .

اللَّاتَ وَالْعُزَّى *وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى}[1] ألقى الشيطان: إن تلك الغرانيق العلى، منها الشفاعة ترتجى، فجعل يتلوها، فنزل جبريل عليه السلام فنسخها، ثم قال له [2] {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }[3] وإن فاعل الفعل شيطاناً يقال له الأبيض[4] .

وبهذا أساء بعض المفسرون إلى كل الأنبياء، فـ قالوا: لكل نبي شيطان يجتليه والعياذ بالله، ونحن في مذهبنا نبرئهم من ذلك ونعده افتراءً، بدليل قوله تعالى في النبي محمد ﷺ {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى}[5] وهذا يمثل سباً له إذ نسبوا إليه الكفر، وأي سب أعظم من ذلك [6] وقد وقف الشيخ المفيد عند هذه التهمة ومن شاء فلينظره [7] .

وفي فكر أهل السنة (الشيعة الإمامية) إن النبي ﷺ لم يفعل ذلك، بدليل ما رواه زرارة عندما سأل الإمام الباقر عليه السلام بقوله " هل سجد النبي ﷺ سجدتي السهو قط ؟ فقال: لا ولا يسجدهما فقيه " فـ أما الأخبار التي قدمناها من أنه سها فسجد فـ إنها موافقة للعامة [8] .

ح ـ لم يقتصر الأمر على السهو في الصلاة بل صيروه، يصلي في نعله وفيها قذارة، وهذا ما رواه أبو كامل عن حماد عن أبي نعامة السعدى عن أبي نضرة عن أبى سعيد الخدري قال صلى بنا النبي ﷺ ذات يوم فلما كان في بعض صلاته خلع نعليه فوضعهما عن يساره فلما رأى الناس ذلك خلعوا نعالهم فلما قضى صلاته قال ما بالكم ألقيتم نعالكم قالوا رأيناك ألقيت نعليك فالقينا نعالنا فقال: إن جبريل أتاني فاخبرني إن فيهما قذراً أو قال أذى فـ القيتهما فإذا جاء أحدكم إلى المسجد فلينظر في نعليه فان رأى فيهما قذراً أو قال أذى فـ ليمسحهما وليصل فيهما قيل لم يجئ في هذا الحديث بيان ما كان في النعل[9] وينقض قضية القذارة في نعله تأكيده على الطهارة في قوله " مفتاح الجنة الصلاة ومفتاح الصلاة الطهور"[10] .

---

١ النجم /١٩-٢٠ .
٢ الحج/٥٢ .
٣ الطبري : جامع البيان ١٧/ ٢٤٧ .
٤ القرطبي : الجامع ٨٤/١٢ .
٥ النجم/٣ .
٦ العلامة الحلي : تذكرة ٤٦٩/٢ .
٧ المفيد :عدم سهو النبي ﷺ/٢٥ .
٨ الطوسي : تهذيب الأحكام ٣٥٠/٢ .
٩ ابن حنبل : مسند ٣٠٥/٢ .
١٠ ابن حنبل : مسند ٣٤٠/٣ .

ح – كان شاكاً في صلاته، قالته عائشة: صلى النبي ﷺفي بيته وهو شاك فصلى جالساً وصلى وراءه قوم قياماً فأشار إليهم أن اجلسوا فلما انصرف قال إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا ركع فاركعوا وإذا رفع فارفعوا وإذا صلى جالساً فصلوا جلوساً [١] .

وروى عبد الولى بن عبد الرحمن الخطيب وعيسى بن بركة السلمى وجماعة عن عبد الله بن عمر عن سعيد بن احمد حضورا عن محمد الزينبي عن أبي بكر بن عمر عن ابن صاعد عن أبي الاشعث عن يزيد بن زريع عن روح عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال: صلى بنا رسول ﷺ صلاة زاد فيها أو نقص فلما فرغ قلنا يا رسول الله ﷺ أحدث في الصلاة شيء ؟ فثنى رجله فسجد سجدتين، وبه قال ابن صاعد وزاد أبو بكر الاثرم عن محمد بن المنهال عن يزيد في هذا الحديث: قلنا صليت كذا وكذا وذكر الحديث [٢] .

ولا يقول قائل، إذا كان النبي ﷺ لم يشك في صلاته، لِمَ وضعت صلاة لهذا الغرض، رواها عنه عبد الله بن جعفر قال " من شك في صلاة فليسجد سجدتين بعد ما يسلم " [٣] نقول هذا من باب التعليم لنا، ولم يكن بالضرورة هو فعلها، وهذا هو جزء من عمله بعده المبلغ عن الله سبحانه وتعالى، وهو معصوم من كل شيء، لكن العامة ألصقت به هذه التهم وجب علينا ردها، ومن الرد ما قاله المنطق، مثلما أتاه جبريل وأمره بخلع نعاله لأن فيه قاذورات، الأجدر به أن يخبره قبل الصلاة، أو قبل أن يضع قدميه عليها ينهاه عن ذلك، أما هذا المجيء المتأخر لا فائدة منه، ثم نحن أهل السنة لا يجوز عندنا الصلاة في النعل لأنه قذر ممكن أن يطأ به صاحبه كل شيء يجب خلعه عند الصلاة، أما العامة يصرون على ذلك، وعلينا أن نعرف ما حكم صلاته وفي نعله قذر، فحتماً تكون صلاته باطلة لا بد من أعادتها لكنه لم يعيدها .

والعجيب إن القوم يضعونه في مرحلة دون مستوى الإنسان العاقل، في حين يتعاملون مع علماءهم بمرتبة أعلى بكثير بحيث لا يجوز عليهم الخطأ، ونذكر مثلاً عن ذلك قاله الذهبي في معرض حديثه عن الغزالي [٤] قال " إمام كبير، وما من شرط العالم أنه لا يخطئ " [٥] فكيف إذا كان النبي لِمَ يقولون يسهو في الصلاة ؟ وكذلك عندهم عصمة الصحابة وعدالتهم ولا يجوز الكلام

---

١ البخاري : صحيح ١٦٩/١ .
٢ الذهبي : تذكرة الحفاظ ٥٧٠/٢ .
٣ الشريف المرتضى : الناصريات /٢٤٩ .
٤ الشيخ الإمام البحر ، حجة الإسلام ، أعجوبة الزمان ، زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي ، الشافعي ، الغزالي ، صاحب التصانيف ، والذكاء المفرط ، ت ٥٠٥هـ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ٣٢٢/١٩ .
٥ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٣٣٩/١٩ .

عنهم والطعن فيهم، وهذا ما سميناه الحصانة البرلمانية، وكأنهم أعضاء البرلمان العراقي من بعد عام /٢٠٠٣م .

خ – انه لا يتم التكبير في الصلاة، قاله سعيد بن عبد الرحمن بن أبزي عن أبيه، صليت خلف النبي ﷺ فكان لا يتم التكبير"[١] بحثنا عن هذا الرجل، فلم نعرفه، وقد وردت عنه روايات عدة منها: كان النبي ﷺيوتر بسبح اسم ربك الأعلى، وقل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد، فإذا أراد أن ينصرف من الوتر قال: سبحان الله الملك القدوس، ثلاث مرات، ثم يرفع صوته في الثالثة"[٢] .

وروى معاوية عن النبي ﷺ قال لا تبادروني بالركوع ولا بالسجود فإنه مهما أسبقكم به إذا ركعت تدركوني به إذا رفعت ومهما أسبقكم به إذا سجدت تدركوني به إذا رفعت فإني قد بدنت [٣].

وهذا نوع من الافتراء ومن الأمور المعيبة إن تفتري الأمة على رسولها وتنقل أحاديث الفجرة الفسقة وتتكرر في بعض المصادر، وليت المصيبة تقف عند معاوية فقط بل طولت القضية، من قبل الشراح الذين شرحوا الحديث على انه صحيحاً بدلاً من أن يرفضونه، على سبيل المثال قال الزمخشري: بدنت، البدن أي صرت بدنا، والبدن المسن [٤] وبدلها الراغب الأصفهاني، محاولاً تخفيفها فقال: بدنت "أي كبرت وأسننت[٥] وهذه ينفيها عمره الشريف عند استشهاد ﷺ وهو في عمر ثلاث وستين حسب رواية معاوية نفسه[٦] متى كبر وأسن؟ .

وما يخص السمنة ردها ابن الأثير فقال: البدانة هي كثرة اللحم، ولم يكن النبي ﷺ سميناً، وقد جاء في صفته ﷺ انه بادن متماسك، والبادن الضخم، فلما قال بادن أردفه بمتماسك، وهو الذي يمسك بعض أعضائه بعضاً، فهو معتدل الخلق [٧] وهذا لأن النبي ﷺ لم يكن سميناً بل هذه صفة معاوية انه بديناً سميناً وقد طرقناها سابقاً فهو رفعها عن نفسه وألقاها على غيره .

د – يمذي على ملابسه، قالت عائشة " كنت أفرك المنى من ثوب النبي ﷺ" [٨] وقالت في موضع آخر: اغسل الجنابة من ثوبه فيخرج إلى الصلاة وان بقع الماء فيها [٩] .

---

١ ابن أبي شيبة : المصنف ٢٧٢/١ .
٢ عبد الرزاق : المصنف ٣٢/٣ .
٣ ابن الجارود: المنتقى /٨٩ ، الحميدي : مسند ٢٧٣/٢ ، ابن ماجة: سنن ٣٠٩/١ ، الطبراني : المعجم الكبير ٣٦٧/١٩.
٤ الفائق ٧٦/١ ، ينظر ابن منظور : لسان العرب ١٣/ ٤٨ .
٥ مفردات غريب القرآن/٣٩ .
٦ الطبراني : المعجم الكبير ٣١٢/١٩ .
٧ النهاية في غريب الحديث ١٠٧/١ .
٨ ابن راهوية : مسند ٩٦٧/٣ ، النسائي : السنن الكبرى ١٢٨/١ ، الطبراني : المعجم الصغير ١٤٨/٢ .
٩ البخاري : صحيح ٦٣/١ .

ذ- وكان النبي ﷺ يضع رأسه في حجر ميمونة بنت الحارث زوجتــه، أو أحــدى ضــراتها وهي حائض ثم يتلو القرآن وإن كانت إحداهن لتقوم إليه بخمرته فتبســطها لــه وهــي حــائض فيصلي عليها، وكذلك قالت صلى في ثوب مرط كان بعضه عليه وبعضه عليَّ وأنا حــائض، وإذا سجد لو أرادت بهمة أن تمر من تحته لمرت مما يجافي، وإنه اغتسل من الجنابة فغســل فرجــه بيده ثم دلك بها الحايط ثم غسلها ثم توضأ وضوءه للصلوة فلما فرغ من غسله غسل رجليــه [١] ونحن نقول ما الموجب لهذا كله .

ونقيض ذلك ما رواه عبد الله بن نمير عن الاجلح قال سمعت زيد بن علي بن حسين يقول ما وضع رسول الله رأسه في حجر امرأة ولا تحل له بعد النبوة إلا أم الفضــل فإنهــا كانــت تفليــه وتكحله فبينا هي ذات يوم تكحله إذا قطرت قطرة من عينها على خده فرفع رأسه إليها فقال ما لك فقالت إن الله نعاك لنا فلو أوصيت بنا من يكون بعدك إن كان الأمر فينا أو في غيرنا قــال إنكــم مقهورون مستضعفون بعدي [٢] .

بيت خديجة عليها السلام

خديجة زوج النبي ﷺ وما أدراك ما هي ؟ صاحبة المناقب الجليلة، ومنها إن الله سبحانه وتعالى كان يقرأها السلام، إذ جاء جبريل إلى النبي ﷺ وهي عنده فقال إن الله يقرئها السلام فقالت إن الله هو السلام وعلى جبريل السلام وعليك السلام ورحمة الله وبركاته [٣] .

ومن مناقبها كثرة تردد اسمها على لسان النبي ﷺ حتى غارت عائشة منها، فــ قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجه عليها السلام من كثرة ذكر النبي ﷺ إياها أمره ربه عز وجل أو جبريل عليه السلام أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب [٤] صححه الحاكم على شرط الشيخين ولم يخرجاه [٥] وقال الترمذي: حسن صحيح [٦] .

وروى الحديث عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وأضاف عليه لا صخب فيه ولانصب، هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه [٧] ورواه كذلك أبو هريرة [٨] .

---

١ الحميدي : مسند ١٤٨/١ .
٢ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢٧٨/٨ .
٣ ابن حنبل : فضائل /٧٥ .
٤ البخاري : صحيح ٢٣١/٤ ، ينظر ابن حنبل : مسند ٢٧٩/٦ .
٥ المستدرك ١٨٦/٣ .
٦ سنن ٣٦٦/٥ .
٧ الحاكم : المستدرك ١٨٥/٣ .
٨ ابن حنبل : فضائل /٧٥ .

أما مناسبة الحديث، إن النبي ﷺ كان في العمرة، فلما دخل مكة طاف وأتى الصفا والمروة، فـ بشر خديجة عليها السلام [1] وروى أبو هريرة خلاف ذلك، مشيراً إن النبي ﷺ كان في بيته حين أتاه جبريل عليه السلام فقال: هذه خديجة قد اتتك ومعها أناء فيه ادام أو طعام أو شرب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيها ولانصب، صححه الحاكم على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا السياق[2] .

وقد رفض النووي الحديث فقال: من مراسيل الصحابة وهو حجة عند الجماهير وخالف فيه الأستاذ أبو إسحق الاسفرائني لأن أبا هريرة لم يدرك أيام خديجة فهو محمول على أنه سمعه من النبي ﷺ أو من صحابي ولم يذكر أبو هريرة هنا سماعه من النبي ﷺ وقوله أولاً قد أتتك معناه توجهت إليك وقوله فإذا هي أتتك أي وصلتك فاقرأ عليها السلام أي سلم عليها وهذه فضائل ظاهرة لخديجة عليها السلام [3] .

المراد بـ الصخب، الصوت المختلط المرتفع، والنصب المشقة والتعب [4] أي لا داء فيه ولا عناء [5] أما القصب يعني قصب الزمرد [6] وقيل قصب الذهب [7] وقال جمهور العلماء المراد به قصب اللؤلؤ المجوف كالقصر المنيف وقيل قصب من ذهب منظوم بالجوهر، ويقال لكل مجوف قصب[8] ما كان مستطيلاً أجوف[9] أنابيب من جوهر[10] قيل الدر والزبرجد الرطب المرصع بالياقوت، والبيت ههنا بمعنى القصر والدار [11] .

ولا ندري أين العدل الإلهي؟ من بذل كل ما يملك في سبيل الله بيته من قصب في الجنة، ومن كان ... له قصر في الجنة، هذا ما رواه نصير بن الفرج عن شعيب بن حرب عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: أريت أني

---

١ البخاري : صحيح ٢٠٣/٢ .
٢ الحاكم : المستدرك ١٨٥/٣ .
٣ النووي : شرح مسلم ١٩٩/١٥ .
٤ النووي : شرح مسلم ٢٠٠/١٥ .
٥ الفراهيدي : العين ٦٨/٥ .
٦ شرح الأخبار – القاضي النعمان ١٧/٣ .
٧ ابن ماجة : سنن ٦٤٣/١ ، المجلسي : بحار الأنوار ١٦/ ٨ .
٨ النووي : شرح مسلم ٢٠٠/١٥ .
٩ الفراهيدي : العين ٦٨/٥ .
١٠ الجوهري : الصحاح ٢٠٢/١ .
١١ ابن منظور : لسان العرب ٦٧٦/١ .

دخلت الجنة وإذا قصر أبيض بفنائه جارية فقلت لمن هذا يا جبريل قال هذا لعمر بن الخطاب فأردت أن أدخله فأنظر إليه فذكرت غيرتك [١] .

وربما سائل يسأل ما هي الخدمة التي قدمها الرجل حتى يدخل الجنة؟ وله قصراً فيها، هذه مسألة منفردة، بحاجة إلى معالجة خاصة، وإنما نريد الآلية التي أدخلته الجنة، لا نستطيع تعداد مثالب الرجل، لأنها ستكون مكررة وإنما نحيل القارئ عليها ومراجعتها في محلها [٢] .

ملخص القضية: ربما يختلف الباحث مع الذين عدوا بيت خديجة عليها السلام هذا منقبة، ونعده غير ذلك وننفي صدوره عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنها اكبر واتقى وابر أن تحصل على بيت أو قصر، هو لا ينسجم مع مقدار التضحية التي قدمتها، كيف بها وهي الوحيدة من بين أزواجه التي حملت ذريته، وناصرت البعثة المحمدية بكل ما تملك، حتى خرجت منتصرة من حصار الشعب وهي على حصيرة، وتوفيت بعد ذلك مباشرة، نتيجة الضغوط النفسية، والشد العصبي التي عاشته هناك، نحن لسنا بصدد تعداد مناقبها، بقدر ما نريد قوله إن الحسنة في عشرة أمثالها لقوله تعالى {مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ...} [٣] فـ إذا أعطاها الله قصر منيف، ورياض وجنان فيها أشكال الفاكهة، هذا قليل، لأنها حملت تراث الإنسانية كلها، يكفيها هي أم الزهراء عليها السلام والأكثر انه أعطاها بيت من قصب، وإذا حملنا ذلك على الظاهر معناه كوخ من قصب وهو نبات مائي معروف انماز بطراوته وليونته بحيث يسهل كسره ببساطة، بل وقابل للاشتعال بسهولة، والله الباحث يكتب هذه الأحاديث وهو يتذكر أكواخ (بيوت) الناس في قرى وأرياف العراق، المصنوعة من القصب، بل كان يعيش فيه أيام السبعينيات من القرن المنصرم، أي ١٩٧٠ وصاعداً .

وقبال ذلك كان هناك مكانة لبلال مؤذن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الجنة شاهدها ليلة أسري به ودخل الجنة سمع من جانبها وجساً قال يا جبريل ما هذا قال هذا بلال المؤذن فقال نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم حين جاء إلى الناس قد أفلح بلال رأيت له كذا وكذا [٤] .

عدم معرفته الأحكام الشرعية

ومن الأمثلة على ذلك ما رواه ابن جريج عن محمد بن كعب القرظي أن رجلاً سرق ناقة على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجاء صاحبها، فقال: إن فلاناً سرق ناقتي، فجئته، فـ أبى أن يردها إليَّ، فأرسل

---

١ ابن حنبل : فضائل /٩ .
٢ المحمداوي : الراشدون في روايات العامة ، كتاب مخطوط .
٣ الأنعام/١٦٠ .
٤ ابن حنبل : مسند ٢٥٧/١ .

إليه وقال: أردد إلى هذا ناقته، فقال: والذي لا إله إلا هو ما أخذتها، وما هي عندي، فقال النبيﷺ: أذهب ! فلما قفاه جاءه جبريل ﷺفأخبره أنه كذب، وأنها عنده، فأرسل إليه يردها، وأخبره أن الله تعالى قد غفر له بـــ الإخلاص [1] السند فيه عبد الملك بن جريج مقدوح به قلنا ذلك سابقاً، ومحمد بن كعب القرظي وقفنا على تفصيلات أحواله من شاء فليطلع عليها [2] .

ولسنا ندري متى نخلص من هذه التهم، إن النبي ﷺ في مجلس حكم شرعي وفيه حق مغصوب، المفروض على عادة القضاة البينة على من ادعى واليمين على من أنكر، وكذلك التحقق من الموضوع واستخدامه فراسة وكياسة القاضي حتى يتأكد من سلامة الحكم، أما تسريحه المتهم بهذا الشكل أمر مردود يتحمله مفتري الرواية، ثم إذا كان النبيﷺ بـــ هذا المستوى لا حاجه من بعثته، وإنما نكتفي بـــ جبريل هو الحاكم بيننا، وانتهى الأمر .

وجاءه رجل فقال: أرأيت إن ضربت بسيفي هذا في سبيل الله حتى أُقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبراً أيكفر الله عني خطاياي ؟ قال نعم ثم سكت ساعة ... فلما أدبر الرجل قال تعال هذا جبريل يقول ألا أن يكون عليك دين [3] وهذا معناه انه غير عارف بالحكم، لولا تسديد جبريلعليه السلام له وهو يتعارض مع عصمته .

وروى ابن جريج عن عمر بن عطاء بن وراز عن عكرمة عن ابن عباس قال: فجرت خادمة لآل النبي ﷺ فقال النبي: يا علي حدها ولم يفعل بل تركها حتى وضعت ما في بطنها ثم ضـــربها خمسين ثم أتى النبي ﷺ فذكر ذلك فقال أصبت [4] فيه مندل بن علي ضعيف [5] وعمر بن عطاء مقدوح فيه [6] .

وهذه إساءة لمقام النبي ﷺ هل انه لم يعرف الحكم الشرعي ؟ وقبـــال ذلـــك عرفـــه أميـــر المؤمنين، وفي واقع الحال الأمر ليس كذلك، وإنما حصل لعمر بن الخطاب ومعاذ، وهذا مـــا رواه عبيد الله بن موسى عن الحسن بن صالح عن سماك عن فضل بن كعـــب قـــال: أراد عمـــر بـــن

---

١ عبد الرزاق : المصنف ٥٢٢/٨ .
٢ المحمداوي : الإسلام قبل البعثة المحمدية ، رؤية قرآنية /٢٣٦ .
٣ الحميدي : مسند ١/ ٢٠٤ .
٤ أبو يعلى : مسند ٣٧٢/٤ .
٥ الهيثمي : مجمع الزوائد ٢٥٢/٦ .
٦ المحمداوي : الإمام الحسين (ع) في روايات ابن كثير .

الخطاب أن يرجم المرأة التي فجرت وهي حامل، فقال له معاذ: إذا تظلمها، أرأيت الذي في بطنها ما ذنبه؟ علام تقتل نفسين بنفس واحدة ؟ فتركها حتى وضعت حملها، ثم رجمها [١] .

كما انه حكم بـــ حلية جلد الميتة: وهو من الغرائب التي رواها أحمد بن صالح، عـــن ابـــن وهب، عن عمرو بن الحارث عن كثير بن فرقد، عن عبد الله بن مالك بن حذافة، عن أمه العالية بنت سبيع قالت: كان لي غنم، فوقع فيها الموت، فدخلت على ميمونة بنت الحارث فـــذكرت ذلـــك لها، فقالت لي: لو أخذت جلودها فانتفعت بها، فقالت: أو يحل ذلك ؟ قالت: نعم، مـــر النبـــي ﷺ على رجال من قريش يجرون شاة لهم مثل الحمار، فقال لهم: لو أخذتم إهابها قالوا: إنها ميتـــة، فقال لهم يطهر الماء [٢] .

ورواه سفيان عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله عن ابـــن عبـــاس عـــن ميمونـــة أن النبيﷺ مر بشاة لمولاة ميمونة قد أعطيتها من الصدقة ميتة فقال ما على أهل هذه لو أخـــذوا إهابها فدبغوه فانتفعوا به فقالوا: إنها ميتة فقال إنما حرم أكلها، فقيل لسفيان إن معمراً لا يقـــول فيه فدبغوه ويقول كان الزهري فقلنا الدباغ فقال سفيان لكني قد حفظته وإنما أردنـــا منـــه هـــذه الكلمة التي لم يقلها غيره إنما حرم أكلها وكان سفيان ربما لم يذكر فيه ميمونة فإذا وقف عليـــه قال فيه ميمونة [٣] .

وهذا الحديث معارض بقوله تعالى إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [٤] وكذلك بقول النبي ﷺ " أن لا تنتفعوا من الميتة باهاب ولا عصب " [٥]

وسند الرواية فيه، أحمد بن صالح [٦] وابن وهب مطعون فيه [٧] أما العالية بنت سبيع مدنيـــة تابعية ثقة [٨] روت عن ميمونة بنت الحارث، روى عنها ابنها عبـــد الله، روى لهـــا أبـــو داود، والنسائي، وقد وقع حديثها عالياً جداً [٩] تفرد عنها ولدها عبد الله بن مالك [١٠] هذا كل مـــا ورد

---

١ ابن أبي شيبة : المصنف ٥٥٩/٦ .
٢ أبو داود : سنن ٢٧٤/٢ ، ابن سلمة الازدي : شرح معاني الآثار ٤٧١/١ ، الطبراني : المعجم الأوسط ٣٠/٨ ، النســـائي : سنن ١٧٤/٧ ، البيهقي : السنن الكبرى ١٩/١ .
٣ الحميدي : مسند ١٥١/١ .
٤ البقرة/١٧٣ .
٥ النسائي : سنن ١٧٥/٧ .
٦ ينظر المحمداوي : تعدد الزوجات في السيرة المحمدية كتاب مخطوط / .
٧ المحمداوي : ابو طالب /١٠٠ .
٨ العجلي : الثقاة ٤٥٥/٢ .
٩ المزي : تهذيب الكمال ٢٢٦/٣٥ .
١٠ الذهبي : ميزان ٦٠٨/٤ .

عنها، ورأينا فيها إنها شخصية وهمية لم تعرف إلا من هذا الحديث، وتوثيق العجلي لها غير مجزي، وقد عول عليه بعض رجال الجرح والتعديل، من دون قرينة يمكن الركون إليها .

ويدمي القلب، ورد ما يفيد انه رجلاً ضالاً، والعياذ بالله، بدليل انه يبول ولم يغتسل سوى المسح بالجدار وهذا ما رواه الأعرج عن ابن الصمة قال: مررت به وهو يبول فسلمت عليه فلم يرد عليَّ حتى قام إلى جدار فحته بعصا كانت معه ثم وضع يده على الجدار فمسح وجهه وذراعيه ثم رد عليَّ السلام " [١] .

ويقول ما لا يفعل، إذ نهى عن البول باتجاه القبلة وهو فعل ذلك، وهذا ما رواه مجاهد بن جبير عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: نهانا عن أن تستدبر القبلة أو نستقبلها بفروجنا إذا أهرقنا الماء ثم رأيته قبل موته بعام يبول مستقبل القبلة [٢] وبهذا فـ إن الأمر لم يصدر عن جابر هو صحابي بمعنى الصحبة، ولعل هذا الأمر من عمل مجاهد إذ ورد فيه قدح ومدح [٣]

وقال عبد الله بن عمر: ارتقيت فوق ظهر بيت حفصة لبعض حاجتي فرأيته يقضي حاجته مستدبر القبلة مستقبل الشام [٤] وكان يقول إن ناساً يقولون إذا قعدت على حاجتك فلا تستقبل القبلة ولا بيت المقدس، ولقد ارتقيت يوماً على ظهر بيت لنا فرأيت النبي ﷺ على لبنتين مستقبلاً بيت المقدس لحاجته وقال لعلك من الذين يصلون على أوراكهم فقلت لا ادري والله قال مالك يعنى الذي يصلى ولا يرتفع عن الأرض يسجد وهو لاصق بالأرض [٥] .

وشهادة ابن عمر مردودة لأنه منافق لا يحسن الصلاة، ومقدوح فيه، أراد أن يثأر لطلاق أخته حفصة وقد وقفنا على تفصيلات أحواله، في أكثر من مورد[٦] .

وروى أحمد بن زياد الحذاء الرقي عن حجاج بن محمد عن ابن جريج عن حكيمة بنت أميمة بنت رقيقة عن أمها أنها قالت كان النبي ﷺ يبول في قدح عيدان ثم يرفع تحت سريره فبال فيه ثم جاء فأراده فإذا القدح ليس فيه شيء فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدم أم حبيبة جاءت بها من أرض الحبشة أين البول الذي كان في القدح؟ قالت شربته فقال لقد احتظرت من النار

---

١ الشافعي : المسند/١٢ .
٢ ابن حنبل : مسند ٣/٣٦٠ .
٣ للتفصيلات ينظر المحمداوي : الإسلام قبل البعثة المحمدية ، رؤية قرآنية /٢١٥ .
٤ البخاري : صحيح ١/٤٦ .
٥ البخاري : صحيح ١/ ٤٥ .
٦ للتفصيلات ينظر المحمداوي : أم كلثوم /٧٤ – ٨١ .

بحظار[1] أخرجه أبو داود، عن محمد بن عيسى، عن حجاج [2] ولم نجد ذلك وقد أثبتناه من أقدم المصادر التي نقلته، وان صح الخبر لَمَ ترك المسلمين قطره من بوله وأصبح علاجاً .

وله طريق أخرى رواه عبد الرزاق عن ابن جريج عن النبي ﷺ قال: صحة يا أم يوسف وكانت تكنى أم يوسف فما مرضت قط حتى كان مرضها الذي ماتت فيه وروى أبو داود عن محمد بن عيسي بن الطباع وتابعه يحيى بن معين كلاهما عن حجاج عن ابن جريج عن حكيمة عن امها اميمة، وهكذا رواه ابن حبان والحاكم ورواه أبو ذر الهروي في مستدركه الذي خرجه على الزامات الدار قطني للشيخين وصححه ابن دحية انهما قضيتان وقعتا لا مرأتين وهو واضح من اختلاف السياق ووضح إن بركة أم يوسف غير بركة أم أيمن مولاته [3] والحديث يدل على جواز إعداده الآنية للبول فيها بالليل، وهذا ما لا أعلم فيه خلافاً [4] ما هو المشكل اذا خرج الى بيت الخلاء وقضى حاجته ؟ الا في حالة مرضه عندما لدوه بـــ السم .

أما كيفية غسله جسمه الشريف، رواها عفان، عن أبي عوانة عن سليمان الأعمش عن سالم بن أبى الجعد عن كريب عن ابن عباس عن ميمونة بنت الحارث قالت: وضعت له غسلاً وسترته فصب على يده فغسلها مرة أو مرتين قال سليمان فلا أدرى أذكر الثالثة أم لا ثم أفرغ بيمينه على شماله فغسل فرجه ثم دلك يده بالأرض أو بالحائط ثم مضمض واستنشق وغسل وجهـــه ويديـــه وغسل رأسه ثم صب على جسمه ثم تنحى فغسل قدميه فناولته خرقة فقال هكذا وأشار بيده أن لا أريدها قال سليمان فذكرت ذلك لإبراهيم فقال هو كذلك ولم ينكره وقال إبراهيم لا بـــأس بالمنـــديل إنما هي عادة [5] وبناء على ذلك لعل غسلنا اليوم باطل أو إننا ضيعنا السُنة فنحن نشـــترط فـــي الغسل الترتيب، لعلهم نقلوه ظلماً عن النبي ورفوعه له افتراءً عليه .

وكان يغتسل هو وميمونة من إناء واحد قصعة فيها أثر العجين [6] ويغتسل يوم الجمعـــة ثـــم يحدث بعد الغسل ثم لا يعيد غسلاً [7] وفي السند مجهول .

---

١ الطبراني : المعجم الكبير ١٨٩/٢٤ .
٢ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٤٥٠/٩ .
٣ ابن حجر : تلخيص الحبير ١٨٢/١ .
٤ الشوكاني : نيل الأوطار ١٠٦/١ .
٥ ابن حنبل : مسند ٣٣٦/٦ ، البخاري : صحيح ٧١/١ ، النسائي : سنن ٢٠٤/١ ، ابن حزم : المحلى ٤٧/٢ .
٦ ابن سعد : الطبقات الكبرى ١٣٧/٨ ، الحميدي : مسند ١٤٩/١ .
٧ ابن أبي شيبة : المصنف ٩/٢ .

علاقاته الزوجية

وردت كثير من الغرائب في مؤلفات القوم، نستحي أحيانا من ذكرها، وبما إن موضوعنا رد الشبهات، لا بأس بـــ ذلك، وحتى نعطي مسوغاً شرعياً لأنفسنا نحتج بالقول لا حياء في العلم، ما زال في الأمر دفع شبهة، سيما تقبيله زوجته، وهذا ما رواه الواقدي عن موسى بن عبيدة عن عمر بن الحكم عن أبي أسيد الساعدي قال " بعثني النبي ﷺ إلى الجونية فحملتها وكانوا يكونون بناحية نجد حتى نزلت بها في أطم بني ساعدة ثم جئت إليه فأخبرته بها فخرج يمشي على رجليه حتى جاءها فـــ أقعى على ركبتيه ثم أهوى إليها ليقبلها وكذلك كان يصنع إذا اجتلى النساء فقالت أعوذ بالله منك " [١] وقفنا على سند الحديث كاملاً، فـــ كانت علته تكمن في الواقدي الكذاب، وعمر بن الحكم [٢] .

أما متنه يعتقد الباحث إن كلمة اقعى غير محببة في لغة العرب، لان القعو للحيوانات ولم يطلق على الإنسان، لا سيما النبي ﷺ فالأفضل التعامل معه بالجلوس، أفضل من قعا: ردة في رأس أنف البعير، وهو أن تشرف الأرنبة، ثم تقعي نحو القصبة قعي الرجل قعا، وأقعت أرنبته، وأقعى أنفه، ورجل أقعى وامرأة قعواء، وقد يقعي الرجل في جلوسه كأنه متساند إلى ظهره، والذئب يقعي، والكلب يقعي، إقعاء مثله سواء، لان الكلب يقعي على أسته، والقعو: إرسال الفحل نفسه على الناقة في ضرابها، قعا عليها يقعو قعوا إذا أناخها ثم علاها [٣] ومعناها جلس على أليته مفضياً بهما إلى الأرض ناصباً فخذيه كما يقعى الأسد [٤] وقد جاء النهى عن الاقعاء في الصلاة، وهو أن يضع أليتيه على عقبيه بين السجدتين [٥] .

إذاً كلمة اقعى تستعمل مع الحيوان، فقد رويَّ عن النبي ﷺ قوله " بينا إعرابي فـــي بعـــض نواحي المدينة في غنم له عدا عليه الذئب فاخذ شاة من غنمه فأدركه الأعرابي فاســـتنقذها منـــه وهجهجه فعاندة الذئب يمشى ثم أقعى مستذفراً بذنبه يخاطبه " [٦]

وعن القول انه ﷺ هوى عليها ليقبلها، نقول لم تفعل عامة الناس كما فعل النبـــي بزوجتـــه عندما أراد تقبيلها، فهل هم أكثر تأدباً منه، أم ماذا ؟ علماً حاشاه من ذلك الفعل، وإنمـــا مفتـــرى عليه، روج له أصحاب الأفكار الإباحية، لإشاعة الفاحشة بين الناس بدعوى إن النبي ﷺ فعـــل

---

١ ابن سعد : الطبقات ١٤٤/٨ .
٢ المحمداوي : تعدد الزوجات في سيرة النبي محمد ﷺ كتاب مخطوط .
٣ الفراهيدي : العين (مادة قعى) .
٤ المناوي : فيض القدير ١١٥/٥ .
٥ الجوهري : الصحاح (مادة قعى) .
٦ ابن حنبل : مسند ٨٨/٣ .

ذلك، وربما أراد واضع الرواية تبرير الرواية الموضوعة عن عمر بن الخطاب، عندما أراد أن يكشف عن ساقي أم كلثوم أمير المؤمنين (ع) عندما أراد أن يتزوجها [١] وقد أثبتنا إنها شخصية وهمية .

وفي الرواية تجني وإساءة على مقام النبيﷺ عندما قالت: إذا اجتلى النساء، وليس في هذه الرواية حسب، بل في روايات أخر، وهذا ما رواه ابن سعد بسنده عن عبد الله بن عمر قال " لما اجتلى النبي ﷺ صفية رأى عائشة متنقبة في وسط الناس فعرفها فأدركها فأخذ بثوبها فقال يا شقيراء كيف رأيتِ قالت رأيت يهودية بين يهوديات " [٢] وقال ابن عمر "أن النبي ﷺ اجتلى عائشة في أهلها قبل أن يدخل بها " [٣] قال الهيثمي: فيه القاسم بن عبد الله بن عمر وهو متروك، وهناك أحاديث في جلائها[٤] وكان إذا اجتلى النساء أقعى وقبل [٥] .

بعد هذا العرض نريد أن نعرف معنى "اجتلى النساء" أي كشف عنهن لإرادة جماعهن يقال جلوت واجتليت السيف ونحوه كشفت صداه وجلي الخبر للناس جلاء بالفتح والمد وضح وانكشف وجلوت العروس واجتليتها مثله، وقبل المرأة التي قعد لها يريد جماعها وأخذوا منه أنه يسن مؤكداً تقديم المداعبة والتقبيل ومص اللسان على الجماع وكرهوا خلافه وقد جاء في الخبر " ثلاثة من الجفاء أن يؤاخي الرجل الرجل فلا يعرف له اسماً ولا كنية وأن يهيئ الرجل لأخيه طعاماً فلا يجيبه وأن يكون بين الرجل وأهله وقاعاً من غير أن يرسل رسوله المزاح والقبل لا يقع أحدكم على أهله مثل البهيمة على البهيمة " وروى عن أم سلمة أنه ﷺ كان يغطي رأسه ويخفض صوته ويقول للمرأة عليك بالسكينة [٦] .

والأمر المسيء الثاني، هو جماع الحائظ: رويَّ هذا الأمر عن عائشة قالت: كانت أحدانا إذا كانت حائظاً فأراد النبي ﷺأن يباشرها أمرها أن تأتزر في فور حيضتها ثم يباشرها [٧] ورواه عفان، عن عبد الواحد، عن سليمان الشيباني ،عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال سمعت ميمونة[٨].

---

١ المحمداوي : أم كلثوم /١٧ .
٢ ابن سعد : الطبقات ١٢٥/٨ .
٣ الطبراني : المعجم الكبير ٢٩/٢٣ ، ابن عساكر : تاريخ ٣٠٨/٥٣ .
٤ مجمع الزوائد ٢٢٨/٩ .
٥ السيوطي : الجامع الصغير ٣١٢/٢ .
٦ المناوي : فيض القدير ١١٥/٥ .
٧ البخاري : صحيح ٧٨/١ .
٨ ابن حنبل : مسند ٣٣٦/٦ ، أبو داود : سنن ٤٨٠/١ ، النسائي : السنن الكبرى ٣١١/١ .

لا ندري كيف سمع ابن الهاد من ميمونة، هذه قضايا نسوية لا يعرفها الرجال عن النساء، هل إنها حدثته أم كان يتنصت عليها ؟ فما هي الكيفية التي سمع بها ؟ ويكفينا مشقة بطلان هذه الرواية قوله تعالى {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} [1] وقول النبي ﷺ في الذي يأتي امرأته وهي حائض يتصدق بدينار أو بنصف دينار[2] وقال المفيد "حظر نكاح الحائض على مالك نكاحها، وأباحه إياها بشرط مخصوص"[3] هذا ولم نفهم المراد بالشرط المخصوص .

والأمر المسيء الثالث، هو كيفية زواجه من صفية بنت حيي: يظهر من احد الروايات إن دحية الكلبي شارك في خيبر، فـ أعطاه النبي ﷺ سبيه، ثم أرجعها منه وتزوجها وهذا ما رواه إسماعيل، عن عبد العزيز عن أنس قال: إن النبي ﷺغزا خيبر سنة ٧هـ فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس – ظلام آخر الليل ـ فركب وركب أبو طلحة وأنا رديفه فأجرى النبي ﷺ في زقاق خيبر وان ركبتي لتمس فخذه وانحسر الإزار عن فخذه فأنى لأرى بياضه ولما دخل القرية قال الله أكبر خربت خيبر أنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاث مرارت وقد خرج القوم إلى أعمالهم ... فأصبناها عنوة فجمع السبي، فجاء دحية فقال: أعطني جارية من السبي قال اذهب فخذ واحدة، فأخذ صفية بنت حيى فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أعطيته صفية سيدة قريظة والنضير والله ما تصلح إلا لك فقال دعوه بها فلما نظر إليها قال خذ جارية من السبي غيرها ثم اعتقها وتزوجها فقال له ثابت يا أبا حمزة ما أصدقها قال نفسها اعتقها وتزوجها حتى إذا كان بالطريق جهزتها أم سليم [4] فأهدتها له من الليل وأصبح عريساً فقال من كان عنده شيء فليجئ به، إذ بسط نطعاً فجعل الرجل يجئ بـ الاقط والتمر والسمن وأحسبه قد ذكر السويق فحاسوا حيساً وكانت وليمة النبي ﷺ هكذا [5] .

الذي يقرأ الرواية يصاب بالدهشة ويدرك حجم المؤامرة المحاكة ضد مقام النبوة، وهو تصور سلبي، إذ وضعوا وكأنه ليس صاحب كلمة ولم يكن له موقف ثابت يعطي ويأخذ

---

١ البقرة/٢٢٢ .

٢ البيهقي : السنن الكبرى ٣١٤/١ .

٣ المسائل الصاغانية/٦٦ .

٤ ابنت عمرو بن عباد بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة وهي أخت أبي اليسر كعب بن عمرو شهد العقبة وبدراً لأبيه وأمه أمهما نسيبة بنت قيس بن الأسود بن مري من بني سلمة تزوجها نابئ بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة أسلمت أم سليم وبايعت النبي ﷺ . ابن سعد : الطبقات الكبرى ٨/ ٤٠٧ .

٥ ابن حنبل : مسند ١٠١/٣ .

بمشورة فلان وفلان، فعلى سبيل المثال انه أعطى دحية الجارية وعندما اخبروه بشرفها وحسبها ونسبها أرجعها وادخرها لنفسه، وضمن الإطار نفسه عندما أشار عليه فلان بتغيير موقع المعركة، وبهذا نسبوا له عدم القدرة العسكرية .

ويناقض ذلك إنه اشتراها منه، وهذا ما رواه يزيد، عن حماد بن سلمة عن ثابت البنانى عن أنس بن مالك إن صفية وقعت في سهمه فقيل يا رسول الله قد وقعت في سهم دحية جارية جميلة فاشتراها بسبعة أرؤس – لعلها سبع رؤوس من المواشي – فجعلها عند أم سليم حتى تهيأ وتعتد فيما يعلم حماد فقال الناس والله ما ندرى أتزوجها رسول الله ﷺأو تسراها فلما حملها سترها وأرادفها خلفه فعرف الناس انه قد تزوجها فلما دنا من المدينة أوضع الناس وأوضع هو وكذلك كانوا يصنعون فعثرت الناقة فخر النبي ﷺ وخرت معه، وأزواجه ينظرن فقلن أبعد الله اليهودية وفعل بها وفعل فقام فسترها وأردفها خلفه [1] .

وروى بهز عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال صارت صفية لــ دحية في مقسمه وجعلوا يمدحونها عند النبي ﷺ ويقولون ما رأينا في السبي مثلها، فبعث إليه فــ أعطاه بها ما أراد ثم دفعها إلى أمي فقال أصلحيها ثم خرج من خبير حتى إذا جعلها في ظهره نزل ثم ضرب عليها القبة فلما أصبح قال: من كان عنده فضل زاد فليأتنا به، فجعل الرجل يجئ بفضل التمر السويق والسمن حتى جعلوا من ذلك سواداً حيساً فجعلوا يأكلون من ذلك الحيس ويشربون من حياض إلى جنبهم من ماء السماء، فقال أنس كانت تلك وليمته عليها وانطلقنا حتى إذا رأينا جدار المدينة، كانت صفية مردفه خلفه قد عثرت مطيته، فليس أحد من الناس ينظر إليه ولا إليها حتى قام فسترها، فــ اتيناه فقال لم تضر، فدخل المدينة فحرج جواري نسائه ينظرن اليها ويشمتن بصرعتها [2] الصحيح لا بعض نسائه وليس جواريهن وهذه ليس من سمات زوجات النبوة .

هناك من تمادى في وضع الموبقات، حتى وصف النبي محمد بــ الإثارة، وهذا ما رواه عبد الله بن مسعود قال رأى النبي ﷺ امرأة فأعجبته فــ أتى سودة وهي تصنع طيباً وعندها نساء فــ أخلينه فقضى حاجته ثم قال أيما رجل رأى امرأة تعجبه فليقم إلى أهله فــ إن معها مثل الذي معها [3] .

وهذا الكلام نحن ضده ولا نتفق معه كيف السبيل وقد اقتضت إرادة الله ان خلق الناس أشكال شتى الأسود والأبيض والأشقر والطويل والقصير والسمين والنحيف، ولكل مذاقه

---

١ ابن حنبل : مسند ١٢٣/٣ .
٢ ابن حنبل : مسند ١٩٥/٣
٣ الدارمي : سنن ١٤٦/٢ .

وطعمه الخاص، وهل كل النساء يتشابهن في الحالة الجنسية إذا كان الأمر كذلك لماذا التعددية في الزيجات؟ لكل منهن رغبة خاصة عند الزوج ومذاق جنسي معين، ما أراده النبي (ص) أفراغ محتوى الغريزة، كأنه عنى بـــ ذلك ممارسة الجنس مع أي لون يفضي بـــ النهاية إلى نزول الحيامن وقضي الأمر، فـــ التوجه إلى الحلال المتناول، أفضل من الحرام لأن النتيجة واحدة، أما قضية تشابه الذي معها لا سيدي لا يوجد وجه شبه، لأن صوره مختلفة ومسمايته مختلفة في تفصيلات مختلفة قرأتها في نهاية التسعينيات في كتاب لم تذكره فيه مبحث عنوانه " أسماء قب المرأة " ولو صح التشابه لما زاغت أعين الناس واقترفت الحرام تاركة الحلال .

قال النبي (ص) واعلم أن النساء أربع: جامع مجمع، وربيع مربع، وكرب مقمع، وغل قمل، المراد من جامع مجمع: أي كثيرة الخير مخصبة، وربيع مربع: التي في حجرها ولد وفي بطنها آخر، وكرب مقمع أي سيئة الخلق مع زوجها، وغل قمل أي هي عند زوجها كالغل القمل، وهو غل من جلد فيه شعر يقع فيه القمل فيأكله فلا يتهيأ أن يحذر منه شيئاً وهو مثل للعرب:

ألا إن النساء خلقن شتـــى فمنهن الغنيمة والغـــرام
ومنهن الهلال إذا تجلـــى لصاحبه ومنهن الظـــلام
فمن يظفر بصالحهن يسعد ومن يعثر فليس له انتقـــام

وهن ثلاث: امرأة ودود ولود تعين زوجها على دهره لدنياه وآخرته ولا تعين الدهر عليه، وامرأة عقيم لا ذات جمال ولا خلق ولا تعين زوجها على خير، وامرأة صخابة وهي التي تخاصم زوجها أبداً، وامرأة ولاجة وهي المتبرجة التي لا تستر عن الرجال، ولا تلزم بيتها متى ما طلبها زوجها كانت خارجة، وامرأة همازة: وهي التي تذكر الناس بالقبيح، وكان النبي (ص) إذا أراد أن يتزوج امرأة بعث إليها وقال: شمي ليتها فإن طاب طاب عرفها، وإن درم كعبها عظم كعبثها، إعلم أن الليت: صفحة العنق، والعرف: رائحة العود وكل شيء طيب، ومعنى قوله: درم كعبها، التي كثر لحم كعبها، ويقال: امرأة درماء، إذا كانت كثيرة لحم القدم والكعب، والكعبث: الفرج، وقال أمير المؤمنين (ع): تزوجوا عيناء سمراء عجزاء مربوعة، وقال الإمام الصادق (ع): النظر إلى المرأة الجملية يقطع البلغم – يعني الحسنة الوجه – والنظر إلى المرأة السوء يهيج المرة، السوداء – يعني السوءة السمجة القبيحة الوجه – [1] .

ورحم الله الشاعر شاعر أهل ميسان حين قال:

---

١ الصدوق : المقنع/٣٠٣ .

يقولون كلهــن ســوا قلت النســاء إشكــال
فيهن البيض وسمــر فيــه الــوان إشكــال
لو كان كلهــن ســوا محــد للآخــر مــال
وانتهت كلمــة هــوى وما جت بعد عل البال
يمن اوصفيت اغلطت كلمتــك مــا تنكــال

والغريب وصف انه ينام على جنابة، وهذا ما رواه حماد بن خالد، عن أفلح عن القاسم عــن عائشة قالت وقع النبي ﷺعلى بعض نسائه ثم نام وهو جنب حتى أصبح ثــم اغتســل وصــام يومه[1] وقبال ذلك يقولون إن الوحي يأتيه وهو نائم [2] وهذه لا تنسجم مع تلك إذا أتــاه جبريــل وهو على هذه الحالة ماذا يقول له ارجع أني على جنابة أو انتظرني اسخن المــاء لأن الكهربــاء مقطوعة وأنى له كهرباء حين عندما يوقد النار ويسخن الماء يحتاج سويعات من الوقــت !!!!!! استحوا من رسول الله (ص) وكفوا ألسنتكم عنه .

سماع الغناء

الغناء من الأمور التي حرمته الشريعة المحمدية، وقد بينا أوجه حرمته [3] وعلى الرغم مــن ذلك نسب للنبي محمد ﷺ سماعه، وهذا ما رواه البخاري بسنده عن عائشة قولها: دخل أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعاث وليستا بمغنيتين فقــال أبو بكر أمزامير الشيطان في بيت النبي ﷺ وذلك في يوم عيد فقال النبي ﷺ لكل قــوم عيــداً وهذا عيدنا[4].

الذي ينظر نظرة سريعة على الرواية يتصور الحق من جانب أبي بكر، لأنه سمع وشاهد مــا خالف كتاب الله وسنة رسوله، فــ من حقه الاعتراض، وان هذه الحالة وقعت فــي بيــت ابنتــه عائشة، فمن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تفوه بكلامه هذا، لكن السؤال المطروح هل يحق له الاعتراض على حكم النبي؟ أولاً؟ ثم مَنْ هو حتى يعترض ثانياً؟ وهــل هــو اعلــم مــن النبيﷺ ثالثاً وأسئلة أخر، وحتى نكون موضوعيين ومهنيين نتعامل مع الرواية بروحية مــؤرخ لا مهرج، نقول: هل كل الغناء حرام، الجواب لا؟ الغناء الفاحش الذي فيه التغــزل بـــ المــرأة

١ ابن حنبل : مسند ٢٢١/٦ ، النسائي : سنن ٧٤/٧ .
٢ ابن إسحاق : السير /١٢١ابن عساكر : تاريخ ١٢/٦٣ .
٣ المحمداوي : أم كلثوم /٢٤٨ .
٤ البخاري : صحيح ٣/٢ .

ومفاتنها ذلك حرام، أما الإنشاد والتغني في القرآن والابتهالات الدينية التي فيها ذكر الله ورسوله فما شكل الحرمة فيه ؟ .

ومن هذا الباب ندخل، ومن خلاله نعرف المناسبة، وهي يوم بعاث وهو آخر وقعة كانت بين الأوس والخزرج في الحروب التي كانت بينهم، وكانت هذه الوقعة والنبي ﷺ في مكة يدعو الناس إلى شريعته ثم هاجر بعدها بست سنين إلى المدينة [1] قالت عائشة: كان يوماً قدمه الله لنبيه ﷺ وقد افترق ملؤهم وقتلت سرواتهم وجرحوا، قدمه الله لنبيه ﷺ في دخولهم البعثة المحمدية [2] .

وهذا أمر ممتاز، يستحق ضرب دفوف النصر، لكن هناك مشكل، لأن مزامير الشيطان حسب تعبير أبي بكر في بيت عائشة الذي تزوجها النبي في المدينة، ويوم بعاث في مكة ؟ فـــ كيف السبيل؟ وأصبح الاتهام يحول حول أربعة أطراف، هم المفترى عليه النبي ﷺ وابن أبي قحافة وابنته، والبخاري، الباحث لا ينزه إلا النبي وهو نزيه معصوم بنص القرآن، والبقية متروكون لأتباعهم أيهم يكذبون؟ سيما عندهم البخاري، قرآن آخر كل ما فيه صحيح، تبقى الشكوك تحوم حول الأب وابنته .

وقد حاول مفتري الرواية تبرير فعلته ناسباً إلى النبي محمد ﷺ قوله هذا عيدنا، نقول نعم سلمنا نحن أهل السُنة أوصانا صاحبها الالتزام بها نريد أن نعرف اسم هذا العيد حتى نحييه سنوياً فرحاً وابتهاجاً؟ سموه لنا يا مفترون؟ ليس لديكم حجة سوى الطعن من الظهور كفاكم افتراء على النبي ﷺإلا تستحون؟ .

وفي موضع آخر قالت عائشة: أن أبي بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تدففان وتضربان والنبي ﷺ متغش بثوبه فانتهرهما أبو بكر فكشف النبي ﷺ عن وجهه وقال دعهما فإنها أيام عيد وتلك الأيام أيام منى[3] وعلى رواية كانت الجارية تضرب الدف عند النبي ﷺ فجاء أبو بكر ثم جاء عمر ثم جاء عثمان فأمسكت فقال النبي ﷺ إن عثمان رجل حيى[4] وهذا معناه إن أبا بكر وعمر يسمعان ضرب الدف، خلا عثمان لا يسمعه .

---

١ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٦٠٤/٣ .
٢ البخاري : صحيح ٢٣٧/٤ .
٣ البخاري : صحيح ١١/٢ .
٤ ابن حنبل : مسند ٣٥٤/٤ .

وهذا الأمر وضع لتبرير فعل عبد الملك بن مروان إذ كان يسمع الغناء، في محاورة بينه وبين عبد الله بن جعفر الطيار إذ قال الأول للثاني بلغني انك تسمع الغناء على المعازف والعيدان، وأنت شيخ؟! قال: أجل وإنك لتفعل أقبح [١] .

وضعه البيتي

يبدو إن الإعلام الأموي، كان مرافقاً النبي محمد ﷺ داخل بيته، بحيث كامرات المراقبة لديهم تبث كل حركاته وسكناته، وتراقب كل ما يفعله، على سبيل المثال ما قاله عبد الله بن عمر: بينما النبي ﷺ جالس وعائشة وراءه إذ استأذن أبو بكر فدخل ثم استأذن عمر فدخل ثم سعد بن مالك فدخل ثم استأذن عثمان بن عفان والنبي ﷺ يتحدث كاشفاً عن ركبته فمد ثوبه على ركبته حين استأذن عثمان وقال لأمرأته استأخري فتحدثوا ساعة ثم خرجوا فقالت عائشة يا نبي الله دخل أبي وأصحابه فلم تصلح ثوبك عن ركبتك ولم تؤخرني عنك فقال: ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة والذي نفسي بيده إن الملائكة تستحيي منه كما تستحيي من الله ورسوله ولو دخل وأنت قريب مني لم يتحدث ولم يرفع رأسه حتى يخرج [٢] وهذه رواية أموية خالصة أُريد منها قدح النبي ﷺ وتمجيد عثمان ورفع منزلته في حين المتتبع سيرته يستحي من ذكر اسمه لكثرة موبقاته [٣].

ويظهر إن النبي ﷺ كان يلعب سباق مع عائشة، وهذا رواه حسن بن موسى عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبى سلمة بن عبد الرحمن إن عائشة قالت سابقني النبيﷺ فسبقته[٤] وهذا السند فيه حماد بن سلمة البصري، ت ١٢٧هـ مطعون فيه [٥] وعلي بن زيد من ولد عبد الله بن جدعان القرشي التيمي ولد أعمى مطعون فيه [٦]

وكان يرقع ثيابه، وهذا ما سأل عنه يحيى عن حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها سئلت ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته قالت كان يرقع ثوبه فقال يحيى هو مرسل هشام عن رجل[٧] .ويعجبه النظر إلى الحمام، حدث بـ ذلك ابن الحماني عن شريك عن هشام بن عروة عن

---

١ البلاذري : انساب الأشراف/٥٢ .
٢ الطبراني : المعجم الكبير ٢٥٢/١٢ .
٣ المحمداوي : الأمراء الثلاث ، كتاب غير منشور .
٤ ابن حنبل : مسند ٢٨٠/٦.
٥ المحمداوي : أبو طالب /١٦٦ .
٦ المحمداوي : حديث النبي محمد ﷺ في هدنة الإمام الحسن (ع) أصحيح أم موضوع ؟ مجلة الكلية الإسلامية الجامعة ، ٣٩ ، س ١٠ ، ٢٠١٦ ، ص ٣٢٤ .
٧ابن معين : تاريخ ١٩٠/١ .

أبيه عن عائشة، فأنكروه عليه فرجع عن رفعه وقال عن عائشة مرسلاً فقال أبي هذا كذب إنما كنا نعرف به حسين بن علوان ويقولون إنما وضعه على هشام قلت له إن بعض أصحاب الحديث زعم أن أبا زكريا السيلحيني رواه عن شريك قال كذب هذا على السيلحيني لا يحدث بمثل هذا، هذا حديث باطل[١] .

السند فيه يحيى بن عبد الحميد بن عبد الرحمان بن ميمون بن عبد الرحمان الحماني، أبو زكريا الكوفي. وجده ميمون، ويقال: عبد الرحمان بن ميمون يلقب بشمين، ذكر المزي عيوبه[٢] وضعفه العقيلي بـ القول: ما زلنا نعرفه أنه يسرق الأحاديث أو يتلقطها أو يتلقفها، جاء إلى بغداد فاجتمع عليه الناس وكان يكذب جهاراً [٣].

وحسين علوان ترجم له العقيلي في الضعفاء وقال عنه كذاباً [٤] وهو من أهل الكوفة كان يضع الحديث على هشام بن عروة وغيره من الثقاة وضعاً لا تحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب [٥] وهذه شهادة مقدوحة عرفت صاحبها كذاباً عندما جعل هشام بن عروة من الثقاة.

أما السيلحيني، يحيى بن إسحاق البجلي، ولد في حدود ١٤٠هـ [٦] كان ثقة وقد كتب الناس عنه وكان حافظاً لحديثه نزل بغداد في دار الرقيق ومات بها سنة ٢١٠هـ في أمارة المأمون العباسي [٧] صدقه يحيى بن معين، قيل شيخ صالح ثقة سمع من الشاميين [٨] قال الذهبي: من أغرب ما جاء به حديثه عن أبي هريرة قال: نهى النبي ﷺ عن أكل أذني القلب " خالفه مسدد، وإسحاق بن إسرائيل، فرووه عن عبد الله، عن أبيه، فقال: عن رجل من الأنصار مرسلاً، ورواه هكذا أبو داود في " المراسيل " كان عبد الرحمن ينكر حديث مبارك عن الحسن في حل العقد في القبر، قال الذهبي: هو حجة صدوق إن شاء الله، ولا تنزل رواية حديثه عن درجة الحسن، من أوعية العلم [٩] وعلى الرغم من ذلك، كان عروة يقبل حديث عائشة وحده، ويجعلهُ سُنة [١٠] وقد ورد عنها غرائب ومناكير منها .

---

١ احنبل : العلل ٢/ ٤٤ .
٢ تهذيب الكمال ٤١٩/٣١ .
٣ ضعفاء ٤١٣/٤ .
٤ ٢٥١/١ .
٥ ابن حبان : المجروحين ٢٤٤/١ .
٦ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٥٠٦/٩ .
٧ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣٤٠/٧ .
٨ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٦٢/١٤ .
٩ سير أعلام النبلاء ٥٠٦/٩ .
١٠ الشافعي : اختلاف الحديث /٤٨٠ .

ضربه أبي ذر (رض) برجله

وهذا ما رواه سعيد بن المغيرة عن معتمر عن داود بن أبي هند عن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي عن عمه عن أبي ذر قال أتاني النبي ﷺوإنا نائم في المسجد فضربني برجلهُ وقال إلا أراك نائماً فيه قلت يا بني الله غلبتي عيني [1] .

قد يتصور متصور انه ضربه من باب التعزير وإنما من باب التأديب، وهذا كلام مردود، صحيح إن النوم في المسجد فيه كراهة، لكن الرجل نام فيه ليس بمحض إرادته، وإنما غشيه النعاس فنام، وهذا لا عيباً ولا حراماً، كثير ما يحصل عندنا اليوم في كربلاء المقدسة سيما في الزيارات المليونية، ننام في المساجد من شدة التعب، والباحث كان يفعلها، كنت أنام أحيانا في مسجد أبي الفضل العباس في كربلاء، وكان خادم المسجد يصيح فيني .

وقضية ضرب أبي ذر ليس من أخلاق النبوة، كيف يضرب رجل من خلص أصحابه ؟ ولأي سبب، لأنه نام في المسجد ؟ وان فعل ذلك، فـ هذا يتعارض مع قوله تعالى {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... } [2] فمن الحكمة الدعوة بالموعظة الحسنة، وليس الضرب في الرجل، ثم إن الشخص المضروب إنسان مساو لك في الخلق وله طبيعة الآدمي، والأكثر من ذلك أدب النبي ﷺ وأخلاقه لا تسمح له إن يفعل ذلك، وقد دل على أقواله في هذا الجانب .

وعلى الرغم من نهي النبي محمد ﷺ عن الاستلقاء في المساجد فعلها عمر وعثمان، الذين خالفا أمره، وهذا ما رواه البخاري عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب قال كان عمر وعثمان يفعلان ذلك، أي استلقيا في المسجد ووضعا أحدى رجليهما على الأخرى، وقد بررا ذلك إن النبي فعلها [3] استناداً على ما رواه يحيى بن يحيى قال قرأت على مالك عن ابن شهاب عن عباد بن تميم عن عمه انه رأى النبي مستلقياً في المسجد واضعا أحدى رجليه على الأخرى[4] .

وروى الحسن بن موسى عن شيبان بن عبد الرحمن، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن، أن يعيش بن قيس بن طخفة حدثه عن أبيه، وكان من أصحاب الصفة، عن

---

١ الدارمي : سنن ٣٢٥/١ .
٢ النحل/١٢٥ .
٣ البخاري : صحيح ١٢٢/١
٤ البخاري : صحيح ١٥٤/٦

النبي ﷺ قال: انطلقوا فانطلقنا إلى بيت عائشة وأكلنا وشربنا، فقال إن شئتم نمتم هاهنا، وإن شئتم انطلقتم إلى المسجد فـــ أخترنا المسجد [١] .

وأخيراً نقول: كل ما ذكرناه يتعارض وقوله تعالى {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ } [٢] وقوله {... إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ } [٣] فـــ هل صاحب الخلق العظيم، والهدى المستقيم، يفعل كل هذه الموبقات، حاشاه ثم حاشاه، وما ذكرنا من أمور فيها معصيه لله سبحانه وتعالى، وقد نزهه الله منها بقوله {...إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ }[٤] وقوله تعالى {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى}[٥].

وما رويَّ عنه قوله "أدبني ربي فأحسن تأديبي" [٦] مع تحفظي على الحديث لكنه وارد في كتب القوم فهو حجة عليهم، لأن الله لم يخلق فعل النبي محمد ﷺ الذي أدب نفسه بنفسه، ولا دخل لطرف آخر، والحديث من وجهة نظرنا هو تهمة وجب ردها .

وروى عبد الله بن عمرو قال لم يكن النبي ﷺفاحشاً ولا متفحشاً وكان يقول إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً [٧] ومع انه ممتنع عن الخطأ بنفسه .

---

١ ابن ماجة : سنن ٢٤٨/١
٢ القلم/٤
٣ الحج/٦٧
٤ يونس/١٥
٥ النجم/٢
٦ السيوطي : الجامع الصغير ٥١/١
٧ البخاري : صحيح ١٦٦/٤

الفصل الخامس

الضلالة في القران الكريم النبي محمد(ص) اختياراً

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده، سبحان ذي العز الشامخ المبين سبحان ذي الجلال الباذخ العظيم، الفاخر القديم، سبحان من هو في علوه دان وفي دنوه عال وفي إشراقه منير وفي سلطانه قوي وفي ملكه دائم، وصلى الله على رسوله محمد وأهل بيته الطاهرين[1] خلفائه الراشدين الهادين المهدين، أمير المؤمنين، والحسن والحسين والتسعة المعصومين من ذرية الإمام الحسين عليه السلام .

وبعد ...

القرآن الكريم، كتاب الله، وصفه بالذكر، الذي لا يأتيه الباطل فــ قال {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}[2] وهذا الكتاب نزل عربياً لقوم يعلمون، فيه البشارة والنذارة، جاء ذلك بــ قوله تعالى {كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ } [3] .

الباحث متحدثاً عن نفسه موبخاً إياها بسبب قصورها فهم كلام ربها، وهذا القصور أو التقصير ربما أصبح ظاهرة عامة سوى بعض الصالحين الذين دأبوا على دراسة ما جاء في القرآن الكريم وتدريسه، ومحاولة بسيطة منه لعلها تكون نافعة، ومن باب رد الشبهات توكل على الله لرد شبهة الضلالة المنسوبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فكتب تحت هذا العنوان "الضلالة في القرآن الكريم، النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم اختيارا" وممكن أن يصح العنوان "نفي دعوى ضلال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن الكريم، أية ووجدك ضالاً اختيارا " معظم البحث دار حول الآية الكريمة، ويصح تحت عنوان "الضلالة في القرآن الكريم، دراسة في الآية ووجدك ضالاً "ويصح أن يكون" مفهوم الضلال في القرآن الكريم "وقد ركز على الضلالة المنسوبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وإيمانه، ويصح أن يكون " شبهات الضلالة المنسوبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم" .

الضلالة في القرآن الكريم، موضوع اكبر من أن نسطره في هذه الصفحات، من خلال ما تضمنته آياته الشريفة، لذلك أخذنا آية ووجدك ضالاً واستشهدنا عليها بــ آيات أُخر، إذ كثيراً ما أساء بعض المهتمين فهم بعض نصوص القرآن الكريم، فذهبت بهم المذاهب مما أوقعتهم في

---

١ الطوسي : مصباح المتهجد/٤٦٧ .
٢ فصلت/ ٤١ – ٤٢ .
٣ فصلت / ٣ – ٥ .

شباك الكفر، على سبيل المثال حينما أتى رجل إلى أمير المؤمنين (ع) فـ قال: إني قد شككت في كتاب الله المنزل، قال له عليه السلام: ثكلتك أمك وكيف شككت في كتاب الله المنزل ؟ ! قال: وجدته يكذب بعضه بعضاً، فـ أجابه: إن كتاب الله ليصدق بعضه بعضاً ولا يكذب بعضه بعضاً، ولكنك لم ترزق عقلاً تنتفع به [1] ورويَ عنه قوله " اسمعوا ما أتلو عليكم من كتاب الله المنزل على نبيه المرسل لتتعظوا، فإنه والله عظة لكم، فاتتفعوا بمواعظ الله، وازدجروا عن معاصي الله، فقد وعظكم الله بغيركم " [2] .

وطبقاً للمنهجية العلمية المتبعة في كتابة البحوث اقتضى الأمر تقسيمه على مباحث أربعة، خُصص الأول منها لدراسة موارد الضلالة في القرآن الكريم، وما هي دلالاتها ؟ وما عدد المعاني التي وردت فيها ؟ هي ضد الهداية، وقيل الغفلة، ومنها المحمود ومنها المذموم، والبعيد والقريب والكثير، وقيل هي الباطل، والمحبة، والنسيان، والضياع، والخطأ، والجهل .

وجاء المبحث الثاني، لمعالجة إساءة فهم الآية السابعة من سورة الضحى، فنسب على أثرها الضلالة للنبي محمد ﷺ وقد فُسرت على إنها الذهاب والانصراف، والغفلة، وهي الرجل المضلول عنه، وعدم معرفة الحق، وفيه تفصيلات .

وقبال اتهام النبي ﷺ في هكذا تهمة، انبرى من ردها، فكان المبحث الثالث بعنوان القائلون بـ إيمانه، ثبت من خلاله إيمانه قبل المبعث، وعدم وجود ضلالة في سيرته، ومعنى الضلالة هنا المحبة، وقيل طلب القبلة، وأدلة أخر .

وهناك من فسر الضلالة بـ الضياع محتجاً على ضياعه في صغره، من مرضعته الوهمية حليمة، وفيه روايات، وقيل ضاع وهو عند جده عبد المطلب، وقيل أخذه إبليس وهو مع ميسرة غلام السيدة خديجة، وقيل ضل ليلة المعراج، وللحديث بقية، هذا ما تجسد في المبحث الرابع .

والحمد لله رب العالمين .

---

١ الصدوق : التوحيد/٢٥٥ .

٢ المفيد : الإرشاد ٢٦٢/١ .

دلالات لفظة الضلالة

يعرف الضلال: انه العدول عن الطريق المستقيم [١] عمداً أو سهواً، يسيراً أو كثيراً، وبهذا صح استعماله على من يكون منه خطأ ما، وقال بعض الحكماء: كوننا مصيبين من وجه وكوننا ضالين من وجوه كثيرة، فإن الاستقامة والصواب يجرى مجرى المقرطس [٢] من المرمى، وما عداه من الجوانب كلها ضلال، وقد وصف النبي وكأنه غير مستقيم، بـــ دلالة ما قيل ان احد الصالحين رآه في منامه فقال له: يروى لنا أنك قلت " شيبتني سورة هود وأخواتها فما الذي شيبك منها؟ فقال قوله تعالى[٣] {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ... } [٤] والرواية غير صحيحة بـــ دلالة التدليس عن الراوي الذي لم نعرفه، ثم ما هي مكانته حتى يرى النبي ﷺ ويكلمه ؟ .

والضلال حقيقته الذهاب عن الحق، أُخذَ من ضلال الطريق، أي العدول عن سمته، وهو عند العرب سلوك غير سبيل القصد، يقال: ضل عن الطريق وأضل الشيء إذا أضاعه، وخص في الشرع بـــ العبارة في العدول عن السداد في الاعتقاد من دون الأعمال، ومن غريب أمره عبر به عن عدم المعرفة بالحق سبحانه إذا قابله غفلة ولم يقترن بعدمه جهل أو شك [٥] ومصداق ذلك قوله تعالى {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ } [٦]

أراد الضلال عن الطريق [٧] وقيل عنيَّ بهم النصارى [٨] .

وهو ضد الهداية، وهذه الضدية تجسدت في قوله تعالى {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ... } [٩] وضد الرشاد، وقد ضللت أضل [١٠] قال تعالى {قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي ... } [١١] .

---

١ الذي هو المرتضى لكنه صعب جداً ، حث عليه رسول الله ﷺ فـــ قال " استقيموا ولن تحصوا " . ابن حنبل : مسند ٢٧٦/٥ .

٢ سهم خازق وخاسق أي مقرطس نافذ . الزمخشري : الفائ في غريب الحديث ٧٧/١ ، وقيل سهم صغير مقرطس ٠ الزبيدي : تاج العروس ١/ ٤٤٢ .

٣ هود/١١٢ .

٤ الراغب الاصفهاني : مفردات غريب القرآن/٢٩٧ .

٥ القرطبي : الجامع ٣٣٧/٨ .

٦ الفاتحة/٧ .

٧ الطريحي : مجمع البحرين ٢٦/٣ .

٨ الراغب الاصفهاني : مفردات غريب القرآن/٢٩٨ .

٩ يونس/١٠٨ .

١٠ الطريحي : مجمع البحرين ٢٦/٣ .

١١ سبأ/٥٠ .

ومثلما استعمل اللفظ في الطريق، أستعمل في الدين، يقال ضل عن الثواب ومنه [1] قوله تعالى {... يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ } [2] والضلال عن الدين أبلغ من الغي فيه [3] ولا يقتضي الكفر[4] وهو على وجوه ذكرها المجلسي عن تفسير النعماني عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: منه محمود، وهو المنسوب إلى الله تعالى كقوله {... يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ ... } [5] هو ضلالهم عن طريق الجنة بفعلهم، ومنه مذموم، جاء بـــ قوله تعالى {... وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ } [6] وقوله تعالى {وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى } [7] ومثل ذلك كثير ; ومنه ليس بمحمود ولا مذموم، هو الضلال المنسوب إلى الأصنام فقوله تعالى في قصة النبي إبراهيم عليه السلام {... وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ } [8] والأصنام لا يضللن أحداً على الحقيقة، إنما ضل الناس بها وكفروا حين عبدوها من دون الله عز وجل، وأما الضلال المنسوب إلى الله تعالى الذي هو ضد الهدى، وهو البيان، والايات التي نسبت فيها الضلال هي ليست تتحدث عن الضلال وانما عن الهداية ضد الضلال، معنى قوله سبحانه {أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ...} [9] معناه: أو لم أبين لهم، مثل قوله سبحانه وتعالى {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ...} [10] أي بينا لهم، وقوله تعالى [11] {وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ... } [12] أي بين لهم ما يرضيه و يسخطه[13].

واختلف الناس في تأويله، منه البعيد، ومنه القريب، فالبعيد ضلال الكفار [14] إشارة إلى ما هو كفر كقوله تعالى {... فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً } [15] أي في عقوبة الضلال البعيد [16] منه ما

---

١ أبو هلال العسكري : الفروق اللغوية/٣٩٢ .
٢ غافر/٧٤ .
٣ أبو هلال العسكري : الفروق اللغوية/٣٩٢ .
٤ الفخر الرازي : المحصول ٩٩/٤ .
٥ المدثر/٣١ .
٦ طه/٨٥ .
٧ طه/٧٩ .
٨ إبراهيم/٣٥ .
٩ السجدة/٢٦ .
١٠ فصلت/١٧ .
١١ التوبة/١١٥
١٢ بحار الأنوار ٢٠٨/٥ .
١٣ الطريحي : مجمع البحرين ٢٥/٣ .
١٤ الثعالبي : الجواهر ٦٠٢/٥ .
١٥ النساء/١٣٦ ، ٦٠ ، ١٦٧ ، سبأ/٨ .
١٦ الراغب الاصفهاني : مفردات غريب القرآن/٢٩٨ .

عبر عنه بـــ الضلال الكبير، جاء ذلك بـــ قوله تعالى {... إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ }[1] ومنه ضلال كثير، قال تعالى {... قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ } [2] .

وهناك التضليل جاء بـــ قوله تعالى {أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ } [3] أي في باطل وإضلال أنفسهم، والإضلال ضربان، الأول: أن يكون سببه الضلال وذلك على وجهين: إما أن يضل عنك الشيء كقولك أضللت البعير أي ضل عنى، وإما أن تحكم بضلاله، والضلال في هذين سبب الإضلال، والثاني: أن يكون الإضلال سبباً للضلال وهو أن يزين للإنسان الباطل ليضل كقوله {وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ ...}[4] أي يتحرون أفعالاً يقصدون بها أن تضل فلا يحصل من فعلهم ذلك إلا ما فيه ضلال أنفسهم وقال تعالى عن الشيطان {وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ ...}[5] وقال في الشيطان {وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلّاً كَثِيراً...}[6] وقوله تعالى { وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ ...}[7] وإضلال الله تعالى الإنسان على أحد وجهين: أحدهما أن يكون سببه الضلال وهو أن يضل الإنسان فيحكم الله عليه بذلك في الدنيا ويعدل به عن طريق الجنة إلى النار في الآخرة وذلك إضلال هو حق وعدل، فالحكم على الضال بضلاله والعدول به عن طريق الجنة إلى النار عدل وحق .

والثاني من إضلال الله هو أن الله تعالى وضع جبلة الإنسان على هيأة إذا راعى طريقاً محموداً كان أو مذموماً ألفه واستطابه ولزمه وتعذر صرفه وانصرافه عنه ويصير ذلك كالطبع الذي يأبى على الناقل، ولذلك قيل العادة طبع ثان، وهذه القوة في الإنسان فعل إلهى، وإذا كان كذلك وقد ذكر في غير هذا الموضع أن كل شيء يكون سبباً في وقوع فعل صح نسبة ذلك الفعل إليه فصح أن ينسب ضلال العبد إلى الله من هذا الوجه فيقال أضله الله لا على الوجه الذي يتصوره الجهلة ولما قلناه جعل الإضلال المنسوب إلى نفسه للكافر والفاسق دون المؤمن بل نفى عن نفسه إضلال المؤمن فقال: {وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ ...} [8] وقوله {...وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ } [9].

---

١ الملك/٩ .
٢ المائدة/٧٧ .
٣ الفيل/٢ .
٤ النساء/١١٣ .
٥ النساء/ ١١٩ .
٦ يس/٦٢ .
٧ ص/٢٦ .
٨ التوبة/١١٥
٩ محمد/٤

وفي الكافر والفاسق قال تعالى [1] {وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ } وقوله تعالى[2] {... وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ } وقوله تعالى [3] {... كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ } وقوله تعالى [4] {...وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ ... } [5] .

والضلال يتصرف في وجوه [6] منها المحبة، جاء بـــ قوله تعالى على لسان بني يعقوب لأبيهم {قَالُواْ تَاللّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ } [7] أي في محبتك القديمة ليوسف عليه السلام [8] وقولهم {...إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ }[9] إشارة إلى شغفه بيوسف وشوقه إليه [10] وكذلك في وصف المرأة التي راودت النبي يوسف عليه السلام[11] {... قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ } [12] .

ومنها النسيان، قال تعالى {... أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى ...}[13] وذلك من النسيان الموضوع عن الإنسان[14] ومنها الغفلة، قال تعالى {... لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى } [15] أي لا يغفل[16] وقيل لا يضل عن ربى ولا يضل ربى عنه أي لا يغفله [17] والبطلان، قال تعالى {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ }[18] أي أبطلها[19] ومنه قوله تعالى" {أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ }[20] وقوله تعالى {... وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ }[21] أي ضاع وبطل[22] .

---

١ محمد/٨
٢ البقرة/٢٦
٣ غافر/٧٤
٤ إبراهيم/٢٧
٥ الراغب الاصفهاني : مفردات غريب القرآن/٢٩٨
٦ أبو هلال العسكري : الفروق اللغوية/٣٩٢
٧ يوسف/٩٥
٨ الطباطبائي : الميزان ٢٦٢/١٥
٩ يوسف/٨
١٠ الراغب الاصفهاني : مفردات غريب القرآن/٢٩٨
١١ يوسف/٣٠
١٢ القرطبي : الجامع ٩٦/٢٠
١٣ البقرة/٢٨٢
١٤ الراغب الاصفهاني : مفردات غريب القرآن/٢٩٨ ، المجلسي : بحار الأنوار ٢٠٨/٥
١٥ طه/٥٢
١٦ القرطبي : الجامع ٩٦/٢٠
١٧ الراغب الاصفهاني : مفردات غريب القرآن/٢٩٨
١٨ محمد/١
١٩ أبو هلال العسكري : الفروق اللغوية/٣٩٢
٢٠ الفيل/٢
٢١ الأنعام/٩٤
٢٢ الطريحي : مجمع البحرين ٢٥/٣

وتنسب الضلالة إلى الأنبياء في حكاية عن النبي موسى عليه السلام حينما قتل القبطي، جاء ذلك في قوله تعالى {قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ} [1] وهذا تنبيه أن ذلك منه سهواً [2] وقيل من المخطئين[3] وما أراد من الكافرين، بل أراد من المخطئين[4] الفاعلين شيئاً بغير قصد [5] وصاحب هذا الرأي أراد تخفيف المصيبة ولم يحكم بكفر النبي موسى عليه السلام وإنما أراد خطأه وهذه المصيبة العظمى لأن الأنبياء لا يجوز عليهم الخطأ .

وقيل المراد مِنَ كلمة الضَّالِّينَ، أي الجاهلين، أنها تبلغ القتل، أو الضالين عن العلم أنها تبلغ القتال، أو البائسين [6] وقيل انه لم يهتد بهدى الرسالة بعد [7] ومن هنا يظهر ما في قول بعضهم: إن المراد بالضلال الجهل بمعنى الإقدام على الفعل من غير مبالاة العواقب كما في قول الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم التغلبي:

أَلا لا يَجهَلَن أَحَدٌ عَلَينا فَنَجهَلَ فَوقَ جَهلِ الجاهِلينا [8] .

وفي ذلك اعتراف بالجرم والمعصية، وآيات سورة القصص ناصة على أن الله سبحانه آتاه حكماً وعلماً قبل واقعة القتل وهذا لا يجامع الضلال بهذا المعنى من الجهل، وأما قول القائل، إن المراد بالضلال الجهل بمعنى عدم التعمد وأنه إنما فعل ذلك جاهلاً به غير متعمد إياه فإنه عليه السلام إنما تعمد وكز القبطي للتأديب فأدى إلى ما أدى، وكذا قول القائل: إن المراد بالضلال الجهل بالشرائع، والمعنى فعلتها ناسياً حرمتها أو ناسياً أن الوكز مما يفضي إلى القتل عادة [9] .

ومن وجوه تصريفها، قوله تعالى {وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ ...} [10] أي أخفينا [11] وأصل الضلال هنا الهلاك ومنه قولهم ضلت الناقة إذا هلكت بضياعها، أي هلكنا بتقطع أوصالنا[12] وقيل جاءت الآية كناية عن الموت واستحالة البدن [13] أي لحقنا بالتراب عند الدفن،

---

١ الشعراء/٢٠
٢ الراغب الاصفهاني : مفردات غريب القرآن/٢٩٨ ، المناوي : فيض القدير ٦٢٥/٤
٣ الثعالبي : الجواهر ٦٠٢/٥
٤ الغزالي : المستصفى/١٤٠
٥ القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١١١/٢
٦ الطريحي : مجمع البحرين ٢٦/٣
٧ الطباطبائي : الميزان ٣١٠/٢٠
٨ ديوانه ، القصيدة النونية ، البيت ٥٣
٩ الطباطبائي : الميزان ١٥/ ٢٦٢ ، ٢٦٣
١٠ السجدة/١٠
١١ الطريحي : مجمع البحرين ٢٦/٣
١٢ أبو هلال العسكري : الفروق اللغوية/٣٩٢
١٣ الراغب الاصفهاني : مفردات غريب القرآن/٢٩٨

حتى كأنا لا نتميز من جملته [١] وجاء هذا السياق في قوله تعالى {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ}[٢] أي في هلاك [٣]، وتأتي بمعنى الضياع، قال تعالى {الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... } [٤] بمعنى الضياع، يقال ضللت الشيء: إذا جعلته في مكان ولم تدر أين هو؟ [٥] يقال: ضل الماء في اللبن[٦] وأخيراً: قوله تعالى {... فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلَالُ ... } [٧] قال مالك: اللعب بالشطرنج والنرد من الضلال [٨].

الضلالة المنسوبة للنبي ﷺ في القرآن الكريم

وردت في سورة الضحى، وهي إحدى عشرة آية، بلا خلاف، مكية في قول ابن عباس والضحاك [٩] وقيل تحتمل المكية والمدنية [١٠] وجميعها محكم [١١] ولما نزلت كبر النبي ﷺ في خاتمتها فسن التكبير، في خاتمة كل سورة بعدها وهو الله أكبر أو لا إله إلا الله والله أكبر [١٢] وهى قراءة أهل مكة رواها مجاهد عن ابن عباس عن أبى بن كعب عن النبي ﷺ رواه ابن خزيمة والبيهقي في شعب الإيمان وقواه ورواه من طريق موقوفاً على أبي بن كعب بسند معروف وهو حديث غريب، وقد أنكره أبو حاتم على عادته في التشديد واستأنس له الحليمى وأن القراءة تنقسم إلى أبعاض متفرقة كصيام الشهر وقد أمر الناس أنه إذا أكملوا العدة أن يكبروا الله على ما هداهم فالقياس أن يكبر القارئ إذا أكمل عدة السور [١٣].

ورد في فضلها عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال: من قرأها كان ممن يرضاه الله، ولمحمد ﷺ أن يشفع له، وله عشر حسنات بعدد كل يتيم وسائل، وختمها الله سبحانه أن الأتقى

---

١ القرطبي : الجامع ٩٩/٢٠
٢ القمر/٤٧
٣ الطريحي : مجمع البحرين ٢٦/٣
٤ الكهف/١٠٤
٥ الطريحي : مجمع البحرين ٢٦/٣
٦ القرطبي : الجامع ٩٩/٢٠
٧ يونس/٣٢
٨ القرطبي : الجامع ٣٣٧/٨
٩ الطوسي : التبيان ٣٦٧/١٠
١٠ الطباطبائي : الميزان ٣١٠/٢٠
١١ ابن حزم : الناسخ والمنسوخ/٦٦
١٢ السيوطي : تفسير الجلالين/٨١١
١٣ الزركشي : البرهان ٤٧٢/١

يعطيه من الثواب ما به يرضى، وافتتحها أنه يرضي نبيه، بما يؤتيه يوم القيامة، من الكرامة والزلفى[١] .

وقد فسر ابن عباس قوله تعالى {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى } [٢] قال: إنما سمى يتيماً لأنه لم يكن له نظير على وجه الأرض من الأولين والآخرين فقال الله عز وجل ممتنا عليه نعمة ألم يجدك يتيماً أي وحيداً لا نظير لك فآوى إليك الناس وعرفهم فضلك حتى عرفوك {وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى}[٣] يعني منسوباً عند قومك إلى الضلالة فهداهم بمعرفتك {وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى } [٤] يقول فقيرا عند قومك يقولون لا مال لك فاغناك الله بمال خديجة ثم زادك من فضله فجعل دعائك مستجابا حتى لودعوت على حجر أن يجعله الله لك ذهبا لنقل عينه إلى مرادك وأتاك بالطعام حيث لا طعام وأتاك بالماء حيث لاماء واغاثك بالملائكة حيث لا مغيث فاظفرك بهم على أعدائك [٥] .

الذي يهمنا من السورة المباركة قوله تعالى {وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى } يوحي ظاهرها إن النبيﷺ كان ضالاً قبل البعثة، والصحيح عكس ذلك تماماً، بدليل ما رواه الصالحي الشامي عن ابن القيم إن الله سبحانه وتعالى: نفى عنه الضلال المنافي للهدى والغي المنافي للرشد، ففي ضمن هذا النفي الشهادة له أنه على الهدى والرشد، فالهدى علمه والرشد في عمله، وهذان الأصلان هما في غاية كمال العبد وهما سعادته وصلاحه، فالراشد ضد الغاوي، والمهدي ضد الضال، وهو الذي زكت نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح، وهو صاحب الهدى ودين الحق، لا يتشبه الراشد المهدي بالضال الغاوي، إلا على اجهل الخلق وأعماهم قلباً وأبعدهم عن حقيقة الإنسانية [٦] .

وهذه الآية واحدة من أهم الآيات التي وقف المفسرون عندها طويلاً كل ذهب مذهبه في تفسيرها ولم يصلوا إلى معناها الحقيقي، وظهر منها عجز البشر عن فهم كلام الله سبحانه وتعالى وتأويله، لقوله تعالى {هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ... } [٧] حتى بلغ من ضلالة بعضهم، أن حملوها على كفر

---

١ الطبرسي : مجمع البيان ٣٧٩/١٠
٢ الضحى/٦ .
٣ الضحى /٧
٤ الضحى/٨ .
٥ الصدوق : علل الشرائع ١٣٠/١ .
٦ سبل ٣٢/٣ .
٧ آل عمران/٧

النبي ﷺ وهم الخوارج قال قوم منهم: يجوز أن يبعث الله تعالى من كان كافراً قبل البعثة، وهو قول ابن فورك [1] من الاشعرية، لكنه زعم أن هذا الجائز لم يقع، وقال قوم من الحشوية: قد كان محمد ﷺ كافراً قبل البعثة، واحتجوا بـــ الآية قيد الدراسة، وقال برغوث المتكلم [2] وهو أحد النجارية [3]: لم يكن النبي ﷺ مؤمناً بـــ الله قبل أن يبعثه [4] .

ما رويَ بـــ تكفيره مصيبة بحد نفسها، ولكن الأعظم من ذلك استشـــهاد المســـلمين بـــرأيهم، ويكفينا ما رويَّ عنه ﷺ قوله " تفترق أمتي فرقتين، فتمرق بينهمـــا مارقـــة، فتقتلهـــا أولـــى الطائفتين بالحق " [5] هذا حديث صحيح [6] وقول أمير المؤمنين عليه السلام ولو لم أكن فيكم ما قوتـــل الناكثون، ولا القاسطون، ولا المارقون [7] .

ومن هذه التأويلات الخاطئة، أولاً: الذهاب والانصراف، فـــ الضلال في العلوم النظرية كالضلال في معرفة الله ووحدانيته ومعرفة النبوة ونحوهما [8] أي وجدك ضالاً عن النبوة فهداك إليها [9] وغير مهتد لما سبق لك منها [10] ذاهباً عنها [11] وقد نسب الضلال إلى الأنبياء وإلى الكفار، وإن كان بين الضلالين بون بعيد [12] .

---

١ ترجم له الذهبي بكل تقدير فـــ قال : الإمام العلامة الصالح ، شيخ المتكلمين ، أبو بكر ، محمد بن الحسن الاصبهاني الأصولي ، الأديب النحوي الواعظ ، درس بالعراق مدة ، ثم توجه إلى الري ، فسعت به المبتدعة – يعني الكرامية – فراسله أهل نيسابور ، فورد عليهم ، وبنوا له مدرسة ودارا ، وظهرت بركته على المتفقهة ، وبلغت مصنفاته قريباً من مئة مصنف ، ودعي إلى مدينة غزنة ، وجرت له بها مناظرات ، وكان شديد الرد على ابن كرام ، ثم عاد إلى نيسابور ، فسم في الطريق ، فمات بقرب بست ، ونقل إلى نيسابور ، يستجاب الدعاء عند قبره ، كان أشعرياً ، رأسا في فن الكلام ، حمل مقيدا إلى شيراز للعقائد ، سأله السلطان محمود عن رسول الله ﷺ فقال : كان رسول الله ، وأما اليوم فلا ، فأمر بقتله بالسم ، كان يقول : إن روح رسول الله قد بطلت ، وتلاشت ، وما هي في الجنة . سير أعلام النبلاء ٢١٤/١٧ .

٢ أبو عبد الله محمد بن عيسى الجهمي ، كان يناظر ابن حنبل وقت المحنة . صنف كتاب ، الاستطاعة ، المقالات ، الاجتهاد ، الرد على جعفر بن حرب ، المضاهاة ، توفي سنة ٢٠٤هـــ . وقيل : ٢٤١هـــ . الذهبي : سير أعلام النبلاء . ٥٥٤/١٠ .

٣ قال عنها عبد القاهر البغدادي : إنها اليوم بالري أكثر من عشر فرق ، ومرجعها في الأصل إلى ثلاث فرق : برغوثية ، وزعفرانية ، ومستدركه . ، وهم اتباع الحسين بن محمد النجار ، وافقوا غيرهم في أصول . الفرق بين الفرق /١٨ ، ١٥٥ .

٤ ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة ٩/٧ .

٥ ابن حنبل : مسند ٧٩/٣ .

٦ الذهبي : سير ٣٧٦/٦ .

٧ اليعقوبي : تاريخ ١٩٣/٢ .

٨ الراغب الاصفهاني : مفردات غريب القرآن/٢٩٨ .

٩ الفخر الرازى : عصمة الأنبياء/٩٢ .

١٠ المناوي : فيض القدير ٦٢٥/٤ .

١١ الطبرسي : مجمع البيان ١٠٣/٤ .

١٢ الراغب الاصفهاني : مفردات غريب القرآن/٢٩٨ .

ثانياً: الضلال بـــ معنى الغفلة، ودليل ذلك قوله تعالى { {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـــذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ } [١] أي غافلاً عما يراد بك من أمر النبوة، فهداك: أي أرشدك [٢] أي ذاهباً إلى النبوة فهي ضالة عنك [٣] فمنهم ما نسبه إلى نبيه على ظاهر اللفظ ومنه الآية التي نحن بصددها، معناه وجدناك في قوم لا يعرفون نبوتك فهديناهم بك [٤] فليس هو من الضلال الذي هو الكفر ؟ قيل ضالا عن النبوة فهداك إليها [٥] .

وقيل معناها ضالٌ عن علم النبوة وأحكام الشريعة غافلٌ عنها [٦] أي: كنت غافلاً عنهما، فهداك إليهما، عن الحسن البصري والضحاك والجبائي، معنى الضلال على هذا هو الذهاب عن العلم [٧] أي لا تعرف شريعة فهداك [٨] مثل قوله {... وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ... } [٩] وقوله تعالى{... وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ } [١٠] أي غاب عنك، ويدعم رأينا إن الضلالة وردت في القرآن بمعنى الغفلة بقوله تعالى{... لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى } [١١] أي لا يغفل [١٢] .

قيل وجدك في قوم ضلال فهداك للتوحيد والنبوة قاله ابن السائب [١٣] وقيل وجدك لم يعرفك أحد بالنبوة حتى أظهرك فهدى بك السعداء، وقال القاضي عياض: ولا أعلم أحداً من المفسرين قال فيها ضالاً عن الإيمان [١٤] .

ثالثاً: وجدك مضلولاً عنك فهدى الخلق إلى الإقرار بنبوتك والاعتراف بصدقك [١٥] بعد إن كنت في قوم لا يعرفون حقك فهداهم إلى معرفتك كما يقال: فلان ضال في قومه إذا كان مضلولاً عنه[١٦] وأرشدهم إلى فضلك، والمراد إنك كنت خاملاً لا تذكر، ولا تعرف، فعرفك الله الناس حتى

---

١ يوسف/٣ .
٢ القرطبي : الجامع ٩٦/٢٠ .
٣ أبو هلال العسكري : الفروق اللغوية/٣٩٢ .
٤ المجلسي : بحار الأنوار ٢٠٨/٥ .
٥ القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١١١/٢ .
٦ البغوي : معالم التنزيل٤٩٩/٤، الطوسي : التبيان ٣٦٩/١٠ ، الآلوسي: روح المعاني ١٦٢/٣٠
٧ الطبرسي : مجمع البيان ٣٨٣/١٠
٨ الطريحي : مجمع البحرين ٢٥/٣
٩ النساء/١١٣
١٠ الإنعام/٢٤
١١ طه/٥٢
١٢ القرطبي : الجامع ٩٦/٢٠
١٣ ابن الجوزي : زاد المسير ٢٦٩/٨
١٤ الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١١١/٢
١٥ الطوسي : التبيان ٣٦٩/١٠
١٦ الفخر الرازى : عصمة الأنبياء/٩٣ ، الشريف المرتضى : تنزيه الأنبياء/١٥٠

عرفوك وعظموك [١] وقيل منسوباً عند قومك إلى الضلالة فهداهم بمعرفتك [٢] .

رابعاً: وجدك في قوم ضلال كأنك واحد منهم [٣] يقال هو ضال في قومه أي ضائع لا يعرفون منزلته [٤] وقيل: وجدك مغمورا بأهل الشرك، فميزك عنهم [٥] .

خامساً: وجدك لا تعرف الحق فهداك إليه أن نصب لك الأدلة وأرشدك إليها حتى عرفت الحق، وذلك من نعم الله [٦] وقيل هداك إلى الحق بإتمام العقل، والألطاف حتى عرفت الله بصفاته بين قوم ضلال مشركين [٧] وهذا لم يكن تجنٍ على النبي محمد ﷺ فقط، وإنما على الحق سبحانه وتعالى لأنه بعث من لا يعرف الحق فنصبه نبياً .

سادساً: تنزيه النبي محمد ﷺ عن الضلال، فإن قيل ما معنى الآية الكريمة ؟ أو ليس هذا يقتضي اطلاقه الضلال عن الدين ؟ وذلك مما لا يجوز عندكم قبل النبوة ولا بعدها ؟ الجواب: في معنى هذه الآية أجوبة: وبإرشاده ﷺ إلى ما ذكرناه أعظم النعم عليه، والكلام في الآية خارج مخرج الامتنان والتذكير بالنعم، وليس لأحد أن يقول إن الظاهر بخلاف ذلك، لأنه لابد في الظاهر من تقدير محذوف يتعلق به الضلال، لان الضلال هو الذهاب والانصراف فلا بد من أمر يكون منصرفاً عنه، فمن ذهب إلى انه أراد الذهاب عن الدين فلا بد له من أن يقدر هذه اللفظة ثم يحذفها ليتعلق بها لفظ الضلال، وليس هو بذلك أولى منا فيما قدرناه وحذفناه [٨] .

سابعاً: قوله تعالى {... مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ...} [٩] أي ما تدري ما القرآن ولا شرائع الإيمان ولم يرد الإيمان الذي هو الإقرار لان آباءه الذين ماتوا على الكفر والشرك كانوا يعرفون الله تعالى ويؤمنون به ويحجون له ويتخذون آلهة من دونه يتقربون بها إليه تعالى وتقربه فيما ذكروا منه ويتوقون الظلم ويحذرون عواقبه ويتحالفون على أن لا نبغي على أحد ولا نظلم [١٠] .

---

١ الطبرسي : مجمع البيان ٣٨٤/١٠
٢ الصدوق : علل الشرائع ١٣٠/١ ، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١٧٧/٢
٣ الطوسي : التبيان ٣٦٩/١٠
٤ أبو هلال العسكري : الفروق اللغوية/٣٩٢ ، القرطبي : الجامع ٩٦/٢٠ ، الشوكاني : فتح القدير ٤٥٨/٥
٥ القرطبي : الجامع ٩٩/٢٠
٦ الطوسي : التبيان ٣٦٩/١٠
٧ الطبرسي : مجمع البيان ٣٨٣/١٠
٨ الشريف المرتضى : تنزيه الأنبياء/١٥٠
٩ الشورى/٥٢
١٠ ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث/١٠٦

وقيل: معناه ما كنت تدرى قبل الوحى أن تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق إلى الإيمان، الذي هو الفرائض والأحكام، فكان قيل مؤمناً بتوحيده ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل فزاد بالتكليف إيماناً وهو أحسن وجوهه [١] .

وما قيل إن النبي ﷺ ضال حالة في نفسه مع قطع النظر عن هدايته تعالى فلا هدى له ولا لأحد من الخلق إلا بالله سبحانه فقد كانت نفسه في نفسها ضالة وإن كانت الهداية الالهية ملازمة لها منذ وجدت [٢]

وقال قوم: " ضالاً " لم تكن تدري القرآن والشرائع، فهداك الله إلى القرآن، وشرائع الإسلام، عن الضحاك وشهر بن حوشب وغيرهما [٣] .

وهذا الرأي معارض بـ قوله تعالى {وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ } [٤] قال الإمام الباقر عليه السلام معناه تنقله في أصلاب النبيين، من نبي إلى آخر [٥] حتى أُخرج نبياً قاله عكرمة عن ابن عباس [٦] ورجاله رجال الصحيح غير شبيب ين بشر وهو ثقة [٧] لأن معنى القلب لغة: تحويل الشيء عن وجهه ظهراً لبطن، وبطناً لظهر [٨] والساجدين يعني المصلين [٩] وهذا معناه تنقلك من ساجد لآخر، وهو عمل يؤديه المسلم لله ولا يحل لغيره

وما قيل عن كفر آبائه، هو مردود لأنه من تربية أبي طالب بن عبد المطلب، حجة الله في أرضه، إمام مسلمين زمانه وقائدهم الحديث طويل عن عقيدته قبل المبعث ومن شاء يراجع ما كتبناه عنه [١٠] ورعاه حجة الله، عبد المطلب بن هاشم، صحيح المعتقد سنن سنن انزل الله سبحانه وتعالى فيها قرآن، كان انموذج الرجل المسلم المؤمن العامل [١١] ويرد كل التهم في آبائه الكرام، ما كتبناه تحت عنوان طهارة نسب النبي محمد ﷺ [١٢] .

---

١ القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١١١/٢
٢ الطباطبائي : الميزان ٣١٠/٢٠
٣ القرطبي : الجامع ٩٦/٢٠
٤ الشعراء/٢١٩
٥ الطوسي : اختيار معرفة الرجال ٤٨٨/٢
٦ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢٥/١ ، الطبراني : المعجم الكبير ٢٨٧/١١
٧ الهيثمى : مجمع الزوائد ٨٦/٧
٨ ابن منظور : لسان العرب ٦٨٩/١ ، ٨٠/٢
٩ البخاري : صحيح ١٦/٦ ، النحاس : معاني القرآن ١٠٧/٥
١٠ أبو طالب /١٨٩
١١ المحمداوي : عبد المطلب بن هاشم ، دراسة في رئاسته على قريش ، والمنافرة وعقيدته /٦٥
١٢ محاضرات ألقيناها على طلبة المرحلة الأولى قسم التاريخ لسنة ٢٠١٥

وقولهم لم يعرف الإسلام والإيمان، هذا معارض بـــ قوله تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ...﴾[1] وقد أثبتنا وجود الإسلام والإيمان منذ عصر النبي آدم عليه السلام وبأدلة قرآنية خالصة، فضلاً عن أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولكثرة الأدلة يصعب ذكرها ولو دليل واحد، كما بينا شرائع الإسلام السابقة شريعة النبي إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام [2].

أما استشهادهم في الآية المباركة، ليس حجة علينا، ولم يكن لها نصيب في هذا المبحث، ربما سنقف عندها في بحث لاحق إن وفقنا الله سبحانه وتعالى .

ومن التفسيرات الخاطئة، إن ضلالته في كيفية التعامل مع التنزيل، فـــ بقى في حيرة، وهذا ما قاله عياض عن الجنيد، المعنى وجدك متحيراً في بيان ما انزل إليك فهداك لبيانه [3] لقوله تعالى { ... وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } [4] وقوله تعالى {وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ ... } [5] وأكده القرطبي بـــ قوله: وجدك متحيراً عن بيان ما نزل عليك، فهداك إليه، فيكون الضلال بمعنى التحير، لان الضال متحير [6] .

ولهذا كان يخلو بغار حراء في طلب ما ؟ يتوجه به إلى ربه ويتشرع به حتى هداه الله إلى الإسلام، وقيل لا تعرف الحق فهداك إليه، وهذا مثل قوله تعالى {... وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ...}[7] قاله ابن عباس لم تكن له ضلالة معصية وقيل هدى، أي بين أمرك بالبراهين [8] .

والآية حكمها حكم ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام في حرب القاسطين " أخرجنا مما كنا فيه إلى ما صلحنا عليه، فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى، وأعطانا البصيرة بعد العمى " [9] ليس هذا إشارة إلى نفسه خاصة عليه السلام لأنه لم يكن كافراً فاسلم ولكنه كلام يقوله ويشير به إلى القوم الذين يخاطبهم من الناس فيأتي بصيغة الجمع الداخلة فيها نفسه توسعاً ويجوز أن يكون معناه لولا ألطاف الله تعالى ببعثه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكنت انا وغيري على أصل مذهب الإسلاف من عبادة الأصنام [10] فكيف نقبل ذلك على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟ .

---

١ آل عمران /١٩
٢ المحمداوي : الإسلام قبل البعثة المحمدية رؤية قرآنية
٣ القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١١١/٢ ، الثعالبي : الجواهر ٦٠٢/٥
٤ النحل/٤٤
٥ النحل/٦٤
٦ القرطبي : الجامع ٩٦/٢٠
٧ النساء/١١٣
٨ القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١١٢/٢
٩ الشريف الرضي : نهج البلاغة ٢٠٢/٢
١٠ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ١٠٨/١١

القائلون بـــ إيمانه

وفي ذلك آراء: الأول، لا شك عندنا أن النبي ﷺ كان مهتدياً منذ البداية، ولكنه كان – كما يبدو من الآية الكريمة والله العالم – متحيراً وضالاً بالنسبة إلى الخطوة الثانية فهداه الله تعالى إليها، إذ إن حالة التكامل والتصاعد في سلم الكمال متصورة حتى في حقه لأنه عاش حالة تكاملية متجددة بسبب نزول القرآن الكريم والوحي عليه حتى أصبح وبالتدريج أكمل الناس وأشرفهم [١] .

ونحن في هذا المقام نكن كل الود والاحترام لصاحب هذا الرأي، لكنه لا ينسجم مـــع شـــخص النبيﷺ المتكامل منذ الولادة ولم يكن فيها نقص، وإذا فيه هـــذا، والعيـــاذ بـــالله، وتكاملـــت شخصيته عن طريق الوحي، لم يكن له فضلاً علينا، ولا يستحق الجنة لأن الله ســـبحانه وتعـــالى أوصله ولم يكن من عمله، وهذا عليه مشكل، بحيث يمكن أن يضفى الله ذلك على أبي بكر فيكون سوياً ويأخذ النبوة، بدلاً من الشيطان الذي يعتريه، وهذا ما أشار إليه بـــ قولـــه " كـــان رســـول اللهﷺعبداً أكرمه الله بالوحي وعصمه به وإنما أنا بشر ... واعلموا أن لي شيطاناً يعتريني" [٢].

وضمن هذا السياق هناك من قال: عصم الله نبيه فلم يعبد صنماً قط ولا تابع الكفار على شيء مما هم عليه من الباطل وإنما ضلاله ﷺ كونه واقفاً لا يميز الطريق بل يدبر وينظر [٣] وهذا الرأي لا يحمد صاحبه عليه، وان فيه تنزيه النبي ﷺ من عبادة الأصنام، ولكنَّ فيه تجنياً كيف لا يميز الطريق ؟ وكأنه أراد القول انه لا يعرف طريق الحق من الباطل، وهذه جرأة بحد نفسها، والله وتالله، تكاد ترتجف انامليِ وإنا اكتب ما تيسر من سيرة الحبيب المصطفى، فما أدري لهؤلاء البشر من أين أتوا بهذه الجرأة، وما ترتب عليها من كيل التهم له .

كيف لا يميز الطريق ؟ وهو واضح كوضوح الشمس في رابعة النهار، وقد وضحه الله عندما أرسل ١٢٤، إلف نبي هو خاتمهم وإمامهم وسيدهم، لأن الله جلت قدرته لم يترك الأمور سائبة، وحسبك وضوح الطريق كثر سالكيه بهذا الكم من الرسل، ودليل ذلك قوله تعالى {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [٤] يلحظ تعبير الآية المباركة قالت رسل في صيغة الجمع هو جاء بعدهم، وعليه كان الطريق أمامه في غاية الوضوح .

---

١ محمد باقر الحكيم : تفسير سورة الحمد/ ٢١٨
٢ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢١٢/٣
٣ الثعالبي : الجواهر ٦٠٢/٥
٤ المائدة/١٩

الثاني: لا يدل على وجود ضلالة حقيقية ولا على وجود جهل فعلي قبل النبوة، بل غاية ما دل عليه لولا هداية الله له لكان ضالاً ولولا تعليم الله له كان جاهلاً، أي لو أن الله أوكله إلى نفسه، فإنه بما له من قدرات ذاتية وبغض النظر عن الألطاف الالهية، والعنايات الربانية ضال قطعاً، وجاهل بلا ريب، فهو من قبيل قولك: ما أنا في نفسي بفوق أن أخطئ لولا لطف الله وعصمته وتوفيقه، لكن بعد أن كان لطف الله حاصلاً من أول الأمر فإن العصمة تكون حاصلة بالضرورة من أول الأمر أيضاً [١] وإذا طبقنا هذا الرأي على أبي سفيان، كان نبياً، ألا يكن هذا ما أراد صاحب الصحيح، وكــ أنه نسى إن النبي عصمته بنفسه لا من الله .

الثالث: قاله ابن عطاء وجدك محباً لمعرفتي والضال المحب [٢] الرابع: وجده نسياً فهداه إلى الذكر، قاله ثعلب [٣] وقيل وجدك خاملاً لا تذكر ولا تعرف فهدى الناس إليك حتى عرفوك [٤] .

الخامس: الضلالة معناها طلب القبلة، بــ معنى وجده طالباً القبلة فهداه إليها، بــ دلالة قوله تعالى {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ...} [٥] ويكون الضلال بمعنى الطلب، لان الضال طالب، وقيل: وجدك محباً للهداية، فهداك إليها [٦] السادس: وجده وحيداً ليس معه نبي غيره فهدى به الخلق [٧] .

السابع: ضالاً عما أنت عليه من الشريعة فــ هداك إليها [٨] وهذا لم يكن بــ الرأي المعتد به لقوله تعالى {... لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ... } [٩] ودعك عن هذا ألم تكن هناك شريعة النبي عيسى عليه السلام قبل شريعة النبي محمد ﷺ وكلاهما ينضوي تحت خيمة واحدة أسمها الإسلام، ثم ماذا عن حكم الناس الأخروي قبل مبعث النبي محمد ﷺ ألا يكن طبقاً لأحكام شريعة النبي عيسى عليه السلام .

---

١ جعفر مرتضى العاملي : الصحيح من السيرة ٢٠٠/٢

٢ القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١١١/٢ ، الثعالبي : الجواهر ٦٠٢/٥

٣ العلامة المحدث شيخ اللغة والعربية أبو العباس احمد بن يحيى بن يزيد الشيباني مولاهم البغدادي المقدم في الكوفيين ، مولده سنة ٢٠٠هـ وابتدأ بالطلب سنة ست عشرة حتى برع في علم الأدب ، كان حجة ديناً وصالحاً مشهورا بالحفظ ، له تصانيف كثيرة ، توفى في جمادى الأولى سنة ٢٩١هـ ، وكان يلحن إذا تكلم . الذهبي : تذكرة الحفاظ ٦٦٦/٢ .

٤ ابن الجوزي : زاد المسير ٢٦٩/٨

٥ البقرة/١٤٤

٦ القرطبي : الجامع ٩٧/٢٠

٧ الثعالبي : الجواهر ٦٠٢/٥

٨ السيوطي : تفسير الجلالين/٨١٢

٩ المائدة/٤٨

الثامن: وجده في قوم ضالين، ومن أقام في قوم نسب إليهم، كما قيل خالد الحذاء لنزوله بين الحذائين وأبو عثمان المازني لأقامته في بني مازن لم يكن منهم [١] فاستنقذه الله من ضلالتهم [٢] فـ هداهم الله لك، قاله الكلبي والسدى والفراء [٣] وهذا الرأي غير موفق، بدليل في كل زمكنة يوجد المؤمن والمشرك من عصر النبي آدم عليه السلام إلى يومنا هذا، ولكن النسب متفاوتة، والأكيد عند مبعثه كانت نسبة المشركين أكثر من المسلمين، وبالعموم تبقى الحاضنة التي عاش بها حاضنة مسلمة مؤمنة ولا سيما عبد المطلب جده وعمه أبي طالب وأمه آمنة، وزوجه خديجة عليها السلام .

وربما اعتمد صاحب هذا الرأي على رواية محمد بن عبد الله الاسدي عن سفيان الثوري عن السدي قال: كان على أمر قومه أربعين عاماً [٤] وسند الرواية فيه سفيان بن سعيد الثوري، ت ١٦٢هـ مطعون فيه [٥] والسدي، إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة مولى بني هاشم، ت ١٢٧هـ يظهر من الآراء التي أطلعنا عليها مقبول الحال، وأن فيه كلاماً، انه صاحب تفسير [٦] لكننا لم نطلع عليه، ولم نعرف دليله على كلامه هذا، ربما رأيٌ بلا دليل .

وقاله ابن حميد، عن مهران، عن السدي[٧] وقيل: عني بذلك، وجدك في قوم ضلال فهداك [٨] وروى عثمان بن أبي شيبة عن جرير بن عبد الحميد الضبي عن سفيان الثوري عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه أحدهما قال لصاحبه اذهب بنا حتى نقوم خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال كيف نقوم خلفه وإنما عهده باستلام الأصنام قبل ؟ قال فلم يعد بعد ذلك أن يشهد مع المشركين مشاهدهم[٩].

السند فيه عثمان بن محمد بن أبي شيبة العبسي، ترجم له العقيلي في الضعفاء [١٠] والحديث أنكره عليه غير واحد من الائمة، حتى قال ابن حنبل فيه لم يكن أخوه يتلفظ بـ شيء من هذا، وقال البيهقي عن بعضهم معناه أنه شهد مع من يستلم الأصنام وذلك قبل أن يوحى إليه [١١] فهذا

---

١ أبو هلال العسكري : الفروق اللغوية/٣٩٢
٢ السيوطي : الدر المنثور ٣٦٢/٦
٣ الشوكاني : فتح القدير ٤٥٨/٥
٤ ابن سعد : الطبقات الكبرى ١٩٠/١
٥ المحمداوي : عقيل /٩٨
٦ المحمداوي : الإسلام قبل البعثة /٥١
٧ الطبري : جامع البيان ٢٩٣/٣٠
٨ الطبري : جامع البيان ٢٩٣/٣٠
٩ أبو يعلى : مسند ٣٩٨/٣
١٠ ٢٢٢/٣ .
١١ ابن كثير : البداية والنهاية ٣٥٢/٢ .

حديث أنكره ابن حنبل جداً وقال هو موضوع أو شبيه بالموضوع، وقال الدارقطني يقال إن عثمان وهم في إسناده، والحديث بالجملة منكر غير متفق على إسناده فلا يلتفت إليه[١] .

وعبد الله بن محمد بن عقيل سيء الحفظ، وبقية رجاله رجال الصحيح [٢] .

وروى السدي في قوله تعالى {وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ }[٣] وزره الشرك، فإنه كان على دين قومه أربعين سنة [٤] وهناك من رد هذا الادعاء فـ قال: ليس معناه انه كان كافراً بل معناه لولا اصطفاء الله تعالى لك لكنت كواحد من قومك، أي ووجدك عرضة للضلال فكأنه ضال بالقوة لا بالفعل [٥] .

وينفي كفر الأمة ما قاله النبي ﷺ: لا تجتمع أمتي على ضلالة [٦] ينبئ عن الكفر والبدعة فلعله أراد عصمة جميعهم عن الكفر بالتأويل والشبهة، وقوله: على الخطأ لم يتواتر وإن صح، فالخطأ عام يمكن حمله على الكفر ؟ قلنا: الضلال في وضع اللسان لا يناسب الكفر، قال الله تعالى: (ووجدك ضالا فهدى) يقال: ضل فلان عن الطريق، وضل سعي فلان، كل ذلك الخطأ، كيف وقد فهم ضرورة من هذه الألفاظ تعظيم شأن هذه الامة وتخصيصها بهذه الفضيلة، أما العصمة عن الكفر فقد أنعم بها في حق أمير المؤمنين عليه السلام وابن مسعود وأبي وزيد على مذهب النظام، لأنهم ماتوا على الحق، وكم من آحاد عصموا عن الكفر حتى ماتوا، فأي خاصية للامة، فدل أنه أراد ما لم يعصم عنه الآحاد من سهو وخطأ وكذب ويعصم عنه الامة تنزيلا لجميع الامة منزلة النبي ﷺ في العصمة عن الخطأ في الدين، أما في غير الدين من إنشاء حرب وصلح وعمارة بلدة فالعموم يقتضي العصمة للامة عنه أيضا، ولكن ذلك مشكوك فيه، وأمر الدين مقطوع بوجوب العصمة فيه، كما في حق النبي ﷺ، فإنه أخطأ في أمر تأبير النخل [٧] ثم قال:

---

١ القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١١٤/٢ .
٢ الهيثمي : مجمع الزوائد ٢٣/٦ .
٣ الشرح/٢ .
٤ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ٩/٧ .
٥ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ١٠٨/١١ .
٦ ابن حنبل : مسند ٣٩٦/٦ ، ونحن نقول اجتمعت والعياذ بالله بعد وفاة نبيها مباشرة ، علماً أن الأمة مفهوم معقد فيه تفصيلات ٠ ينظر المحمداوي : الإسلام قبل البعثة /٢٣
٧ رواه عبد الصمد عن حماد عن ثابت عن أنس قال سمع رسول الله ﷺ أصواتا فقال ما هذا قالوا يلقحون النخل فقال لو تركوه فلم يلقحوه لصلح فتركوه فلم يلقحون فخرج شيصا فقال النبي ﷺ ما لكم قالوا تركوه لما قلت فقال رسول الله صلى عليه وسلم إذا كان شيء من أمر دنياكم فأنتم أعلم به فإذا كان من أمر دينكم . ابن حنبل : مسند ١٥٢/٣ .

أنتم أعرف بأمر دنياكم وأنا أعرف بأمر دينكم . التأويل الثاني: قولهم: غاية هذا أن يكون عاماً يوجب العصمة عن كل خطأ، ويحتمل أن يكون المراد به بعض أنواع الخطأ من الشهادة [١] .

فهو معصوم في الأزل من الضلال فإن قلت فما معنى قوله {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ }[٢] ثم قال بعد الرسل {قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللّهُ مِنْهَا... }[٣] فلا يشكل عليك لفظة العود وأنها تقتضي أنهم إنما يعودون إلى ما كانوا فيه من ملتهم فقد تأتى هذه اللفظة في كلام العرب لغير ما ليس له ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء في حديث الجهنميين عادوا حمماً [٤] ولم يكونوا قبل كذلك، وقيل وجدك بين أهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك بـــ الإيمان وإلى إرشادهم ونحوه عن السدى وغير واحد [٥]

وقال الترمذي وعبد العزيز بن يحيى ضالاً معناه خامل الذكر لا يعرفك الناس فهداهم إليك ربك والصواب انه ضلال من توقف لا يدرى كما قال عز وجل {... مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ...} [٦] قال عياض ولا اعلم أحداً من المفسرين قال فيها ضالا عن الإيمان [٧] .

وعليه حمل العلماء قوله تعالى: " ووجدك ضالا فهدى " أي غافلا، في أحد التأويلات، يحققه قوله تعالى [٨] {... مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ...} [٩] فان قيل فما معنى قوله {...وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ }[١٠] فاعلم أنه ليس بمعنى قوله: {...وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ}[١١] بل حكى أبو عبد الله الهروي أن معناه لمن الغافلين عن قصة يوسف إذ لم تعلمها إلا بوحينا[١٢] وقال في حق نبيه {...وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ }[١٣] إي من الغافلين عن قصة النبي يوسف عليه السلام وأخوته وإنما عرفها عن طريق الوحي [١٤] .

---

١ الغزالي : المستصفى/١٤٠ .
٢ إبراهيم/١٣ .
٣ الأعراف/٨٩ .
٤ ينظر نص النص عند مسلم : صحيح ١١٤/١ .
٥ القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١١١/٢
٦ الشورى/٥٢
٧ الثعالبي : الجواهر ٦٠٢/٥
٨ الشورى/٥٢
٩ القرطبي : الجامع ٣٣٧/٨
١٠ يوسف/٣
١١ يونس/٧
١٢ القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١١١/٢
١٣ يوسف/٣
١٤ الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ٤/٣

الضلال هنا بمعنى الغفلة كما في قوله تعالى{...لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى } [١] وكما في قوله تعالى{...وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ } [٢] والمعنى أنه وجدك غافلاً عما يراد بك من أمر النبوة، وقيل معنى ضالا لم تكن تدري القران ولا الشرائع فهداك لذلك وقيل وجدك طالباً القبله فهداك إليهاكما في قوله {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ...} [٣] .

ويكون الضلال بمعنى المحبة، قيل وجدك محبا للهداية فهداك إليها [٤] يعني وجدك ضالاً عن محبتى لك في الأزل أي لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي، وقيل أي اهتدى بك، ولم يريدوا ههنا في الدين إذ لو قالوا ذلك في نبى الله لكفروا ومثله عند هذا قوله تعالى {وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } [٥] أي محبة بينة، وقيل معناه من الناسين، أي ناسيا [٦] .

روي في قراءة هذه الآية الرفع " {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى } [٧] على أن اليتيم وجده وكذلك الضال، وهذا الوجه ضعيف لان القراءة غير معروفة، ولان هذا الكلام يسمج ويفسد أكثر معانيه، تنزيه النبي ﷺ عن مدح آلهة قريش [٨] .

الضلالة في الرواية التاريخية، ضياع النبي ﷺ في صغره

صدرت بعض وجهات النظر في تفسير الآية، منها بمعنى وجدك ضالاً في شعاب مكة، وفيه آراء، الرأي الأول ضُل وهو عند مرضعته حليمة وفيه روايات:

الأولى نقلها ابن هشام عن ابن إسحاق قوله: زعم الناس إن أمه السعدية قدمت به مكة فـ أضلها في الناس، فالتمسته ولم تجده، فـ أخبرت عبد المطلب، فقام عند الكعبة يدعو الله أن يرده، فيزعمون وجده ورقه بن نوفل بن أسد، ورجل آخر من قريش، فأتياه فقالا له: هذا ابنك وجدناه بأعلى مكة، فأخذه فجعله على عنقه وهو يطوف بالكعبة يعوذه ويدعو له، ثم أرسل به إلى أمه آمنة"[٩] مما تقدم يتضح عدم قناعة ابن إسحاق بصحة الرواية فعدها زعماً، فكرر ذلك مرتين.

---

١ طه/٥٢
٢ يوسف/٣
٣ البقرة/١٤٤
٤ الشوكاني : فتح القدير ٤٥٨/٥
٥ يوسف/٣٠
٦ القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١١٢/٢
٧ الضحى/٦
٨ الشريف المرتضى : تنزيه الأنبياء/١٥٠
٩ السيرة ١٠٨/١ .

الثانية: رواها ابن سعد عن الواقدي، قال: إن حليمة أتت به إلى جده، فـ أضلها في الناس فـ التمسته فلم تجده فـ أخبرته فطلبه ولم يجده فقام عند الكعبة فقال:

اللهم أد راكبي محمـــــداً اده إليَّ واصطنع عندي يدا

أنت الذي جعلته لي عضدا لا يبـــعد الدهـــر به فيبعـــدا [1]

الثالثة أوردها ابن شهراشوب عن ابن عباس قال " ... نادى شيخ على الكعبة: يا عبد المطلب إن حليمة امرأة عربية وقد فقدت ابنها محمداً فغضب، وكان إذا غضب خاف الناس منه فنادى: يا بني هاشم ويا بني غالب اركبوا فقد محمد، وحلف أن لا ينزل حتى يجده أو يقتل الف إعرابي ومائة قرشي وكان يطوف حول الكعبة قائلاً:

يا رب إن محمداً لن يوجدا تصبح قريش كلهم مبددا

فسمع نداء إن الله لا يضيع محمداً، فقال: أين هو ؟ قال: في وادي فلان تحت شجرة أم غيلان، قال ابن مسعود فأتينا الوادي فرأيناه يأكل الرطب منها وحوله شابان فلما قربنا منه ذهب الشابان وكانا جبريل وميكائيل عليهما السلام فسألناه من أنت وماذا تصنع ؟ قال: أنا ابن عبد الله، فحمله عبد المطلب على عنقه وطاف به حول الكعبة وكانت النساء اجتمعن عند أمه آمنة على مصيبته فلما رآها تمسك بها وما التفت إلى احد [2] وهذا معناه ان آمنة (ع) كانت على قيد الحياة، ويترتب على وجودها عدم وجود مرضعة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم .

الرابعة: رواها القمي عن الواقدي قوله: فلما طال مكث النبي صلى الله عليه وآله وسلم طلبه في تلك المفاوز إخوته أولاد حليمة فلم يجدوه فرجعوا إليها واعلموها بقصته فقامت ذاهلة العقل تصيح في حي بني سعد فرفعت الصيحة فُقد محمد فقامت حليمة ومزقت أثوابها وخدشت خدها ونفشت شعرها وهي تعدو في البراري والمفاوز والقفار حافية القدم والشوك يدخل في رجلها والدم يسيل منها وهي تنادي واولداه واقرة عيناه واثمرة فؤادي ومعها نساء بني سعد يبكين معها مكشفات الشعور مخدوشات الوجوه وحليمة تسقط مرة وتقوم أخرى وما بقي في الحي شيخ ولا شاب ولا حر ولا عبد إلا يعدو في البرية في طلب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهم يبكون كلهم بقلب محترق وركب عبد الله بن الحارث وركب معه آل بني سعد وحلف إذا ما وجدت محمداً صلى الله عليه وآله وسلم الساعة وضعت سيفي في آل بني سعد وغطفان واقتلهم عن آخرهم واطلب بدم محمد وذهبت حليمة على حالتها مع نساء بني سعد نحو مكة، ودخلتها، وكان عبد المطلب قاعداً عند أستار الكعبة مع رؤساء قريش وبني هاشم، فلما نظر إليها على تلك الحالة ارتعدت فرائصه وصاح ما الخبر فقالت: اعلم إن محمداً قد

---

١ ابن سعد : الطبقات ١١٢/١ .

٢ المناقب ٣٢/١ .

فقدناه منذ أمس، فغشي عليه ساعة ثم أفاق وقال كلمة لا يخذل قائلها لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم يا غلام هات فرسي وسيفي وجوشني وصعد إلى أعلى الكعبة ونادى يا آل غالب يا آل عدنان يا آل فهر يا آل نزار يا آل كنانة يا آل مضر يا آل مالك فاجتمع عليه بطون العرب ورؤساء بني هاشم وقالوا له ما الخبر يا سيدنا فقال: إن محمداً لا يُرى منذ أمس فاركبوا وتسلحوا فركب في ذلك اليوم مع عبد المطلب عشرة آلاف رجل فبكى الخلق كلهم رحمة لعبد المطلب وقامت الصيحة والبكاء في كل جانب حتى المخدرات خرجن من الستور رقة له مع القوم إلى حي بني سعد وسائر الإطراف وانجذب عبد المطلب نحو حي عبد الله بن الحارث وأصحابه باكي العيون ممزقي الثياب وكلهم بتمام الأسلحة فلما نظر عبد الله إلى عبد المطلب رفع صوته بالبكاء، وقال: واللات والعزى واساف ونائلة إن لم أجد محمداً وضعت سيفي في حي بني سعد وغطفان واقتلهم عن آخرهم فرق قلب عبد المطلب على حي آل سعد ارجعوا انتم إلى حيكم، واللات والعزى إن لم أجد محمداً الساعة رجعت إلى مكة، ولم ادع فيها يهودياً ولا يهودية ولا أحداً ممن اتهم بمحمد فأمدهم تحت سيفي مداً ولا جعلن مكة طلباً لدم محمد ﷺ واقبل من اليمن أبو مسعود الثقفي وورقة بن نوفل وعقيل بن أبي وقاص وجازوا على الطريق الذي فيه محمدﷺ وإذا شجرة ثابتة في الوادي فقال ورقة لأبي مسعود إني سلكت هذا الطريق ثلاثين مرة فما رأيت قط هنا هذه الشجرة فقال عقيل صدقت فمروا بنا حتى ننظر ما هي فذهبوا جميعاً وتركوا الطريق الأول فلما بلغوا قريباً من الشجرة رأوا تحتها شيئاً، فقال عقيل وورقة ما هو إلا جني، فقال أبو مسعود: ما هو إلا من الملائكة وهم يقولون والنبي ﷺ يسمع كلامهم فاستوى قاعداً فرأى القوم ورأوه فقال أبو مسعود من أنت يا غلام اجني أم انسي فقال النبي ﷺ انسي انا محمد بن عبد الله[1] .

الملاحظ عدم الدقة في النقل عن الواقدي فلذلك جاءت رواية ابن سعد مختلفة عن رواية شاذان بن جبريل القمي، ومن الجدير القول إن ابن سعد هو احد تلامذة الواقدي، فربما يكون نقله أدق من غيره، وأساس الخلاف في النقل إن ابن سعد ذكر حليمة إنها ذهبت به إلى جده، وفي الطريق أضلته، في حين ذكر القمي عكس ذلك مشيراً إلى انه كان مع إخوته من الرضاعة، فلما طال مكثه في المفاوز، اخبروا حليمة بالأمر، وهذا مشكل، وأصبح مختلفاً هل انه أضل وهو في طريق العودة إلى جده مع حليمة حسب ما أورده ابن سعد، أم وهو في بيت حليمة مع إخوته من الرضاعة حسب ما أشار إليه القمي ؟ وأضاف إن حليمة هي التي أخبرت جده بضياعه، فيا ترى كم هي المسافة من سكن حليمة في حي

---

١ الفضائل /٣٦ .

بني سعد إلى مكة سكن عبد المطلب، وهل تستطيع حليمة أن تقطعها لتخبر جده الأمر؟ فضلاً عن ذلك ما ذكرته الرواية إن محمداً بات ليلة خارج دار حليمة وهذا ما روته لجده بقولها " فقدناه منذ أمس" وقد جمعت الرواية بين متناقضين، الأول إن عبد المطلب حينما اخبروه بضياع محمد ﷺ قال "لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم " وهذا الأمر إن دل على شيء إنما يدل على إسلامه وإلا الكافرون لا يعرفون ذلك وان عرفوه فلا ينطقون به، والثاني انه قسم بـــ اللات والعزى .

وهذا معناه انه كافر وحاشاه أن يكون كذلك، بل ثبت إسلامه [1] وعن إشارته بـــ قتل اليهود وكل ممن اتهم بضياع محمد ﷺ هذا يدل على انه ضرب من الحمق وحاشاه أن يكون كذلك، وربما يعلق احدهم على الأمر ويقول هل إن اليهود قطائع أغنام حتى يقتلهم، وبماذا بالأسلحة الكيماوية أم بأسلحة الدمار الشامل ؟ علماً ان مكة لم يكن فيها يهود، بل هم في المدينة، وهذه ليست المرة الأولى، فقد افترى عليه هكذا في ولادة محمد ﷺ حينما منعته آمنة من رؤيته فاستل سيفه وتوعد ...الخ، وفي رواية ابن شهراشوب عن ابن عباس إن عبد المطلب عندما علم بضياع محمد ﷺغضب وحلف إن لم يجده يقتل إلف إعرابي ومائة قرشي، هذه الرواية وأمثالها من ابتداع وضاع الروايات .

أما عن الأشخاص الثلاثة الذين وجدو محمداًﷺ وهم ورقة بن نوفل، مأساة السيرة المحمدية، في كل أمر يُحشر اسمه، هو الذي عرف محمداً إنه نبي الله في قضية نزول الوحي ــ لا نريد الخوض في التفصيلات ــ وحينما تغيب هو الذي وجده، للرد على ذلك نقول: مَنْ هو ورقة حتى يرى هكذا علامات وإذا كان عارفاً بنبوة محمدﷺ وانه من الصالحين فلماذا لا يكون من المسلمين ؟ ثم كم يكون عمره أدرك عبد المطلب وعاش مع محمدﷺ حتى الدعوة هذا ولا نعرف وفاته، وعقيل بن أبي وقاص، بحثنا عنه ولم نعرفه.

والرواية فيها تعبيرات إسلامية وهي تتحدث عن حزن الناس لضياع محمد ﷺ ولا سيما القول "وقامت الضجة والبكاء في كل جانب حتى المخدرات خرجن" فهل هناك مخدرات في تلك الفترة، فمن المعتقد إن الكاتب تحدث عن ضياعه فأخذته العاطفة وأجهش بالبكاء ظناً انه تحدث عن مأساة كربلاء.

الخامسة: بعد أن انقضت مدة رضاعته عادت به حليمه إلى جده، فـــ ضلته في الطريق فطلبته جزعة، وقالت: إن لم أره لأرمين نفسي من شاهق وصاحت: وامحمداه ! فدخلت مكة على تلك الحال، فرأت شيخاً متوكأ على عصا، فسألها عن حالها، فأخبرته فقال: لاتبكين فانا أدلك على من

---

١ المحمداوي : عبد المطلب بن هاشم ، مجلة دراسات تاريخية ، ع٩ ، أيلول ٢٠١٠/٦٥ .

يرده عليك، فأشار إلى هبل صنمهم الأكبر، ودخل البيت فطاف بهبل، وقبل رأسه، وقال: يا سيداه لم تزل منتك جسيمة، رد محمداً على هذه السعدية، فتساقطت الأصنام لما تفوه باسم محمد ﷺ وسمع صوتاً: إن هلاكنا على يدي محمد، فخرج وأسنانه تصطك وخرجت إلى عبد المطلب، وأخبرته الحال، فخرج فطاف بالبيت، ودعا الله سبحانه، فنودي واشعر بمكانه، فاقبل عبد المطلب، وتلقاه ورقة بن نوفل في الطريق، فبينما هما يسيران إذ النبي ﷺ قائم تحت شجرة، يجذب الأغصان، ويلعب بالورق، فقال عبد المطلب فداك نفسي وحمله وعاد به إلى مكة [1] يلحظ على الروايات أنها لم تصمد أمام النقد العلمي الصحيح، وعليها مشكل، من جهة بقائه ﷺ عند حليمة كل هذه المدة، فهو أرسل إليها لغرض الرضاعة أم لغرض النشأة والتربية ؟! فكانت حجة القائلين إن حليمة أرضعته، فما حجتهم بعد أن أتم الرضاعة، قيل بقي هناك في بني سعد للبركة، وللرد على ذلك نقول هل إن أمه وجده وسائر أهله في غنى عن بركته ﷺ ؟ هذه حجة ساقطة أما عن وفاة أمه وكم كان عمره هذا أمر مختلف فيه، فالأرجح أنها توفيت وهو طفل رضيع لذلك أرسل إلى حليمة لرضاعته، وإذا كانت موجودة إلى أن بلغ عمره أربع سنوات فهذا معناه انه لم يرضع من قبل حليمة وإنما أرضعته أمه .

الرأي الثاني: وجدك ضائعاً وأنت صبى في بعض المفاوز [2] وقيل في شعاب مكة، وهو صغير، فرآه أبو جهل، ورده إلى جده عبد المطلب، فمن الله سبحانه بذلك عليه، إذ رده إلى جده على يد عدوه، عن ابن عباس [3] وهذا شيء ينبئ بتجميل صورة أبي جهل .

وقيل انه فُقد في بيت جده عبد المطلب، حينما ذهب في طلب الإبل وهذا ما أشار إليه الطبراني ٣٦٠هـ عن الحضرمي عن وهب بن بقية عن خالد بن عبد الله عن داود بن أبي هند عن العباس بن عبد الرحمن عن كندير بن سعيد عن أبيه قال " حججت في الجاهلية فإذا أنا بـ رجل يطوف بالبيت وهو يرتجز ويقول:

رب رد إليَّ راكبي محمد رده رب إليَّ واصطنع عندي يدا

قلت من هذا قالوا عبد المطلب ذهبت إبله فـ أرسل ابنه في طلبها فاحتبس عليه ولم يرسله قط في حاجة ألا جاء بها، فما برحت أن جاء والإبل معه فقال يا بني لقد حزنت عليك حزناً لا يفارقني أبداً [4] .

---

١ الطبرسي : مجمع البيان ٣٨٣/١٠ .

٢ الفخر الرازى: عصمة الأنبياء/٩٣ .

٣ الطبرسي : مجمع البيان ٣٨٣/١٠ .

٤ المعجم الكبير ٦٤/٦ ، ينظر ابن حجر : الإصابة ١٢٧/٢ .

وعلى رواية أرسله إلى رعاية ابله قد ندت له فجمعها وأبطأ عليه اخذ بحلقة باب الكعبة وهو يقول " يا رب أتهلك آلك أن تفعل فأمر ما بدا لك " فجاء بها، وقد وجه عبد المطلب في كل طريق، وفي كل شعب في طلبه، ولما رآه أخذه فقبله فقال " يا بني لا وجهتك بعد هذا في شيء فاني أخاف أن تغتال فتقتل [١] .

وينقض ذلك انه كان يجلسه على فراشه الذي يطرح له في ظل الكعبة، ولا يجلس عليه احد من بنيه إجلالاً له، وكان رسول الله ﷺ يأتي حتى يجلس عليه فيذهب أعمامه يؤخرونه، فيقول جده عبد المطلب: دعوا ابني فيمسح على ظهره ويقول: إن لأبني هذا شأناً [٢] وقالته آمنة: كائن لابني هذا شأن[٣] فـ كان يحبوه التحف ويمنحه الطرف ويعد قريشاً به ويخبرهم بما يكون من حاله إلى أن دنت وفاته فوضعه في حجر أبي طالب وأوصاه به وأمر بحياطته ورعايته وعرفه ما يكون من أمره[٤] وقد كبر عبد المطلب قبل هذه الفترة واضر، والنبي ﷺ صغير فمن كان كذلك هل يستطيع أن يأتي بالإبل؟! الأجدر به أن يرسل احد أولاده في رعاية إبله أفضل من أن يرسل طفلاً بهذا العمر، هذا من المستحيل والقضية وما فيها ملفقة أسوة بغيرها، وقيل رده الله إلى جده عبد المطلب، رواه أبو الضحى عن ابن عباس [٥] .

الرأي الثالث: لما خرج مع ميسرة غلام خديجة أخذ إبليس بزمام ناقته فعدل به عن الطريق فجاء جبريل فنفخه نفخة وقع منها إلى الحبشة ورده إلى القافلة فمن الله عليه بذلك قاله سعيد بن المسيب [٦] وقيل حصل هذا في أثناء سفره مع عمه أبي طالب في سفر، وان جبريل عليه السلام ، نفخ إبليس نفخة وقع منها إلى أرض الهند، قاله سعيد بن جبير [٧] ولم نعرف مَنْ الذي وجده هل هو عقيل ابن أبي العاص وورقة وأبو مسعود؟ طبقاً لرواية القمي أم ورقة ورجل من قريش؟ وقيل رده أبو جهل حسبما جاء في رواية الطبرسي، وقيل إن منادي كلم عبد المطلب فدله على مكانه .

وقد نفى الطباطبائي كل ذلك فقال: وقيل: إنه إشارة إلى ضلاله في طريق مكة حينما كانت تجئ به حليمة بنت أبي ذؤيب من البدو إلى جده عبد المطلب على ما روي . وقيل: إشارة إلى ما روي من ضلاله في شعاب مكة صغيرا. وقيل: إشارة إلى ما روي من ضلاله في مسيره إلى

---

١ الكليني : الكافي ٤٤٧/١ ، ابن شهراشوب : المناقب ٣٣/١ .
٢ ابن اسحاق : السير /٦٥، ينظر ابن سعد : طبقات ١٥٢/١، الصدوق : كمال الدين /١٧٢ ، ابن الأثير : أسد ١٥/١ .
٣ السير /٥٠ .
٤ الكراجكي : كنز /٧٢ .
٥ ابن الجوزي : زاد المسير ٢٦٩/٨ .
٦ ابن الجوزي : زاد المسير ٢٦٩/٨ .
٧ القرطبي : الجامع ٩٧/٢٠ .

الشام مع عمه أبي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة، وقيل: غير ذلك وهي وجوه ضعيفة ظاهرة الضعف [١] .

الرأي الرابع: لما هاجر إلى المدينة ضل في الطريق، ودليله فأرشدهم الله إلى الطريق الواضح حتى وصلوا فإذا قيل: السورة مكية أمكن أن يقال: المراد بذلك الاستقبال والإعلام له أنه يكون هذا على وجه البشارة له به، ولم يكن فعلا له معصية، لأنه ليس ذهاباً عما كلف [٢] وهذا يقتضي أن تكون الآية مدنية، وهذا الوجه قريب لولا إن السورة مكية وهي متقدمة للهجرة إلى المدينة، اللهم إلا أن يحمل قوله تعالى " ووجدك " على انه سيجدك على مذهب العرب في حمل الماضي على معنى المستقبل فيكون له وجه [٣] هذا استدلال بعيد ولم يكن فيه من الصحة شيئاً .

الرأي الخامس: ضل الطريق ليلة المعراج، حين انصرف عنه جبريل وهو لا يعرف الطريق، فهداه الله إلى ساق العرش [٤] وهذا السياق يقتضي أن تكون الآية مدنية .

الرأي السادس: قال أبو بكر الوراق وغيره: " ووجدك ضالا ": تحب أبا طالب، فهداك إلى محبة ربك [٥] الرأي السابع: قال بسام بن عبد الله: " ووجدك ضالا " بنفسك لا تدري من أنت، فعرفك بنفسك وحالك [٦] وهذا ينقضه ما قيل له للنبي ﷺ اخبرنا عن نفسك، فقال: دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى [٧] فكيف لا يعرف نفسه .

الرأي الثامن: إذا وجدت العرب شجرة منفردة في فلاة من الأرض، لا شجر معها، سموها ضالة، فيهتدي بها إلى الطريق، فقال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ ووجدك ضالاً، أي لا أحد على دينك، وأنت وحيد ليس معك أحد، فهديت بك الخلق إلي [٨] .

الرأي التاسع: ضلال في العلوم العملية كمعرفة الأحكام الشرعية التي هي العبادات [٩] .

الرأي العاشر: الضلال عن المعيشة وطريق الكسب، يقال للرجل الذي لا يهتدي إلى ذلك ضال لا يدري ما يصنع ولا أين يذهب، فامتن الله تعالى عليه أن رزقه وأغناه وكفاه [١٠] .

---

١ الطباطبائي : الميزان ٣١٠/٢٠ .
٢ الطوسي : التبيان ٣٦٩/١٠ .
٣ الشريف المرتضى : تنزيه الأنبياء/١٥٠ .
٤ القرطبي : الجامع ٩٨/٢٠ .
٥ القرطبي : الجامع ٩٨/٢٠ .
٦ القرطبي : الجامع ٩٨/٢٠ .
٧ السير /٥١ .
٨ القرطبي : الجامع ٩٨/٢٠ .
٩ الراغب الاصفهاني : مفردات غريب القرآن/٢٩٨ .
١٠ الشريف المرتضى : تنزيه الأنبياء/١٥٠ ، الفخر الرازى : عصمة الأنبياء/٩٣ .

واعتمدوا على حديث لا صحة له رواه سليمان بن داود عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن حسان بن عطية عن أبي منيب الجرشي عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال " بعثت بين يدي الساعة مع السيف وجعل رزقي في ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم " [١] وعلى رواية قال: إن الله عز وجل بعثني بالهدى ودين الحق ولم يجعلني زراعاً ولا تاجرا ولا صخاباً في الأسواق وجعل رزقي في ظل رمحي [٢] يعني الجهاد [٣] .

رواه الاوزاعي واختلف عنه ورواه صدقة بن عبد الله بن السمين وهو ضعيف عن يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة وخالفه الوليد بن مسلم رواه عن الاوزاعي عن حسان بن عطية عن أبي منيب الجرشي عن ابن عمر وهو الصحيح [٤] وأورد العقيلي في الضعفاء [٥] .

الرأي الحادي عشر: قال القرطبي: هذه الأقوال كلها حسان، ثم منها ما هو معنوي، ومنها ما هو حسي، والقول الأخير أعجب إلي، أي لا أحد على دينك، وأنت وحيد ليس معك أحد، فهديت بك الخلق إليَّ، لأنه يجمع الأقوال المعنوية، وقال قوم: إنه كان على جملة ما كان القوم عليه، لا يظهر لهم خلافاً على ظاهر الحال، فأما الشرك فلا يظن به [٦] .

---

١ عبد بن حميد : منتخب/٢٦٧ .
٢ ابن ابي عاصم : الآحاد والمثاني ٥/٤ .
٣ الطبرسي : مجمع البيان ٣٨٣/١٠ .
٤ الدار قطني : علل ٢٧٢/٩ .
٥ ٣٢٩/٣ .
٦ الجامع ٩٩/٢٠ .

الفصل السادس

كيفية استشهاده

مدخل (عن الموت)

قبل البدء في تفصيلات الموضوع، بودنا بودنا الإشارة إلى قول أمير المؤمنين عليه السلام وهو يخاطب الناس: عباد الله أوصيكم بالرفض لهذه الدنيا التاركة لكم وإن لم تحبوا تركها، والمبلية لأجسامكم وإن كنتم تحبون تجديدها، فإنما مثلكم ومثلها كـ سفر سلكوا سبيلاً فكأنهم قد قطعوه وأموا علماً فكأنهم قد بلغوه، وكم عسى المجرى إلى الغاية أن يجري إليها حتى يبلغها، وما عسى أن يكون بقاء من له يوم لا يعدوه وطالب حثيث يحدوه في الدنيا حتى يفارقها فلا تنافسوا في عز الدنيا وفخرها، ولا تعجبوا بزينتها ونعيمها، ولا تجزعوا من ضرائها وبؤسها، فإن عزها وفخرها إلى انقطاع، وإن زينتها ونعيمها إلى زوال، وضراءها وبؤسها إلى نفاد، وكل مدة فيها إلى انتهاء، وكل حي فيها إلى فناء، أو ليس لكم في آثار الأولين مزدجر وفي آبائكم الماضين تبصرة ومعتبر إن كنتم تعقلون، أو لم تروا إلى الماضين منكم لا يرجعون، وإلى الخلف الباقين لا يبقون، أو لستم ترون أهل الدنيا يصبحون ويمسون على أحوال شتى، فميت يبكى وآخر يعزى، وصريع مبتلى، وعائد يعود وآخر بنفسه يجود، وطالب للدنيا والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه، وعلى أثر الماضي ما يمضي الباقي [1] .

بعد هذه الخطبة عن الدنيا وأحوالها وكيف تتقلب بنا حتى تصل النهاية يعني الموت، وهو ضد الحياة، أمر حتمي مفروض على كل الموجودات، وليس الفناء أو العدم وإنما هو انتقال من عالم الدنيا الزائلة إلى عالم الآخرة الباقية .

وهنا تستوقفنا نكتة لغوية مهمة، وهي إن كلمة ميت في الأصل مويت مثل سيد وسويد، فأدغمت الواو في الياء وثقلت الياء، فـ أصبحت: ميت [2] ويستوي فيه المذكر والمؤنث، قال الله تعالى {لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً ... } [3] ولم يقل ميتة، قال الفراء: يقال لمن لم يمت: إنه مائت عن قليل وميت، ولا يقولون لمن مات: هذا مائت [4] وقد تمت مراجعة معاني القرآن للفراء ولم نجد هذه الفقرة المنقولة عنه، ولم يفسر هذه الآية أصلاً، ربما نُقلت منه من غير هذا الكتاب .

---

١ الشريف الرضي : نهج البلاغة ١/١٩١ .
٢ الفراهيدي : العين ٨/١٤٠ .
٣ الفرقان/٤٩ .
٤ الجوهري : الصحاح ١/٢٦٦ .

وهناك فرق بين الميت، بالتشديد يطلق على من مات، وعلى الحي الذي سيموت، قال تعالى {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ } [١] وبالتخفيف لا يطلق إلا على من مات [٢] يقال إن الثاني لغة في الأول، وقد جمعهما الشاعر الجاهلي عدي بن الرعلاء، في بيت واحد فقال:

لَيْسَ مَنْ ماتَ فاِستراحَ بِمَيْتٍ إنَّمَا المَيْتُ مَيِّتُ الأحياءِ

إنَّما المَيْتُ مَنْ يعيشُ ذليلاً سيّئاً بالُهُ قليلَ الرّجاءِ [٣].

كان شعار المسلمين يوم بدر يا منصور أمت [٤] هو أمر بالموت، والمراد به التفاؤل بالنصر بعد الأمر بالإماتة، مع حصول الغرض للشعار، فإنهم جعلوا هذه الكلمة علامة يتعارفون بها لأجل ظلمة الليل، وفي حديث الثوم والبصل: من أكلهما فليمتهما طبخاً [٥] أي يبالغ في طبخهما لتذهب حدتهما ورائحتهما [٦].

كما ورد مصطلح آخر، في قوله تعالى {إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ...} [٧] التوفي أخذ الشيء أخذاً تاماً ولذا يستعمل في الموت لان الله يأخذ عند الموت نفس الإنسان من بدنه كما جاء في قوله تعالى {... إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ... } [٨] أي أماتته وقال تعالى {قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ... } [٩] وقال تعالى {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ ...} [١٠] والتأمل في الآيتين الأخيرتين يعطي أن التوفي لم يستعمل في القرآن بمعنى الموت بل عناية الأخذ والحفظ وبعبارة أخرى إنما استعمل التوفي حين الموت من الأخذ للدلالة على أن نفس الإنسان لا يبطل ولا يفني بالموت الذي يظن الجاهل أنه فناء وبطلان بل الله تعالى يحفظها حتى يبعثها للرجوع إليه وإلا فهو سبحانه يعبر في الموارد التي لا تجري فيه هذه العناية بلفظ الموت من دون التوفي كما في قوله تعالى {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ... } [١١] وقوله تعالى {... لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ

---

١ الزمر/٣٠ .
٢ أبو هلال العسكري : الفروق اللغوية /٥٢٥ .
٣ ديوانه ، القصيدة الهمزية ، رقم البيت ٥ – ٦ .
٤ الكليني : الكافي ٤٧/٥ .
٥ مسلم : صحيح ٨١/٢ .
٦ ابن منظور : لسان العرب ٩٠/٢ .
٧ آل عمران/٥٥ .
٨ الأنعام/٦١ .
٩ السجدة/١١ .
١٠ الزمر/٤٢ .
١١ آل عمران/١٤٤ .

فَيَمُوتُوا ...} [1] إلى غير ذلك من آيات كثيرة جداً حتى ما ورد في النبي عيسى عليه السلام نفسه كقوله تعالى {وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً } [2] وقوله {وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً } [3] فمن هذه الجهة لا صراحة للتوفي في الموت، على أن قوله تعالى في رد دعوى اليهود وقولهم {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً } [4] يؤيد ذلك إن اليهود كانت تدعى أنهم قتلوا المسيح عيسى بن مريم عليه السلام [5] .

والموت من تقدير رب العالمين لقوله تعالى {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً } [6] ولا يوجد حصن في الدنيا يمكن الاحتماء به، وهو أجل مقدر من الله سبحانه وتعالى ما فيه تقديم ولا تأخير لقوله تعالى {وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ... } [7] وقوله تعالى {أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ... } [8] وهو لا مفر منه مسألة حتمية، لقوله تعالى {قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ... } [9] وقوله تعالى {قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ...}[10] هذا هو الموت في القرآن الكريم .

أما في الشعر العربي فيكفينا ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله :

المَوتُ لا وَالِداً يُبقي وَلا وَلَداً ... هَذا السَبيلُ إِلى أَن لا تَرى أَحَدا
مات النَبِيُّ وَلَم يَخلُد لِأُمَّتِهِ ... لَو خَلَّدَ اللَهُ خَلقاً قَبلَهُ خَلَدا
لِلمَوتِ فينا سِهامٌ غَيرُ خاطِئَةٍ ... مَن فاتَهُ اليَومَ سَهمٌ لَم يَفُتهُ غَدا [11] .

وقد انتفع الشاعر أبي العتاهية من هذه الأبيات فضمنها ديوانه فقال:

---

١ فاطر/٣٦ .
٢ مريم/٣٣ .
٣ النساء/١٥٩ .
٤ النساء/١٥٧ .
٥ الطباطبائي : الميزان ٢٠٦/٣ .
٦ الملك/٢ .
٧ المنافقون/١٠ .
٨ النساء/٧٨ .
٩ الجمعة/٨ .
١٠ الأحزاب/١٦ .
١١ حسين احمد علي : ديوان الإمام علي عليه السلام /٩٠ .

المَوتُ لا والِداً يُبقي وَلا وَلَدا وَلا صَغيراً وَلا شَيخاً وَلا أَحَدا

وقد نقل البيتين الأخيرين بالنص [١] .

وكذلك قال ايضاً:

المَوتُ حَقٌّ لَيسَ فيهِ شَكٌّ تَفنى المُلوكُ وَيَبيدُ المُلكُ [٢] .

وقال أيضاً

كَأَنَّني بِالدِيارِ قَد خَرِبَت وَبِالدُموعِ الغِزارِ قَد سُكِبَت

المَوتُ حَقٌّ وَالدارُ فانِيَةٌ وَكُلُّ نَفسٍ تُجزى بِما كَسَبَت[٣].

إشارة إلى قوله تعالى {الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ... } [٤] وقوله {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ } [٥] .

شهادته

قبل الخوض في تفصيلات البحث، يجب أن نعرف مَنْ هو الشهيد ؟ للإجابة على ذلك نبين إن الشهيد على نوعين: شهيد دنيا، وهو الذي قتل في المعركة، أو جرح فحمل منها ثم مات قبل أن يقوم بأي عمل دنيوي كـ الأكل والشرب ونحو ذلك، وشهيد الآخرة، هو كل مقتول ظلماً ، ومن مات بحرق أو غرق أو هدم [٦] .

وقال رسول الله ﷺ الشهداء سبعة، سوى القتل في سبيل الله: المطعون شهيد، والغرق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، والحرق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيد[٧] يعني النفساء[٨] .

كثيرة هي الاختلافات في السيرة المحمدية، ومن بينها هل انه شهيد أم لا ؟ على من أنكر القول، شهادته أن يعرف هل انه قُتل ظلماً أم لا ؟ ولهذا يجب أن يطلع على سيرته الشخصية

---

١ ديوانه / ١١٨ .

٢ أبو العتاهية ديوانه ، القصيدة الكافية ، الأبيات ١٦٠ (نسخة الموسوعة الشعرية) لم نجده في ديوانه المطبوع .

٣ ديوانه /٧١ .

٤ غافر/١٧ .

٥ المدثر/٣٨ .

٦ محمد قلعجي : معجم لغة الفقهاء/٢٦٦ .

٧ مالك : الموطأ ٢٣٣/١ .

٨ ابن حنبل : مسند ٣١٥/٥ .

سيجد مصاديق ذلك، ومنها إنه شهيداً حتى لو مات حتف انفه، ومع ذلك مضى مقتولاً مسموماً، وكيف لا يكون شهيداً وهو القائل: أشرف الموت موت الشهداء[١] .

إلا يحمله حب الموت بهذا النوع السعي إن يكون شهيدا، أكيد يختار هكذا ميتة، لكن سبحان الله انبرت مَنْ أخذت على عتقها أن تسقيه سماً زعافاً حتى استشهد مسموماً، وسيتضح ذلك .

وروى احدهم عن ابن إسحاق قوله: إن كان المسلمون ليرون أنه مات شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوة [٢] ليجمع إلى منصب النبوة مقام الشهادة ولا يفوته مكرمة ولهذا كان ابن مسعود وغيره يقول مات شهيداً من ذلك السم [٣] وكأن ابن شهراشوب غير مقتنع بالقضية فقال: ولذلك يقال إنه شهيداً [٤] ولشهادته أسباب:

السبب الأول: مرض ذات الجنب

المعروف إن كلمة ذو تستعمل للمذكر وذات للمؤنث، وصارت ذات الجنب علماً لها وإن كانت في الأصل صفة مضافة [٥] وهي علة صعبة تصيب الإنسان في احد شقيه، تؤدي بصاحبها إلى الوفاة لا محال [٦] قلما يسلم صاحبها [٧] قيل قرحة تصيب الإنسان داخل جنبه [٨] وقيل الدبيلة [٩] والدمل الكبيرة التي تظهر في باطن الجنب وتنفجر إلى داخل [١٠].

ومن علامات هذا المرض، ظهور انتفاخ منه، إذا كان ظهوره عاجلاً قصر المرض، وان تأخر أطال، مثل البول والبراز والعرق [١١] وبقدرة الله، هذا المرض لا يصيب النبي ﷺ وهذا ما جاء في قوله: أنا أكرم على الله عز وجل من أن يبتليني به [١٢] وربما يعترض معترض فيقول

---

١ قطب الدين الراوندي : الدعوات /٢٤٢ .
٢ القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٣١٧/١ ، الطبرسي : مجمع البيان ٢٠٤/٩ .
٣ المناوي : فيض القدير ٥٧٢/٥ .
٤ مناقب ٨٠/١ .
٥ ابن الأثير : النهاية ٢٩٣/١ .
٦ ابن منظور : لسان العرب ٢٨٠/١ .
٧ ابن الأثير : النهاية ٢٩٣/١ .
٨ الجوهري : الصحاح ١٠٣/١ .
٩ والدبلة والدبيلة : داء يجتمع في الجوف ، هي خراج ودمل كبير تظهر في الجوف فتقتل صاحبها غالبا ٠ ابن منظور : لسان العرب ١١/ ٢٣٥ .
١٠ ابن الأثير : النهاية ٢٩٣/١ .
١١ اليعقوبي : تاريخ ٩٦/١ .
١٢ الكليني : الكافي ١٩٣/٨ .

لماذا على ما اعتمدتم في صحة ذلك، نرد بقول النبي محمد ﷺ: إنها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطهُ عليَّ [١] .

وكان رسول الله ﷺ قد أمر الناس أن يتداووا منها بالعود الهندي والزيت [٢] وكذلك نعت لهم الزيت والورس يُلد فيه من جانبه الذي يشتكيه قاله قتادة [٣] وكانت العرب تداويه باللدود [٤] .

الغريب صيروه طبيب يداوي الناس وهو عليل، بمعنى كيف انه يعالج هذا المرض ولا يعالج نفسه؟ فـ من المفتريات عليه قول القوم أن سبب وفاته كان بـ هذا المرض، وفي ذلك روايات:

الأولى: قالت عائشة: انه اشتكى فـ قلت له بك مرض ذات الجنب ؟ [٥] وهذه حجة ساقطة لأنها لم تكن طبيباً حتى شخصت المرض، وإنها لم تكن اعلم منه هو كان يداوي الناس منه كما بيناه لا هي فيكون تشخيصها باطل .

الثانية: قالت عائشة: لقد رأيت من تعظيم رسول الله ﷺ أصابه أمراً عجيباً وذلك انه كانت تأخذه الخاصرة فيشتد به جداً فكنا نقول اخذه عرق الكُلْيَة لا نهتدي أن نقول الخاصرة ثم أخذته يوماً فاشتدت به جداً حتى أغمى وخفنا عليه، وفزع الناس فظننا به ذات الجنب فلددناه ثم سرى عنه وأفاق فعرف انه قد لد ووجد أثر اللدود فقال ظننتم إن الله عز وجل سلطها عليَّ ما كان الله يسلطها عليَّ والذي نفسي بيده لا يبقى في البيت أحد إلا لد إلا العباس بن عبد المطلب فرأيتهم يلدونهم رجلاً رجلاً قالت عائشة ومن في البيت يومئذ فتذكر فضلهم فلد الرجال أجمعون وبلغ اللدود أزواج النبي ﷺ فلددن امرأة امرأة حتى بلغ اللدود امرأة منا قال ابن أبى الزناد – راوي الحادثة – لا أعلمها إلا ميمونة وقال بعض الناس أم سلمة قالت إني والله صائمة فقلنا بئسما ظننت أن نتركك وقد أقسم رسول الله ﷺ فلددناها وإنها لصائمة [٦] .

يلحظ التدليس عن اسم المرأة التي لدته، علماً هي واضحة قالت فظننا وكشفت عن اسمها فقالت لددناه، وفي غير موضع قالت توفى في بيتها، فهل نحتاج أدلة لكشف اسمها، وما حصل هو تدليس الرواة لأخفاء حقيقة ما فأتهموا ميمونة وأم سلمة، وما حصر الخصوصية فيهن ؟ .

---

١ ابن حنبل : مسند ١١٨/٦ ، ٢٧٤ ابن حبيب : المنمق/٤٠ .
٢ ابن حنبل : مسند ٣٦٩/٤ .
٣ ابن حنبل : مسند ٣٧٢/٤ .
٤ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ٢٦٦/١٠ .
٥ ابن حنبل : مسند ٢٧٤/٦ .
٦ ابن حنبل : مسند ١١٨/٦ ، ابن حبيب : المنمق/٤٠ .

وعن قول عائشة ظننا به ذات الجنب فلددناه، قلنا هي لم تكن طبيباً، ربما ظنها هذا تسبب في وفاته، ثم إن بعض الظن إثما لقوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ... } [1] وبهذا هي ملامة على فعلتها لا يحق لها أن تبني على الظن .

الثالثة: قالت عائشة، لددناه في مرضه فجعل يشير إلينا لا تلدوني فقلنا كراهية المريض للدواء فلما أفاق قال ألم أنهكم أن تلدوني [2] قال ابن حجر: معنى لددناه أي جعلنا في جانب فمه دواء بغير اختياره [3] وماذا يعني هذا، إلا يشكل معصية ؟ والذي يعصي الله ورسوله مصيره النار لقوله تعالى {وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ}[4] بل ضلالة لقوله تعالى {... وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً } [5] وهذا الدواء هو الذي تسبب في وفاته، هذا ما نطقت به الرواية .

الرابعة: ورد في الأخبار أكثر من سبب، أشار إليها ابن أبي الحديد بقوله: يروى أنه ﷺقذف دماً يسيراً وقت موته، ومن قال بهذا القول زعم أن مرضه كان ذات الجنب، وأن القرحة التي كانت في الغشاء المستبطن للأضلاع انفجرت في تلك الحال، وذهب قوم إلى أن مرضه إنما كان الحمى والسرسام الحار، وأن أهل داره ظنوا أن به ذات الجنب، فلدوه وهو مغمى عليه، فلما أفاق علم أنهم قد لدوه، فقال: لم يكن الله ليسلطها على، لدوا كل من في الدار، فجعل بعضهم يلد بعضاً واحتج الذاهبون إلى أن مرضه كان ذات الجنب بما روى من انتصابه وتعذر الاضطجاع والنوم عليه [6] .

وقد أعرب النبي ﷺ عن امتعاضه من عائشة، وهذا ما روته بقولها: لما مرض أخذت يده فجعلت أمرها على صدره ودعوت بهذه الكلمات أذهب الباس رب الناس فانتزع يده من يدي وقال اسأل الله الرفيق الأعلى الأسعد [7] .

وقالت عائشة: سمعت انه لا يموت نبي حتى يخير بين الدنيا والآخرة فسمعته يقول في مرضه الذي مات فيه وأخذته بحة يقول مع الذين انعم الله عليهم، أشارة إلى قوله تعالى {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ

---

١ الحجرات/١٢ .
٢ البخاري : صحيح ١٤٣/٥ .
٣ فتح الباري ١١٢/٨ .
٤ النساء/١٤ ، ينظر الجن٢٣ .
٥ الأحزاب/٣٦ .
٦ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ٢٦٦/١٠ .
٧ ابن حنبل : المسند ١٢٠/٦ .

هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً } [1] فظننت انه خير، فـ كـان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح عنه بيده فلما اشتكى وجعه الذي توفى فيه طفقت انفـث على نفسه بالمعوذات التي كان ينفث وامسح بيده عنه، وكان يقول اللهم اغفـر لـي وارحمنـي والحقني بالرفيق [2] .

السبب الثاني: السم

على الرغم من إن الموت واقع لا محال، ومع ذلك جعل الله سبحانه وتعالى له سبباً، وهذا مـا جسده الشاعر أبي العتاهية بقوله:

المَوتُ حَقٌّ لا مَحالَةَ دونَـــهُ وَلِكُلِّ مَوتٍ عِلَّةٌ لا تُدفَـــعُ
وَالمَوتُ داءٌ لَيسَ يَدفَعُهُ الدَوا ء إذا أَتى وَلِكُلِّ جَنبٍ مَصرَعُ[3]

وعليه حتى يبرر القوم حادثة استشهاده قالوا مات بالسم، لكن كيف دس له السـم ؟ القوا تبعة ذلك على أمراة يهودية، وفي ذلك روايات :

الأولى: نسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام قوله: إن اليهود اجتمعت عند امرأة يقال لها عبـدة على أن تسم النبي (ص) في شاة شوتها ثم اجتمع رؤساء اليهود في بيتها فقالت له: قد علمت ما توجب لي من حق الجوار وقد حضرني رؤساء اليهود فزيني بأصحابك فقام ومعه الإمام علي عليه السلام وأبو دجانة وأبو أيوب وسهل بن حنيف، وفي خبر: وسلمان، والمقداد، وعمار، وصهيب، وأبـو ذر، وبلال، والبراء بن معرور، فلما دخلوا وأخرجت الشاة سدوا آنافهم بالصوف وقـاموا علـى أرجلهم وتوكؤا على عصيهم فقال النبي صلى الله عليه وآله: اقعدوا، فقالوا: انا إذا زارنا نبي لا نقعد وكرهنا أن تصل إليه أنفاسنا، فلما وضعت الشاة بين يديه تكلم كتفها فقالت مه يا محمد لا تأكل منـي فـاني مسمومة، فدعا عبدة فقال لها: ما حملك على ما صنعت ؟ قالت: قلت أن كان نبياً لا يضـره وان كان كذاباً أرحت قومي منه، فهبط جبريل (ع) فقال: السلام يقرئك السلام ويقول: قل بسم الله الذي يسميه به كل مؤمن وبه عز كل مؤمن وبنوره الذي أضاءت به السماوات والأرض وبقدرته التي خضع لها كل جبار عنيد وانتكس كل شيطان مريد من شر السم والسحر واللمم بسم العلي الملـك الفرد الذي لا إله إلا هو {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّـالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً } [4] فقال النبي (ص) ذلك وأمر أصحابه فتكلموا به ثم قال: كلوا، ثم أمرهم أن يحتجمـوا،

---

١ مريم/٥٨ .
٢ البخاري : صحيح ١٣٨/٥ .
٣ ديوانه /٢١٧ .
٤ الإسراء/٨٢ .

وفي خبر: إن البراء بن معرور أخذ منه لقمة أول القوم فوضعها في فيه فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: لا نتقدم رسول الله، في كلام له جاءت به هذه وكانت يهودية ولسنا نعرف حالها فان أكلته بأمر رسول الله فهو الضامن لسلامتك منه وإذا أكلته بغير إذنه وكلك إلى نفسك فنطق الذراع، وسقط البراء ومات [1] لم نتحقق من وفاة الرجل لأنه يبعدنا عن أصل الموضوع .

هذه الرواية متناقضة بما أن جبرائيل عليه السلام اعلمه بـ السم المفروض أن يمتنع عن الأكل، وإلا ألقى نفسه وأصحابه في التهلكة، والأكثر من ذلك إن الشاة نطقت قالت إني مسمومة، وإذا أعطاه العلاج المفروض لا يضره السم، علماً إن الباحث موقفه سلبي من الكتاب الذي ذكر الرواية ولا يميل إلى قبول بعض رواياته إلا ما ندر، ومن ضمنها هذه .

الثانية: لما وصل النبي محمد صلى الله عليه وآله إلى خيبر واطمأن أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم، وهي ابنة أخي مرحب، شاة مصلية، وقد سألت: أي عضو من الشاة أحب إليه ؟ فقيل لها: الذراع، فـ أكثرت فيها السم، وسمت سائرها، ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يديه، تناول الذراع فـ لاك منها مضغة، ومعه بشر بن البراء بن معرور، فتناول عظماً فانتهش منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ارفعوا أيديكم، فأن كتف هذه الشاة تخبرني أنها مسمومة، ثم دعاها فـ اعترفت، فتجاوز عنها ومات بشر بن البراء من أكلته التي أكل [2] .

وعلى هذه الرواية مشكل، كيف تجاوز عنها وهي قاتلة ؟ هل انه عطل حدود الله سبحانه وتعالى ؟ حاشاه من ذلك .

ثالثاً: قالت عائشة، كان النبي صلى الله عليه وآله يقول لي في مرضه الذي مات فيه ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع ابهري من ذلك السم [3] وكذلك قال " ما زالت أكلة خيبر تعادني " [4] وقال عروة بن الزبير: إنه بقى بعد ذلك ثلاث سنين حتى كان وجعه الذي مات فيه، وفي رواية أربع سنين وهو الصحيح [5] .

وهذه نقطة يستوجب التوقف عندها لأن خيبر سنة ٧هـ واستشهاده سنة ١١هـ فلا نعرف نوعاً من السموم تفتك بصاحبها بعد كذا سنة، وقد سألنا احد أصحاب الاختصاص

---

١ ابن شهر آشوب : مناقب ٨٠/١ .
٢ الطبرسي : مجمع البيان ٢٠٤/٩ .
٣ البخاري : صحيح ١٣٧/٥ ، ابن سلام : غريب الحديث ٧٣/١ ، ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ٢٢/١ ، السيوطي : الجامع الصغير ٤٩٧/٢ .
٤ ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث/١٦٩ .
٥ ابن شهر آشوب : مناقب ٨١/١ .

وهو طبيب باطني، فقال ربما السم يمهل صاحبه أياماً يترك آثاره على الكلية مثلاً وبعدها الوفاة، وحتى يحصل المفترون على دعم لدعواهم، وضعوا هذا الحديث المفترى .

وهناك من اعترض على كلمة أكلة، لأنها لقمة واحدة، فلا يقال لها أكلة [١]وقال الزمخشري: هي اللقمة المعادة معاودة الوجع لوقت معلوم، وحقيقتها أنه كان يحاسب صاحبه أيام الإفاقة، فإذا تم العدد أصابه، والمراد عادته أكلة خيبر فحذف [٢]ومن ناقش بذلك ترك الأصل وناقش في الفرع، علينا أن نعرف سبب استشهاده، ومَنْ الذي ألقمه السم ؟ .

وكلمة تعادني، يعني تراجعني لوقت معلوم في كل عام أي يراجعني الألم فأجده في جوفي بسبب أكلي من الطعام المسموم الذي قدم إليَّ بخيبر [٣] وهي من العداد وهو الشيء الذي يأتيك لوقت، وأصله من العدد لوقت معلوم مثل الحمى الربع والغب، وكذلك السم الذي يقتل لوقت، وكل شيء معلوم فإنه يعاد صاحبه لأيام، وأصله العدد حتى يأتي وقته الذي يقتل فيه [٤] .

أما الأبهر: عرق مستبطن الصلب والقلب متصل به فإذا انقطع لم تكن معه حياة [٥] وقيل عرق في الظهر، وهما أبهران، وقيل الأبهر عرق منشؤه الرأس ويمتد إلى القدم، وله شرايين تتصل بأكثر الأطراف والبدن، فالذي في الرأس منه يسمى النأمة، ويمتد إلى الحلق فيسمى فيه الوريد، ويمتد إلى الصدر فيسمى الأبهر، ويمتد إلى الظهر فيسمى الوتين، والفؤاد معلق به، ويمتد إلى الفخذ فيسمى النسا، ويمتد إلى الساق [٦] .

وقد صدّق ابن قتيبة هذه الأكذوبة بقوله: فجعل الله تعالى لليهودية عليه السبيل حتى قتلته [٧] وهذه رواية مردودة لأن الله لم يجعل للكافرين على النبي محمد ﷺ سبيلا، وكأن ابن أبي الحديد من الشاكين بها فـ قال: زعم آخرون أن مرضه كان أثراً لاكلة السم التي أكلها [٨] نعم نحن لا ننكر ذلك، أنهم اسقوه سماً ويؤيد ذلك ما روي عن عبد الله بن جعفر قوله أحتجم رسول الله ﷺ على قرنه بعدما سم [٩] .

---

١ الخطابي البستي : إصلاح غلط المحدثين/ ١٥٦ .
٢ الزمخشري : الفايق في غريب الحديث ٤٦/١ .
٣ المناوي : فيض القدير شرح الجامع الصغير ٥٧٢/٥ .
٤ ابن سلام : غريب الحديث ٧٣/١ .
٥ ابن سلام : غريب الحديث ٧٤/١ .
٦ ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ٢٢/١ ، ورد هذا الحديث مختصرا في بعض المصادر الزمخشري : الفايق في غريب الحديث ٤٧/١، القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٣١٧/١ ، ابن منظور : لسان العرب ٨٣/٤ .
٧ ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث/١٦٩ .
٨ شرح نهج البلاغة ٢٦٧/١٠ .
٩ أبو يعلى : مسند ١٧٠/١٢ .

والباحث من القائلين بعدم صحة الرواية ويعدها أكذوبة، ويعينه على ذلك عدم حصول اتفاق على اسم اليهودية التي سمته قيل اسمها عبدة، وقيل زينب بنت الحارث، والحال نفسها مع الشخص الذي كشف السم مرة الشاة نطقت، وأخرى بلغه الوحي بذلك، المعروف إن النبي ﷺ مات مسموماً لكن من الذي دس له السم، نسبوا ذلك إلى امرأة يهودية، وهذا صحيح إلى حداً ما واتفق معه لكن من أي اليهود هي ؟ لا شك ولا ضير إنها عربية ذات فكر يهودي .

وبعد إن أنهى الباحث هذا المبحث هو مطالب بترجيح احد احتمالين لـــ الشهادة أما انه مات بمرض ذات الجنب وهذا ما استبعدناه تماماً، أو انه مات بالسم، وهذا ما أيدناه ضمناً، أي إنه مات مسموماً من اثر تلك الحقنة التي أعطيت له وهو كاره لها .

الفرق بين الموت والقتل

وردت هذه الاحتمالية في قوله تعالى {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّـــاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّـــاكِرِينَ } [1] من الصعب على الباحث التمييز، بين انه ميت أم قتيل ؟ لان الآية الكريمة أعطت الاحتمـــالين معاً، ولم ترجح أي منهما، والبحث في هكذا موضوع جعل الباحث في حيرة من أمره، ولا يقـــول قائل إن الله سبحانه ما يعرف إنه سيموت ميتة طبيعية أم يُقتل قتلاً ؟ نقول نعم يعلم لكن ذلك مـــن أعجاز القرآن، وربما حصول الأمرين سوية أي انه ميت وقتيل .

أما سبب نزول الآية فقد ابتدأت بتصوير حالة النبي محمد ﷺ يعني أنـــه بشـــر اختـــاره الله لرسالته إلى خلقه، وقد مضت قبله رسل، بعثوا فأدوا الرسالة مات بعضهم، وقتل الآخـــر، وأنـــه يموت كما ماتوا، فليس الموت بمستحيل عليه، ولا القتل [2] .

وقد نزلت في محل توبيخ للذين انهزموا من معركة أحد، فـــ أشاعوا بين الناس قتـــل النبـــي محمد (ص) وكأن الدين متوقف على حياته، وهذا ما أشار إليه ابن عباس، وقتـــادة، والضـــحاك، ومجاهد: انه لما أشيع إنه قتل يوم أحد، قال ناس لو كان نبياً ما قتل، وقال آخرون نقاتل على ما قاتل عليه حتى نلحق به، وكان سبب انهزامهم وتضعضهم أخلال الرماة بمكانهم من فم الشـــعب، وكان النبي ﷺنهاهم عن الإخلال به، وحذرهم من الانصراف عنه مخافة أن يخرج منـــه كمـــين

---

١ آل عمران١٤٤ .

٢ الطبرسي : مجمع البيان ٤٠٦/٢ .

عليهم، فلما انهزم المشركون في الجولة الأولى، تبعوهم المسلمون وتواقعوا في غنائمهم فقال الموكلون بالشعب: يغنمون ولا نغنم، فقال لهم رئيسهم: الله الله لا تفعلوا انه أمرنا ألا نبرح، فلم يقبلوا منه وانصرفوا، وثبت رئيسهم مع أثني عشر رجلاً، فقتلوا، خرج عليهم المشركون بقيادة خالد بن الوليد من الشعب، وكان سبباً في هزيمة المسلمين، وإصابة رباعية النبي ﷺوجرحه، من قبل عتبة بن أبي وقاص، وقيل إن عبد الله بن قمية ضربه على حبل عاتقه، ومضى إلى المشركين، وقال قتلت محمداً وشاع ذلك فأنزل الله هذه الآية [1] .

لاحظ التدليس في الرواية قال ناس، ولم تسميهم في حين هم معروفيين، والظاهر هم مجموعة أربكوا صفوف المسلمين في المعركة، إذ انقسموا نصفين، نصف ثبت على القتال والآخر هرب من المعركة، وقالت الرواية وثبت رئيسهم مع اثني عشر رجلاً، ولم تذكر أسماؤهم، بل أخفوهم تماماً وقفنا عندهم هذا ليس محله .

وأنها جاءت موبخة المنافقين على ما كان منهم من الهلع والجزع حين قيل لهم بأحد: إن محمداً قتل، ومقبحاً إليهم انصراف من انصرف منهم عن عدوهم وانهزامه عنهم، أفئن مات محمد أيها القوم لانقضاء مدة أجله، أو قتله عدوكم [2] .

وبعد أن وصفت الآية حال النبي محمد ﷺ، انتقلت إلى المرحلة التالية، فقالت: إن مات أو قتل، لا تنقلبوا على أعقابكم، وهنا دخل الاستفهام على الشرط، وإنما هو كغيره من الانقلاب والتقدير أتنقلبون إن مات أو قتل ؟ قيل: لأنه لما انعقد الشرط به صار جملة واحدة وخبراً واحداً بمنزلة تقدير الاسم قبل الفعل في الذكر إذا قيل أزيد قام، وكذلك تقديمه في القسم، والاكتفاء بجواب الشرط من جواب القسم، وهذه نقطة جوهرية يجب التوقف عندها، فـ كلمة " أفان " الواردة في الآية، الألف، ألف إنكار بصورة ألف استفهام، أي ما يسمى استفهام إنكاري، لان التقرير به يظهر ما فيه من المنكر، فلذلك أخرج مخرج الاستفهام مع أن معناه الإنكار، ومثله أتختار الفساد على الصلاح، والخطأ على الصواب، وقوله " مات أو قتل " يدل على أن الموت غير القتل لأنه لو كان هو إياه لما عطف به عليه، لأن الشيء لا يعطف على نفسه، والقتل هو نقض بنية الحياة، والموت في الناس من قال: هو معنى يضاد الحياة وفيهم من قال: هو إفساد البنية التي تحتاج الحياة إليها بفعل معان فيه تضاد المعاني التي تحتاج إليها الحياة [3] .

---

١ الطوسي : التبيان ٦/٣ .
٢ الطبري : جامع البيان ١٤٧/٤ .
٣ الطوسي : التبيان ٧/٣ .

وهناك فرق بين الموت والقتل، وهذا ما أراد زرارة معرفته من الإمام الباقر عليه السلام فقال: كرهت أن اسأله عن الرجعة واستخفيت ذلك، قلت: لا سئلن مسألة لطيفة أبلغ فيها حاجتي، فقلت: أخبرني عمن قتل أمات ؟ قال: لا، الموت موت، والقتل قتل، قلت: ما أحد يُقتل إلا وقد مات ؟ فقال: قول الله أصدق من قولك، فرق بينهما في القرآن فقال: " أفان مات أو قتل " وقال {وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى الله تُحْشَرُونَ } [1] وليس كما قلت يا زرارة، قلت: فان الله يقول {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ... } [2] من قتل لم يذق الموت، ثم قال: لا بد من أن يرجع حتى يذوق الموت، قال الإمام الباقر عليه السلام: قد فرق الله بين الموت والقتل ثم قال: أكنت قاتلاً رجلاً لو قتل أخاك ؟ قلت: نعم، قال: فلو مات موتاً أكنت قاتلاً به أحداً قلت: لا، قال: إلا ترى كيف فرق الله بينهما، وسأل جابر الجعفي، الإمام الباقر عليه السلام عنه قوله تعالى {وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوْ مُتُّمْ ... } [3] قال أتدرى: ما سبيل الله فقلت: لا والله إلا أن اسمعه منك، قال: سبيل الله الإمام علي وذريته (عليهم السلام) فمن قتل في ولايته قتل في سبيل الله، ومن مات في ولايته مات في سبيل الله، ليس بمؤمن من هذه الأمة إلا وله قتلة وميتة، انه من قتل ينشر حتى يموت، ومن مات ينشر حتى يقتل[4] .

وابسط مثالاً على إنه مات مقتولاً ما رواه أبو معاوية عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن ابى الاحوص عن عبد الله بن مسعود قال: لان احلف تسعاً إنه قتل قتلاً أحب إليَّ من أن احلف واحدة انه لم يقتل وذلك إن الله عز وجل اتخذه نبياً واتخذه شهيداً، قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، قال الشعبي: والله لقد سم رسول الله صلى الله عليه وآله [5] قال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح [6] .

والدليل على موته بالسم، وجود اعراض السم فيه مثل ارتفاع درجة حرارة الجسم، وصداع الرأس، وهذا ما أشار إليه ابن سعد بقوله: فلما كان يوم الأربعاء بدئ برسول الله صلى الله عليه وآله فحم وصدع [7] .

---

١ آل عمران/١٥٨ .
٢ العنكبوت/٥٧ .
٣ آل عمران/١٥٧ .
٤ العياشي : تفسير ٢٠٢/١ .
٥ الحاكم : المستدرك ٥٨/٣ ، ينظر عبد الرزاق : المصنف ٥/ ٢٦٩ ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢٠١/٢ ، ابن حنبل : مسند ٤٠٨/١ ، الطبراني : المعجم الكبير ١٠٩/١٠ .
٦ مجمع الزوائد ٣٤/٩ .
٧ الطبقات الكبرى ١٩٠/٢ .

ساعة احتضاره

للموت غشاوة تكون واضحة بائنة على وجه المحتضر، جاء ذكرها في قوله تعالى {... يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ } [1] قالت عائشة: إنه اشتكى فـ غشيَّ عليه فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال اللهم في الرفيق الأعلى فقلت إذاً لا يجاورنا فعرفت انه حديثه الذي كان يحدثنا صحيح [2].

وقد دخلت الزهراء (عليها السلام) عليه ساعة احتضاره، فهوت باكية نادبة قائلة :

وَأَبيَضَ يُستَسقى الغَمامُ بِوَجهِهِ ربيع اليَتامى عِصمَةٌ لِلأَرامِلِ

يَلوذُ بِهِ الهُلّاكُ مِن آلِ هاشِمٍ فَهُم عِندَهُ في رَحمَةٍ وَفَواضِلِ [3]

ففتح عينيه وقال بصوت خفيف " يا بنية هذا قول عمك أبي طالب " [4] .

وجلست عند رأسه فبكت حتى ارتفع صوتها فرفع طرفه إليها فقال: ما الذي يبكيك ؟ قالت أخشى الضيعة من بعدك قال يا حبيبتي أما علمت أن الله أطلع على الأرض إطلاعه فاختار منها أباك فبعثه برسالته ثم اطلع على الأرض إطلاعه فاختار منها بعلك، وأوحى إليَّ أن أنكحك إياه، يا فاطمة ونحن أهل بيت قد أعطانا الله سبع خصال لم يعط أحداً قبلنا ولا تعطى أحد بعدنا أنا خاتم النبيين وأكرم النبيين على الله وأحب المخلوقين إلى الله وأنا أبوك ووصيي خير الأوصياء وأحبهم إلى الله وهو بعلك[5] .

وكانت اشبه الناس به، وهذا ما روته عائشة قالت: ما رأيت أحداً أشبه سمتاً وهدياً ودلاً به في قيامها وقعودها، اذا دخلت عليه قام إليها وقبلها وأجلسها في مجلسه وإذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها فلما دخلت فأكبت عليه وقبلته ثم رفعت رأسها فبكت ثم أكبت عليه ثم رفعت رأسها فضحكت فقلت إن كنت لأظن أن هذه من أعقل النساء فإذا هي من النساء فلما توفي سألتها عائشة عن ذلك، فـ قالت: أخبرني أني أسرع أهل بيتي لحوقاً به فذلك حين ضحكت"[6] .

وعلى رواية الفضل بن دكين عن زكريا بن أبي زائدة عن فراس عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت كنت جالسة عنده فجاءت فاطمة تمشي كأنها مشيته فقال: مرحباً يا بنتي

---

١ محمد/٢٠ .

٢ البخاري : صحيح ١٣٨/٥ .

٣ أبو هفان :الديوان/٧٢ .

٤ ابن معد : الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب /٨٧ .

٥ الطبراني : المعجم الأوسط ٦/ ٣٢٧ .

٦ ابن حنبل : فضائل الصحابة/٧٨ ، البخاري : صحيح ١٣٨/٥ .

فأجلسها عن يمينه أو عن يساره فأسر إليها شيئاً فبكت ثم أسر إليها شيئاً فضحكت، قلت ما رأيت ضحكاً أقرب من بكاء استخصك رسول الله بحديث ثم تبكين قلت أي شيء أسر إليك، قالت: ما كنت لافشي سره، فلما استشهد سألتها فقالت قال إن جبريل (ع) كان يأتيني كل عام فيعارضني بالقران مرة وإنه أتاني العام فعارضني مرتين ولا أظن أجلي إلا قد حضر ونعم السلف أنا لك وقال أنت أسرع أهلي بي لحوقاً فبكيت لذلك ثم قال أما ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة أو نساء العالمين فضحكت [١] .

وعندما دنا منه ملك الموت قالت فاطمة عليها السلام اليوم الفراق فمتى ألقاك فقال لها يا بنية تلقيني يوم القيامة عند الحوض وأنا أسقي من يرد عليَّ من أمتي قالت فإن لم القك، قال تلقيني عند الميزان وأنا أشفع لأمتي قالت فإن لم ألقك، قال تلقيني عند الصراط وأنا أنادي ربي سلم أمتي من النار [٢] .

ولما ثقل قالت فاطمة عليها السلام واكرباتاه فقال لها ليس على أبيك كرب بعد اليوم فلما مات قالت يا أبتاه أجاب ربا دعاه يا أبتاه جنة الفردوس مأواه يا أبتاه إلى جبريل ننعاه يا أبتاه من ربه ما أدناه[٣] .

وعلى الرغم من شدة مرضه، كان أمير المؤمنين عليه السلام لا يفارقه، وهذا ما قاله سلمان المحمدي: دخلت عليه صبيحة يوم قبل اليوم الذي استشهد فيه، فقال لي: ألا تسأل عما كابدته الليلة من الألم والسهر أنا وعلي عليه السلام! فقلت: ألا أسهر الليلة معك بدله ؟ فقال: لا هو أحق بذلك منك[٤] .

وقال: عند احتضاره: هذا أول يوم من الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا فلما كان يوم الاثنين اشتد به الأمر[٥] وما أصيب آل محمد عليهم السلام إلا في هذا اليوم فتشائمنا به وتبرك به أعداؤنا [٦] .

---

١ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢٦/٨ .
٢ الطبراني : المعجم الكبير ٦٣/٣ .
٣ عبد بن حميد : منتخب /٤٠٢ .
٤ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ٢٦٦/١٠ .
٥ الطبراني : المعجم الكبير ٦٢/٣ .
٦ الطوسي : الاستبصار ١٣٥/٢ .

ملك الموت

الله سبحانه وتعالى هو الذي يتوفى الأنفس، لقوله {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ... } [1] وأوكل مهمة قبض الأرواح إلى ملك اسمه ملك الموت، جاء ذلك في قوله تعالى {قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ } [2] وقوله تعالى {... إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ } [3] .

وصفه أمير المؤمنين، فقال: ألا فاذكروا هادم اللذات، ومنغص الشهوات، وقاطع الأمنيات [4] شاهده النبي محمد ﷺ في معراجه، وتحدث إليه، نسب له هذا الأمر بقوله: ثم مررت بملك من الملائكة وهو جالس وإذا جميع الدنيا بين ركبتيه وإذا بيده لوح من نور فيه كتاب ينظر فيه ولا يلتفت يميناً ولا شمالاً مقبلاً عليه كهيأة الحزين فقلت من هذا يا جبريل ؟ فقال هذا ملك الموت دائب في قبض الأرواح فقلت: أدنني منه حتى اكلمه، فـ أدناني فـ سلمت عليه، وقال له جبريل هذا محمد نبي الرحمة الذي أرسله الله إلى العباد فرحب بى وحياني بالسلام وقال ابشر: اني أرى الخير كله في أمتك فقلت الحمد لله المنان ذي النعم على عباده ذلك من فضل ربي ورحمته عليَّ، فقال جبريل هو اشد الملائكة عملاً فقلت أكل من مات أو هو ميت فيما بعد هذا تقبض روحه ؟ قال نعم قلت تراهم حيث كانوا وتشهدهم بنفسك ؟ فقال نعم، فقال ملك الموت ما الدنيا كلها عندي فيما سخرها الله لي ومكنني منها إلا كالدرهم في كف الرجل يقلبه كيف يشاء وما من دار إلا وأنا أتصفحها كل يوم خمس مرات وأقول إذا بكى أهل الميت على ميتهم لا تبكوا عليه فان لي فيكم عودة وعودة حتى لا يبقى منكم أحداً، فقال رسول الله ﷺ كفى بالموت طامة يا جبريل فقال جبريل إن ما بعد الموت اطم واطم من الموت [5] .

لا يسع الوقت التعليق على الرواية من جهة المصدر الذي نقلها، وما فيها من الهنات ولا سيما ان ملك الموت لا يعرف النبي (ص) وهذه خرافة كيف لا يعرفه وهو الذي قبض روح زوجه خديجة (عليها السلام) ؟ .

---

١ الزمر/٤٢ .
٢ السجدة/١١.
٣ الأنعام/٦١ .
٤ الشريف الرضي : نهج البلاغة ١٩١/١ .
٥ القمي : تفسير ٥/٢ .

ولما اشتد ألمه أوحى الله عز وجل إلى ملك الموت اهبط إلى حبيبي وصفيي في أحسن صورة وأرفق به في قبض روحه، فـــ هبط فوقف على باب الدار فـــ قال السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة أدخل فقالت عائشة لـــ فاطمة (عليها السلام) أجيبي الرجل فقالت له: آجرك الله في ممشاك إن رسول الله (ص) مشغول بنفسه فدعا الثانية، فـــ كان الجواب نفسه، ثم دعا الثالثة فـــ قال: السلام عليكم يا أهل النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة أأدخل فلابد من الدخول فسمع رسول الله ﷺصوته فقال يا فاطمة مَنْ في الباب فقالت: رجلاً يستأذن في الدخول فاجبناه مرة بعد أخرى فنادى في الثالثة صوتاً اقشعر منه جلدي وارتعدت فرائصي فقال لها النبي ﷺ أتدرين منه هذا هادم اللذات ومفرق الجماعات هذا مرمل الأزواج وموتم الأولاد هذا مخرب الدور وعامر القبور هذا ملك الموت ادخل رحمك الله فدخل فقال له: جئتني زائراً أم قابضاً قال جئتك زائراً وقابضاً وأمرني الله عز وجل أن لا أدخل عليك إلا بإذنك ولا أقبض روحك إلا بإذنك فإن أذنت وإلا رجعت إلى ربي عز وجل فقال رسول الله ﷺيا ملك الموت أين خلفت حبيبي جبريل ؟ قال خلفته في السماء الدنيا والملائكة يعزونه فيك فما كان بأسرع أن أتاه جبريل عليه السلام فقعد عند رأسه فقال رسول الله ﷺ: هذا الرحيل من الدنيا فبشرني ما لي عند الله قال أبشرك يا حبيب الله أني قد تركت أبواب السماء قد فتحت والملائكة قد قاموا صفوفاً صفوفاً بالتحية والريحان يحيون روحك يا محمد فقال لوجه ربي الحمد وبشرني يا جبريل قال أبشرك أن أبواب الجنان قد فتحت وأنهارها قد اطردت وأشجارها قد تدلت وحورها قد تزينت لقدوم روحك يا محمد قال لوجه ربي الحمد فبشرني يا جبريل قال أنت أول شافع وأول مشفع في القيامة قال لوجه ربي الحمد قال جبريل يا حبيبي عم تسألني قال أسألك عن غمي وهمي من لقراءة القرآن من بعدي من لصوم شهر رمضان من بعدي من لحج بيت الله الحرام من بعدي من لأمتي المصفاة من بعدي قال أبشر يا حبيب الله فـــ الله عز وجل يقول قد حرمت الجنة على جميع الأنبياء والأمم حتي تدخلها أنت وأمتك يا محمد، قال الآن طابت نفسي إذن يا ملك الموت فائته إلى ما أمرت [1] فدنا يعالج قبض روحه فلما بلغ الروح الركبتين قال: أوه فلما بلغ الروح السره نادى واكرباه فقالت فاطمة عليها السلامكربي يا أبتاه فلما بلغ الروح إلى الثندوة نادى يا جبريل ما أشد مرارة الموت فولى جبريل عليه السلام وجهه عنه فقال رسول الله ﷺ كرهت النظر إليَّ فقال جبريل:

١ الطبراني : المعجم الكبير ٦٢/٣ .

ومن تطيق نفسه أن ينظر إليك وأنت تعالج سكرات الموت [١] ما ورد عن سكرات الموت جاء ذكرها في قوله تعالى {وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ } [٢] .

وفاضت روحه بين نحر وصدر أمير المؤمنين عليه السلام [٣] قبال ذلك قالت عائشة: وحضره القبض ورأسه على فخذي [٤] وهذا ادعاء باطل، خليفته ووصيه احق به من غيره .

وبعد ذلك خرج أبو بكر فمال إليه الناس فـ قال: من كان منكم يعبد محمداً ﷺ انه قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، والله لكأن الناس لم يكونوا يعلمون أن الله أنزل قوله تعالى وما محمد إلا رسول، حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس فما يسمع بشر إلا يتلوها [٥] وهذا عليه مشكل كيف لا يعلمون الناس بـ نزولها ؟ هذا افتراء على النبي معناه انه لم يبلغهم أياها، ومن قال إن الناس يعبدون النبي محمد ﷺ ؟ من أين أتى أبو بكر بـ هذه العبارة ؟ أهي من اشترحاته؟ لأن الناس يعبدون الله .

أما عمر فقد أنكر استشهاده، وقال إنه لم يمت ولكن عرج بروحه كما عرج بروح النبي عيسى عليه السلام والله لا يموت حتى يقطع أيدي أقوام وألسنتهم فلم يزل عمر يتكلم حتى أزبد شدقاه مما يوعد ويقول فقام العباس بن عبد المطلب فقال إنه قد مات وانه لبشر وانه يأسن كما يأسن البشر أي قوم فادفنوا صاحبكم فانه أكرم على الله من أن يميته اماتتين أيميت أحدكم إماتة يميته اماتتين وهو أكرم على الله من ذلك إي قوم فادفنوا صاحبكم فان يك كما تقولون فليس بعزيز على الله إن يبحث عنه التراب إنه والله ما مات حتى ترك السبيل نهجاً واضحاً فأحل الحلال وحرم الحرام ونكح وطلق وحارب وسالم ما كان ارعي غنم يتبع بها صاحبها رؤس الجبال يخبط عليها العضاة بمخبطه ويمدر حوضها بيده بـ أنصب ولا أدأب منه، وجعلت أم أيمن تبكي فقيل لها تبكي عليه قالت إني والله ما ابكي عليه إلا أن أكون اعلم انه قد ذهب إلى ما هو خير له من الدنيا ولكني أبكي على خبر السماء انقطع قال حماد خنقت العبرة أيوب حين بلغ ههنا [٦] .

أما ظن القوم إنه لم يمت وإنما عرج بروحه، وقد تصور كثير من الناس إنه لم يخضع لما تخضع له سائر الناس مثل الموت، كانوا يعدونه مستثنى من ذلك ، هذه روايات العامة وأفكارهم، سيما رواية عائشة القائلة إن النبي محمد ﷺ عرج بروحه ولم يعرج بجسمه وردينا هذه

---

١ الطبراني : المعجم الكبير ٦٢/٣ .
٢ ق/١٩ .
٣ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ٢٦٧/١٠ .
٤ البخاري : صحيح ١٣٨/٥ .
٥ البخاري : صحيح ٧٠/٢
٦ الدارمي : سنن ٣٩/١ .

التهمة[١] وظن القوم هذا ينم عن جهلهم بـــ القرآن لقوله تعالى {كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ ...} [٢]وقوله " {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ } [٣] .

أما قول العباس بن عبد المطلب: إن النبي محمد ﷺ طلق إشارة إلى طلاقه حفصة وعائشة، وقد وقفنا عند ذلك، وهذا معناه أن الطلاق مسألة شرعية فعلها النبي محمد ﷺ وهذا ينفي ما تناقلته العامة وما نسبوه للنبي قوله: ابغض الحلال عند الله الطلاق [٤] .

كما روى سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة قال: إن رسول الله ﷺ لم يمت ولكن عرج بروحه كما عرج بروح النبي عيسى عليه السلام [٥] هنا ورد ما يستحق التوقف عنده سيما السند الذي فيه حماد بن زيد عثمانياً من أهل البصرة [٦] وأيوب بن أبي تميمة السختياني، هو الآخر من أهل البصرة [٧]وعكرمة مولى ابن عباس، هو المصدر الرئيس للطعن، والرواية مرسلة لان عكرمة لم يبلغ عصر النبي محمد ﷺ .

غسله

من الأمور المهمة التي تجب على أهل الميت قضية غسله وتجهيزه لدفنه في مثواه الأخير، وهذه الأمور عادة يتولاها أهله لأنها مسألة حساسة تقتضي تنظيفه وما يترتب عليها الإطلاع على عورته، هذه الأمور مع الناس عامتهم فما بالك إذا كان رسول الله ﷺ فقد حرص الحرص كله على تسمية مَنْ يتولى أمره، فـــ أكد على أهله وفي ذلك روايات .

الأولى: رواها الواقدي بسنده عبد الله بن جعفر، عن ابن أبي عون، عن ابن مسعود قال: نعى لنا نبينا وحبيبنا نفسه قبل موته بشهر بأبي هو وأمي ونفسي له الفداء فلما دنا الفراق جمعنا في بيت أمنا عائشة وتشدد لنا فقال مرحباً بكم حياكم الله بالسلام رحمكم الله حفظكم الله رزقكم الله نفعكم الله أداكم الله وقاكم الله أوصيكم بتقوى الله وأوصي الله بكم أستخلفه عليكم وأحذركم الله إني لكم منه نذير مبين ألا تعلوا على الله في عباده وبلاده فإنه قال لي ولكم تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين وقال أليس في جهنم مثوى

---

١ المحمداوي : شذرات قرآنية في الآية الأولى ، من سورة الإسراء ، مجلة أبحاث البصرة ، مجلد ٤١ ، العدد ٢ ، السنة ٢٠١٦ /ص ٢١٤ .
٢ آل عمران/١٨٥ .
٣ الزمر/٣٠ .
٤ المحمداوي : دراسات في زوجات النبي محمد ﷺ .
٥ الدارمي : سنن ٣٩/١ .
٦ المحمداوي : دراسات في زوجات النبي محمد ﷺ فصل أم شريك الدوسيه .
٧ المحمداوي : أم كلثوم / ٨٠ .

للمتكبرين، قلنا: متى أجلك قال دنا الفراق والمنقلب إلى الله وإلى جنة المأوى وإلى سدرة المنتهى وإلى الرفيق الأعلى والكأس الأوفى والحظ والعيش المهنى، قلنا: مَنْ يغسلك فقال رجال من أهلي الأدنى فالأدنى، قلنا: فيم نكفنك فقال في ثيابي هذه إن شئتم أو ثياب مصر أو في حلة يمانية، قلنا: مَنْ يصلي عليك وبكينا وبكى فقال مهلاً رحمكم الله وجزاكم عن نبيكم خيراً إذا أنتم غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري هذا على شفة قبري في بيتي هذا ثم اخرجوا عني ساعة فإن أول من يصلي علي حبيبي وخليلي جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت معه جنوده من الملائكة بأجمعه ثم ادخلوا فوجاً فوجاً فصلوا عليَّ وسلموا تسليما ولا تؤذوني بتزكية ولا برنة وليبتدئ بالصلاة عليَّ رجال أهلي ثم نساؤهم ثم أنتم بعد واقرؤوا السلام على من غاب من أصحابي واقرؤوا السلام على من تبعني على ديني من قومي هذا إلى يوم القيامة قلنا: مَنْ يدخلك قبرك قال أهلي مع ملائكة كثيرين يرونكم من حيث لا ترونهم [1] .

مع تحفظنا على سند الرواية الذي فيه الواقدي الكذاب [2] **وعبد الله بن مسعود فيه طعون** [3] **وما موجود في متنها إنها انطوت على حقيقة واحدة، وهي تكرير كلمة أهل النبي محمد ﷺ في الصلاة عليه ودفنه وغسله، مع ما فيها من تدليس عن ذكر أمير المؤمنين عليه السلام الذي أوصى به أن يقوم بغسله وتجهيزة، ألا إن هؤلاء المدلسين فات عليهم إن المراد من كلمة أهلي هم آل بيت النبي عليهم السلام الوارد ذكرهم في قوله تعالى {... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً }** [4] **وهم أصحاب الكساء أمير المؤمنين عليه السلام والإمامان الحسن والحسين عليهما السلام وأمهما فاطمة عليها السلام وهم الداخلون تحت العباء وقصتهم معروفة في يوم المباهلة لا داعي الإطالة في شرحها، والمراد من كلمة نساؤهم، هي فاطمة عليها السلام** [5] .

الثانية: رواها إسماعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال أوصاني: إذا مات اغسله بـــ ست قرب من بئر غرس فـــ إذا فرغت من غسله ادرجه في أكفانه ثم أضع فمي على فمه ففعلت وأنبئني بما هو كائن إلى يوم القيمة [6] **وهذه لا نعول على صحتها، ميت يعلم حي هذه خرافة والصحيح انه ورث كل شيء منه في حياته وليس بعد مماته .**

---

١ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢/٢٥٦ .

٢ المحمداوي : أبو طالب /٩٨ .

٣ المحمداوي : الإسراء والمعراج ، دراسة في سند روايات ابن إسحاق ، ت ١٥١هـ مجلة أبحاث البصرة ، مج ٤١ ، ع ١ ، س ٢٠١٦ ، ص ١١٥.

٤ الأحزاب/٣٣ .

٥ ابن كثير : تفسير ١/٣٧٩ .

٦ الصفار : بصائر الدرجات/٣٠٤ .

وربما سائل يسأل ما المقصود بـــ بئر غرس ؟ ولماذا أوصى إن يغسل منها ؟ المعروف انه بالمدينة بـــ قباء، وكان يستطيب ماءها ويبارك فيه، وقد ورد عنه أنه بصق فيها وقال: إن فيها عيناً من عيون الجنة، وقال وهو قاعد على شفيرها: رأيت الليلة كأني جالس على عين من عيون الجنة [1] .

الثالثة: وردت عن سعد بن عبد الله عن إبراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي، عن إبراهيم بن صالح الانماطي، عن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين، عمن حدثه، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، عن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال " ... غسلني بثلاث قرب غسلاً وسن عليَّ أربعاً سناً، فـــ إذا غسلتني وحنطتني فأقعدني وضع يدك على فؤادي ثم سلني أخبرك بما هو كائن إلى يوم القيامة " ففعلت وكان أمير المؤمنين عليه السلام إذا أخبرنا بشيء قال، هذا مما أخبرني به النبي صلى الله عليه وآله بعد موته [2] .

وهذه خرافة مقروءة من عنوانها، أن أراد النبي محمد صلى الله عليه وآله أن يوصي يوص، ولا داعي لما قيل إنهم يسألونه بعد موته فيجيبهم، هذه خزعبلات من العبث الرد عليها .

الرابعة: عندما اقترب اجله، قال له أمير المؤمنين عليه السلام إذا أنت قبضت فمن يغسلك وفيم نكفنك ومن يصلى عليك ومن يدخل القبر فقال: يا علي أما الغسل فاغسلني أنت والفضل بن عباس يصب عليك الماء وجبريل عليه السلام ثالثكما فـــ إذا أنتم فرغتم من غسلي فكفنوني في ثلاثة أثواب جدد وجبريل عليه السلام يأتيني بحنوط من الجنة فـــ إذا أنتم وضعتوني على السرير فضعوني في المسجد واخرجوا عني فإن أول من يصلي عليَّ الرب عز وجل من فوق عرشه ثم جبريل عليه السلام ثم ميكائيل ثم إسرافيل عليهما السلام ثم الملائكة زمراً زمراً ثم ادخلوا فقوموا صفوفاً لا يتقدم علي أحد، فغسله امير المؤمنين (ع) وابن عباس يصب عليه الماء وجبريل عليه السلام معهما وكفن بثلاثة أثواب جدد وحمل على سرير ثم أدخلوه المسجد وخرج الناس عنه فأول من صلى عليه الرب تعالى من فوق عرشه ثم جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم الملائكة زمراً زمراً قال أمير المؤمنين عليه السلام لقد سمعنا في المسجد همهمة ولم نر لهم شخصاً فسمعنا هاتفا يهتف ويقول ادخلوا رحمكم الله فصلوا على نبيكم صلى الله عليه وآله فدخلنا وقمنا صفوفاً صفوفاً كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله فكبرنا بتكبير جبريل عليه السلام وصلينا بـــ صلاة جبريل عليه السلام ما تقدم منا أحد على رسول الله صلى الله عليه وآله ودخل القبر امير المؤمنين عليه السلام ودفنه فلما انصرف الناس قالت له فاطمة عليها السلام كيف طابت أنفسكم أن تحثوا عليه التراب أما كان في صدوركم رحمة أما كان معلم الخير قال بلى يا فاطمة ولكن أمر الله الذي لامرد

---

١ ياقوت الحموي : معجم البلدان ١٩٣/٤ .

٢ الراوندي : الخرائج والجرائح ٨٠٢/٢ .

له فجعلت تبكي وتندب وهي تقول يا أبتاه الآن انقطع جبريل عليه السلام وكان جبريل يأتينا بالوحي من السماء [١] يتضح من الرواية لمسة بنو العباس، حينما أشركوا الفضل بن العباس .

الخامسة: فيها إشارة صراحة إلى تكلف أمير المؤمنين عليه السلام بذلك وهذا ما رواه بقوله: أوصى النبي صلى الله عليه وآله ألا يغسله أحد غيري فإنه لا يرى أحد عورته إلا طمست عيناه، فكانوا يناولوني الماء من وراء الستر، فما تناولت عضواً إلا كأنما يقلبه معي ثلاثون رجلاً حتى فرغت من غسله [٢] وعلى رواية قلت: يا رسول الله أخشى أن لا أطيق ذلك قال: إنك ستعان، قال: فــ والله ما أردت أن أقلب منه عضوا إلا قلب [٣] .

قيل استشهد ليلة ١٢ ربيع الأول، وهو ابن ٦٣ سنة [٤] ويقال استشهد يوم الاثنين، وحبس بقية يومه الذي مات فيه وليلته والغد حتى دفن ليلة الأربعاء [٥] وعليه نقول: ما الغاية من بقائه من دون دفن، لم نعرف ذلك ولم نقدم فيه تحقيق، والصحيح إن استشهاده يوم الاثنين ٢٨ صفر سنة ١١هــ، وهذا هو التاريخ الذي يحيي به المسلمون ذكرى استشهاده .

يظهر إنه بقى من غير غسل، بدليل قول العباس بن عبد المطلب " أي قوم فادفنوا صاحبكم"[٦] وحتى قولته هذه مشكل، أصبح نبي الله صاحب القوم سُلبت منه النبوة أصبح صاحباً أو صديقاً.

لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله ارتجت مكة [٧] .

أما موضع قبره، قالت عائشة: دفن في بيتي [٨] فــ لا ندري هل بيتها مدفن ؟ لأن البقية دفنوا إلى جواره، ويقال إن سيف بن ذي يزن: أخبر بموضع قبره فــ قال: إني أجد في الكتاب الناطق والعلم السابق إن بيثرب موضع قبره [٩] ونحن لا نميل إلى صحة ذلك .

وكانت آخرته جنات الخلد لما روي عنه قال: انه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيا أو يخير [١٠] .

---

١ الطبراني : المعجم الكبير ٦٤/٣ .
٢ ابن سعد : الطبقات الكبرى٢٧٨/٢ .
٣ المتقي الهندي : كنز العمال ٢٤٩/٧ .
٤ الكليني : الكافي ٤٣٩/١ .
٥ الدارمي : سنن ٣٩/١ .
٦ الدارمي : سنن ٣٩/١ .
٧ ابن سعد : الطبقات الكبرى ١٨٣/٣ .
٨ مالك : الموطأ ٢٣٢/١ .
٩ ابن حبيب : المنمق/ ٤٢٧ .
١٠ البخاري : صحيح ١٣٨/٥ .

المحتويات

الاهداء ٥

المقدمة ٧

الفصل الأول: الأفتراءات على مولد سيد الكائنات

البشارة بـــ مولده ٢٦

روايات الولادة ٣٢

فضائله عند الولادة ٣٤

دور عبد المطلب ٣٥

الحوادث عند مولده ٣٩

اسمه ٤٨

ختانه ٥٢

رضاعته ٧٥

شق صدره ﷺ ٦٨

نسب النبي محمد ﷺ ٨١

موقفه من علم النسب ٨٦

طهارة نسبه ٩١

الفصل الثاني: صفاته الخلقية الواردة في روايات العامة، ومعانيها في اللغة العربية

المقدمة ١٠٠

العنوانات الرئيسة Titles ١٠٠

الروايات الدالة على صفاته Novels function on the prophet ١٠٠

العنوانات الفرعية subtitles ١١٧

الفصل الثالث: كيفية نزول جبريل عليه السلام عليه

أدلة نبوته قبل المبعث ١٥٢
أولاً: سيف بن ذي يزن ١٥٢
ثانياً: عبد المطلب بن هاشم ١٥٣
ثالثاً: حليمة المرضعة المفتراة ١٥٩
رابعاً: الكهنة والأصنام ١٦١
البعثة الشريفة ١٦٣
نزول جبريل (ع) ١٦٣
ما هو جبريل (ع) ؟ ١٦٨
الرؤيا الصادقة ١٧١
نزوله على صورة دحية الكلبي ١٧٣
الروايات الدالة على ذلك ١٧٧
نزوله في صورته الأصلية ١٨٦
رواية ابن مسعود ١٨٩
أسباب منعت جبريل من دخول بيت النبي صلى الله عليه وآله ١٩١
أولا: دويبة أو تمثال ١٩١
ثانياً: كلب، أو جرو ١٩٢
ثالثاً: صورة أو بول ١٩٣
انقطاع الوحي ١٩٤

الفصل الرابع : الشبهات التي أثارها المنافقون ضده

مقدمة ١٩٩
عصمته ٢٠٢
صلاته ٢٠٥
بيت خديجة عليها السلام ٢١٧
عدم معرفته الأحكام الشرعية ٢١٩
علاقاته الزوجية ٢٢٤

سماع الغناء ٢٢٩
وضعه البيتي ٢٣١
ضربه أبي ذر (رض) برجله ٢٣٣

الفصل الخامس: الضلالة في القران الكريم النبي محمد (ص) اختياراً

المقدمة ٢٣٦
دلالات لفظة الضلالة ٢٣٨
الضلالة المنسوبة للنبي ﷺ في القرآن الكريم ٢٤٣
القائلون بـــ إيمانه ٢٥٠
الضلالة في الرواية التاريخية، ضياع النبي ﷺ في صغره ٢٥٥

الفصل السادس: كيفية استشهاده

مدخل (عن الموت) ٢٦٤
شهادته ٢٦٧
السبب الأول: مرض ذات الجنب ٢٨٦
السبب الثاني: السم ٢٧١
الفرق بين الموت والقتل ٢٧٤
ساعة احتضاره ٢٧٧
ملك الموت ٢٧٩
غسله ٢٨٢